الفهم الوسطي للجهاد في الفكر الإسلامي

(دراسة تاريخية)

الدكتور

فؤاد محسن الراوي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾

سورة طه من الآية ١١٤

وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾

سورة الأحزاب الآية ٢٣

وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾

سورة الأنفال من الآية ٦٠

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى اولئك الذين يواصلون الليل بالنهار وهم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

حاملين لواء الإسلام والجهاد في سبيل الله لا يضرهم من خذلهم، لأن رضوان الله غايتهم وإعلاء كلمته في الآفاق أغلى مقاصدهم.

إلى هؤلاء جميعاً أهدى جهدي المتواضع.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾[1].

(١) سورة النساء – الآية ٤٥.

المحتويات

۞ ۞ ۞

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه واقتدى بسيرته وسنته إلى يوم الدين .

لقد كان الجهاد والحرب في الإسلام خيراً على المسلمين فأعزتهم في ديارهم ومكنتهم من أعدائهم وملكتهم ما لم يكونوا يملكون ونشرت دعوتهم وأطلقت سلطانهم في العالمين وفي هذا المقام تتجلى عزة الإسلام وروعته وإعجاز القرآن الكريم وحكمته إذ عد الجهاد في سبيل الله أسمى العقائد الإسلامية، وأفضل الأعمال الربانية، وجعل درجة المجاهدين أعلى درجات المسلمين لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

فمن كانت عقيدته القتال وسبيله الجهاد وأسمى أمانيه الموت في سبيل الله صغر أمامه كل كبير وتحطم في طريق همته كل عائق وتواضعت الدنيا جميعاً تحت قدميه.

(١) النساء الآيتان/ ٩٥-٩٦ .

أولاً : أهمية الموضوع وسبب الاختيار :

لقد دفعني إلى اختيار موضوع (الفهم الوسطي للجهاد في الفكر الإسلامي) أهميته التاريخية أولاً: وضرورته في حاضر الأمة ومستقبلها ثانياً، لأن الجهاد هو موضوع الساعة و أن الحافز كان قوياً للبحث فيه.

وعلى الرغم مما كتب عن الجهاد في السياسة الشرعية وعن آثار الحرب في الفقه الإسلامي، إلا أن الحاجة مازالت ماسة إلى البحث فيه بشكل مفصل في الجانب الفكري ومعالجة قضاياه بدراسة تاريخية وواقعية واعدة ومفصلة فمن المروءة أن يجند المرء نفسه بالسيف والسنان والقلم واللسان وبالقلب والجنان ، المهم أن يستجيب لهذه التحديات قدر ما يستطيع وأن يكون له الدور الفاعل في مواجهة التحدي فالمسلم لا يملك نفسه ولا سيفه ولا قلمه فهو ملك لأمته وعليه أن يرد الحيف عنها وأن يكون عند حسن ظن الله به.

إن الحروب الصليبية – الصهيونية مستمرة فهي لم تتوقف عند الحملة الثامنة سنة (١٢٩٢م) وإنما استمرت بشكل أو بآخر وبالدوافع والأسباب المقيتة نفسها التي قذفت بملايين الصليبين الأوربيين المتوحشين منذ الحملة الأولى التي أمر بها البابا (أوربان) الحاقد على الشرق الإسلامي وعقيدته وحضارته بحجة حماية مهد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام وإنها أخذت شكلاً آخر في الغزو الأوربي الاستعماري بحجة إنقاذ هذه البلاد من الفقر والتخلف.

إن الطواغيت تصادم نواميس الكون فهل تعلم أن نواميس الكون غلابة وأن السنن الإلهية لا تخطئ ، ومازالت عناصر السلامة قوية وعظيمة في نفوس المسلمين رغم طغيان

مظاهر الفساد والضعيف لا يظل ضعيفا والقوى لا تدوم قوته أبد الآبدين لقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾[1]

ثانياً : منهجية البحث :

إن طبيعة الموضوع كانت السبب في البحث فيه بدراسة مفصلة وفق منهج علمي استقرائي في تتبع النصوص وتحليلها وصولاً إلى الاستنتاجات والدروس المستفادة والوقوف عند الأحداث والوقائع التاريخية وتوظيفها في متطلبات الأمة في حاضرها منهجاً لحياتها اقتداءً بسيرة سيد المرسلين محمدﷺ وهو خير قدوة، وتأسياً بمن اهتدى بهدية وسار على دربه إلى يوم الدين.

ثالثاً : تحليل المصادر والمراجع :

لا يتسع المجال لذكر كل الذي تضمنته خطة البحث من المصادر والمراجع والتي جاوزت الأربعمائة منها ما يربو على المائتي مصدر مهم وموثق وأكثر من مائة وخمسين من المراجع العربية الحديثة والرسائل العلمية والبحوث المهمة وبحدود الخمسين مرجعاً أجنبياً بين مترجم وغيره هذا فضلاً عن بعض الصحف والمجلات العربية. ولم تستغن خطة البحث عن الاطلاع على بعض ما تنشره الصحف والمجلات الأجنبية.

هذا وقد شملت قائمة المصادر والمراجع الجوانب الرئيسة والمهمة من مصادر البحث والتي غطت كل أبوابه وفصوله ومباحثه بالشكل الذي تؤمن خدمة هذا الكتاب

(١) سورة القصص الآيتان ٥، ٦.

وتضمن تحقيق اهدافه المرسومة. وفي أدناه شذرات من هذه المصادر والمراجع:

١ـ القرآن وعلومه وتفاسيره :

يعد القرآن الكريم المصدر الأهم الذي انتهلت منه الدراسة والبحث في موضوع الجهاد ،وكان المعين الصافي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه ينطق بالحق ويحكي لنا الخطوات والتدرج في مراتب الجهاد من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الأمر بالقتال،وكان لكتب التفسير للمتقدمين والمحدثين الدور المهم في هذا المجال وتوضيح أسباب النزول والأحكام التي ترتبت على آيات الجهاد والاستنفار والتحريض على القتال وبيان فضل المجاهد والشهيد في سبيل الله ومن هذه التفاسير جامع البيان في تفسير القرآن للطبري في القرن الثالث الهجري وتفسير القرطبي في القرن السابع الهجري، وابن كثير من القرن الثامن الهجري ،رحمهم الله جميعاً وكان لتفاسير علماء الأمة المحدثين مثل روح المعاني والمنار والظلال الأهمية الكبيرة في عرض وتفسير آيات الجهاد وبيان مفهوم الجهاد ومبادئه وأهدافه في نيل الشهادة أو النصر وإعلاء كلمة الله في الأرض ورد العدوان عن الأمة وحفظ عقيدتها وضمان حرية الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر رواق العدل بين الناس وإقامة صرح الحضارة وأعمار الأرض. وإسعاد البشرية.

٢ـ السنة النبوية وكتب الحديث :

لقد كان للسنة والحديث وكل ما أثر عن الرسول الأكرم محمدﷺ من قول أو فعل أو تقرير الأهمية البالغة في موضوع بحثنا وهو الجهاد، فقد اعتمدنا بعد القرآن الكريم على كتب الصحاح والسنن وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وهم من علماء الحديث في القرن الثالث الهجري وفي كتبهم هذه

ذخيرة ثرة ومعلومات قيمة اغنت البحث في أبوابه وفصوله ومباحثه كافة.

٣ـ كتب الفقه والفكر الإسلامي ورجال الأثر :

وكان عطاء الفقهاء والمفكرين يمثل ثروة فكرية أعطت لعلماء الأمة قدرهم في إسهامهم المباشر في عملية البناء الثقافي والحضاري للأمة وكانت كتبهم مصادر أصيلة يرجع إليها قضاة الأمة وحكامها ومعيناً ينتهل منه الباحث وطالب العلم ولقد كان لعلماء القرن الثاني الهجري ومنهم الإمام أبو حنيفة رحمة الله في مسنده وتلامذته رحمهم الله تعالى أبو يوسف في الخراج والشيباني في شرح السير الكبير وكان لعلم الإمام مالك رحمه الله في المدونة والموطأ والإمام الشافعي رحمة الله في كتابه الأم والرسالة والإمام ابن حنبل رحمة الله في مسنده أكبر الأثر في هذا المضمار ولقد غطت هذه المصادر الأصيلة جانباً مهماً من متطلبات البحث ولم يقتصر عطاؤها على باب أو فصل معين بل الاقتباس منها كان ضرورة ملحة لإغناء أغلب فصول البحث وكان دور الفقه متلازماً مع دور الفكر الإسلامي في صياغة هيكلية البحث وسبكها وكان لمفكري الأمة من المتقدمين والمحدثين والمعاصرين إسهامات جليلة في هذا البحث فكانت كتبهم منهلاً اغترفت منه الكثير من النصوص والمواقف التي أعطت للكتاب قيمة علمية كبيرة وأسبغت عليه سمات الفكر الإسلامي الأصيل ولما كان المجال لا يتسع لذكر كل هذا المصادر ومصنفيها لذا نذكر نماذج منها تعبر عن فضل أعلام الأمة وروادها الكبار في بناء مجدها ورفعة شأنها ومن هؤلاء (رحمهم الله جميعاً وجزاهم الله عنا وعن الأمة كل الخير).

نذكر على سبيل المثال لا الحصر: كتاب الأموال لأبي عبيد (ت٢٢٤هـ) والماوردي (ت ٤٥٠هـ) في كتاب الأحكام السلطانية والغزالي (ت ٥٠٥هـ) في أحياء العلوم وابن رشد القاضي (ت ٥٢٠هـ) في المقدمات والممهدات والكاساني (٥٨٧هـ) في بدائع الصنائع

وابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) في المغني وابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) في الفتاوي الكبرى وابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) في زاد المعاد والسيوطي (ت ٩١١هـ) في الحاوي والدردير (ت ١٢٠١هـ) في الشرح الكبير وابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ) في البناية في شرح الهداية.

كما لم استغن عن بعض المراجع ذات العلاقة وكانت الإفادة منها كبيرة ولا سيما المراجع التي تبحث في الفكر السياسي والعسكري مثال على ذلك مجموعة اللواء الركن محمود شيت خطاب ومنها كتابة (العسكرية العربية الإسلامية) وكتابه (بين العقيدة والقيادة) وكتابه (الرسول القائد) وكتب الدكتور محمد جاسم المشهداني ومنها كتابة الموسوم (الشهيد في التاريخ العربي الإسلامي) وكتب الندوي ومنها (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ومجموعة كتب الدكتور محسن عبد الحميد ومنها (تجديد الفكر الإسلامي) وفاضل زكي في كتاب (الفكر السياسي العربي الإسلامي) والنشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام). وكتاب د. نها والجبوري(المنهج النبوي في بناء الجيش معنوياً ومادياً.

ومجموعة أنور الجندي ومنها، (كتاب الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتماؤها).

ومجموعة الدكتور أحمد شلبي ومنها (موسوعة النظم والحضارة الإسلامية) (المجتمع الإسلامي) والدكتور محمد خير هيكل (الجهاد والقتال في السياسة الشرعية) والدكتور هاشم الملاح في (القيادة عند العرب)، ومحمد فرج في (العبقرية العسكرية في غزوات الرسولﷺ) والدكتور وهبة الزحيلي في (آثار الحرب في الفقه الإسلامي) والدكتور عماد الدين خليل في (التفسير الإسلامي للتاريخ) وحسن أيوب في (الجهاد والفدائية في الإسلام) كما تم اعتماد بعض المصادر والمراجع الأجنبية المعربة وغير المعربة ومنها أفلاطون في جمهوريته واسباين في (تطور الفكر السياسي).

٤ـ كتب التاريخ والسير والمغازي والجهاد :

وكانت كتب هذه المجموعة مصادر مهمة وأساسية في تغطية أبواب وفصول ومباحث الكتاب ونقتصر على ذكر نماذج من عطاء علماء الأمة ومؤرخيها رحمهم الله جميعاً ومنها:

كتاب الزهري(ت١٢٤هـ) في المغازي النبوية وكتاب ابن إسحق (ت ١٥١هـ) في السيرة النبوية وكتاب الازدي (ت ١٦٨هـ) في فتوح الشام وابن هشام(ت ٢١٨هـ) في السيرة النبوية وكتاب الواقدي (ت ٢٠٧هـ) في المغازي والسير وكتاب عبد الله بن المبارك (ت ١٨١) في الجهاد.

أما الكتب والمصادر التاريخية فهي كثيرة ونختار بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر ومنها: كتاب البلاذري (ت ٢٧٩هـ) (فتوح البلدان) وكتاب الدينوري(ت ٢٨٢هـ) الأخبار الطوال والطبري (ت ٣١٠هـ) في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) واليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) في تاريخه والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في تاريخ بغداد،وابن عساكر (ت ٥٧١هـ) في تاريخ دمشق ، وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) في كتابه الكامل في التاريخ والذهبي (ت ٧٤٨هـ) في تاريخ الإسلام وابن كثير (ت٧٧٤هـ) في البداية والنهاية وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في المقدمة.

٥ـ كتب الطبقات :

ومنها كتاب ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في الطبقات الكبرى.

٦ـ كتب الأماكن والبلدان :

ومنها كتاب الحازمي (ت ٥٨٤هـ) في ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأماكن والبلدان (مخطوطة) وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ).

٧ـ كتب الأنساب :

ومنها كتاب البلاذري (أنساب الأشراف) وكتاب المسعودي (ت ٣٤٦هـ) في التنبيه والأشراف ومن المراجع كتاب معجم الأنساب لزامباور.

٨ـ المعاجم اللغوية :

كتاب الصحاح في اللغة للجوهري (ت٣٩٣هـ) ومختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ) ولسان العرب لأبن منظور (ت ٧١١هـ) والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ).

فصل تمهيدي

مفهوم الجهاد ومبادئه في الفكرالإسلامي

المبحث الأول

مفهوم الجهاد

أولاً : المفهوم اللغوي للجهاد .

ثانياً : المفهوم الاصطلاحي للجهاد .

ثالثاً : مفهوم الجهاد في القرآن الكريم .

رابعاً : مفهوم الجهاد في السنة النبوية .

المبحث الأول : مفهوم الجهاد

أولاً : المفهوم اللغوي للجهاد :

الجهاد في الوضع اللغوي. هو مصدر الفعل الرباعي (جاهد) والفعل الثلاثي للكلمة هو (جهد) ويذكر الجوهري في معجمه كلمة (جهد) الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة وقرئ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾[1]. و(جهدهم).

قال الفراء: الجُهْد بالضم الطاقة والجَهْدُ بالفتح: المشقة: يقال جَهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها وجهد الرجل في كذا جدَّ فيه وبالغ... وجهد الرجل فهو مجهودُ، من المشقة... والجهاد بالفتح: الأرض الصلبة.

وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهاداً والاجتهاد والتجاهد بذل الوسع والمجهود[2].

وفي لسان العرب: (قيل الجَهد(بالفتح) المشقة، والجُهد (بالضم) الطاقة وفيه الجهاد: استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل) [3].

ويضبط صاحب القاموس المصدر الثلاثي ومعناه فيقول:(الجهد): ويضم والمشقة) [4].

وفي شرح القسطلاني على صحيح البخاري : (الجهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو مجاهدة وجهاداً. وأصله جيهاد كقيتال، فخفف بحذف الياء، وهو مشتق من

(١) التوبة، الآية: (٧٩).

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ) الصحاح في اللغة والعلوم، ط١، دار الحضارة العربية(بيروت، ١٩٧٤م) ج١/ ص٢١٦ المادة (جهد).

(٣) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (٧١١هـ) ، لسان العرب، طبعة دار صادر (بيروت، ١٩٥٦م) مادة (جهد).

(٤) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤)، القاموس المحيط، طبعة (القاهرة ١٩١٣م) مادة (الجهد).

الجهد، بفتح الجيم، وهو التعب ، والمشقة، لما فيه من ارتكابها أو من الجهد بالضم، وهو الطاقة ، لأن كل واحد منها بذل طاقته في دفع صاحبه) [1] .

وفي ضوء هذه النقول حول المعنى اللغوي لكلمة "الجهاد" يكون تعريف "الجهاد" هو استفراغ الوسع في المدافعة بين الطرفين ولو تقديراً، أي جهاد والإنسان لنفسه ، بتقدير إن الإنسان يشتمل على طرفين في نفسه حين تتصارع فيها رغبتان متناقضتان كل تجاهد في سبيل الغلبة على الأخرى.

وفي هذا التعريف تم الجمع بين ما جاء في (لسان العرب) و (شرح القسطلاني) وإضافة (ولو تقديراً) زيادة في الإيضاح: وبناء على هذا التعريف اللغوي: قد يكون الوسع المبذول فعلاً مادياً بسلاح، أو بغير سلاح، وبدفع مال ، أو بغير مال- وقد يكون قولاً[2].

وقد يكون (بالامتناع عن الفعل والقول، كمن يمتنع عن طاعة والديه فيما يأمر أنه به من معصيته ويصبر على إلحاحهما في طلب ذلك منه) [3].

وبناء على هذا التعريف اللغوي، قد يكون الطرف الآخر الذي يجاهده المسلم وهو النفس والشيطان، أو الفساق أو الكفار[4]،وبناءً على هذا التعريف اللغوي أيضاً، قد يكون الجهاد في سبيل الله ، كجهاد المسلم ابتغاء مرضاة الله،...وفي هذا يقول النيسابوري: إن الجهاد بذل المجهود في حصول المقصود[5].

(١) القسطلاني، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ) أرشاد الساري لشرح صحيح البخاري طبع بولاق (القاهرة، ١٣٢٧هـ)، ٣٠/٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب: مادة — جهد-.

(٣) الشوكاني،محمد بن علي بن محمد(ت١٢٥٥هـ)،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير،دار المعرفة، (بيروت ، ب ت) ١٩٣/٤.

(٤) سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، ط١(دمشق ١٩٨٢م).ص٧١.

(٥) النيسابوري، علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، أسباب النزول ، مؤسسة الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م)، ١٢٦/١٠.

" من هذا المنطق فان كل جهد إنساني يبذل باسم الله في أي جانب من جوانب بناء الحياة بموجب شريعة الإسلام، يكون جهاداً في سبيل الله ، فبناء النفس، وتربية الأجيال تربية صالحة جهاداً ، وبذل المال في سبيل إحداث تنمية اجتماعية حضارية جهاد، والدفاع عن مقدسات الأمة وثوابتها جهاد... وهكذا "[1].

ويلاحظ أن كلمتي "الجهاد" و"الاجتهاد" مشتقان من جذر واحد هو "الجهد" غير أن معنى "الجهد" أوسع من معنى "الاجتهاد". وبينما يشمل الجهاد كافة الأعمال التي يقوم بها الإنسان في البحث عن الحق وإصلاح النفس والعمل من أجل إصلاح الآخرين، والقتال في سبيل الله دفاعاً عن الحق والعدل. في حين "يركز الاجتهاد على بذل الوسع والمجهود في إعمال الرأي من أجل الوصول إلى الحقيقة، وحكم الله في أفعال الناس"[2]. ومن خلال استقراء المعاجم اللغوية، فإنها لا تقدم لنا تصوراً عن التطور التاريخي لمفهوم الجهاد إلا أن الاستشهادات التي توردها هذه المعاجم عن معاني الجهد والجهاد تشير إلى أن هذا المصطلح لم يكن له رواج عند العرب قبل الإسلام في الدلالة على المعاني أنفة الذكر، مما يدل على أن الجهاد قد اكتسب معانيه الدلالية وأبعاده الفكرية من الرسالة الإسلامية ممثلة بآيات القرآن الكريم وسنة الرسول محمدﷺ والمآثر العلمية التي سجلتها كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، فضلاً عن الاجتهادات والمعطيات الفكرية التي حوتها كتب السير والمغازي وغيرها.

ثانياً : المفهوم الاصطلاحي للجهاد :

كان عطاء الفكر الإسلامي في هذا المجال غزيراً، فقد عرف الجهاد بتعاريف عديدة

(١) عبد الحميد محسن (دكتور)، بحث (الجهاد والوعي بمستقبل الأمة) القى في الندوة الفكرية العربية(الجهاد فكراً وممارسه) في بيت الحكمة خلال الفترة من ٨-٩/ كانون الثاني /٢٠٠٢م،ص٣.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي(ت٤٥٨هـ) كتاب الزهد الكبير، طبعة (بيروت ، ١٩٩٦) ج٢، ص١٦٥ .

أوضح فيها مفكروا الأمة وعلماؤها مفهوم الجهاد الاصطلاحي على سبيل المثال لا الحصر.

أ ـ عند المتقدمين :

١- السمر قندي(ت٣٧٣هـ) وعنده الجهاد يرد في معانيه الاصطلاحية أنه"الدعاء إلى الدين الحق"[(١)].

٢- الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) وعرفه بأن "الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو. والجهاد ثلاثة اضرب مجاهدة العدو: ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[(٢)] وقوله تعالى ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[(٣)].....[(٤)].

٣- ابن رشد القاضي (ت٥٢٠هـ) وعنده مفهوم الجهاد: (قتال المسلم كافراً غير ذي عهد، لإعلاء كلمة الله تعالى أو حضوره له أو دخوله أرض له)[(٥)].

٤- الكاساني (ت٥٨٧هـ) ويعرف الجهاد بأنه: (بذل الوسع والطاقة بالنفس والمال واللسان)[(٦)].

٥- الجزري (ت٦٠٦هـ) وعرف الجهاد بأنه (محاربة الكفار)[(٧)].

---

(١) السمر قندي، أبو الليث نصر بن أحمد (ت ٣٧٣هـ) تحفة الفقهاء، تحقيق محمد المنتصر والزحيلي ، دار الفكر (دمشق /٣٩٩/٣).

(٢) سورة الحج، الآية/٧٨.

(٣) سورة التوبة، الآية/٤١.

(٤) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن الفضل (ت٥٠٢هـ) معجم مفردات القرآن الكريم تحقيق نديم مرعشلي دار الفكر، مطبعة التقدم العربي (بيروت ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) م ص: ٩٨ مادة (جهد).

(٥) ابن رشد القاضي، محمد بن أحمد(ت٥٢٠هـ) المقدمات والممهدات، مطبعة السعادة (القاهرة ١٣٢٥) ٢٥٨/١.

(٦) الكاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود(ت ٥٨٧هـ) بدائع الصنائع ط١، (القاهرة، ١٣٢٨هـ) ٩٧/٧.

(٧) ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، مطبعة دار أحياء الكتب لعيس الحلبي ، ط١، (القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) مادة(جهد): ٣١٩/١.

٦- المطرزي (ت ٦١٦هـ) ويرد عنده مصطلح الجهاد بأنه (تحمل الجهد – بفتح الجيم المشقة – في دفع المعاندين) [(١)].

٧- ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) فقد أوضح مفهوم الجهاد الاصطلاحي بقوله: (والجهاد هو بذل الوسع – وهو القدرة – في حصول محبوب الحق، ودفع ما يكرهه الحق" وقال في موضع آخر: (ذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان) [(٢)].

٨- العيني(ت ٨٥٥هـ) وعنده : (أن الجهاد غلب في عرف الشرع على جهاد الكفار وهو دعوتهم إلى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا) [(٣)]. ويتفق معه الكمال بن الهمام (ت ٨٦١هـ).

ب ـ عند المتأخرين :

١- الخرشي (ت١١٠١هـ) أول شيخ للأزهر، أخذ بتعريف ابن عرفة[(٤)]، بقوله "قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى) [(٥)].

---

(١) المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد (ت ٦١٦)، المغرب في ترتيب المعرب،دار الكتاب العربي(بيروت، مصور عن طبعة ١٣٢٨هـ) ص٩٧.

(٢) ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم(ت٧٢٨هـ) ، الفتاوي الكبرى تحقيق حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، (بيروت ، ١٩٦٦م) ١٩١/١٠-١٩٢ وينظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) مطالب أولى النهى ، ٤٩٧/٢.

(٣) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ) البناية في شرح الهداية مخطوط بدار الكتب رقم ٢٧٩/٥٥٠٤ وينظر ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد (ت٨٦١هـ) فتح القدير ، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق (القاهرة ، ١٣١٦هـ) ج٤ ص٢٧٧، وينظر البحراوي، عبد الرحمن الحنفي (ت ١٠٧٠هـ) الفتاوي الهندية، المطبعة الأميرية ببولاق (القاهرة، ١٣١٠هـ)ص ١٨٨ص.

(٤) وهو محمد بن عرفة الورغمي أبو عبد الله (ت٨٠٣هـ) أمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره مولده ووفاته فيها ونسبته إلى (ورغمه) وهي قرية بأفريقيا، مالكي المذهب.

(٥) الخرشي، محمد بن عبد الله بن علي المالكي (ت ١١٠١هـ) حاشية الخرشي علي مختصر سيدي خليل طبعة دار صادر بيروت مصورة على طبعة (بولاق ١٣١٩هـ) ١٠٧/٣.

٢- الجمل (ت ١٢٠٤) ومما يرد في المعاني الاصطلاحية أيضا قوله في الجهاد ((أنه مغالبة النفس ومدافعة الشيطان)) [١].

٣- الشرقاوي (ت ١٢٢٦هـ) وعنده الجهاد يعني : (قتال الكفار لنصرة الإسلام ويطلق أيضاً على جهاد النفس والشيطان والمراد هنا الأول..) [٢].

٤- ابن عابدين(ت ١٢٥٢هـ) وعنده الجهاد: (بذل الوسع والطاقة في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان) [٣].

جـ- عند المحدثين :

ويكفي أن نورد هنا بعض أراء أصحاب الفكر الإسلامي وعلماء الأمة المحدثين استكمالاً لما قال بها مفكروا الأمة السابقين .

١- رأي الدكتور وهبة الزحيلي: أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله في كليتي الشريعة والحقوق بجامعة دمشق سابقاً: إذ يقول (أجمعت الأمة على فرضية الجهاد... وقد ثبتت الفرضية بالقرآن والسنة والإجماع ولا يفهم من الفرضية أن الجهاد مبدأ هجومي عدواني ، وإنما هو على العكس مبدأ وقائي) [٤].

٢- رأي عبد الرحمن عزام: الأمين العام الأسبق للجامعة العربية إذ يقول:

(١) الجمل ، الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المصري الأزهري الشافعي (ت١٢٠٤هـ) على شرح المنهج لزكريا الأنصاري، دار أحياء التراث العربي بيروت تصويراً على طبعة المطبعة الميمنية (القاهرة، ١٣٠٥هـ) ج٥ ص ١٧٩.

(٢) الشرقاوي، عبد الله (ت ١٢٢٦هـ) : حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب ، لزكريا الأنصاري – جزءان مطبعة الحلبي، (القاهرة، ١٣٦٠هـ/١٩٤١) ج٢ ص ٣٩١.

(٣) ابن عابدين، محمد أمين (١٢٥٢هـ) رد المحتار على الدر المختار، الطبعة الأميرية (القاهرية، ١٣٢٦هـ) ٣٣٦/٣.

(٤) الزحيلي، وهبة (الدكتور) ، أثار الحرب في الفقه الإسلامي – دراسة مقارنة – دار الفكر ، ط٣، (دمشق ، ١٩٨١)، ص ٨٤ وما بعدها.

(الحرب لنصرة المظلوم) جاء في بعضه :(مما يشرف الدعوة المحمدية إنها أباحت القتال، بل جعلته من الفضائل لرد المظالم ودفع العدوان عن الضعيف سواء أكان فرداً أم جماعة رغبة منه في إقامة صرح العدل الذي يريده الله على الأرض) [1].

٣- رأي محمد أبو زهرة: (أن الباعث على القتال في الإسلام ، هو دفع العدوان وإرساء قواعد الحرية الدينية لشعوب الأرض بحيث يمكنهم النظر في الإسلام) [2].

٤- رأي عبد الحافظ عبد ربه: من أساتذة الأزهر يقول: (إن الإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه ، ولكنه يكره الذين يقفون بالقوة في طريقة ويفتنون الناس عنه، ويصرفونهم عن آياته وبيناته: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [3] .... [4].

٥- رأي الدكتور مصطفى السباعي: رئيس قسم الشريعة في جامعة دمشق سابقاً يقول: (وأما الحرب التي يعلنها الإسلام لتأمين السلام العالمي فهي التي يعبر عنها القرآن بالجهاد في سبيل الله، وهو ليس كما يصوره المتعصبون من الغربيين، حرباً دينية لا كراه الناس على الإسلام فذلك ليس من طبيعة الإسلام الذي أعلن حرية العقيدة بقوله﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [5] وإنما هو معركة يخوضها الإسلام لتحرير الأمة من العدوان الخارجي ولتأمين الحرية الدينية والعدالة الاجتماعية لجميع الشعوب، وهاتان الغايتان هما اللتان عبرت عنها الآية بصريح العبارة ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ

(١) عزام، عبد الرحمن، الرسالة الخالدة، مطبعة اللجنة(القاهرة، ١٣٤٦هـ) ص٧٩وما بعدها.

(٢) أبو زهرة، محمد، من مقال له في المجلة المصرية للقانون الدولي عدد/١٩٥٨ ص٣.

(٣) سورة الأنفال: الآية/٣٩.

(٤) عبد ربة، عبد الحافظ، فلسفة الجهاد في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٧٢)ص٥٣.

(٥) سورة البقرة: الآية/٢٥٦.

وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [1]. فدفع الفتنة ، وهو العدوان وخلاص الدين كله الله أي: الحرية الدينية لجميع الناس هما الغاية التي ينتهي عندها القتال في الإسلام) [2].

٦- رأي توفيق على وهبة: مفكر إسلامي وباحث فاضل يقول: (فرض الإسلام الجهاد على المسلمين ، دفاعاً عن دينهم، وذوداً عن شرفهم ولم يشرعه عدواناً وانتقاماً... بل لنصرة دين الله) [3].

ثالثاً : مفهوم الجهاد في القرآن الكريم :

لو تتبعنا لفظة (الجهاد) ومشتقاتها في القرآن الكريم والحديث لوجدنا إنها استعملت في معان واسعة تشمل المعاني اللغوية والاصطلاحية فقد وردت لفظة (الجهاد) ومشتقاتها في القرآن الكريم(٤١) مرة[4]. استعملت فيها اللفظة استعمالات متعددة، كقوله تعالى مثلاً في صورة الفرقان المكية: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [5].

فلا شك أن مجاهدة الكافرين بالقرآن الكريم مجاهدة كبيرة قبل تشريع القتال لتشمل الدعوة إلى الدين الحق، كما تشمل مجادلتهم بالتي هي أحسن،وإقامة الدليل لتأييد هذا الدين، كما تشمل إقامة البراهين على رد باطلهم ، وإبطال عقائدهم ودخص افتراءاتهم على الله جل في علاه. وبيان ضلالهم وخسرانهم وكل ذلك قد يكون قولاً

---

(١) سورة الأنفال: الآية/٣٩.

(٢) السباعي، مصطفى(دكتور، محاضرة ألقيت في بيروت بعنوان(نظام السلم والحرب في الإسلام) بتاريخ ١٩٥٣/٤/١٧ حيث عقد فصلاً بعنوان(الحرب لتأمين السلام العالمي) ص٢٣.

(٣) وهبة، توفيق على، الجهاد في الإسلام دار اللواء ، (الرياض،١٩٧٧م) ص ٩، ١٣.

(٤) عبد الباقي، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار أحياء التراث العربي (بيروت، ب،ت) مادة (جهد) ص١٨٢-٨٣.

(٥) سورة الفرقان، الاية ٥٢.

وفعلاً، وقد يكون ببذل النفس ، أو المال ، أو الولد، أو المصلحة، أو ما يمكن أن يبذل المسلم في سبيل نصرة الحق ودخص الضلال.

وقيل إن هذه الآية تشمل مقاتلتهم إذا لم تنفع الدعوة السلمية، قال القرطبي: (وهذا فيه بعد، لأن السورة مكية نزلت قبل الأمر بالقتال) [1]، وقال الزمخشري في تفسيرها: (المراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك، فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم، وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير من (به) إلى ما دل عليه (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً) من كونه كافة القرى: لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته، فاجتمعت على رسول الله ﷺ تلك المجاهدات كلها.

فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال تعالى ﴿ وَجَـٰهِدُوهم ﴾ بسبب كونك نذير كافة القرى (جهاداً كبيراً) جامعاً لكل مجاهدة[2]. وقوله تعالى: ﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ﴾[3]، قال: الزمخشري في تفسيره: (وجاهدوا أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر. عن النبي ﷺ أنه رجع من بعض غزواته، فقال(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله...) [4].

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري(٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٦٧م) ٥٨/١٣ (طبعة مصورة وعن طبعة دار الكتب).

(٢) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ): الكشاف عن غوامض التزيل،دار الكتاب العربي، (بيروت ، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ٢٨٦/٣.

(٣) سورة الحج: الآية/٧٨.

(٤) الزمخشري: الكشاف ١٧٢/٣.

وقولـه تعـالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴾[1] فسر الماوردي رحمة الله (جاهداك) بمعنى أراداك [2]، متابعاً فيه لما يفهـم من كلام الطبري[3].

وفي سورة لقمان المكيـة آيـة واحـدة هـي قولـه تعـالى:﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴾[4]...

وأما آية الجهاد في سورة النحل المكية فقد تضمنت ذكر الهجرة مما يدل على إنها آية مدنية ضمن سورة، مكية وهذا ما ذكره المفسرون. والآية هي قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾[5]. وأما كلمة (الجهاد) في الآيات المدنية فبلغت(٢٦) كلمة[6].

وأكثرها يدل على معنى القتال ، فمن ذلك في سورة النساء ، قوله تعالى:﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة لقمان: الآية/١٥.

(٢) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري(ت٤٥٠) النكت والعيون، تحقيق خضر محمد خضر ط١، مطابع مقهوي (الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ٣/ ٢٨١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ) تفسير الطبري، طبعة دار الفكر (بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨) ج٢١/ص ٤٥.

(٤) سورة لقمان: الآية/١٥.

(٥) سورة النحل: من الآية /١١٠ وينظر ، القرطبي، تفسير ، ج١/٦٥.

(٦) بركات ، محمد فارس ، المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته ، المكتبة الهاشمية (دمشق ، ١٣٧٧هـ/١٩٧٥م) مادة (جاهد) وما يتصل بها.

ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾[1].

وواضح في هذه الآية كون(الجهاد)، بمعنى الخروج للقتال، وتفضيله على القعود وعدم الخروج، ومن ذلك في سورة التوبة: قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[2]. والأمر بالجهاد بعد الأمر بالنفر- الذي هو الخروج – يعني أن الجهاد هو القتال وما إليه. وكذلك قوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾[3] ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[5].

ومن ذلك في سورة الصف بعد ذكر القتال في مطلع السورة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[6]. بعد ذلك تأتي الآيتان (١٠)و(١١) ترغبان في هذا القتال باسم(الجهاد): قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة النساء: الآية/٩٥.

(٢) سورة التوبة: من الآية /٤١.

(٣) سورة التوبة: من الآية/٨٦.

(٤) سورة التوبة: من الآية٨١.

(٥) سورة التوبة: من الآية٨٧و٨٨.

(٦) سورة الصف: من الآية/٤.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1].

هذا فيما يخص مفهوم الجهاد في الآيات المدنية، ويبدو أن هناك وجهات نظر متعددة في هذا المجال. منهم من يرى أن هذه الآيات المدنية، تدل بوضوح على القتال خاصة — مع ما يستلزمه القتال بطبيعة الحال من بذل للمال الذي لا بد منه للحصول على أدوات القتال أو السير إليه، وتقدم شرط مشروعيته عليه، وهو تبليغ الدعوة للكفار، لأن هذا شرط لأصل القتال" وهذا رأي الشيخ الشربيني[2]. وهو من علماء الأمة المتقدمين ويتوافق معه محمد خير هيكل[3]،من المفكرين المحدثين. ويرى ظافر القاسمي[4]، أن أول آية تتعلق بالجهاد، أنزلت على الرسول اللهﷺ في المدينة المنورة، وهي التي يسمونها عادة: آية الأذن بالقتال والتي جاء فيها: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[5].

وفي هذا يقول: ولكن هذه الآية هي الآية (٣٩) من سورة الحج ورقمها في المصحف (٢٢) ورقمها في ترتيب النزول(١٠٣) أما ترتيبها في السورة المدنية فهي(١٧) بمعنى أنه قد سبقتها (١٦) سورة وأول هذه السور البقرة وقد تضمنت الآية (١٩٠) منها قوله

(١) سورة الصف: الآيتين /١٠و١١.

(٢) الشربيني، محمد الخطيب(ت٩٧٧هـ) ، معنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، مطبعة الحلبي (القاهرة، ١٣٥٢/١٩٣٣م)ج٤/٢٢٣.

(٣) هيكل، محمد خير(دكتور) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، دار البيارق ، ط١(بيروت،١٩٩٣) ٣/ ٤٠.

(٤) القاسمي، ظاهر (الدكتور)، الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام، دار العلم للملايين، ط١،(بيروت،١٩٨٢م) ص٥٣-٥٤.

(٥) سورة الحج: الآية/٣٩.

تعـــــالى: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[1] ثم يستدرك القاسمي فيقول: (وهي أمر بالقتال كما هو واضح من نصها ولكني أذعنت لرب العالمين واعتقدت صحة ما نقله الرواة من أن أول آية نزل بهـا الروح الأمين على قلب سيد المرسلينﷺ هـي آيـة الأذن بالقتـال، ولكـن لأمـر يعلمـه الله ورسوله، أمر الرسولﷺ بأن تكون سورة الحج، وأمر أيضاً بأن تكون سورة الحج الثانية والعشرين في المصحف ، علـى الـرغم مـن أنهـا السـورة الثالثـة بعـد المئـة وفقـاً لترتيـب النزول)[2].

وفي محاولة منه للتقريب بين الآيتين المذكورتين، يقـول: (وإذا كانـت آيـة الأذن بالقتال: (أذن للذين يقائلون..) هي أول آية نزلت ، فإنها منسجمة في المعنـى والسـياق مع الآية(١٩٠) من سورة البقرة التي أمر الله تعالى فيها أن نقاتل الذين يقاتلوننا، ونهانا عن الاعتداء لأنه لا يحب المعتدين. فهؤلاء المهاجرون وجماعة مـن المدينـة، قـد قـال الله عنهم(ظلموا) والمظلوم يدفع الاعتداء عن نفسه بكل الوسائل فالآيتان الواردتـان في سـورة البقرة وفي سورة الحج متلازمتان من حيث الوضع العسكري الذي كـان يلـف المسـلمين في ذلك الحين. ويعود التنزيل العزيز في الآية(١٩٣) من سورة البقرة فيأمر المـؤمنين بقتـال المشركين لمنع الفتنة وليكون الدين لله ، لأن منع الفتنة حق للمؤمنين. ولكـن إذا انتهـوا، فإن عدوان المؤمنين ينبغي أن ينحصر بالظالمين وحدهم[3].

ويقول الامام حسن البنا: (فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا منـاص منهـا ولا مفـر معهـا ورغـب فيـه أعظـم الترغيـب واجـزل ثـواب المجاهـدين

(١) سورة البقرة، الآية/١٩٠.

(٢) القاسمي، الجهاد والحقوق الدولية، ص٥٤.

(٣) القاسمي، الجهاد، ص٥٥.

والشهداء.... ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً عني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق كما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيمﷺ.. داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية... وسنورد طرفاً من ذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستقراء والحصر..." [1].

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[2].ومعنى كتب :فرض وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[3]. ومعنى ضربوا في الأرض: خرجوا فيها مجاهدين وغزى محاربين. وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الأولى، وإلى خلو الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهاد وفي الآية إشارة إلى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين انظر كيف انعكست الآية[4].

---

(١) الساعاتي،الامام حسن أحمد عبد الرحمن البنا، مجموعة الرسائل، (المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر (بيروت،١٩٩٢م)٤٢٢.

(٢) سورة البقرة:الآية٢١٦.

(٣) سورة آل عمران: الآيات من /١٥٦-١٥٨.

(٤) الساعاتي: مجموعة الرسائل، ص٤٢٢.

وفي سورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه وبيان لكثير من أحكامه.

ولهذا اتخذها المسلمون الأولون رضوان الله عليهم نشيداً حربياً يتلونه إذا اشتد الكرب وحمي الوطيس ، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1].

رابعاً : مفهوم الجهاد في السنة النبوية المطهرة :

أما الأحاديث النبوية في موضوع الجهاد فأكثر من أن تحصر ومن ذلك:

١- كما في قوله ﷺ : (مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه ويدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة)[2].

فالجهاد في سبيل الله شامل لجميع المعاني المذكورة ومنها القتال لذكره الغنيمة.

٢- وقوله ﷺ : (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[3] جعل الكلمة صنفاً من أفضل أصناف الجهاد.

(١) سورة الأنفال: من الآية/٦٠.

(٢) البخاري، محمد ابن إسماعيل(ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري، طبعة عالم الكتب بيروت تصويراً عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية(القاهرة، ١٣٤٨هـ) ٦٨/٤ الحديث٦ من الجهاد.

(٣)الطبراني، سليمان بن أحمد(ت٣٦٠هـ) المعجم الكبير،تحقيق حمدي عبد المجيد،ط١، مطبعة الوطن العربي ، (بغداد، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ج٨ ص٣٣٨ الحديث: ٨٠٨١ ورواة أبو داود، سليمان بن الأشعت (ت ٢٧٥هـ)سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى محمد (القاهرة، ١٩٤٥م) ج١٢٤/٤، الحديث ٤٣٤٤ رواه يلفظ (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائز) وبهذا اللفظ رواه ابن ماجه، محمد بن يزيد(ت٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي (القاهرة، ١٩٥٤م، ١٣٧/٣، ج٢ ص١٣٢٩ الحديث : ٣ من الجهاد.

٣- وقولهﷺ لعائشة رضي الله عنها: (لكن أفضل الجهاد حج مبرور) [(١)]، بالنسبة للمرأة.

٤- وقولهﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) فقيل له: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ فقال: جهاد النفس) [(٢)].

٥- وقولهﷺ (لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد مسلم أبداً) [(٣)] وذكره عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد.

٦- وعن أبي ذرﷺ، قال: قلت يا رسول الله أيُّ العمل أفضل قال: (الإيمان بالله والجهاد في سبيله) [(٤)].

٧- قال رسول اللهﷺ: (والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم من يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك) [(٥)].

٨- قال رسول اللهﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) [(٦)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٦٧/٤، : ٣ من الجهاد.

(٢) حديث (رجعنا من الجهاد والأصغر) أوردة الغزالي في أحياء علوم الدين (ج٣ ص٧) وقال العراقي في تخريجه: رواة البيهقي في الزهر، ينظر الحداد، محمود بن محمد، تخريج أحاديث أحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي ، دار العاصمة للنشر، ط١، (الرباط ، ١٤٠٨هـ/١٩٧٨م) ١٥٣٧/٤ الحديث ٢٣٥٩.

(٣) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(ت٢٧٩هـ) ، السنن ويذيلة تحفة الأحوذي، للمباركنوري محمد بن عبد الرحمن (ت١٣٥٣هـ) مطبعة الاعتماد (القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨) ٢٦٠/٥ وابن ماجة، ٩٢٧/٢ والبيهقي(١٦١/٩) والطبراني في الأوسط والكبير عن أبي أمامه مجمع الزوائد ٢٨٥/٥ وما بعدها. وينظر ابن المبارك ، عبد الله (ت ١٨١هـ) ، كتاب الجهاد مطبعة المكتبة العصرية (بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)ص٢٦.

(٤) رواه البخاري١٠٥/٥، ومسلم ٨٤.

وينظر النووي الدمشقي، أبي زكريا يحيى بن شرف(ت٦٧٦هـ) ، رياض الصالحين، تحقيق عبد العزيز رباح، دار العلوم ط١٤، (عمان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢هـ) ص ٣٨٩، كتاب الجهاد.

(٥) البخاري في صحيحه، ١٥/٦، ٥٦٩/٩ ورواه مسلم /١٨٧٦ وأخرجه الترمذي ١٦٥٦.

(٦) البخاري في صحيحه ١٠/٦، ٩.

٩- قال رسول الله: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشيت الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) [(١)].

١٠- قال رسول الله: (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا) متفق عليه[(٢)].

١١- قالﷺ: (القتل في سبيل الله يكفر كل شي إلا الدَيْن) [(٣)].

١٢- قال رسول اللهﷺ: (أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً) [(٤)].

١٣- قال رسول اللهﷺ : (من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبةٍ من النفاق[(٥)].

١٤- قال رسول اللهﷺ : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [(٦)].

١٥- قال عليه الصلاة والسلام: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل) [(٧)].

١٦- قال عليه الصلاة والسلام: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) [(٨)].

١٧- قال ﷺ: (لا تتمنوا لقاء العدو، وأسالوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا) متفق عليه[(٩)].

---

(١) الترمذي وهو صحيح/١٦٣٩.

(٢) البخاري في صحيحه ،٣٧/٦ ومسلم /١٨٩٥ والترمذي /١٦٢٨ والنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب(ت٣٠٣هـ) السنن، المكتبة التجارية(بيروت، ب ت) ، ٤٦/٦.

(٣) مسلم الصحيح، ١٢٠، ١١٩، ١٨٨٦.

(٤) البخاري في صحيحه، ٢٩٥/٦، ٢٩٦.

(٥) مسلم، الصحيح/١٩١٠ وروايته (ولم يحدث به نفسه).

(٦) البخاري ، ٢١/٦،٢٢، ومسلم /١٩٠٤.

(٧) أبو داود في صحيحه، ٢٤٨٦ وهو عند ابن المبارك فالحديث صحيح.

(٨) أبو داود في صحيحه، ٢٥٠٤ والنسائي،٧/٦.

(٩) البخاري، ٨٥/٦ ومسلم /١٧٤٢.

١٨- قال عليه الصلاة والسلام: (الحرب خدعة) متفق عليه[١].

١٩- قال عليه الصلاة والسلام: (ما من عبد يصوم في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً) [٢]. متفق عليه[٣].

٢٠- قال عليه الصلاة والسلام : (من طلب الشهادة صادقاً أعطيها[٤]. ولو لم تصبه) [٥].

٢١- قال رسول اللهﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل" رواه الترمذي[٦]. وقال: حديث حسن صحيح.

٢٢- عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال (الصلاة على وقتها) قلت ثم أي؟ قال (بر الولدين) قلت ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) متفق عليه[٧].

۞ ۞ ۞

(١) البخاري ، ١١٠/٦ ومسلم /١٧٣٩ أبو داود /٢٦٣٦ الترمذي /١٦٧٥.

(٢) الخريف لغة، فصل من فصول السنة، كما في الجوهري، الصحاح ج ٣٤٠/١ والخريف معنى العام اصطلاحاً.

(٣) البخاري، ٣٥/٦، ومسلم/١١٥٣.

(٤) أعطيها، أي أعطي ثوابها.

(٥) مسلم/١٩٠٨.

(٦) الترمذي/١٦٦٧ وينظر النسائي ٤٠/٦.

(٧) البخاري /٨/٢ .٧ ومسلم /٨٥.

المبحث الثاني

مبادئ الجهاد

أولاً : الدعوة الإسلامية والجهاد باللسان .

ثانياً : الفتنة في الدين ومبدأ الهجرة .

ثالثاً : البيعة والطاعة .

رابعاً : الأمر بالجهاد في سبيل الله .

المبحث الثاني : مبادئ الجهاد

لمحة للتطور التاريخي في حركة الجهاد :

أنه من المبادئ الأولية للجهاد في الفكر الإسلامي: هو بذل الجهد في مدافعة الشر واستجلاب الخير، فقد جاء الإسلام والدعوة للخير هدفه ووسليته، أنه يسعى لخير الناس وإسعادهم في معاشهم ومعادهم، وهو كذلك يتخذ الرحمة والفكر السليم واليسر وسائله لتحقيق هذه الدعوة، والقرآن الكريم ، يصور لنا هذا الهدف وتلك الوسيلة، بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥ ﴾[2].

أولاً : الدعوة الإسلامية والجهاد باللسان :

إن دراسة حياة الرسول محمدﷺ توصلنا إلى أنها تدرجت في التطور بحيث تتطابق مع الجهاد ومبادئه في نموها وتطورها كما يعرضها القرآن الكريم والسنة النبوية.

فبعد نزول الوحي من السماء على الرسولﷺ برسالة الإسلام، انطلق بالدعوة إلى مبادئ هذه الرسالة بكل جد واجتهاد، فكان أول من عرض عليه أمر الدعوة زوجته وأهل بيته ، ثم انتقل إلى أصدقائه وأفراد عشيرته، ثم توجه إلى قومه والناس كافة من

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٤، ١٧٥.

بعدهم، وكانت وسيلة الرسولﷺ في الدعوة إلى الإسلام (والجهاد باللسان بالكلمة الطيبة، والحجة البينة، والحكمة النافعة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن)[1]. (وقد استمر هذا الأسلوب في الدعوة الإسلامية طوال الحقبة المكية التي دامت ثلاثة عشر عاماً) [2].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى رسول الكريم محمداً ﷺ في بداية بعثته في مكة بدعوة الناس إلى الدين الحق الذي ارتضاه الله لهم في خاتمة رسالاته السماوية، وأمره بالحكمة، واللين، والصفح والمسامحة في ذلك، ولم يأمره بالقتال، فقال له في سورة النحل وهي(مكية) وكانت الدعوة سرية أول الأمر: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[3].

وأكد ذلك بالتزام الصفح الجميل حتى بعد أمره بإعلان الدعوة، فقال تعالى لرسولهﷺ في سورة الحجر (وهي مكية أيضاً) ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾[4]. ثم قال تعالى في السورة نفسها حين أمر رسوله الأمين محمداًﷺ بإظهار الدعوة: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[5]. وأكد ذلك بقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ

(١) زيدان، عبد الكريم(الدكتور) المفصل، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت،١٩٩٣م)٤/٤٩٩.

(٢) الملاح، هاشم يحيى(الدكتور)، بحث بعنوان (الجهاد في عصر الرسالة) دراسة تاريخية ضمن بحوث الندوة التي اقامها بيت الحكمة في بغداد للفترة (٨-٩)كانون الثاني/٢٠٠٢،ص٤.

(٣) سورة النحل الآية:١٢٥.

(٤) سورة الحجر: الآية :٨٥.

(٥) سورة الحجر: الآية :٩٤.

إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[1].

فانتظمت الصلة بين الحركة التاريخية للجهاد مع القواعد الأساسية لنظام الأخلاق في الإسلام.

وبناء على هذا التصور لمبادئ الجهاد في الفكر الإسلامي يمكن بناء فكرة الجهاد بحسبانها ليست مقصورة في تطبيقاتها العملية على زمن محدد، فهي مفتوحة في كل زمان ومكان منذ الدعوة الأولى للجهاد وتدرجه التاريخي في صد العدوان ومحاربة أعداد الله درءاً للفتنة وإعلاءً لكلمة الله في الأرض، ورد الإيذاء والتصدي لأعداء الإيمان جوهرها "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد، وباللسان ، أو بالقلب ، لا أن نفهم الجهاد أنه القتال المباشر، بل أنه محاربة العدو أيضاً بالمنطق والخطاب والكلام"[2].

وقال تعالى لنبيه محمدﷺ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾[3]. قال المفسرون لهذه الآية: (أي جاهد الكفار بالقرآن[4]. يبذل الجهد في دعوتهم إليه[5] وجادلهم به وأقم الحجة عليهم بأنه من عند الله بعجزهم عن الإتيان بمثله)[6]. وجاء في الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: (جاهدوا الكفار بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[7]، وجاء في شرحه قوله: (جاهدوا

(١) سورة الشعراء: الآيات ، ٢١٤-٢١٦.

(٢) الاعسم ، عبد الأمير (دكتور) بحث بعنوان (فلسفة الجهاد من منظور عربي معاصر)ضمن بحوث بيت الحكمة في بغداد للفترة من ٨-٩ / كانون الثاني /٢٠٠٢ تحت عنوان (الجهاد فكراً و ممارسة).

(٣) سورة الفرقان: الآية٥٢.

(٤) القرطبي، تفسير، ج١٣ـ ص٥٨ وينظر ابن كثير ، تفسير ج٣، ص٣٢١.

(٥) الرازي ، أبو بكر بن علي المشهور بالجصاص(ت٣٧٠هـ) أحكام القرآن، مطبعة الأوقاف في دار الخلافة العلية (باسلا مبول، ١٣٣٥هـ) ج٢٤، ص١٠٠.

(٦) النسفي، عبد الله بن أحمد محمود( ) تفسير النسفي، دار الكتاب العربي، (بيروت، ب ت)١٧١/٣.

(٧) السيوطي، الجامع الصغير من حديث البشير النذير، مطبعة مصطفى محمد (القاهرة ١٣٥٢/٥هـ) ٤٨٨/١).

الكفار) وإنما خص أهل الشرك لغلبتهم إذ ذاك، (بأموالكم) أي: في كل ما يحتاجه المجاهد.. (وألسنتكم) أي: بالمكافحة عن الدين وهجر الكافرين فلا يداهنهم المسلمون بالقول بل يجادلونهم) [(١)].

وقول الشارح (بالمكافحة عن الدين) يشمل تبليغ الإسلام للكافرين ودعوتهم إليه وعرض معاني القرآن عليهم، ورد شبهاتهم عن الإسلام حتى يتيسر للكافرين فهم الإسلام، عسى أن يحملهم هذا الفهم إلى أن يسلموا. ويدخل في (هجر الكفار) بيان باطل ما هم عليه من كفر وضلال، ورد ما يقال عن الإسلام ويسمعونه من هذه الأقاويل الباطلة.

يقول الشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله – في قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [(٢)]. أي بالحجة والبيان وباليد واللسان، هذا إلى يوم القيامة، لكن الجهاد المكي – أي الذي كان في مكة قبل الهجرة – بالعلم والبيان، والجهاد المدني مع المكي باليد والحديد قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [(٣)] ، وهذه سورة مكية، وإنما جاهدهم ﷺ باللسان والبيان) [(٤)].

وهكذا فان المؤمن الذي ذاق حلاوة الإيمان واستظل في ظلال الإسلام لا يمكن أن يقر له قرار أو تطمئن نفسه إلا إذا بلغ الناس هذا الدين وشرح لهم محاسنه وبين لهم مفاسد الكفر واخذ بأيدهم إلى جنان النعيم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلاً مِّمَّن

---

(١) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مطبعة مصطفى محمد، ط١ (القاهرة، ١٣٥٦هـ) ٣٤٤/٣.

(٢) سورة التوبة، الآية٣٣ وسورة الفتح، الآية٢٨ وسورة الصف: الآية٩.

(٣) سورة الفرقان:الآية٥٢.

(٤) ابن تيمية، مجموعة الفتاوي، ج٢٨، ص٣٨.

دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1]. ولهذا كان الرسل عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، الذين بعثهم الله تعالى للدعوة إليه يجاهدون غاية الجهاد بتبليغ الناس دين الله وتحبيبهم فيه وتنفيرهم من الكفر به وتخويفهم عذاب ربهم إن هم بقوا على كفرهم: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [2]. والقرآن الكريم مملؤ بدعوة الرسل (عليهم السلام) وجهادهم في ذلك من نوح عليه السلام – إلى نبينا محمدﷺ – والمقام تنبيه على نوع من أنواع الجهاد واضح وهو لا يحتمل التفصيل، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى ما عاناه رسول الله محمدﷺ من الجهاد في سبيل الدعوة.

قال ابن كثير رحمة الله: (قال ابن اسحق ثم قدم مكة وقومه أشد ما كانوا من خلافه وفراق دينه إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به فكان رسول اللهﷺ يعرض نفسه في المواسم – إذا كانت– على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به) [3].

وكانت قريش تحاول صده بكل وسيلة: وسيلة الأغراء بالسيادة والملك والمال فيأبى عليه الصلاة والسلام. ووسيلة التشكيك في صحة عقلهﷺ ومرة بالتهديد والوعيد ورد الرسولﷺ كان واضحاً وصريحاً: (ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وانزل علىّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما

(١) سورة فصلت، الآية،٣٣.

(٢) سورة النحل، الآية٣٦.

(٣) ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي(ت٧٧٤هـ) البداية والنهاية، (بيروت ١٩٧٨م) ١٣٨/٣.

جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وأن تردوه عليَّ أصبر على أمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) [1].

ويقول القادري: (ومن أعظم أنواع جهاد الدعوة نصح زعماء المسلمين، لا سيما أهل الجور منهم الذين يستضعفون الناس ويظلمونهم ويستبدون بالأمر دونهم فإن نصحهم مخاطرة لا يقوم عليها إلا ذوو العزم من الرجال الذين بذلوا نفوسهم لله سبحانه) [2]. وفي هذا يقول الرسول ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) [3].

وقال الأمام ابن القيم رحمة الله: (فإما جهاد الحجة، فقد أمر به ﷺ في مكة قبل الهجرة بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[4]. أي جاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً. فهذه السورة التي فيها هذه الآية – وهي سورة الفرقان – مكية والجهاد هو التبليغ وجهاد الحجة) [5].

ويقول السرخسي – رحمة الله – (وقد كان رسول الله ﷺ، مأموراً في الابتداء – أي ابتداء الدعوة الإسلامية – بالصفح والإعراض عن المشاركين، ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالوعظ والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[6]. هذا أمر ثابت غير منسوخ وقد

(١) ابن هشام، محمد بن عبد الملك (ت٢١٨هـ) السير النبوية، تحقيق محي الدين عبد الحميد مطبعة حجازي، (القاهرة،١٩٣٧م) ١٢٣/٣.

(٢) القادري، عبد الله ابن أحمد، الجهاد في سبيل الله ، دار المنارة، ط١(جدة، ١٩٨٥) ٣٣٥/١.

(٣) ابو داود، السنن ٥١٤/٤.

(٤) سورة الفرقان: الآية٥٢.

(٥) ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) زاد المعاد ، (القاهرة – ب ت) ج٢/ص٥٨.

(٦) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت٤٨٣هـ) المبسوط، وهو شرح لكتاب الكافي للحاكم الشهير الذي جمع فيه كتب ظاهر الرواية في الفقه الحنفي، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٣٢٤هـ) ٢/١٠ وينظر العيني في شرح العناية على الهداية، ج٤، ص٢٨٢. سورة النحل الآية١٢٥.

فسر هذه الآية أهل التفسير المتقدمين ولم يذكروا نسخاً لها بل إن بن الكثير رحمه الله نقل عن ابن جرير في تفسيرها قوله: أمر الله تعالى رسوله محمداًﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة وهو ما انزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة ، أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى) [1].

ومن المعلوم أن هذا المفهوم للحكمة والموعظة الحسنة لا يلحقه نسخ والإمام الرازي رحمه الله على توسعة في التفسير وذكر الأقوال لم يذكر في تفسيره لهذه الآية إنها منسوخة[2].

حتى إن الإمام القرطبي رحمه الله عندما قال إنها نسختها آية القتال بالنسبة للكفار فإنها عنده لعصاة المسلمين فهي محكمة ، ثم قال القرطبي – رحمة الله– وأنها تبقى محكمة في حق الكفار إذا كانت حالة المسلمين كحالتهم في العهد المكي. وهذا نص كلامه – رحمه الله – (وهذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمر الله – تعالى– نبيه ﷺ أن يدعوا إلى الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة ،فهي محكمة من جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة في حق الكافرين، وقد قيل: أن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار، ورجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة) [3].

أما المفسرون المحدثون، فقد قال الصابوني في تفسيره : (أدع يا محمد الناس إلى دين الله وشريعته القدسية بالأسلوب الحكيم، واللطف واللين، وجادل المخالفين بالطريقة التي هي أحسن من طرق المناظرة والمجادلة بالحجج والبراهين والرفق

(١) ابن كثير، تفسير، ج٢ ص٥٩١.
(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج٢٠، ص١٣٨–١٤٠ .
(٣) القرطبي، تفسير، ج١٠، ص٢٠٠.

واللين... وأن ربك يا محمد هو العالم بحال الضالين وحال المهتدين) [1]. وقال: صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ : (هذا منهج الدعوة ودستورها ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان ، والجدل بالحجة، فأما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير فالاعتداء عمل مادي يدفع بمثله إعزازاً لكرامة الحق ودفعاً لغلبة الباطل على ألا يتجاوز الرد على الاعتداء حدوده إلى التمثيل والتقطيع، فالإسلام دين العدل والاعتدال ودين السلم والمسالمة إنما يدفع عن نفسه البغي ولا يبغي: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾ [2]. وليس ذلك بعيداً عن دستور الدعوة فهو جزء منه. والدفع عن الدعوة في حدود القصد والعدل يحفظ لها كرامتها وعزتها فلا تهون في نفوس... والمؤمنون بالله لا يقبلون الضيم وهم دعاة لله، والعزة لله جميعاً. ثم إنهم أمناء على إقامة الحق في هذه الأرض وتحقيق العدل بين الناس وقيادة البشرية إلى الطريق القويم فكيف ينهضون بهذا كله وهم يعاقبون فلا يعاقبون ويعتدى عليهم فلا يردون..) [3].

ويقول عبد القهار داود في تفسير هذه الآية الكريمة: (وعلى هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ويعين وسائلها وطرائقها ويرسم المنهج للرسول الكريم ولمن بعده بدينه القويم فلننظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن. إنها الدعوة إلى سبيل الله لا لشخص الداعي ولا لقومه فليس للداعي من دعوته إلا أن يؤدي واجبه لله وأجره بعد ذلك على الله والدعوة بالحكمة والنظر حسب أحوال

(١) الصابوني ،صفوة التفاسير، مج٢/ص١٤٨.

(٢) سورة النحل، الآية/١٢٦.

(٣) سيد،قطب، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط١٠، (بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ٢٢٠٢/١٤.

المخاطبين وظروفهم والقدر الذي بينه لهم في كل مره لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف... وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب في غير موجب... فان في الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ) [1].

ويقول العاني في موضوع الدعوة بالحكمة: (والحكمة في التصرف والدعوة إلى الله بالحكمة هي كل أمر من شأنه أن يجنب الدعوة والجماعة المسلمة المزالق والمطبات، ويعيق تقدمها، ويشل حركتها) [2] .

وقال أيضاً بشأن الحديبية: (إن الرسول ﷺ بما أوتي من حكمة وتوجيه إلهي سديد نظر إلى الصراع مع قريش نظرة حكمة ودراية وبعد نظر. ورأى ما فيه من مصلحة متحققة. وأن ما سيلحقهم من أذى حسي ونفسي جراء رجوعهم دون عمره، وجراء الشروط القاسية.. فأراد ﷺ، استثمار الفرصة واغتنامها على الرغم مما في ظاهر الصلح من تنازل...) [3] .

وعد صلح الحديبية فتحاً كبيراً كما يقول الزهري[4] : (فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه... فلما كانت الهدنة .. وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، وقد دخل في الإسلام

(١) عبد الله، عبد القهار داود (دكتور) تفسير القرآن الكريم، مطبعة الرشاد(بغداد، ١٩٨٨م) ص٢٨٥– ٢٨٦.

(٢) العاني، زياد محمود (دكتور) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية شركة الرشد للطباعة والنشر، مطبعة الديوان، ط١،(بغداد،٢٠٠١) ص٣٣.

(٣) العاني، أساليب الدعوة،٣٣.

(٤) الزهري: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي ولد سنة(٥٠) هجرية على أبعد التقديرات وعاش بداية حياته في المدينة ورأى جماعة من الصحابة – رضوان الله عليهم وروى عنهم فهو من التابعين، وكانت وفاته(١٢٤هـ) ينظر الذهبي في تذكره الحافظ ،١٨٠/١، وتهذيب الأسماء واللغات ٩٠/١٢.

في تلك السنتين – بين صلح الحديبية وفتح مكة – مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر. قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين بعشرة آلاف) [1].

ويقول محمد عزة دروزة: "ولا ريب في أن هذا الصلح الذي سماه القرآن بالفتح العظيم يستحق هذا الوصف كل الاستحقاق ، بل أنه يعد من الأحداث الحاسمة العظمى في السيرة النبوية، وفي تاريخ الإسلام وقوته وتوحده. ويقول: ولقد أثبتت الأحداث صدق الهام النبي ﷺ فيما فعل وأيده بذلك القرآن العظيم"[2]....

ثانياً : الفتنة في الدين ومبدأ الهجرة :

يقول ابن إسحاق: (لقد لقيت مبادئ الدعوة الإسلامية التي بشر بها الرسول الله ﷺ بعد نزول الوحي عليه القبول والترحيب من الإفراد القريبين منه فآمن به أهل بيته وأصدقائه من دون تردد، ثم أخذت دائرة المؤمنين في التوسع حتى لم تبق عشيرة من العشائر المكية إلا وقد دخل فرداً أو أكثر من أفرادها في الإسلام.

وقد مثل المسلمون الأوائل معظم فئات المجتمع المكي من الأحرار والموالي والعبيد، وكان فيهم الرجال والنساء وكان فيهم الأغنياء والفقراء ، مما يدل على أن مبادئ الرسالة الإسلامية كانت تعبر عن المثل والقيم التي يتطلع إليها غالبية سكان مكة) [3].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٢٢/٣، وينظر ، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) تاريخ الرسل الملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، ط٣، (القاهرة،١٩٧٩م) ٦٣٨/٢، وينظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان (ت٧٤٨هـ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، دار الكتاب العربي ، ط٢(بيروت، ١٩٩٠م) ص٣٩٧.

(٢) دروزه، محمد عزة، سيرة الرسول ﷺ مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية، ط٢، مطبعة عيسى الحلبي (القاهرة، ١٩٦٥م) ٣٥٢/٢.

(٣) ابن إسحاق، محمد المطلبي (١٥١هـ) السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار،ط١، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٨م) ص١٣٢-١٤٤.

(ولم يتصد لمعارضة الدعوة الإسلامية بعد أن اتضحت مبادئها وأهدافها بصورة فعالة سوى رجال الملأ من قريش وهم أغنياء مكة الكبار ورؤساءها لأنهم في انتشار الإسلام خطراً يهدد مصالحهم، الاقتصادية والاجتماعية والسياسة والدينية، فشرعوا في مقاومة، الإسلام وممارسة الضغط والتهديد والاضطهاد والتعذيب ضد المسلمين ، وبحسب مكانة كل واحد منهم في المجتمع ، ومدى قوة عشيرته ، وموقفها منه) [1]. لقد أطلق القرآن الكريم على عملية الاضطهاد التي مارسها المشركون ضد المسلمين في مكة وصف(الفتنة في الدين) لأنها كانت تستهدف إجبار المؤمنين على الردة والعودة إلى الشرك تحت تأثير الاضطهاد والتعذيب فكانت بمثابة اختيار لقوة إيمان من يتعرض لها من المسلمين) [2].

لقد توعد القرآن المشركين الذين يحاولون لفتنة المؤمنين عن دينهم، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [3].

لقد ازداد تعنت المشركين مع ازدياد عنت المسلمين وتواصوا على الثبات على شركهم لقوله تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [4].

وكذبوا الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام واتهموه بالسحر فقد أخبر

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي ص١٤٤، وينظر الملاح، هاشم، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة: ص١٢٥-١٢٨.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٦/ص٢١٣، وينظر الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، ج٤، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٣) سورة البروج: الآية: ١٠

(٤) سورة ص، الآيتين٦، ٧.

القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾[1].

تعجبوا من ترك الشرك ودعوته لهم بأن يعبدوا الله وحده، تعجبوا من دعوته إياهم لتوحيد الله وهو الحق الذي لا يصلح غيره، ولم يتعجبوا من شركهم وهو الباطل الذي لا يصلح[2].

ومن أساليب كفر قريش سخريتهم بالرسول ﷺ واستهزاؤهم به لصرف الناس عنه بزعمهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ۝ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ۝ ﴾[3].

وهذا دليل على فرط مجاهدة رسول الله ﷺ في دعوته وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم ويتحولوا إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة ألهتهم ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيد ودلالة على أنهم لا يفلتون من عذاب الله وإن طالت مدة إمهالهم وقوله ﴿ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ أي وسيعلمون من أضل سبيلا: هم أم الرسول ﷺ الذي زعموا أنه كاد يضلهم[4]. ولم يدخروا تهمة إلا واتهموه بها: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ

(١) سورة ص، الآيتين ٤، ٥.
(٢) الزمخشري تفسير، ج٤ ص٧٢ وينظر ابن الكثير، تفسير ج٤ ص٢٧.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤١-٤٢.
(٤) الزمخشري/ تفسير ج٣ ص٢٨١-٢٨٢.

ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝ ﴾[1] هـذا غـيض مـن فـيض مواقـف المشركين في مكة من الدعوة الإسلامية ومن رسول اللهﷺ، وما انطوت عليـه تلـك المواقـف من رد للدعوة ورفض لها مع إصرار علـى هـذا الـرفض واسـتهزاء بهـا وبرسـول اللهﷺ، وتكذيت له ولكتاب الله العزيز وتقديم اقتراحات وطلبات كان المشركون يتقدمون بهـا إلى الرسـول اللهﷺ تبريـراً لعنـادهم وكفـرهم وكانـت تلـك المواقـف للمشـركين في مكـة قبـل الهجرة وبدأت عندما جهـر الـنبي ﷺ بالـدعوة، فقـد دعـاهم إلى عبـادة الله وحـده ونبـذ الأوثان وقال تعالى مخاطباً نبيهﷺ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾[2].
وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[3]. وقـد صـبره ﷺ على عنادهم وتكذيبهم وإصرارهم على شركهم وصبر أيضاً على ما يلقاه منهم من أذى وصد عن دعوته، وقد كان صبره عليه الصلاة والسلام مستجيباً لأمر الله بالصبر قال تعالى مخاطبـاً نبيـه ﷺ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾[4]
وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[5].
أي يمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه إليك وأصبر على مخالفة من خالفك من الناس (حتى

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤-٥.
(٢) سورة يونس، الآية/١٠٨.
(٣) سورة المائدة، الآية/٩٢.
(٤) سورة الأحقاف، الآية/٣٥.
(٥) سورة يونس، الآية/١٠٩.

يحكم الله) أي يفتح بينك وبينهم بالنصر والغلبة عليهم (وهو خير الحاكمين) أي خير الفاتحين بعدله وحكمه[1].

ولقد كان صبر النبيﷺ على عناد وكفر المشركين حافزاً لصبر الدعاة فكانوا برسول اللهﷺ يقتدون وبكتاب الله يهتدون فولاؤهم للإسلام ومعانيه ولمن يؤمن به ويدعو إليه، والبراءة من كل شيء يخالف الإسلام قولاً وعملاً واعتقاداً ومن آيات البراءة قوله تعالى لرسولهﷺ ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[2]. وقوله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾[3]. وعندما طلب أشراف قريش من النبيﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حده، نهاه الله تعالى عن ذلك.

فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ ﴾[4] وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾[5].

لقد ذكر القرآن الكريم أنواع من جدال رسول اللهﷺ مع كفار قريش ولكن مع وضوح الحق في هذا الجدال فقد أصر كفار مكة على كفرهم وراحوا يرمون رسول اللهﷺ بالنعوت الباطلة إيغالاً منهم في الكفر وإصرارهم عليه وصبر الدعاة على إيذاء المشركين ،

---

(١) الزمخشري ، تفسير ج٢ـ ص٣٧٥ وابن كثير تفسير ، ج٢ ص٤٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية/١٩.

(٣) سورة التوبة، الآية/٧١.

(٤) سورة الأنعام، الآية/٥٢، الزمخشري تفسير ج٢ ص٢٧ والقاسمي ج٦ ص٥٤١.

(٥) سورة الكهف ، الآية/٢٨، ابن كثير ، تفسير ج٣ ص٨٠.

وقد بلغ الأذى به وبالمسلمين أن عذبت قريش بعض المسلمين تعذيباً بدنياً مات بعضهم فيه بقصد الفتنة في الدين وإجبارهم على العودة إلى الشرك كما عد فعلهم هذا جريمة تفوق جريمة القتل فقال: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[1]. وقد أشارت المصادر إلى أن الفتنة في الدين كانت تبلغ درجة من القسوة ضد بعض الأفراد وبخاصة المستضعفين بحيث تضطرهم إلى الرضوخ لمطالب معذبيهم، فقد سئل ابن عباس رضي الله عنه: (أكان المشركون يبلغون من المسلمين من العذاب ما يعذرون في ترك دينهم فقال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به حتى أنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة)[2].

لقد حمل هذا الوضع بعض المسلمين على التوجه إلى الرسول ﷺ طالبين منه التفكير بتغيير أسلوب الدعوة إلى الله بالوسائل السلمية ومقابلة القوة بمثلها فقالوا: (يا رسول الله كنا في عزة ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلاء، فقال عليه السلام: أني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم"[3].

وقد أورد القرطبي رحمه الله خبراً في أسباب نزول الآية الكريمة (٣٨) من سورة الحج: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾.

فقال: (روي إنها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنة من الكفار، ويغتال ويغدر، ويحتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله (كفور) قوعد سبحانه وتعالى بالمدافعة

(١) سورة البقرة، الآية /٢١٧.

(٢) ابن إسحاق ، كتاب المغازي والسير،ص١٩٢، وينظر البلاذري، أحمد يحيى (٢٧٩هـ) أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد،(القاهرة ، ١٩٥٩م) ج١ ص١٩٧.

(٣) الجصاص، أحكام القرآن، ج١، ص٣٠٢.

ونهى افصح نهي عن الخيانة والغدر). [1].

فالقرآن الكريم نهى المسلمين الأوائل عن ذلك.... لأنه لا يتفق مع المنهج الذي أمر الله تعالى بإتباعه في الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والصبر على أذى المشركين وظلمهم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[3].

يقول ابن القيم رحمه الله: "ولما أشتد أذى المشركين على من أسلم وفتن منهم من فتن حتى يقولوا لأحدهم اللات والعزى ألهك من دون الله فيقول نعم وحتى إن الجعل ليمر فيقولون وهذا ألهك من دون الله فيقول نعم ومر عدو الله أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنه، وهي تعذب وزوجها وابنها فطعنها بحربة... حتى قتلها وكان الصديق رضي الله عنه إذا مر بأحد من العبيد يعذب أشتراه واعتقه منهم بلال وعامر بن فهيره وأم عبيس ودنيره والنهدية وابنتها وجارية لبني عدي كان عمر يعذبها على الإسلام قبل إسلامه... فلما اشتد البلاء أذن الله سبحانه بالهجرة الأولى إلى أرض الحبشة) [4].

وهكذا أخذ المسلمون بالهجرة إلى الحبشة بدءاً من السنة الخامسة للبعثة، وبصورة تدريجية... وكانوا يمثلون في ذلك الحين غالبية المسلمين ، مما يدل على مدى الضيق والأذى الذي كان يشعر به المسلمون في مكة[5]، وقد زادت هجرة المسلمين إلى

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. ج١٢ ص٦٧.

(٢) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٣) سورة فصلت الآية: ٣٤.

(٤) ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ، ٢/٤٣-٤٤.

(٥) ابن اسحق، المغازي والسير، ص ٢١٣-٢٢٨ ، وينظر الملاح، الوسيط في السيرة، ١٤١-١٥٠.

الحبشة من شعور رجال الملأ بالخطر على مصالحهم لذلك فقد طلبوا من بني هاشم تسليمهم الرسول ﷺ لفتنته عن دينه أو قتله إلا أن بني هاشم رفضوا ذلك وأصروا على موقفهم في حماية الرسول ﷺ والدفاع عنه فقررت قريش مقاطعة بن هاشم وبني المطلب اقتصادياً واجتماعياً حتى يرضخوا لمطلبهم واستمرت المقاطعة ثلاث سنوات (من سنة ٧-١٠) من البعثة عانى الرسول ﷺ وقومه مسلمهم وكافرهم[1].وكانت الأحزان تشتد على الرسولﷺ وعلى المسلمين فقد توفت خديجة رضي الله عنها وتوفي أبو طالب فانتقلت زعامة بني هاشم إلى أبي لهب الذي كان شديد العداء للرسول ﷺ ودعوته، لذا فقد أخذ يتعرض للأذى والاضطهاد، فكان لا بد من البحث عن ملجأ آخر له وللدعوة في خارج مكة[2]. (فخرج رسول اللهﷺ إلى الطائف رجاء أن يؤوه وينصروه على قومه ويمنعوه منهم ودعاهم إلى الله عز وجل فلم يرمن يؤوي ولم ير ناصراً وآذوه مع ذلك أشد الأذى ونالوا منه ما لم ينله قومه وكان مولاه معه زيد بن حارثة فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمة فقالوا أخرج من بلدنا، وأغروا به سفهاءهم فوقفوا له وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه فانصرف راجعاً إلى مكة محزوناً) [3]. ودعا الدعاء المشهور (دعاء الطائف) : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس..... لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) [4].

---

(١) ابن اسحق ، المصدر نفسه ص١٥٤-١٧٠ وينظر ابن سعد، محمد بن منبع البصري (٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٨م) ج١ ص٢٠٨-٢١٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١١.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٤٦.

(٤) ابن القيم، زاد المعاد،ص ٤٧.

قريش تعزم على قتل النبي ﷺ :

لقد وصل الأمر ذروته عندما أخذت قريش تفكر بالتخلص من النبيﷺ وتأمروا على قتله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]. في هذه الآية تذكير للنبيﷺ بما كان من حاله وحال قومه في مكة وذكره بمكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل على نجاته من مكرهم، مما أتاح الله تعالى له من حسن العاقبة، ومعنى الآية: وأذكر يا محمد إذ يمكرون بك، وذلك أن قريشاً خشيت من تفاقم أمر النبيﷺ واتساعه فاجتمعوا في دار الندوة للتشاور فيما يجب أن يفعلوه برسول اللهﷺ ، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، وقال بعضهم: بل أقتلوه وقال بعض آخر أخرجوه من مكة ، وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ فمكرهم بالقتل هو ما أشار به عليهم أبو جهل، فقد قال لهم: أنا أرى أن تأخذوا من كان بطن من بطون قريش غلاماً وتعطوه سيفاً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل أي الدية عقلناه واسترحنا[2].

أخبر جبريل عليه الصلاة والسلام رسول اللهﷺ بما عزم عليه المشركون، واخبره بأن الله أذن له بالهجرة إلى المدينة، وأوصاه أن لا يبيت في فراشه فأمرﷺ علياً رضي الله عنه أن ينام في فراشه ويتغطى ببرد له أخضر ففعل. ثم خرج رسول اللهﷺ على القوم وهم على بابه وأخذ قبضة من تراب فجعل ينثرها على رؤوسهم ، وأخذ الله بأبصارهم عن نبيهﷺ وهو يقرأ: ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) سورة الأنفال: الآية/٣٠.

(٢) ابن القيم،زاد المعاد، ٥٢/٢.

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]. وبات المشركون على الباب، يراقبون عليا رضي الله عنه، وهم يحسبون أنه هو النبيﷺ فلما أصبحوا ساروا إليه لقتلوه فراوا علياً نائماً في فراش النبيﷺ[2].

الإعداد للهجرة إلى مكان آمن :

أختار رسول اللهﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليرافقه في هجرته إلى المدينة وأعد عدة السفر بعناية وسرية وقال: عليه الصلاة والسلام لأبي بكر رضي الله عنه: (فإني قد أذن لي في الخروج) فقال ابو بكر وهو يبكي، من الفرح: الصحبة – أي أريد صحبتك – يا رسول الله فقالﷺ (نعم)[3].

واصطحب رسول اللهﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى غار في جبل ثور، بأسفل مكة وسلكا طريقاً غير معهودة، وما زالا يسيران في ظلمة الليل بين الرمال والصخور حتى وصلا غار ثور فدخلاه وكان قد دخله أبو بكر أولاً ليتأكد من خلوه من الهوام والمؤذيات كالحيات، إذ مكثا فيه ثلاثة أيام[4].وكان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بأخبار قريش وما يسمعه منهم بشأنهما كما كان عامر بن فهيره مولى أبي بكر يأتيهما بلبن من غنمه[5].

(١) سورة يس، الآيات من ١-٩.

(٢) ابن الأثير، علي بن محمد بن أبي الكرم(ت٦٣٠هـ)أسد الغابة في معرفة الصحابة ، بيروت ج٤، ص١٩.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢ ص٥٢. وينظر أبو شهبة (دكتور) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ج١ ص٤٧٣-٤٧٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق ج١، ص٢٢٧، ٢٢٩ وينظر الطبري، تاريخ مصدر سابق ج٢ ص ٢٤٤ – ٢٤٦.

(٥) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١٤٩، وينظر أبو شهبه السيرة النبوية،ج٤٧٧/١.

أنقذ الله تعالى نبيه ونصره وأخزى المشركين :

قلق أبو بكر رضي الله عنه قلقاً شديداً على حياة رسول ﷺ وهما في الغار لأن المشركين وصلوا إلى جبل ثور ووقفوا على فم الغار يتحدثون بمسمع من رسول الله ﷺ وفي الصحيحين أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال ﷺ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن فان الله معنا [(١)].

وقف المشركون في باب الغار متحيرين فخبراء الأثر من القافة أو صلوهم إلى المكان الذي انتهت فيه آثار الأقدام في الأرض وقد أصابوا التقدير. ولكن تقدير الله تعالى وتدبيره أعمى أبصارهم وبصائرهم. لقد وجدوا شجرة نابتة على فم الغار أنبتها الله سبحانه وتعالى وقاية لرسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه وقد انتشرت أغصانها على بابه، وألهم الله تعالى العنكبوت فنسجت على أغصان الشجرة، وألهم حمامتين وحشيتين فعشعشتا وباضتا بين أغصان الشجري، وقد كان لهذه الآيات الثلاث أثرها في تضليل أعداء الله. لقد انصرف المشركون خائبين قائلين إذا كان محمداً ﷺ قد دخل الغار فكيف لم يتقطع نسيج العنكبوت ولم يتكسر بيض الحمام [(٢)].

إنها عناية الله ونصره لعبده ورسوله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [(٣)].

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ٥٣/٢، وينظر أبي شهبة في السير النبوية، ج٤٨٢/١. وينظر زيدان ، عبد الكريم (دكتور) المستفاد من قصص القرآن ، موسسة الرسالةط(بيروت، ١٩٩٧م)٩٩.

(٢) أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١،ص ٤٧٩ –٤٨١.

(٣) سورة التوبة، الآية/٤٠.

يقول المفسرون في قوله تعالى (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ) أي إلا تنصروه فينصره من نصره حين لم يكن معه الأرجل وأحد ، أي أنكم أن تركتم نصره – أي نصر رسول الله ﷺ – فالله متكفل به، إذ قد نصره في موضع القلة حيث لم يكن معه ألا صاحبه مع كثرة العدو، فنصر تعالى إياه اليوم أحرى منه حينئذ ، فدل قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ على أنه تعالى ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت[1].

هذه المعية الربانية المستفادة من قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ بالتأييد بالآيات وخوارق العادات. وقوله تعالى ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ أي أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ أمنته التي تسكن عندها القلوب، وتأييده ونصره، وأعلمه بأنهم لن يصلوا إليه ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة، أنزلها ليحرسوه في الغار أو ليعينوه يوم بدر والأحزاب وحنين، ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾ أي كلمة الشرك أو دعوة الكفر هي المغلوبة المقهورة ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ أي دعوة التوحيد أو دعوة الإسلام هي العليا، أي لا تزال عالية إلى يوم القيامة ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي غالب على ما أراد (حكيم في حكمه وتدبيره) [2].

(١) ابن كثير ، تفسير، ج٢، ص ٣٥٨وتفسير الكشاف ، ج٢، ص٢٧٤ وتفسير ابن عطية ج٦، ص٤٩٦ وتفسير المنار، ج١٠ص ٤٩٧.

(٢) ابن كثير، تفسير ج٢، ص ٣٥٨

ثالثاً : البيعة والطاعة :

١ـ البيعة لغة :

تعني الصفقة على أيجاب البيعة وبمعنى المبايعة والطاعة، وقد تبايعوا على الأمر وبمعنى عاهد، وبايع مبايعة عاهده، وفي الحديث (ألا تبايعوني على الإسلام) هو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، فكان كل منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالص نفسه وطاعته ودخيلة أمره [١].وفي الصحاح [٢]: بعت الشيء شريته، أبيعه بيعاً ومبيعاً وبعته اشتريته وهو من الأضداد.

٢ـ البيعة اصطلاحا :

هي عهد قائم على الرضا بما يملك به الأمر حق السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره في المعروف كما قال ابن خلدون في مقدمته (أعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كان المبايع لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه من الأمر على المنشط والمكره) [٣]. وذكر بن جرير الطبري : (أن البيعة هي وسيلة المؤمنين لغاية عظيمة هي الجنة بثمن من أنفسهم وأموالهم وإن الله تعالى طرف في عقد مبرم ولا أحد اوفى بعهده من الله وإن في عنق كل مسلم بيعة لأنه (ما من مسلم إلا ولله في عنقه بيعة وفي بها أو مات عليها) [٤].

(١) ابن منظور ، لسان العرب مادة (بيع).

(٢) الجوهري، الصحاح، مادة (بيع) ج١ ص ١٣١.

(٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد المغربي(ت٨٠٨هـ) المقدمة، مؤسسة التاريخ العربي، دار الأحياء التراث العربي (بيروت ،ب ت) ص٢٠٩.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الفكر – (بيروت، ١٩٨٨م) مج٧ ح١١ ص٣٥.

ويقول ابن الجوزي، (المبايعة عبارة عن المعاهدة وسميت بذلك تشبيهاً بالمعارضة المالية) [١]

٣ـ البيعة في القرآن الكريم :

وقد ورد ذكر البيعة في القرآن الكريم أربع مرات[٢]. فقد قال تعالى:-

أ- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[٣].

يقول القرطبي رحمه الله في تفسيره: (أن الآية نزلت في بيعة العقبة الكبرى الآخرة وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين وذلك إنهم اجتمعوا إلى رسول اللهﷺ عند العقبة فقال عبد الله بن رواحه رضي الله عنه للنبيﷺ (اشترط لنفسك ما شئت، فقال النبيﷺ: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال :الجنة قالوا: ربح البيع: فنزلت الآية، ثم هي بعد ذلك عامة من كل مجاهد في سبيل الله من أمة محمدﷺ إلى يوم القيامة)[٤] . وذكر صاحب الظلال : (إن في الإسلام صفقة بين مبايعين، الله سبحانه وتعالى فيها هو المشتري جل في علاه والمؤمن هو البائع، فهي بيعة

---

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ) زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي ، ط٣ (دمشق ، ١٩٨٤م) ٨/٢٤٥.

(٢) الجبوري، نهاد عباس، بيعتا العقبة والبحث عن مكان آمن للدعوة، (الموصل ١٩٩٧م) ص١٥.

(٣) سورة التوبة، الآية/١١١.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج٨.٢٢٦/٤-٢٦٧.

من الله لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ولا في ماله يحجزه دون الله سبحانه ودون الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله فقد باع المؤمن لله في ملك الصفقة نفسه مقابل ثمن محدد معلوم هو الجنة)[1] .أما المراغي فيقول: (هذا ترغيب في الجهاد على أبلغ وجه وأحسن صورة فقد مثل الله – تعالى – إنابة المؤمنين على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله بتملكهم الجنة هي دار النعيم والرضوان الدائم السرمدي، بصورة من باع شيئاً هو له لأمر وعاقد البيع هو رب العزة والمبيع هو بذل الأنفس والأموال والثمن هو ما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[2] .

ب- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٢ ﴾[3]. قال القرطبي رحمة الله : (قالت عائشة – رضي الله عنها- فمن أمر بهذا من المؤمنات فقد أمر بالجنة، وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله ﷺ: (انطلقن فقد بايعتكن) ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام)[4].

ويقول سعيد حوى رحمه الله: (أن هذه البيعة نموذج على المعاني التي لا ينبغي أن ينقصها المسلم إنها ميثاق مع الله ورسوله. فلو أن أنساناً نقض هذه البيعة فإنه يدخل في قوله تتعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ

(١) سيد، قطب، في ظلال القرآن، ١٧١٣/٣-١٧١٤ (الطبعة الشرعية).

(٢) المراغي، احمد مصطفى تفسير المراغي- مطبعة مصطفى الحلبي ، ط٥، (القاهرة، ١٩٧٤م)١١-٣٠.

(٣) سورة المتحنة١٢.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، مج ٩، ٧١/١٨.

أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] . كما يدخل في قوله تعالى ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ بالشرك والسرقة والزنى وقتل الأولاد وآتيان البهتان والمعصية لله والرسول) [2]. وقدرت هذه الآية (إذا جاءك المؤمنات...) التخلي عن الخصال (غير المحمودة) ولا يمنع من هذه المحامل أن النبيﷺ بايع الرجال بمثلها إذ يؤخذ لكل صنف ما يصلح له فيها ، ففي بيعة العقبة الأولى روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال شهدت العقبة الأولى وكنا أثنى عشر رجلاً فبايعنا رسولﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض الحرب...) [3].

ج- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[4]. أن بيعتهم لنبيه ﷺ إنما هي بيعة الله، وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان[5].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[6]وعن سلمة رضي الله عنه قال: (بايعنا النبيﷺ تحت الشجرة فقال لي يا سلمة إلا تبايع قلت يا رسول الله

(١) سورة البقرة الآية ٢٧.

(٢) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، ط٢، (القاهرة، ١٩٨٩) ٥٧/١٠-٨٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية٧٥/٢.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٥) القرطبي، تفسير، ٢٦٧/١٦.

(٦) سورة الفتح، الآية: ١٨.

فقد بايعت في الأول قال: وفي الثاني) [1].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: (لقد رأيتني يوم الشجرة والنبيﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصناً من أغصانها من رأسه ونحن أربعة عشر مائة لم نبايع على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفر) [2].

وفي هذا يقول ابن الجوزي في تفسيره (بايعوا على أن يقاتلوا ولا يفروا) [3]. ومن العلماء من قال: (هو مختص بالجهاد بالمقاومة لأن تعالى أمر تلك المبايعة بالمقاتلة ومنهم من قال : كل أنواع الجهاد داخل فيه لأن الجهاد بالحجة والدعوة إلى دلائل التوحيد أكمل آثاراً من القتال ولأن الجهاد بالمقاتلة لا يحسن أثرها إلا بعد تقديم الجهاد بالحجة) [4].

وفي هذا يقول الأستاذ عبد الكريم زيدان: (أن أصل هذه البيعة العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام والوفاء بالعهد الذي التزمه له وهي بيعة الرضوان بالحديث فإنهم بايعوهﷺ تحت الشجرة على قتال قريش فاخبر سبحانه وتعالى أن هذه البيعة لرسول اللهﷺ وهي بيعة له تبارك وتعالى، وأن الميثاق مع رسولﷺ كعقده مع الله (جل في علاه) من غير تفاوت بينهما) [5].

د. وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام ، باب ١١٤٠ حديث ٢٠٢٠.

(٢) مسلم ، صحيح، ج٣- كتاب الأمارة- باب-١٨- حديث-١٨٥٨.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ٤٣٤/٧.

(٤) الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت٦٦٦هـ) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط٣، (بيروت ، ١٩٨٥م) ٢٠٥/٨.

(٥) زيدان عبد الكريم(دكتور) المستفاد من قصص القرآن، مؤسسة الرسالة،ط١، (بيروت، ١٩٩٧) ٣٤٧/٢.

مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]

ذكر صاحب الظلال في تفسيره هذه الآية : (فذكروا الإسلام بمعناه الذي هو حقيقة الدين واشهدوا عيس عليه الصلاة والسلام على إسلامهم وانتدابهم لنصرة الله أي لنصرة رسوله ودينه ومنهجه في الحياة وفي هذا التوجيه لعقد البيع مع الله مباشرة أن عهد المؤمن هو ابتداء مع ربه ومتى قام به الرسول بإبلاغه فقد انتهت من الرسول من ناحية الاعتقاد وانعقدت البيعة من الله ، فهي باقية في عنق المؤمن بعد الرسول ، وفيه كذلك تعهد لله تعالى باتباع الرسول فليس الأمر بمجرد عقيدة في الضمير ولكنه إتباع المنهج والإقتداء فيه بالرسول) [2].

٤ـ البيعة في السنة النبوية :

وقد وردت البيعة في السنة في عدة أوجه:

الأول: البيعة على الإسلام والجهاد: عن مجاشع بن مسعود السلمي رضي الله عنه قال:(أتيت النبيﷺ أبايعه على الهجرة فقال: إن الهجرة قد مضت لأهلها ولكن على الإسلام والجهاد والخير) [3].

الثاني: البيعة على أعمال الإسلام والجهاد: عن بشير بن الخصاصية رضي الله عنه، قال:(أتيت رسول الله لأبايعه فقلت: علام تبايعني يا رسول الله؟ فقال تشهد أن لا أله ألا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وتصلي الصلوات الخمس لوقتها وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله. قلت : يا

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٢-٥٣.

(٢) سيد، قطب، سيد في ظلال القرآن، ٤٠٢/٢.

(٣) مسلم، الصحيح – ج٣ كتاب الأمارة باب، ٢٠، حديث ١٨٦٣.

رسول الله كلا نطيق إلا اثنين فلا أطيقهما الزكاة والله مالي إلا عشر ذو دهن رسل أهلي وحمولتهن، وأما الجهاد فإني رجل جبان، وأنه من ولى فقد باء بغضب من الله وأخاف إن حضر القتال أن أخشع بنفسي فافر فأبوء بغضب من الله فقبض رسول الله يده ثم حركها ثم قال: يا بشير لا صدقة ولا جهاد فبم إذن تدخل الجنة قلت يا رسول الله أبسط يدل أبايعك فبسط يده فبايعه عليهن كلهن"[1].

٥ـ البيعة على أركان الإسلام والنصيحة لكل مسلم :

عن جرير رضي الله عنه قال(بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) [2].

٦ـ على السمع والطاعة والنصح ما استطاع :

أخرج ابن جرير عن جرير رضي الله عنه، قال (بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم) [3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع الطاعة، يقول لنا فيما استطعت والنصح لكل مسلم) [4].

٧ـ البيعة على الموت :

هم يزيد بن أبي عبيد قال: (قلت لسلمة بن الأكوع على أي شي بايعتم رسول الله ﷺ قال: على الموت) [5]. وفي رواية عن سلمة رضي الله عنه . قال: (بايعت النبي ﷺ

(١) الهندي، علاء الدين كنز العمال، مؤسسة الرسالة،(١٩٨٩م، ١٢/٧ وينظر الكاندهلوي، محمد يوسف حياة الصحابة ، دار القلم ، ط٢(دمشق ١٩٨٣) ٢٤٠/١.

(٢) البخاري، الصحيح، ٢٧٩/١ كتاب مواقيت الصلاة، باب ٣٥٤، حديث ٤٩٣.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب ١١٣٩، حديث ٢٠١٦.

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب ١١٣٩، حديث ٢٠١٤.

(٥) البخاري، الصحيح ، كتاب المغازي، باب ١٥٢، حديث ٦٤٤.

ثم عدلت إلى ظل الشجرة فلما خف الناس قال يا ابن الاكوع إلا تبايع قال: قلت قد بايعت يا رسول الله قال: وأيضاً فبايعته الثانية فقلت له يا أبا مسلم عن أي شيء كنتم تبايعون يومئذ قال: على الموت) [1]. وكان الزبير ممن ثبت يوم أحد وبايع على الموت وزوجته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أسلمت قديماً وبمكة بايعت رسول اللهﷺ)[2]. وفي هذا الدلالة على بيعة المهاجرين في مكة.

السادس: البيعة على الجهاد: عن أنس رضي الله عنه قال: (جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً[3]

وفي حديث يعلى بن منبه (فقلت يا رسول الله بايع أبي على الهجرة قال بايع على الجهاد) [4].

٨ـ البيعة على عدم السؤال :

عن أبي أمامه رضي الله عنه: (قال رسول اللهﷺ من يبايع؟ فقال ثوبان رضي الله عنه، مولى رسول اللهﷺ:بايعنا رسول اللهﷺ على أن لا نسأل أحداً شيئاً . فقال ثوبان: فماله؟ يا رسول الله. قال : الجنة فبايعه ثوبان.قال أبو أمامه: فلقد رأيته في مكة في أجمع ما يكون حال الناس يسقط سوطه وهو راكب فربما وقع على عاتق رجل فيأخذه الرجل فيناوله فما يأخذه حتى يكون هو ينزل فيأخذه) [5].

٩ـ البيعة على الهجرة :

(١) البخاري، الصحيح كتاب الجهاد والسير، باب ٧٥٢ حديث ١١٤٤.

(٢) شاكر، محمود – التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط٧، (دمشق – عمان، ١٩٩١م) ١٤٧/٤.

(٣) البخاري، الصحيح، ٤٢٢/٢، كتاب الجهاد والسير باب ٦٧٦ حديث – ١٠٢٨.

(٤) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٣٠/١.

(٥) الكاندهلوي، حياة الصحابة ، ٢٢٢/١.

عن الحارث بن زياد الساعدي رضي الله عنه قال(أتيت رسول اللهﷺ يوم الخندق وهو يبايع الناس على الهجرة فظننا أنهم يدعون إلى البيعة فقلت يا رسول الله. بايع هذا على الهجرة . فقال: ومن هذا؟ فقلت: هذا ابن عمي حوط بن يزيد(أو يزيد بن حوط) . فقال رسول اللهﷺ لا أبايعكم أن الناس يهاجرون إليكم لا تهاجرون إليهم والذي نفسي بيده لا يحب الأنصار رجل يلقى الله إلا لقي الله وهو يحبه، ولا يبغض الأنصار رجل حتى يلقي الله إلا لقي الله وهو يبغضه) [1].

١٠ـ بيعة العقبة الأولى :

إنها بيعة النساء سبقت الإشارة إليها في موضوع البيعة في القرآن الكريم، أما في السنة فعن عبادة الصامت رضي الله قال: (أني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ وقال بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا ننهب ولا نعصي ولنا الجنة إن فعلنا ذلك فان غشينا من ذلك كان قضاء ذلك إلى الله) [2]. وفي هذا الحديث دلالة على أن بيعة النساء شملت المهاجرين والأنصار رجالاً ونساءً لأنها بيعة على فهم الإسلام.

١١ـ البيعة على النصرة (العقبة الآخرة) :

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم) [3].

وفي رواية ثانية (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في

(١) الهندي – كنز العمال ١٣٤/٧٢ وينظر الكاندهلوي – حياة الصحابة ٢٤٤/١.

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار باب ١٠٥ حديث ٣٩٩.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام باب ١١٣٩ حديث ٢٠١٢.

العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله ولا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة) [1].

رابعاً : الأمر بالجهاد في سبيل الله :

إن قرار الرسولﷺ بالهجرة إلى المدينة قدتم إثر بيعة العقبة الثانية التي تمت في السنة الثانية عشرة من البعثة والتي تضمنت تعهد أهل المدينة بحماية الرسولﷺ والدفاع عنه... والعيش معهم وكأنه واحد منهم، وقد أبدى أهل المدينة استعدادهم لاستعمال السلاح في الدفاع عن الرسول ﷺ ضد أعدائه وحينما تسربت أخبار بيعة العقبة إلى مشركي مكة، عدوا هذه البيعة بادرة عدائية ضدهم وقدروا أنها (بيعة حرب) ستكون لها أثار عميقة في المستقبل[2]. فلا غرابة أن يقوم المشركون باضطهاد المسلمين وفتنتهم عن دينهم قبيل هجرتهم إلى المدينة، ثم يعمدوا إلى وضع خطة لقتل الرسولﷺ لمنعه من الهجرة إلى المدينة[3].وقد تمكن رسول اللهﷺ بالرغم من كل ذلك من ضمان هجرة غالبية أصحابه إلى المدينة، ثم لم يلبث أن لحق بهم مع صاحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه – كما سبق ذكره- ولم يبق في مكة سوى من أفلحت قريش في حبسه أو فتنته عن دينه[4].

وقد وضح القرآن الكريم أن هجرة المسلمين من مكة لم تكن طوعية، بل كانت في حقيقتها إخراجاً في حوالي(١٧) آية نحو قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ

(١) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٤٥/١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص٤٤١ –٤٤٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج١ ص٢٢٦، الطبري ، تاريخ ج٢، ص٣٦٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٢٦، ٢٠٦.

حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[1]. وقوله ﷺ مخاطباً مكة: (ما أطيبك من بلد، أحبك إلي ولو لا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)[2]. لقد أصبحت المدينة مركز هجرة المسلمين وقاعدة دولتهم[3].

ويلاحظ أن آيات القرآن الكريم أخذت تعد أذهان المسلمين لمواجهة عدوان المشركين وظلمهم باستعمال القوة، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾[4].

أن هذه الآيات أصبحت (نواة لمبدأ الجهاد الإسلامي الذي هو دفاع ورد بغي وعدوان فحسب)[5]. وفي ضوء ما تقدم، فقد أصبحت هذه نقطة تحول فاصلة في تعامل المسلمين مع المشركين، إذا أباح القرآن الكريم للمسلمين أن يلجأوا إلى القوة لمقاتلة من ظلمهم من المشركين.

فقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾[6]. يقول الطبري رحمه الله: (أن هذه أول آية نزلت في الجهاد)[7]، ويقول القرطبي رحمه الله (إن هذه الآية هي أول الآيات التي نزلت في القتال، ونقل عن ابن عباس وابن جبير رضي الله عنهما: (إنها نزلت عند هجرة الرسولﷺ إلى المدينة)[8]. فالجهاد هنا هو بذل المسلم طاقته وجهده في نصرة الإسلام ابتغاء مرضاة الله، ولهذا قيد الجهاد في الإسلام بأنه

(١) سورة الحج، آية/٤٠.

(٢) الشيباني، عبد الرحمن بن علي، تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول (القاهرة، ١٩٣٤م)ج٣،ص٢٧٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ت، ص٤٤٢–٤٤٨ ، وينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ـ ص٢١١–٢١٢.

(٤) سورة الشورى، آية /٣٩.

(٥) دروزة، محمد عزة، سيرة الرسول، (القاهرة ن ١٩٤٨م) ج٢، ص٢١٧.

(٦) سورة الحج،الآية/٣٩.

(٧) الطبري، تفسير، مج٧، ج١٧، ص١٧٢.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٦٨.

في سيبل الله ليدل على هذا المعنى الضروري لتحقيق الجهاد، وبهذا جاءت الآيات القرآنية معلنة أن جهاد المسلمين ومنه القتال، إنما هو جهاد في سبيل الله بخلاف الكافرين فان قتالهم في غير سبيل الله أي في سبيل الشيطان [1]. لقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [2]. يقول ابن القيم الجوزية في زاد المعاد: (فرض الله تعالى القتال على المسلمين لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾ [3]. ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرماً ثم مأذوناً ثم مأموراً به لجميع المشركين أما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين أما بالقلب وأما باللسان وأما بالمال وأما باليد فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من الأنواع) [4]. يقول الله تعالى ﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤ ﴾ [5].

أي كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل أو غلب فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر عظيم كما ثبت في الصحيحين: (وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة) [6].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ

(١) زيدان، عبد الكريم(دكتور) ،أصول الدعوة، ط٣ (بغداد – ١٩٧٦م)، ص٢٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية/٧٦.

(٣) سورة البقرة، الآية /١٩٠.

(٤) ابن القيم، زاد المعاد، ٥٨/٢.

(٥) سورة النساء الآية ٧٤.

(٦) ابن كثير، ج١،ص٤١٢–٤١٣ وينظر تفسير الخازن ، ج١ ص٥٥٨–٥٥٩.

وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[1]. يحرض الله تعالى عباده على الجهاد في سبيله وعلى السعي استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين من المقام بها[2]. قال البخاري عن عبيد الله، قال سمعت ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين. قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3]. أي الذين آمنوا يقاتلون في طاعة الله وإعلاء كلمته وابتغاء مرضاته والذين كفروا يقاتلون في طاعة الشيطان، فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده فان مكر الشيطان كان ضعيفاً، كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فهرب[4].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[5]. قال الفخر الرازي: (إن من صفات المؤمنين المهاجرين هو المجاهدة بالمال فلأنهم فارقوا الأوطان وضاعت دورهم ومساكنهم ومزارعهم، وأما المجاهدة بالنفس فلأنهم كانوا أقدموا على المحاربة وذلك يدل على أنهم أزالوا أطماعهم عن الحياة وبذلوا أنفسهم في سبيل الله)[6].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

(١) سورة النساء،الآية ٧٥.
(٢) الخازن، تفسير، ج١ ص٥٦٠.
(٣) سورة النساء، الآية/٧٦.
(٤) الخازن، تفسير، ج١، ص٥٦٠.
(٥) سورة الأنفال، الآية/٧٢.
(٦) الفخر الرازي، تفسير، مج٨، ج١٥، ص٢١٥.

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1].

التدرج في أمر الجهاد ومبادئه :

هذه النصوص والآيات كلها – متظافرة – تدل على أن المسلمين بمكة قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة، كان محظوراً عليهم القتال الذي يشمل الحظر على المناجزة العامة بين المسلمين وبين المشركين، كما يشمل الحظر على إعلان حرب الاغتيالات التي تستهدف المشركين عموماً، من أفراد عاديين، أو قيادات تصب الأذى على المسلمين. وأن الأذن بالقتال إنما نزل بطريق الهجرة إلى المدينة، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي رحمه الله: أن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر رضي الله عنه،آذوا نبيهم حتى خرج، ليهلكن فانزل الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]. فقال أبو بكر رضي الله عنه لقد علمت أنه سيكون قتال:وفي رواية النسائي قال، لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر رضي الله عنه: أخرجوا نبيهم، أنا لله، وأنا إليه راجعون! فنزلت: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾ الآية فعرفت أنه سيكون قتال قال ابن عباس رضي الله عنه: هي أول آية نزلت في القتال[3]. وهناك أقوال أخرى حول الأدلة الأولى التي حصل فيها الأذن للقتال، حيث جاء في تفسير السايس: (قال تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾ هذه آية نزلت في القتال .. ثم ذكر حديث الترمذي السابق، ثم قال: وأخرج

---

(١) سورة الصف، الآيتين /٩، ١٠.

(٢) سورة الحج، الآية/٣٩، قال القرطبي(فيه إضمار أي، أذن للذين يصلحون للقتال في القتال فحذف لدلالة الكلام على المحذوف ، القرطبي في التفسير (٦٧/١٢–٦٨). وينظر الترمذي في صحيحه ج٧٩/٣ والنسائي في صحيحه ج٢/٦.

(٣) ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق / الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مطبعة الملاح (دمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م) ٢٤٤/٢.

ابن جرير عن ابن أبي العالية أول آية نزلت فيه : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾[1]. وفي الإكليل للحاكم: إن أول آية نزلت فيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾[2].

فالظاهر أن آية ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ ﴾ التي نزلت في طريق الهجرة – وبه قال كثير من السلف، كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وعروة بن الزبير، وزيد ابن اسلم ومقاتل وقتاده، وغيرهم يؤيده أيضاً ذكرها بعد الوعد بالمدافعة والنصر)[3].

إن هذا التدرج في الجهاد والذي انفتح باب الأذن فيه، هو القتال الذي كان محظوراً، غير مأذون به، في مرحلة الدعوة في مكة قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة بعد الهجرة إليها– لقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ ﴾[5]. قال القرطبي رحمه الله (وعد فيها – سبحانه – وبالمدافعة وبعد نزول الأذن أصبح ذلك الممنوع مأذوناً به، ومن ونهى أفصح عن الخيانة والغدر)[6].

هنا، بات يجوز للمسلمين منازلة الكفار في ميدان القتال وجهاً لوجه ، كما بات يجوز للمسلمين أن يقوموا بعمليات الانتقام من الكفار الذين آذوهم وصدوا عن سبيل الله والذين تقضي المصلحة بالمغامرة في التسلل إليهم وطلب الغرة منهم، من أجل تصفيتهم إخلاء

(١) سورة البقرة الآية/١٩٠.

(٢) سورة التوبة، الآية/١١١.

(٣) السايس، الشيخ محمد علي، تفسير آيات الأحكام، مطبعة محمد على صبح الأزهر (القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ٩/٣.

(٤) سورة النساء ،الآية، ٧٧.

(٥) سورة الحج، الآية، ٣٨.

(٦) القرطبي، تفسير، ٦٧/١٢.

للساحة من أشخاصهم، لما في وجودهم من خطر كبير على الدعوة وعلى المؤمنين بها.

ومن هنا كانت السرايا والغزوات التي انطلق فيها المسلمون يستهدفون بها كفار قريش [1].

لقد أرسل النبيﷺ لأبي سفيان بن حرب من يغتاله وهو في داره بمكة: نقل ذلك الأمام الشافعي رحمه الله في كتابه (الأم) بصدد الاستدلال على أن مكة بصفتها البلد الحرام: (لا تمنع أحدا من شيء وجب عليه). قال الأمام الشافعي[2]: (فان قيل ما دل على ما وصفت؟ قيل : أمر النبيﷺ عندما قتل عاصم بن ثابت وخبيب وابن حسان[3]، بقتل أبي سفيان في داره، غيلة، إن قدر عليه) وجاء عند ابن العربي عن المراد من ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾. ما نصه: (معنى (أذن) أبيح فانه موضوع في اللغة لإباحة كل ممنوع، وهو دليل لعلى أن الإباحة من الشرع... ولا حظراً إلا ما حكم به الشرع وبينه) [4].

يقول الشافعي رحمه الله: (ولما مضت لرسول اللهﷺ مدة من هجرته ، انعم الله تعالى فيها على جماعة باتباعه حدثت لهم بها- مع عون الله – قوة بالعدد لم تكن قبلها، ففرض الله عليهم الجهاد بعد إذ كان إباحة لا فرضاً، فقال تبارك وتعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٌ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ

(١) السيوطي، الحاوي للفتاوى، دار الفكر ، (بيروت، ب، ت)، ٢٤٦/١.

(٢) الشافعي، كتاب الأم، معه مختصر المزني – بعناية – محمد زهري النجار، دار المعرفة (بيروت، ب ت) ٢٩٠/٤ وينظر ابن هشام ، السيرة – الروض الأنف، ٢٤٣/٤، وينظر الطبري في تاريخه، ٥٤٢/٢ وينظر المباركفوري، في الرحيق المختوم ص٣٧٦.

(٣) ابن حسان هو (زيد بن الدثنة) ينظر خبر يوم الرجيع في الروض الأنف، ٢٢٤/٣.

(٤) ابن العربي، محمد بن عبد الله ، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق، دار أحياء الكتب العربية ، ط١(القاهرة، ١٣٧٦/١٩٥٧) ١٢٨٤/٣.

أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴾[1][2].

وجاء في الحاوي بصدد الحديث عن آية ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾ قال ما نصه: (هذه الآية مبيحة، لا موجبة وقد نص الأمام الشافعي رضي الله عنه، على أن القتال كان قبل الهجرة ممنوعاً، ثم أبيح بعد الهجرة، ثم أوجب بآيات الأمر، فلعل الإيجاب كان في آخر السنة الأولى أو السنة الثانية...)[3].

وظاهر أن هذا التدريج في حكم القتال، إنما كانت تقتضيه حالة الدولة الناشئة، وحال الجيش الإسلامي الذي كان يأخذ في التكوين من حيث العدة والعدد والتدريب، وما إلى ذلك، فكان لا بد من مضي مدة من الوقت يكون التعويض فيها لأعداء الدعوة الإسلامية من كفار قريش الذين إذوا المسلمين، واضطروهم إلى الخروج من ديارهم — كان لا بد من مضي فترة... يكون فيها ذلك التعرض لأعداء الدعوة، إنما هو على سبيل الاختيار، لا على سبيل الإجبار، وذلك إلى أن يصلب عود الدولة الإسلامية ويشتد بأس القوة الإسلامية. بحيث تستطيع الصمود أمام قوى الكفر في الجزيرة العربية فيما لو عملت قريش على تأليبها ضد المسلمين، كما وقع فيما بعد! وحينئذ يأتي وجوب القتال في حالة تكون فيها أوضاع الدولة الإسلامية، والجيش الإسلامي على أهبة الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات. هذا فيما يتصل بالقتال الذي يتعرض فيه المسلمون لكفار قريش، جاء النص بالأذن، أي بالإباحة لا بالوجوب، أما في حالة ما لو تعرض فيه

(١) سورة البقرة، الآية/٢١٦.

(٢) الشافعي، الأم،١٦/٤/. وينظر البيهقي، دلائل النبوة، ٥٨١/٢.

(٣) السيوطي، الحاوي للفتاوي ٢٤٦/١.

المسلمون – وهم في دولتهم في المدينة – لهجوم الأعداء عليهم، فالقتال هنا فرض[1].

عملاً ببنود الحرب، بيعة العقبة الثانية[2].والتي تضمنت على البنود الآتية كما روي عن جابر الأنصاري رضي الله عنه (فقلنا يا رسول الله نبايعك قال تبايعوني:

١- على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٢- وعلى النفقة في اليسر والعسر.

٣- وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم.

٥- وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم و أبناءكم، ولكم الجنة قال فقمنا إليه فبايعناه) [3]

وفي رواية أخرى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: (بايعنا رسول اللهﷺ على:

١- السمع والطاعة في عسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثره علينا.

٢- وأن لا ننازع الأمر أهله.

٣- وأن نقول بالحق أينما كنا.

٤- لا نخاف في الله لومة لائم. [4]

إن بنود هذه البيعة تختلف عن بيعة العقبة الأولى بإضافة شروط القتال فيذكر ابن اسحق (وكأن في بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله في القتال شروطاً سوى شرطه

(١) هيكل، محمد خير، الجهاد والقتال، ج١ ص٤٦٣-٤٦٤.

(٢) الجبوري، بيعتا العقبة، ص ٨٠.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد (٢٤١هـ) ، المسند، دار المعارف للطباعة والنشر ، ط٣(القاهرة،١٩٤٩هـ).٣١٦/٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ١١٣/١٦.

عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسول اللهﷺ في حرب إذن له وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الآخرة على حرب الأحمر والأسود... وجعل لهم ... الجنة) [1].

مبادئ الجهاد في الصحيفة :

وردت بعض المبادئ المتعلقة بالجهاد في الصحيفة التي نظم فيها الرسولﷺ العلاقات بين المسلمين بعضهم مع بعض من جهة وبينهم وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى وذلك بعد مقدم الرسولﷺ إلى المدينة بزمن جد يسير، وكتب في ذلك كتاباً أوردته المصادر التاريخية واستهدف هذا الكتاب أو الصحيفة توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة، وتحديد الحقوق والواجبات وقد سميت في المصادر القديمة بالكتاب والصحيفة وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظة الدستور والوثيقة[2]، وأن أقدم من أورد نص الوثيقة كاملاً هو محمد بن إسحاق (ت١٥١ هـ) لكنه أوردها دون إسناد[3].

وقد صرح بنقلها عنه كل من ابن سيد الناس[4]، وابن كثير[5]، فوردت عندهما دون إسناد وقد ذكر البيهقي[6]، إسناد ابن إسحاق للوثيقة، كذلك وردت الوثيقة في

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٩٩/٢٢، وينظر زوائد البزار ٣٠٨/٢ وجمع الزوائد ، ٤٠/٦-٤٩ وابن القيم في زاد المعاد، ٤٥/٣-٤٦.

(٢) كتب في (الوثيقة) كل من العلي، صالح أحمد (دكتور) بحثه (تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة) والدوري، عبد العزيز (دكتور) في كتابه(النظم الإسلامية) وآخرون ذكر الأستاذ محمد حميد الله في كتابة مجموعة الوثائق السياسة، ص٣٩-٤١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٠١/١-٥٠٤.

(٤) ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله(٧٣٤هـ)، عيون الأثر، مكتبة القدسي(القاهرة ب ت) ١٩٨/١.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢٤/٣-٢٢٦.

(٦) البيهقي، السنن اكبري، ١٠٦/٨.

كتاب الأموال لأبي عبيد بإسناد[1].

هذه هي الطرق التي وردت منها الوثيقة بنصها الكامل، والتطابق كبير بين سائر الروايات سوى بعض التقديم والتأخير في العبارات واختلاف بعض المفردات أو زيادة بنود قليلة، ولا يؤثر هذا الاختلاف على مضمونها العام... وأن نصوصاً من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة وبعضها أوردها البخاري ومسلم فهذه النصوص هي أحاديث صحيحة... وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في اكتسابها القوة... ثم أن أهم كتب السيرة ومصادر التاريخ ذكر موادعة النبيﷺ لليهود وكتابته بينه وبينهم كتاباً[2].

كما ذكرت كتابته كتاباً بين المهاجرين والأنصار في سنة (٢هـ)[3]. وجاء في هذه الصحيفة الطويلة بخصوص الجهاد، ما نصه:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، هذا كتاب من محمد النبيﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس...

وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة....

وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال سبيل الله....

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) الأموال، تحقيق محمد خليل هراس ، ط١(القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص٥١٧.

(٢) البلاذري، أحمد يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله ،ط١، دار المعارف (القاهرة، ١٩٥٩م) ٢٨٦/١-٣٠٨ والطبري، تاريخ ٤٧٩/٢ والمقدسي، البدء والتاريخ، ١٧٩/٤، وابن حزم، جوامع السيرة ص ٩٥، والمقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع، تحقيق محمود شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة، ١٩٤١م) ٤٩/١ وابن كثير: البداية والنهاية ١٠٣/٤-١٠٤.

(٣) الطبري، تاريخ، ٤٨٦/٢. وينظر المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٠٧/١.

وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش، ولا نفسا، ولا يحول دونه مؤمن.......

وأنه لا يحل لمؤن أقر بما في هذه الصحيفة، آمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً، ولا يؤويه....

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ، ما داموا محاربين.........

وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة...........

وأنه لا تجار قريش، ولا من نصرها...........

وان بينهم النصر على من دهم يثرب....) [1].

إن هذه النصوص من الصحيفة أدلة كافية لتسليط الأضواء على جوانب (الأذن بالقتال) مع ما سقناه من أدلة ونصوص من القرآن والسنة وأقوال السلف. مما يدل على أن أمر حماية الدولة الإسلامية والدفاع عنها كان يحتل درجة علياً في سلم الأولويات من اهتمامات النبيﷺ بصدد التمكين لهذه الدولة الناشئة بحيث سارع إلى كتابة هذه الصحيفة وهذا الميثاق الذي أوجب فيه الجهاد والقتال على أهل هذه الصحيفة من سكان المدينة إذا ما تعرضت للهجوم بل أوجب حمايتها من الأعداء.



(١) ابن هشام، السيرة (الروض الأنف: (٢/٢٤٠-٢٤٢) قال الدكتور البوطي في كتاب (فقه السيره)، (وذكره ابن خيثمة في سنده.... وذكره الأمام أحمد في مسنده...) ينظر الغزالي، فقه السيرة، ص١٩٧ والسيوطي، فقه السيره ص١٨١ والغضبان، النحالف في الإسلام ص٩٧-١٠٥.

المبحث الثالث

فلسفة الجهاد في الفكر الإسلامي

أولاً : مفهوم الفكر الإسلامي .

ثانياً : أصول الفكر الإسلامي ومقوماته .

ثالثاً : فلسفة الجهاد في الفكر الإسلامي .

المبحث الثالث : فلسفة الجهاد في الفكر الإسلامي

أولاً : مفهوم الفكر الإسلامي :

١- الفكر العربي الإسلامي في المفهوم الاصطلاحي :

أ - تسمية الفكر العربي الإسلامي :

يجد المتتبع لدراسة تاريخ الفكر الإسلامي، أن هناك أكثر من تسمية لهذا الفكر، ومن الأمور التي تسترعي الانتباه أن قضية المصطلحات أخذت تسميات ومدارس متعددة يمكن تمثيلها بما يأتي:

الفكر الإسلامي.

الفكر العربي.

الفكر العربي الإسلامي.

فالتسمية الأولى (الفكر الإسلامي) فيبدو أن تركيز أصحاب هذه المدرسة في الحديث ينصب على تسمية هذا الفكر بالفكر الإسلامي، ويرى هؤلاء أنه يقوم على انصهار جميع الأقوام وبضمنهم العرب في بوتقة الإسلام وبناء على ذلك فان هذا الفكر هو فكر إسلامي وحسب وتضم هذه المدرسة من بين ما تضم، جمال الدين الأفغاني وأبا الأعلى المودودي والدكتور ضياء الدين الريس[1].والدكتور محمد البهي وآخرين.

أما رأي الكاتب أنور الجندي في هذا المجال فهو يقول في كتابه:

(تأصيل مناهج العلوم.... بالعودة إلى الفكر الإسلامي الأصيل) ما نصه:

(١) الريس، محمد ضياء الدين (دكتور) ، النظريات السياسية الإسلامية،(القاهرة ، ١٩٦٠هـ) ٣-٤، وينظر محمد، فاضل زكي(دكتور)، الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضية وحاضره، دار الحرية للطباعة، ط٢، (بغداد، ١٩٧٦م) ص١٤.

(والفكر الإسلامي له قوانينه الخاصة ونظمه المتميزة في مجال العلوم السياسة والاقتصادية والتاريخ وعلوم النفس مما قدمه الفارابي (٣٥٣هـ) وابن سينا(٤٢٨هـ) والبيروني(٤٤٠هـ)والماوردي(٤٥٠هـ) والغزالي (٥٠٥هـ) وابن خلدون(٨٠٨هـ)، هذه الآراء والمفاهيم التي صهرها فلاسفة الغرب في علومهم ودراساتهم وصاغوها صياغة جديدة فعزلوها عن مصادرها الإسلامية المرتبطة بالتوحيد... وفي مجال الفقه والتشريع والقانون كان للفكر الإسلامي القدح المعلى في نظريات ما تزال حتى الآن بكراً وما تزال مناراً يهتدي به) [(١)].

ولقد سبق أن ذكر في كتابه (معالم الفكر العربي المعاصر ما نصه: (لقد كانت العروبة والإسلام متفقين منذ قرون على مفهوم واضح وعميق مستمد من مقومات الفكر الإسلامي، ولقد كانت روح الإسلام في تاريخ العرب قوة دافقة في (الجهاد) ومقوم أساسي لبناء المجتمع: عقيدة جهاد وقوة عمل، وحركة دافعة متطورة لا تجمد ولا تتوقف ولا تنطوي على نفسها وقد كان الإسلام قابلاً للتطور لا يقف في وجه الحضارات والنهضات بل يواجهها بآفاق مفتوحة) [(٢)]

وهنا جمع الجندي رحمه الله بين التسميتين مرة (الفكر الإسلامي) ومرة (الفكر العربي الإسلامي) وهذا يعني أن الأمر عنده سيان وإنهما يؤديان إلى نفس المعنى ونفس التوجه والمحتوى. ويبدوا أن هذا هو الصحيح فأينما جاءت تسمية الفكر بالفكر الإسلامي أو الفكر العربي الإسلامي فمفهومهما واحد ومؤداهما واحد.

---

(١) الجندي،أنور ، تأصيل مناهج العلوم والدراسات الإنسانية بالعودة إلى الفكر الإسلامي الأصيل المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٨٣م)ص٥.

(٢) الجندي، معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرسالة، (القاهرة، ١٩٦١م) ص٢٢٦-٢٢٧.

وقد عمد بعض الكتاب إلى تسمية الفكر بالفكر العربي، فأنها على ما يبدو تنطلق من الفكرة التي تقول أن الفكر العربي نشأ وترعرع وأزدهر في بيئة مناخ عربي ... يضاف إلى كل ذلك أن كل من أسهم في هذا الفكر لم يكن الأساس فيه الموطن وإنما البيئة الفكرية، وعليه فان كل من نبع في البيئة العربية هو عربي ثقافة وفكراً، ومن هنا فان تسميتها لهذا الفكر هي الفكر العربي وحسب[1].

بالإضافة إلى هاتين المدرستين وأنصارهما تأتي المدرسة الثالثة لتجمع ما بين التسميتين السابقتين في تسمية (الفكر الإسلامي) و(الفكر العربي)في تسمية وأحده هي (الفكر العربي الإسلامي). على أساس إنها تسمية جامعة وشاملة إذ جاءت الرسالة الإسلامية لتضم العرب في فكر وعقيدة واحدة ولتحفزهم على تحمل مسؤولياتهم في نشرها والعمل على كل من تفاعل وانصهر في ثقافتها على أساس من الأخوة الإسلامية. ومن أنصار هذه المدرسة كل من الأساتذة محمد كرد علي وعباس محمود العقاد والجندي وآخرون وقد سبق أن عرضنا رأي الأستاذ الجندي في هذه التسمية أي (الفكر العربي الإسلامي) فقد جاءت في كتاباته في الستينات أما في كتبه ومؤلفاته بعدها فقد اعتمد تسمية (الفكر الإسلامي) ولهذا فهي تؤدي إلى مفهوم واحد أينما ذكرت في بحثنا هذا سواء ذكرنا (الفكر الإسلامي) أو (الفكر العربي الإسلامي) كما توجد تسميات أخرى خارج إطار هذه المدارس مثل (المذهبية الإسلامية) [2]. بديلاً عن (الفكر الإسلامي) أو (التصور الإسلامي) [3].

---

(١)محمد، فاضل زكي، الفكر السياسي، ص١٥.

(٢) اعتمدها الدكتور محسن عبد الحميد بدلاً من (الفكر الإسلامي) وليس المقصود بالمذهبية الإسلامية هي المذهبية الفقهية ينظر كتابه المذهبية والتغيير الحضاري، ط٤(بغداد، ١٤٢٠هـ)

(٣) اعتمده سيد قطب في كتابه(خصائص التصور الإسلامي) طبع دار أحياء الكتب العربية (حلب، ١٩٦٥).

ب ـ تعريف الفكر الإسلامي :

عرفه الدكتور محمد البهي بأنه (هو النتاج للعقل ألنا شيء في المجتمع الإسلامي، في ظل القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح) [1] . وحاول توضيح مفهومه بأن الفكر الإسلامي هو المحاولات العقلية من علماء لشرح الإسلام في مصادره الأصلية، القرآن الكريم والسنة صحيحة كالآتي:

١- تفقهاً واستنباطاً لأحكام دينية في صلة الإنسان بخالقه في العبادة أو صلة الإنسان بالإنسان في المعاملات أو لمعاجة أحداث جدت، لم تعرف بذاتها في تاريخ الجماعة الإسلامية على عهد الرسولﷺ وعهد صحابته أو تبريراً لتصرفات خاصة صدرت وتمت، أو تصدر تحت تأثير عوامل أخرى.

٢- وأما توفيقاً بين مبادئ الدين وتعاليمه من جانب، وفكر أجنبية دخلت الجماعة الإسلامية من جانب آخر بعد أن قبلت هذه الفكر كمصدر آخر للتوجيه.

٣- أو دفاعاً عن العقائد التي وردت فيه أو رداً لعقائد أخرى مناوئة لها، حاولت أن تحتل منزلة في الحياة الإسلامية العامة لسبب أو لآخر.

يدعو إلى إعمال الفكر في المحافظة على الطابع الإسلامي. كما يراد له أن يكون أو يبقى ذا صبغة إسلامية.

وهذا ما يؤكد براعة الفكر الإسلامي ويدل على الأصالة في الفهم ورجاحة في العقل والتوازن في الخطوط الهادفة لبناء المجتمع الإسلامي.

أما الدكتور محسن عبد الحميد فيقول (إن مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة وهو يعني كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول اللهﷺ إلى اليوم في المعارف

(١) البهي ، محمد (دكتور) الفكر الإسلامي في تطوره، دار الفكر، ط١،(مصر، ١٩٧١) ص٧.

الكونية العامة المتصلة بالله جل في علاه والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً) [1].

وسبق القول في هذا المجال (فحتى يستطيع المفكر الإسلامي أن يحافظ على عقيدته وحضارة ونظرتهما إلى الوجود اضطر أن يبحث عن مصطلحات معاصرة تعبر عن كليات وجزيئات الصراع الحضاري المعاصرين منظومة الحضارة الإسلامية ومنظومة الحضارة الغربية) [2].

كما عبر الدكتور حمدان الكبيسي وآخرون عن الفكر الإسلامي بالقول: (عبر الفكر الإسلامي عن الوحدة في المجتمع العربي وكان حرباً على كل أنواع الاستغلال والاستعباد) وبشيء من التوضيح يقولون: (يمكن اعتبار مرحلة الدعوة الإسلامية في عهد الرسول الله ﷺ مرحلة للعمل الفكري الجاد وقد واجهت هذه المرحلة صراعاً مصيرياً شهدت خلاله الدعوة الإسلامية مرحلة الإنضاج) [3] أما رأي الكاتب أنور الجندي فقد سبق ذكره في فقرة (تسمية الفكرة الإسلامي) في هذا المبحث.

وفي محاولة من الدكتور فاضل زكي محمد لتحديد مفهومه قال: (هو حصيلة القيم العربية الإسلامية. والقيم العربية الإسلامية هي مقاييس الحياة من وجهة نظر الفكر والحضارة العربية الإسلامية التي تنظر من خلالها إلى ذاتها وإلى العالم في وقت وأحد، وهذه القيم يدافع عنها أهلها) [4].

---

(١) عبد الحميد، محسن (دكتور) تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالي للفكر الإسلامي(فرجنيا، ١٤١٦هـ/١٩٩٥) ص٤١.

(٢) عبد الحميد، المرجع نفسه، ص٣٦.

(٣) الكبيسي، حمدان، وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، مطبعة جامعة بغداد،ط١، (بغداد، ١٩٧٧م) ص٧٠.

(٤)محمد، فاضل زكي، الفكر السياسي، ص١٢.

ثانياً : أصول الفكر الإسلامي ومقوماته :

١ـ أصول الفكر الإسلامي :

أن أصالة الفكر الإسلامي وفاعليته واستمرار عطائه متأتية من معينه الصافي وأصله الناشيء من القرآن الكريم كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء. ومن السنة النبوية المطهرة وما أجمع عليه علماء الأمة وما جادت به عقول العلماء من اجتهاد وإبداع. ولما لا يتسع المقام للخوض في غمار كل الأصول والمصادر لذا سنعرض للقرآن والسنة كمصدرين أصيلين وبإيجاز:

الأصل الأول : القرآن الكريم :

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1]

قال ابن مسعود رضي الله عنه:

(فقد بين في هذا القرآن كل علم وكل شيء — فان القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وحلال وحرام والناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم) [2].

فالقرآن الكريم هو الدستور الإسلامي والمصدر الأول للتشريع والتوجيه والفكر وهو كما قال الشاطبي رحمه الله: (كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر المسلمة) [3].

---

(١) سورة النحل، الآية/٨٩.

(٢) ابن كثير ، تفسير، ج٤ ص٢١٨، ينظر عبد الله، عبد القهار داود، تفسير القرآن، ص ٢٦٦.

(٣) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى(ت٧٩٠هـ) الموافقات في أصول الشعريعة دار المعرفة للطابعة والنشر(بيروت، ب ت) ٣٤٦/٣.

لقد خلق الله تعالى الإنسان ومنحه العقل والإرادة وكرمه وفضله على خلق الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ ﴾[1]. وسخر له ما في السماوات والأرض ورزقه من النعم مما لا تعد ولا تحصى ظاهرة وباطنة لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[2]. وكلفه بحمل الأمانة واستخلفه في الأرض لعمل الخير وأعمار الأرض ونشر العدل فبالتفكير يواجه الإنسان كل ما حوله ليكشف فيه ما يساعده على التكيف والبناء الحضاري وفي القرآن الكريم آيات بينات تدفع الإنسان إلى تحريك طاقته الفكرية وتشجيعه على استعمالها في التفكير العميق والتدبر لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ ﴾[3].

والقرآن الكريم هو مصدر القيم الأساسية للفكر الإسلامي فقد دعا القرآن الكريم إلى المعرفة عن طريق العقل والفكر بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ﴾[5] إن الآيات تشير إلى(عناية الله) بالإنسان وكيف سخر له كل شيء من مخلوقاته الموجودة

(١) سورة الإسراء الآية/٧٠.

(٢) سورة لقمان، الآية٢٠

(٣) سورة آل عمران، من الآية/١٩١.

(٤) سورة سبأ، من الآية ٤٦.

(٥) سورة محمد، من الآية/١٠.

في السماوات والأرض وذلك من أجل استمرار الحياة، أن أسرار الحياة تقف وراء الكثير من هذه القضايا، ولمحات القرآن الكريم أو إشاراته، أشبه بالضوء القوي يسلطه عليه ليفكر الإنسان فيها تفكيراً عميقاً وعندما نتابع الآيات التي ورد فيها الفعل (يتفكرون) نجد القرآن الكريم يتحدث عن الرسل السابقين وإنهم رجال وبشر أوحي إليهم مثل محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وإنهم جاؤوا بالحجج والبينات، وقضايا العقيدة التي كلفوا بها ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] ،[2].

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: (لم يقل العلماء المعتدلون الذين اهتدوا بالكتاب والسنة بسد باب الإلهام والكشف والبصيرة، وإنما أرادوا أن يقيدوه بالأصول والضوابط التي تمنع دخول الوهم والكذب والغلو فيه... وإذا كان الشرعيون قد وفقهم الله لوضع علم "أصول الفقه" لضبط الاستدلال فيما فيه نص وفيما لا نص فيه وأسسوا بذلك علماً عظيماً لم يعرف مثله في حضارة من الحضارات وغداً مفخرة من مفاخر التراث الفكري الإسلامي)[3]. فالفكر الإسلامي ينطلق من ضوابط الإسلام، وفي هذا يقول الدكتور محسن عبد الحميد(ولو تأملنا القرآن الكريم لوجدناه يفتح المجال الواسع لحركة العقل الإنساني بل تأتي النصوص مرنه أو عامة أو ذات مقاصد كلية، وهذا هو الواقع القرآني وبجانبه السنة النبوية الشريفة دفع علماء الإسلام إلى إعمال فكرهم في مجالين:

أولهما: في مجال الاجتهاد في تفسير القضايا التي لم تقرر بنصوص قاطعة، لا في الكتاب ولا في السنة.

---

(١) سورة النحل، من الآية/٤٤.

(٢) الجوزو، الشيخ محمد علي، مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، دار العلم للملايين، ط١، (بيروت ١٩٨٠م) ص١١٨.

(٣) القرضاوي، يوسف(دكتور) موقف الإسلام من الإلهام والكشف، ط١، مكتبة وهبة (القاهرة، ١٩٩٤) ص٢٧-٢٨.

وثانيها: في مجال الاجتهاد في القضايا والمسائل التي لم يتطرق إليها ألبته[1].

وبذلك يكون القرآن الكريم وآياته وعلومه ودروسه وعبره يعد مصدراً رئيسياً وأصلاً أصيلاً تتغذى منه جذور الفكر الإسلامي وتنتهل من معينه الصافي فالقرآن الكريم دعا إلى هذه العلوم من باب النظر والبحث والانتفاع مما في الكون من نعم وعبر[2]، لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[3].

الأصل الثاني : السنة النبوية :

المعنى الاصطلاحي للسنة: هو ما أثر عن النبيﷺ من قول أو فعل أو ترك أو تقرير[4].

ولقد شجع الرسول الكريمﷺ المسلمين على الاجتهاد العقلي والتدبر والتفقه في شؤون الحياة كافة وفرق بين الوحي الإلهي والتفكير الإنساني وأدرك الصحابة الكرام ذلك فكانوا كثيراً ما يقفون أمام الرسول الكريمﷺ فيسألونه فيما إذ كان الذي يعرضه عليهم وحياً إلهياً أو رأياً رآه، فإذا أخبرهم أن ذلك كان منه اجتهاداً وتفكيراً، فكروا بدورهم وعرضوا آراءهم أمامهﷺ كما حدث قبيل معركة بدر (٢هـ) من مشاورة أصحابه ونزوله عند رأي الحباب بن المنذر (ت ٢٠هـ) الذي قال(يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنز لكه الله، ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله، فان هذا ليس

(١) عبد الحميد، محسن، مرجع سابق، ص٤٧.

(٢) الفداع، محمود عبد العزيز، علوم القرآن، الجداول الجامعة في العلوم النافعة، دار الدعوة، ط٤، (الكويت، ١٩٨٩م) ص١٤٤.

(٣) سورة يونس، من الآية/١٠١.

(٤) الياسين، جاسم بن محمد مهلهل، التوحيد والفقه وأصول الفقه، دار الدعوة، ط٤، (الكويت، ١٩٨٩م) ص٥٠.

بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القليب. فقال رسول اللهﷺ : لقد أشرت بالرأي[1].

وهناك مواقف أخرى برز فيها الفكر الإسلامي متجلياً بفطنة بعض الصحابة وصحة آرائهم كما حدث عندما شاور عليه الصلاة والسلام أصحابه قبيل معركتي أحد والخندق وكذلك الأخذ برأي سعد بن معاذ (ت٥هـ) وسعد بن عبادة (ت ١٤هـ) رضي الله عنهما وذلك برفض اقتراح تخصيص ثلث ثمار المدينة لغطفان.

وكذلك رضاهﷺ عن جواب الصحابي الجليل معاذ بن جبل (ت١٨هـ) رضي الله عنه بسؤاله له عندما كلفه قضاء اليمن (كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال:أقضي بكتاب الله،قال:وإذا لم تجد في كتاب الله؟ قال بسنة رسول الله قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله قال: اجتهد ولا آلو، ففرح رسول اللهﷺ لذلك فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسولﷺ)[2].

ولقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (ما اكتسب المرء عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى)[3]. وقولهﷺ (لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله...)[4]. وأقوال النبيﷺ إنما تكون مصدراً للتشريع، إذا كان المقصود بها بيان الأحكام أو تشريعها، أما إذا كانت في أمور دنيوية بحتة لا علاقة لها بالتشريع ، فلا تكون دليلاً من أدلة الأحكام،ولا مصدراً تستنبط منه الأحكام الشرعية. ومن ذلك ما روي: أنه عليه الصلاة والسلام رأى: قوماً في المدينة يؤبرون النخل فأشار عليهم بتركه، ففسد الثمر، فقال

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٢/٢٥٩.

(٢) أبو داود، السنن، ٣/١٥٣.

(٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت٤٥٨هـ) شعب الإيمان، دار الكتب العلمية،ط١، (بيروت،١٩٨٩)٤/١٦١.

(٤) ابن شيرويه، أبو شجاع شيرويه(ت٥٠٩هـ) الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية ط١، (بيروت، ١٩٨٦) ٣/٣٣.

لهم: أبروا أنتم أعلم بأمور ديناكم[1]. وفي هذا يقول الدكتور محسن عبد الحميد(وقد أدرك العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم هذه الحقيقة الإسلامية الصريحة، فعدو الاجتهاد العقلي بضوابطه الشرعية أصلاً من أصول الدين،مثال ذلك القياس والاستحسان وتحقيق المصالح وسد الذرائع ورفع الضرر وما إلى ذلك من وجوه الاجتهاد الأخرى، ويكاد علماء الإسلام يجمعون على القول بجحية العقل في مجاله)[2].

مستدلاً في ذلك على ما قاله عمر بن الخطاب(١٣-٢٣هـ) رضي الله عنه أنه قال: (أصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروءته خلقه)[3]. وفي هذا يقول الحسن البصري (ت١١٠هـ) رحمه الله: (ما استودع الله أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما)[4]. وقال الماوردي (ت ٤٥٠هـ) رحمه الله في فضل العقل: (إعلم أن لكل فضيلة أساً، ولكل أدب ينبوعاً، واس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً وللدنيا عماداً ، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم)[5].

ويقول الشافعي(ت٢٠٤هـ) رحمه الله: (إن الله تعالى جل ثناؤه من على العباد بعقولهم فدلهم بها على الفرق بين المختلف وهداهم السبيل إلى الحق نصاً ودلالة)[6].

ورد ابن حزم (ت٤٥٦هـ) رحمه الله على من أبطل حجة العقل بالقول: (وبالله

---

(١) زيدان، عبد الكريم، (دكتور) الوجيز في أصول الفقه،(بغداد، ١٩٧٦) ص١٦٤.

(٢) عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامي — ص ٤٦.

(٣) الماوردي، أدب الدنيا والدي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي — مطبعة حجازي ط١ (مصر -١٩٥٤) ص٧.

(٤) الماوردي، المصدر نفسه ص٧.

(٥) المصدر نفسه ص٧.

(٦) الشافعي،أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي (القاهرة،١٩٤٠م) ص١٠٥..

تعالى التوفيق، أن صحة ما أوجبه العقل عرفناه بلا واسطة ولا زمان ولم يكن بين أول أوقات فهمنا وبين معرفتنا بذلك مهله البتة، ففي أول أوقات فهمنا علمنا أن الكل أكثر من الجزء وأن كل شخص فهو غير الآخر. وأن الشيء لا يكون قائماً قاعداً في حال واحدة، وأن الطويل أمد من القصير وبهذه القوة عرفنا صحة ما يوجبه القياس) [1]. وقد خطَّأ ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله أولئك الذين يقدحون في الدلائل العقلية مطلقاً لأنهم يتصورون إنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه من أحدثه من المتكلمين والفلاسفة) [2].

وفي هذا يقول الدكتور النشار : (إن الفكر الإسلامي يعتمد على مصدرية الأساسين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأن الباحث المنصف إذا تحرى عن حقائق الحياة الإسلامية خلال التاريخ الطويل يرى مظاهر الفكر الإسلامي المتنوعة كلها انطلقت من الإسلام وجالت في دائرته واصطبغت بصبغته، وأن القضايا الكلية والجزئية التي أثيرت في التاريخ الإسلامي كانت بأصلة مصدرية) [3].

٢ـ مقومات الفكر الإسلامي :

يرتكز الفكر الإسلامي على عدة دعائم تمثل أهم مقومات تكوينه وهي بإيجاز:

١ـ العقيدة الإسلامية :

تعد العقيدة الإسلامية من أهم المقومات الأساسية للفكر الإسلامي، وتمده بأسباب القوة والتأثير في المجتمع وبناء الحضارة، ومن فضل الله أن هذه العقيدة كانت ولا تزال كما هي بصفائها ونقائها وبساطتها وقدسيتها فقد تكفل بتجليتها التجلية الحقة لكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة النبوية الشريفة

(١) ابن حزم الأندلسي الظاهري(ت٤٥٦هـ) الأحكام في أصول الأحكام، مطبعة السعادة،ط(القاهرة) ١٩٢٨م) ١٦/١.
(٢) ابن تيمية الفتاوي الكبرى، ١٢٧/١٣.
(٣) النشار، على سامي (دكتور) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ٣٣/١-٣٤.

التي تثبت ثبوتاً لا تتطرق إليه الأوهام ولا الظنون. إنها عقيدة التوحيد، إيمان وعمل والإيمان يمثل العقيدة والأصول التي تقوم عليها شرائع الإسلام وعنها تنبثق فروعه، والعمل يمثل الشريعة والفروع التي تعد امتداداً للإيمان والعقيدة) [1].

إن مفهوم الإيمان والعقيدة بالمعرفة بالله وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر الذي يسير نظام الكون في الحق والتدبير في الحياة والمعاد لقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [2]. وبذلك تفتح العقيدة المنافذ والأفق الرحب للمسلم وتهيئ له مقومات التفكير السليم والفكر المبدع البناء فمعرفة الله تبارك وتعالى من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير وتربي ملكة المراقبة وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرافها وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفاسفها.

والرقي في معرفته إلى مظاهر عظيمة في الكون الطبيعة ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾ [3]، وهكذا تكون العقيدة إحدى أهم دعائم الفكر الإسلامي ومقوماته وهذه إحدى وسائل القرآن الكريم في إعمال العقل والحث على النظر والتفكر في مجالات الكون الفسيحة وآفاق الحياة الرحبة وبذلك يحصل التوازن بين الإيمان والتفكير ويحصل الإبداع في الفكر والعمل وكل ذلك بفضل الله يتم فهو الخالق هو الهادي إلى سواء السبيل وفي هذا يقول الطحاوي رحمه الله(وكلهم يتقلبون مشيئته بين فضله وعدله) [4]. وفي جهاده باللسان في الدعوة إلى الخير والأمر

---

(١) سابق، سيد، العقائد الإسلامية، منشورات مكتبة التحرير، طبع دار الشؤون الثقافية العامة، ص ١٧.

(٢) سورة البقرة من الآية/٢٨٥.

(٣) سورة آل عمران، من الآية/١٩٠.

(٤) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن سلامة(ت٣٢١هـ)، شرح العقيدة الطحاوية: اختصار السامرائي ، طبع السرمد(بغداد، ١٩٩٠م) ص٢٦.

بالمعروف والنهي عن المنكر وفي جهاده بالنفس والمال وأنفس ما يملك ابتغاء مرضاة الله وإعلاء كلمته ودفع الضرر والعدوان عن نفسه وعن أهله وأمته وتحقيق خيرية هذه الأمة﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(١). وهكذا تربى الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعوهم بإحسان والسلف الصالح وكان قدوتهم رسول اللهﷺ ومنهجهم هدية وسنته ودستورهم القرآن الكريم الذي كان المرشد والدليل إلى معرفة الله تعالى وهي أسمى المعارف وأجلها وللمعرفة بالله وسيلتان،أحداهما: العقل والنظر فيما خلق الله تعالى من أشياء وثانيهما معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته، فبالعقل في جانب وبمعرفة الأسماء والصفات من جانب آخر يعرف الإنسان ربه ويهتدي به، والمعرفة عن طريق العقل تتم بالنظر والتأمل والتفكير)(٢). ويعبر المودودي رحمه الله عن جمال هذه العقيدة وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها (فهذه العقيدة هي روح ذلك النظام الذي اسس بنيانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومناط أمره وقطبه الذي تدور رحاه حوله وهذا هو الأساس الذي ارتكزت عليه دعامة النظرية السياسية في الإسلام)(٣).

لقد أسهمت القوة القدسية في تكوين الفكر الإسلامي هذه القوة المتضمنة القرآن الكريم والسنة النبوية أوجدت ترابطاً وثيقاً بين العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي التي استلهمت في الإبداعات الفكرية والسياسة التي ظهرت عبر التاريخ العربي الإسلامي، فلقد أمكن للرسالة الإسلامية.. أن تصبح الأساس الذي ارتبطت به كثير من الخطوط الرئيسة للتفكير السياسي الإسلامي فيما بعد، وكما هو معروف لدى دراسي التاريخ

(١) سورة آل عمران، الآية /١١٠

(٢) سيد سابق، العقائد، مرجع سابق، ص١٩.

(٣) المودودي، أبو الأعلى، نظرية الإسلام السياسية، دار العروبة للدعوة الإسلامية،ط١(باكستان،ب ت)ص٢٣.

العربي الإسلامي عموماً فان كل مفكر في هذا المجال إن لم يعتمد أساساً على العقيدة والرسالة الإسلامية فإنه لابد له ألا يتجاهلها ولا يخرج عنها[1].

كما وجدت هذه القوة الارتباط الوثيق بين العقيدة الإسلامية والعقيدة السياسية[2].ومن جانب ثان من التأثير فهو أن الرسالة الإسلامية أوجدت ارتباطاً ما بين العمل السياسي والعمل الديني من الناحية التطبيقية[3].

٢ـ الأمة المسلمة :

المسلمون كما وصفهم رسول الله ﷺ: (إنهم أمة واحدة من دون الناس) [4]. كما أراد لهم الله خالقهم ومخرجهم إلى الوجود﴿ مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5]. هذا هو المنشأ أما من حيث المستوى فقال تعالى بحق هذه الأمة﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[6]. أما من ناحية القصد والهدف فقد وصفهم رب العزة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾[7].(لقد أخرج الله هذه الأمة لتؤدي رسالة خاصة لم تكلف بها أمة من قبل. ولم تتهيأ لها أمة في التاريخ، فأما الأمم السابقة كلها فقد كلفت أن تستقيم لله في ذات نفسها فحسب) [8] .لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

(١) صادق، جهاد تقي(دكتور) الفكر السياسي العربي الإسلامي، ط١(بغداد/ ١٩٩٣م) ص٢١.

(٢) محمد، فاضل زكي، الفكر السياسي العربي الإسلامي، مرجع سابق،٢٥.

(٣) الريس، محمد ضياء الدين،النظريات السياسية الإسلامية، مرجع سابق، ص١٣.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية،٥٠١/١-٥٠٤ (البند الثاني من وثيقة الموادعة).

(٥) سورة الأنعام، الآية/١٦١.

(٦) سورة آل عمران، الآية/١١٠.

(٧) سورة البقرة،الآية/١٤٣.

(٨) قطب، محمد رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، دار الوطن للنشر (الرياض، ب ت) ص١٢١.

﴿ لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[1].

لقد كرم الله تعالى هذه الأمة بالإسلام وكلفها بالدعوة والشهادة وإعلاء كلمة الله ونشر العدل والفضيلة في الأرض هذا هو الأساس الذي يقوم به إسلامها، فهي تتحرك بهذا الدين ومن خلال حركتها تدعو ومن خلال حركتها تشهد ومن خلال حركتها تقوم بالدعوة والشهادة من الجهاد، ومن خلال حركتها يتكون فكرها الأصيل وبه تجول وتصول قام بهذه الحركة الجيل الأول الفريد وحققوا معنى الأمة بالمعنى الصحيح القائم على العقيدة والأخلاق وشمولية النظام والفكر الإسلامي،(فالإسلام منهج فكر ومجتمع وليس ديناً لا هوتياً... وهو إلى ذلكم الأرضية الفكرية والإطار العقلي والروحي للأمة صاغ لها وجودها ووحدتها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً فهي لا تنفك عنها) [2].(وإنها أمة تحمل السمات الحقيقية للأمة لأول مرة ربما للمرة الوحيدة في التاريخ... أمة تجمعها العقيدة رابطتها الأولى ورابطتها الأقوى) [3].

فلا رابطة أقوى من العقيدة ولا عقيدة أقوى من الإسلام ، وعلى يد هذا الأمة قامت حركة علمية واسعة واستوفى الفكر الإسلامي أسباب نضوجه وبيد هذه الأمة رفعت ألويه السرايا وجيوش التحرير والفتوحات وكانت بحق أرحم أمة في الحرب والسلام[4]. ومن هنا كانت القوة البشرية الحاملة للرسالة الإسلامية[5]. التي جمعتها الأخوة الإسلامية وما التحام المهاجرين والأنصار إلا دليل على صحته هذه الأخوة لذ اجتمعت

(١) سورة البينة، الآية/٥.

(٢) الجندي،أنور، الثقافة العربية،إسلامية وانتماؤها، دار الكتاب اللبناني،(بيروت، ١٩٨٦) ص٦٠.

(٣) قطب، محمد، رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص١٦٢.

(٤) لويون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلي(القاهرة،١٩٦٩م).

(٥) معروف، ناجي (دكتور) أصالة الحضارة العربية،ط٢، مطبعة التضامن(بغداد ١٩٦٩م) ص١٦٧.

كل هذه القوى العقيدة والأمة المتصفة بالخيرية لتشكل ركناً أساسياً من أركان القوى المكونة للفكر الإسلامي[1].

٣ـ التاريخ الحضاري :

ليس القصد هنا استعراض تاريخ الأمة الإسلامية، ولا حتى إبراز ملامحها فذلك يطول، وتختص به البحوث والدراسات التاريخية المتخصصة، إنما القصد هو إعطاء لمحات من تاريخ هذه الأمة التي كرمها الله بحمل الدعوة إلى عقيدة التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لبيان دور تاريخها في العطاء الفكري والحضاري كأحد مقومات الفكر الإسلامي [2].

لقد قدم علماء الأمة مفكروها ثروة (إنسانية) ثرة لا تزال زاداً نافعاً للبشرية للآن وسيبقى عطاء الفكر الإسلامي لمواجهة وتغطية الحاجات المستجدة للناس من خلال منهج الإسلام الشامل المتكامل ليشمل كل الجوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والأخلاقية أن أثر الفكر الإسلامي لا يقف عند الجانب العلمي وحدة، الذي كان من أعظم ثماره (المنهج العلمي التجريبي) بل امتد إلى مختلف نظريات الفكر السياسي والاجتماعي) [3].

وأن التاريخ كإحداهم المقومات للفكر الإسلامي يخبرنا بأن هذا الفكر هو الأكثر إبداعاً وأصالة، فقد تجاوز منطق أرسطو الذي لم يكن هو العامل في المنهج الإسلامي امتداداً للفكر اليوناني(النظري) فالفكر الإسلامي إبداع حقيقي في التفكير العلمي،

(١) محمد، فاضل زكي، الفكر السياسي العربي الإسلامي،مرجع سابق ص٢٥ وما بعدها. وينظر، صادق،جهاد الفكر السياسي العربي الإسلامي، مرجع سابق ص٢٢ وما بعدها.

(٢) الراوي، فؤاد محسن، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر العربي،ص٧٨.

(٣) الجندي، أنور، الثقافة والعربية، مرجع سابق، ص١٧٠.

ونظرته شاملة يطل بها على الكون العريض ونظامه الاجتماعي مستقل قوامةُ عقيدة التوحيد، في حين كانت فلسفة أفلاطون وأرسِطو تعبر بدقة عن طبيعة المجتمع اليوناني في مرحلة انهياره، وكان مجتمعاً قوامه الطبقية(فالفكر والتأمل والمتعة هي من نصيب (السادة) والعمل والفاقة من نصيب (العبيد)، وكانت فلسفة أفلاطون وأرسطو تعبر عن هذا الوضع تعبيراً دقيقاً"[1]. وفي هذا يستشهد محمد إقبال رحمه الله بقول بريفولت، بالقول: (فالعالم القديم – كما رأينا – لم يكن للعلم فيه وجود وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت علوماً أجنبية أخذوها عن سواهم ولم تتأقلم في يوم من الأيام فتمتزج كلياً بالثقافة اليونانية... إماما تدعوه (العلم) فقد ظهر في أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة.. وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ادخلها العرب إلى العالم الأوربي) [2].

فالتاريخ يمثل في الفكر الإسلامي عنصراً مهماً من عناصر القوة والبناء وقد حفل التاريخ الإسلامي بصفحات مشرقة ومواقف حافلة في مجالات متعددة أهمها:

١- نشر كلمة الله في الآفاق.

٢- نشر رواق العدل والإحسان.

٣- الجهاد والاستشهاد في سبيل الله وحماية الذمار والعقيدة.

٤- لا يحارب المسلمون إلا ضطراراً للدفاع أو في سبيل نشر الإسلام.

ولم يكن تاريخ الإسلام وحضارته هو تاريخ الملوك والأمراء، ولكنه تاريخ المجتمع كله، بمختلف عناصره وقواده وأبطاله فالتاريخ بصفة عامة هو تاريخ العقول والأحكام وجماع السياسة والدين والاقتصاد، وحصيلة الحركة العقلية والأدبية وكلها مرتبطة بالدائرة الفكرية الأوسع المستمدة من القرآن والسنة.

(١) الجندي، أنور، الثقافة العربية، مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٢) أقبال، محمد، الفكر الديني، ترجمة عباس محمود، ص٢٥٠.

فآيات القرآن الكريم صريحة في إعطاء الدور الرئيسي للإنسان في هذا المجال وجعلته مدار الحركة الحضارية وأوكلت إليه مهمة البناء والخلافة على هذه الأرض[1] . لقوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2].

وفي هذا يقول الدكتور محسن عبد الحميد: (ويقوم الإنسان بهذا الدور التاريخي من خلال عقله المدرك في عالم الشهادة وشعوره وتأمله وطاقته الكثيرة التي زوده الله تعالى بها لكي يصنع تاريخه... فبحركته من خلال حريته الملتزمة يتحرك التاريخ ويتطور الزمن)[3].

٣ـ خصائص الفكر الإسلامي :

أ ـ التكامل والشمولية :

لقد أكمل رسول الله ﷺ الدين وبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة و جاهد في الله حق جهاده قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى ونزلت آية الكمال ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[4].

قدم علماء الأمة للإنسانية منهجاً متكاملاً للحياة يشمل كل جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والخلقية.

لقد ظل الإسلام يحاول أن يحفر بأعمق ما يكون، هذه القضية الكبرى في قلب المؤمن وعقله وكيانه، ويمكن من خلال استقراء تاريخي حضاري دقيق القول أنه لم يقم مجتمع أنساني متكامل قبل الإسلام، أو لم تقم حضارة أو لم تقم دولة على أساس

(١) الراوي، الفكر الإسلامي، ص٨٢.

(٢) سورة البقرة، من الآية/٣٠.

(٣) عبد الحميد، محسن، المذهبية الإسلامية، مطابع وزارة التربية ط٤، (بغداد، ١٤٢٠هـ) ص٥٢.

(٤) سورة المائدة، الآية/٣.

التوحيد ألا لمدد قصيرة جداً في حياة البشر،ومن هنا كان لا بد للإسلام من حيث هو الدين الخاتم، والذي كان يخطط لقيادة البشرية أن يوضح العقيدة الصحيحة ويركزها تركيزاً مصيرياً واضحاً في الكيان الإنساني كله بحيث تتضح منهجيته عن الحياة وتتعمق جذور تفكيره العقلي السديد[1]، (إن الفكر الإسلامي يتصف بالشمولية بمعنى أنه ينظر إلى السياسة مثلاً كجزء من كل متكامل تتفاعل فيه الأجزاء فتؤثر وتتأثر ، لأن السياسة ومفاهيمها إنما تتأثر إيجابياً أو سلبياً بالأوضاع الدينية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية كما أن الفكر السياسي الذي وجد في القرآن الكريم لم يكن منفصلاً ولا متمايزاً عن الفكر الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي وهكذا يختلف الفكر الإسلامي عن أي فكر يفصل ما بين نواحي الحياة المختلفة)[2]. فالفكر الإسلامي يؤمن بتكامل وحداته وعناصره المختلفة والتقائها على الهدف الأساسي للفكر وهو بناء شخصية الفرد وبناء المجتمع.

وتلتقي فروع الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون على مفهوم متكامل أساسه بناء الفرد والجماعة ودفعها إلى التقدم والبناء والنمو وأداء الرسالة الإنسانية الأساسية التي يقوم الفكر الإنساني من أجل بنائها وحمايتها ودفعها إلى الأمام وعندما يتم هذه اللقاء يمكن لهذه الرسالة أن تحقق غايتها وهذا لا يتم إلا بوجود جو من التكامل بين هذه الفروع المختلفة من الفكر تستهدف غاية واحدة، وتقوم على أساس فهم واحد مستمد من القرآن والإسلام.

ومرجع ذلك أن الفكر الإسلامي يقوم على التكامل والشمولية فيجمع بين الدين

(١) عبد الحميد، المنهج الشمولي في فهم الإسلام، دار إحسان، ط١، ١٩٩٢ ص٩.

(٢) صادق، جهاد، الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق،ص٣٢، وينظر العطار ، حسن الوطن العربي دراسة مركزه لتطوراته السياسة،مطبعة سعد، ط١(بغداد، ١٩٦٦) ص٩٩.

والدنيا والعقل والقلب والعلم والدين والروح والمادة) [1].

(ولذلك فان مصادر علم الصحابة كانت شمولية وحركتهم ونظرتهم للحياة من خلال الإسلام كانت متكاملة متوازنة... لقد بنوا دولة الإسلام، وحققوا العدل في القضاء والسياسة والاقتصاد والحكم ولم يقفوا أمام أية مشكلة في الحياة دون حل موزون يحقق مقاصد الإسلام في الوجود) [2].

هذا المنهج الشمولي، لا بد أن يقود حركة الإنسان المسلم ومجتمعه في صيغ التغيير المستمر والحضارة المتجددة، وحين يكون الإنسان على فطرته التي فطره الله عليها فانه ينشئ حضارة متكاملة متوازنة.

(ولقد كانت المزية الكبرى للحضارة الإسلامية إنها أخذت الإنسان كله، بكل جوانبه، فكانت حضارة إنسانية حقاً، شاملة لكل المجالات التي يتحقق بها كيان(الإنسان) وكان أجمل ما في هذه الحضارة في ذلك التوازن الدقيق في داخل الكيان الإنساني وفي واقع الحياة) [3].

يقول الكاتب المسلم (ليوبولد فايس) أي(محمد أسد): حول اختلاف الفكر والتصور الإسلامي عن التصورات الأخرى: (يختلف أدراك العبادة في الإسلام عما هو في كل دين آخر الأديان في صورتها التي صارت إليه – فالعبادة في الإسلام ليست محصورة في إعمال الخشوع الخالص، كالصلاة والصيام مثلاً، ولكنها تتناول (كل) حياة الإنسان العلمية أيضاً) [4].

(١) الجندي، أنور، الشبهات والأخطاء الشائعة في الأدب والتراجم والفكر الإسلامي، ص١٠١، ١٣٠.
(٢) عبد الحميد، محسن المنهج الشمولي في فهم الإسلام، مرجع سابق، ص١٧.
(٣) قطب، محمد رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، مرجع سابق، ص١٧٤.
(٤) أسد، محمد، الإسلام على مفترق الطرق، من الترجمة العربية بقلم الدكتور عمر فروخ، ص٢١.

(إن هذا التصور – طريق خاصية الشمول في صورتها هذه – يمكن أن يعطينا – على الأخص – تفسيراً مفهوماً لانبثاق ظاهرة (الحياة) في المادة الصماء، إن هذا الكون يواجه الكينونة الإنسانية ابتداءً بوجوده: ويتطلب منها إدراكاً وتفسيراً لهذا الوجود، ثم يواجهها بتناسقه وتوازنه وموافقاته العجيبة – التي يستحيل أن تأتي بها المصادفة– فالمصادفة كذلك قانون يستحيل معه أن تتجمع هذه الموافقات كلها مصادفة) [1].

ويعد فان هذا التكامل والشمول – بكل صورة – للفكر الإسلامي يتفاعل مع أي جانب من جوانب الحياة المختلفة. لقوله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [2] .

ب ـ التوازن والوسطية :

عندما جاء الإسلام أمكن للعرب أن يذعنوا لأمر الله وأن يقيموا دولة ويبنوا كياناً واحداً ذا نسيج قوامه الإيمان والعمل ويرسي نظاماً عقيدياً وسياسياً واقتصادياً وتشريعياً يوصف بالواقعية والاعتدال ويعتمد التوازن والوسطية في حكم الحياة والتوازن في مقوماته والتوازن في إيحاءاته وتأملاته ونظراته إلى مخلوقات الله وبدائع صنعه في خلق الإنسان ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [3] وفي الكون ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ [4] .

والتوازن بين فاعلية (الإنسان) وفاعلية(الكون) وبين مقام الإنسان ومقام الكون،

---

(١) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي، طبع دار أحياء الكتب العربية، ط٢، (حلب، ١٩٦٥م) ص١٠٩.
وينظر: أكريس موريسون، كتاب العلم يدعو إلى الإيمان ، ترجمة محمود صالح الفلكي، طبع مكتبة النهضة، ط١، (القاهرة، ١٩٦٣م) ص١٩٤.

(٢) سورة يس، الآية/١٢.

(٣) سورة الذاريات، الآية/٢١.

(٤) سورة الملك، الآية/٣.

وقد سلم الفكر الإسلامي في هذه المعادلة والموازنة من جميع التقلبات والانحرافات التي صاحبت الفكر البشري الذي يفتقر إلى قاعدة التوازن، وهذا ربعي بن عامر يعبر بجلاء عن هذه الوسطية والتوازن في الفكر والمعتقد والمقصد من الدين الجديد والنظام الجديد فلخص ذلك كله بكلمات معدودات مخاطباً رستم فقال: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العبادة إلى عبادة الله الواحد القهار، من ضيق الدنيا إلى سعتها، من جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلناه منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً، حتى تفضي إلى موعود الله، قالوا وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى) [1].

هكذا عبر ممثل جيش المسلمين عن عدل الإسلام واعتداله ووسطيته وتوازنه..

(فالإسلام هو منهج الاعتدال ويكون بإعطاء كل ذي حق حقه فللجسد حقوقه في الحياة ولروح حقوقها ولا إفراط ولا تفريط ولا تعارض بين حظوظ الدنيا المشروعة وطلب حظوظ الآخرة العظيمة.. وفي منهج الوسط الذي لا إفراط ولا تفريط تسير الحياة السعيدة في هذه الدنيا وهذا هو منهج المسلم العارف بدينه اللتزم بتعاليمه ووصاياه) [2].

وينعكس منهج الوسطية والاعتدال على الفكر الإسلامي لتكون سمة من سماته وإحدى أبرز خصائصه المهمة في التوفيق بين الناحيتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية.

والفكر الإسلامي في توازنه ووسطيته يكون بعيداً عن التطرف من ناحية الجمود والانطلاق غير المنتظم.. وهو تطور وثبات في نفس الوقت والحضارة تقوم على أساس من

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٨/٨.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير، الاستشراق الاستعمار، العلم،ط٢(دمشق، ١٩٨٠) ص٤٤٨.

الفكر الإسلامي الذي يستمد مقوماته من القرآن الكريم فأول مقومات الحضارة الإسلامية الجوهرية إنها تستمد من الإسلام وعقيدة التوحيد التي تقوم على الموازنة بين الروح والمادة والعلم والدين والقلب والعقل والدنيا والآخرة، ويقوم نظامها السياسي على الشورى والمساواة واحترام حقوق الإنسان وتقوم الأسرة على من في مجتمعها على المودة والرحمة ويقوم اقتصادها على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية. غير المستغلة أو المعطلة للصالح العام، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1].

يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية الكريمة: (وإنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد،أو من الوسط بمعناه المادي والحسي... أمة وسطاً في التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي.. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال، أمة وسطاً في التفكير والشعور.. ولا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة... ولا تتبع كذلك كل ناعق ومقلد، وإنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أني وجدها أخذها في تثبت ويقين)[2].

جـ - المثالية الواقعية :

لقد مدح رسول الله ﷺ جيل الصحابة رضوان الله عليهم والجيل الذي يليه ... بقوله:

(1) سورة البقرة، الآية /١٤٣. وينظر الجندي، الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها، ص٢٤٧ وما بعدها.
(2) سيد، قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، مج١،ج٢، ص١٤-١٥.

(خيركم قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) [1]. أنه الجيل الذي تم فيه اللقاء بين المثال والواقع، فترجم مثاليات الإسلام إلى واقع وارتفع بالواقع البشري إلى درجة المثال. والمثالية الواقعية أو الواقعية المثالية من أبرز خصائص هذا الدين، والفكر الإسلامي الذي تلتقي فيه المثالية التي لا تهمل الواقع بالواقعية التي لا تهمل المثال ويكون من نتائجها – في أعلى حالاتها – ذلك الجيل المتفرد في التاريخ) [2].

(والمتأمل في أسس الإسلام ومبادئه وأحكامه وشرائعه ووسائل تربيته للناس وتوجيههم لفعل الخير وترك الشر، والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، يلاحظ فيه عناصر ثلاثة) [3].

العنصر الأول: الدعوة المثالية والدفع إلى نشدان الكمال المطلق.

العنصر الثاني: التطبيقات الواقعية الملائمة للواقع الإنساني.

العنصر الثالث: الوسائل المنسجمة مع الخصائص الإنسانية.

يقول الجندي: (ومن أبرز معالم الفكر الإسلامي أنه يجمع بين المثالية والواقعية وأنه يحتفظ بالعمل في صميم الحياة العامة ولا شك أن لفكرنا الإسلامي رسالة وهدفاً وطريقاً مفتوحاً قادراً على الحركة والتطور، ومواجهة الأحداث والأزمنة والبيئات والحضارات المختلفة أنه روحي ومادي جامع... ويقوم بين المحافظة والتطور ويجمع بين التحليل والتأليف ويمزج بين الواقعية والقيم ويتسم بجرأة الفكر وحرارة الشعور)[4]. أما سيد رحمه الله فيقول: (وفي طبيعة الفكر الإسلامي ذاته ما يحفز

(١) النووي، رياض الصالحين، مصدر سابق، متفق عليه، البخاري، ١٩٠/٥-١٩١ ، ومسلم ٢٥٣٥ ص١٩٨.

(٢) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ١٥/١.

(٣) الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص٤٣٢.

(٤) الجندي، أنور، الثقافة العربية، مرجع سابق، ص٣٥٣.

الإنسان لمحاولة الحركة الإيجابية لتحقيق المنهج في صورة واقعية.. فالمسلم يعرف من تصوره الإسلامي إن الإنسان قوة إيجابية فاعلة في الأرض،وأنه ليس عاملاً سلبياً في نظامها، فهو مخلوق ابتداءً ليستخلف فيها وهو مستخلف فيها ليحقق منهج الله في صورته الواقعية) [1].

وفي هذا يقول الدكتور محسن عبد الحميد: (إن الفهم الصحيح لمسائل العقيدة الإسلامية لا بد أن يستند إلى القرآن والسنة وعدم محاولة التعمق الكلامي في الغيبيات التي تبعد العقول المسلمة عن واقع المادة وتقحمها في الانحرافات والاختلافات، بل ظهرت قضايا أخرى تعالج المشكلات الإنسانية المتنوعة التي تتصل بحركة الحياة الواقعية) [2].

أما الدكتور عماد الدين خليل فيعقد مقارنة بين الفكر الإسلامي والأفكار الوضعية فيقول: (وبينما تسعى معظم المذاهب التفسيرية والمعطيات الفكرية للوضعيين إلى تصور عالم ولا صراع فيه (كالهيغلية في مرحلة تجلي. المتوحد. والماركسية في مرحلة البرولتياريا) يسود السلام فتتجاوز بهذا واقعيتها وعلميتها، وتغفل عن الأساس الدائم في تاريخ البشرية والمولد الأبدي لحركته الحضارية، وتتناقض تناقضاً أساسياً مع مذاهبها – هي نفسها – التي بدأت بالحركة وآلت. إلى سكون غير واقع ولا ممكن وبينما يحدث هذا مع المنهج الوضعي.. إذا بالقرآن ينطلق من (موقف) واقعي– إذا صح التعبير– لأنه يتحدث عن تجارب واقعة وينبثق عن رؤية تجمع الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل) [3].

(١) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص١٨٦.

(٢) عبد الحميد، محسن، تجديد الفكر الإسلامي، مرجع سابق ، ص ١٣٤.

(٣) خليل، عماد الدين(دكتور)، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٤، (الموصل، ١٩٨٦م) ٢٤٥.

ويؤيد هذا التصور وتلك الواقعية كاتب إسلامي آخر بقوله: (هذه الخاصية المهمة من خواص الفكر الإسلامي ، تعد تصوراً يتعامل مع الحقائق الموضوعية، ذات الوجود الحقيقي المستيقن والأثر الواقعي الإيجابي لا مع تصورات عقلية مجردة ولا مع (مثاليات) لا مقابل لها في عالم الواقع، أو لا وجود لها في عالم الواقع) [1].

ويبقى الفكر الإسلامي تكتنفه هذه السمات والخصائص المتأتية من خيرية هذه الأمة ومنهجها الرباني الذي بنت به أفضل حضارة سعدت بها البشرية قروناً عديدة.

(إن الحركة العلمية نشأت في ظل العقيدة، وأن هذه المزية التي تفردت بها الحركة الإسلامية هو المنهج الصحيح في العلم، الذي استمده المسلمون من منهجهم الرباني فسعدت بها البشرية حيناً من الزمان غير قصير... من خلال المنهج العلمي والقدرة الواقعية) [2].

ثالثاً : فلسفة الجهاد في الفكر الإسلامي :

يعتقد العلماء المسلمون أن الله تعالى خلق الكون مسخراً لصالح الإنسان لقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [4].

---

(١) قطب، سيد، الخصائص، مرجع سابق، ص١٩٠.

(٢) قطب، محمد، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص١٦٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآية/الآيات من ٣٢-٣٤.

(٤) سورة الحج، الآية/٦٥.

لقد سخر الله تعالى كل مادة الكون للإنسان من الذرة إلى المجرة، وجعله مستخلفاً في الأرض ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1]. وأوجب عليه أقامه الحق والعدل وعمارة الأرض ، والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[2].

فقصص الأنبياء في القرآن يمثل موكب الإيمان في طريقة الممتد الواصل الطويل ويعرض قصة الدعوة إلى الله واستجابة البشرية لها جيلاً بعد جيل، كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم... ويستعرض موكب الحياة،بل موكب الوجود كله، ثم يتحدث عن الأرض في معرض آلاء الله على الناس – فيقرر أن الله تعالى خلق كل ما فيها لهم... فهنا في هذا الجو تجيء قصة استخلاف آدم في الأرض، ومنحه مقاليدها على عهد من الله وشرط وإعطاؤه المعرفة التي يعالج بها هذه الخلافة، كما أنها تمهد للحديث عن استخلاف بني إسرائيل في الأرض بعهد من الله ، ثم عزلهم عن هذه الخلافة وتسليم مقاليدهم للأمة المسلمة الوافية بعهد الله[3]. فالمشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود (الإنسان) زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات وتسخير هذا كله – بآذن الله – في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه. وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقة

(١) سورة البقرة، الآية/٣٠.

(٢) سورة هود، الآية/٦١.

(٣) الطبري، مختصر تفسير، ٦/١ وابن كثير ٧٠/١ وفي ظلال القرآن مج١ ج٦٤/١.

الكامنة، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية وإذن فهنالك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض – وتحكم الكون كله- والنواميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته،كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة[1].

١ـ الجهاد عقيدة للحوار الفكري :

فالقرآن الكريم يرى أن طاقات الإنسان محايدة يمكن توظيفها في الخير والأعمال ويمكن استخدامها للفساد والشر.

قال تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[2]. يقسم الله سبحانه وتعالى بالنفس وتسويتها وإلهامها .. هذه الآيات الأربع، إلى الآية ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾[3]. وآية سورة الإنسان: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾[4].... تمثل قاعدة النظرية النفسية للإسلام .. وهي مرتبطة ومكملة للآيات التي تشير إلى ازدواج طبيعة الإنسان... كما إنها مرتبطة ومكملة للآيات التي تقرر التبعة الفردية: كقوله تعالى في سورة المدثر: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ ﴾[5]... والآيات التي تقرر أن الله تعالى يرتب تصرفه بالإنسان على واقع هذا الإنسان كقوله تعالى في سورة الرعد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ

(١) الطبري، مختصر التفسير، ٦٥/١.

(٢) سورة الشمس، الآيات/٧-١٠.

(٣) سورة البلد ، الآية/١٠.

(٤) سورة الإنسان، الآية/٣.

(٥) سورة المدثر، الآية/٣٨.

مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2]. فأول صورة طرحها الإسلام هي صورة الجهاد الفكري، فالمسلمون في مستهل ظهور الإسلام كانوا محرومين كلياً من حرية الرأي ولم يطالبوا إلا بمنحهم حق اعتناق عقيدتهم بسلام وحريتهم بالدعوة وحريتهم فقد قضت مشيئة الله تعالى وجرت بها سنته، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر، وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذا السنة بسلوكهم ، والنصح صريح في هذا ألا يحتمل التأويل، وهو يحمل كذلك – إلى جانب التبعة- دليل التكريم للإنسان المسلم الذي اقتضت مشيئة الله ، أن يكون هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه.

والواقع لم يكن منطق الجهاد بالحوار والمناظرة في الفكر الإسلامي منطقاً تحكمه الظروف بل كان ثابتاً على الدوام وبالفعل كان الحوار والدعوة بالحكمة هو أساس الجهاد مع أهل الكتاب ومع غيرهم وبقي الجهاد من مخصوصات فلسفة الجهاد في الفكر الإسلامي والارتفاع بقيمة الإنسان حيث تجعله أهلاً لاحتمال تبعة اتجاهه.

ودعوته وتلقي على هذا الإنسان تبعة مصيره إن لم يتبع دعوة الحق لكي (تشعر هذا الإنسان بالحاجة الدائمة للرجوع إلى الموازين الإلهية الثابتة)[3].

بعد ذلك يجيء البيان عن الجهاد بصفة عامة، بعد أن كانوا مكفوفين عن دفعه، وهم في مكة وقيل لهم ﴿ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[4]. وكان يراد

(١) سورة الرعد، من الآية/١١.

(٢) سورة النحل ، الآية/١٢٥.

(٣) قطب، سيد، تفسير في ظلال القرآن ، مج٦، ج٣٩١٦/٣.

(٤) سورة النساء، الآية/٧٧.

من هذا الكف:

١- تطويع نفوس المؤمنين من العرب للصبر امتثالاً للأمر؟

٢- خضوعاً للقيادة وانتظاراً للأذن، حيث كانوا قبل الإسلام شديدي الحماسة، يستجيبون لأول ناعق ولا يصبرون على الضيم.

ويبين الله عز وجل في هذه الآية صورة ممن لا يأخذ ما أمر الله به ورسوله مأخذ القبول والتنفيذ لا مأخذ التردد والاستفسار عن الأسباب فان تلك الأوامر من الله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وما تصلح به أحوال المسلمين والحكيم الذي يقدر الأمور في محالها ويهيئ للمؤمنين ما يفوزون به في الدنيا والآخرة... ولهذا فان مثل هذا الصنف من المؤمنين ممن لا يدركون الضعف في نفوسهم ولا يتمنون الأذى الذي يصيبهم من أعداء الإسلام تنبعث فيهم فوره الحماس والنقمة على الأعداء والرغبة الجامحة في الانتقام من أعداء الإسلام على عجل ونرى في أسلوب كلامهم حدة وحماساً وفي نظرتهم إلى الصنف الآخر من المؤمنين العقلاء، المدركين لحقيقة المعركة بين الإسلام والكفر وبين المسلمين وأعداء الإسلام يدركون ذلك بعقل وحكمة وثبات وانتظام لم ينعم عليهم الله عز وجل من القوة والمنعة وأسباب الجهاد الذي ينالون فيه الجنة ورضا الله[1].

وقد يأتي القتل عليهم لو تعرضوا لقتال المشركين في صورة ذات قيادة حربية ظاهرة، فشاء الله أن يكثروا، وأن يتحيزوا في قاعدة آمنة، ثم أذن لهم بعد هذا في القتال، وسارت أحكام القتال بعد ذلك متدرجة وفق مقتضيات الحركة الإسلامية في الجزيرة (ثم خارج الجزيرة) هذه الآيات المبكرة في النزول قد تضمنت بعض الأحكام الموافقة لمقتضيات الموقف في بدء المناجزة بين المعسكرين الأساسين معسكر الإسلام ومعسكر

(١) عبد الله، عبد القهار داود، تفسير القرآن الكريم،ص٨٠-٨١.

الشرك- لقد جاءت هذه العقيدة في صورتها الأخيرة ممثلة لفلسفة الجهاد في الفكر الإسلامي ولتكون قاعدة للحياة البشرية في الأرض من بعدها، ولتكون منهجاً عاماً للبشرية جميعاً ولتقوم الأمة المسلمة بقيادة البشرية في طريق الله وفق هذا المنهج المنبثق من التصور الكامل الشامل لغاية الوجود كله ولغاية الوجود الإنساني كما جاء في القرآن الكريم[1].

٢ـ الجهاد عقيدة قتالية دفاعية :

الصراع ظاهرة اجتماعية صرفة – وليست ظاهرة طبيعة أو فطرية لذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[2].

أي الشرك والعدوان والطغيان لذا يقول الرازي رحمه الله (ما أشد ثقل القتل لولا الفتن)[3].

ولما كان الإسلام: عقيدة كونية وشريعة عملية تهدف إلى التعبير الأشمل للحياة والحضارات نحو التسامي الإنساني، إلا إنها لا تتنكب للواقع الإنساني، فإنها خطاب دائم للإصلاح والتغيير بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار بالتي هي أحسن فإذا لم يتم ذلك وتعرض كيان الحق للعدوان فان لها تصورها في مجابهة هذا التعويق لحرية العقيدة وممارسة العدوان عليها فإذا هدرت العدالة والحرية، والحق ، ومورس العدوان فان ذلك يعد جريمة فأعطت للمعتدي عليه حق الدفاع بقول تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[5].

(١) قطب، سيد، تفسير الظلال، مج١ ،ج٢،ص٩٦.
(٢) سورة البقرة من الآية/١٩١.
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣٠/٥.
(٤) سورة الحج، الآية/٣٩.
(٥) سورة البقرة من الآية/١٩٠.

وقد أمر الله تعالى بأعداد القوة فقال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1]. فكانت معركة بدر الكبرى سنة(٢هـ) بعد أن مورس العدوان والحصار على الكيان الإسلامي الفتي، يقول الرازي رحمه الله: (وهذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو) [2].

ويقول القاسمي رحمه الله (ومتى ترك هذا الأعداد فجميع المخاطبين بها آثمة بترك هذا الفرض) [3]. والمراد بالأعداد والقوة خلق الرادع للعدوان إذ يكون التصور في الفكر الإسلامي هو أن الإسلام هو الأصل وأن الدفاع عن الحقوق والمصالح المشروعة حق استثنائي مقيد بالضرورة كالدفاع عن حق المسلمين في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا يقول الزاهد[4]، (إن استخدام القوة في الإسلام مقيدة مشروعيته بتحريم العدوان وأن:

١- الأصل الذي ترتكز عليه فلسفة الجهاد في الإسلام، إن الإسلام هو الأصل وأن التعاون والبر هو الوشيجة، ولأن الإسلام تصور كوني شمولي جعل – امتلاك القوة – أمرا رادعاً ولم يأمر باستخدامها إلا إذا تعرض للعدوان.

٢- إن الجهاد يعد خطاباً ألهياً إصلاحياً تغييرياً عاماً معتمد على الحوار البرهاني.

٣- إن الجهاد في الإسلام حق وواجب لمقاومة جميع أشكال الشر والفساد[5]. وأن العمل البناء يدخل في مقولة الجهاد وقد سمى (بالجهاد الأكبر) [6]. وتجده كثيراً ما

(١) سورة الأنفال، الآية/٦٠.
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٨٤/١٥.
(٣) القاسمي، محاسن التأويل، ج٣٠٢٢/٨.
(٤) زاهد، عبد الأمير كاظم (دكتور) بحث في (الصراع في الفكر العربي الإسلامي) ضمن ندوة بيت الحكمة ٨-٢٠٠٢/٩/٩.
(٥) الزحيلي، وهبة، آثار الحرب، ص٢١.
(٦) البيضاوي، أنوار التنزيل ، ٢٤١/٢.

يردف بلفظ (في سبيل الله). وأن الباعث على الجهاد في الفكر الإسلامي هو:

١- الاستمرار في عملية بناء الإنسان والحياة وإقامة الحق والعدل وإرساء الاستقرار والسلام.

٢- نصرة وإغاثة المظلومين لقوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾[1].

٣- رد البغي وإجهاض النزعة المفسدة .

٤- ضمان حرية العقيدة ومنع الفتنة في الدين.

٥- دفع الاعتداء الواقع أو الوشيك على المسلمين[2].

٦- ارتبط الجهاد بطلب الشهادة وابتغاء مرضاة الله تعالى فقد جاء في حوار عبادة بن الصامت رضي الله عنه مع المقوقس عظيم مصر: (إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله وإيقاع رضوانه، وليس غزونا عدواً فمن حارب الله رغبة في الدنيا ولا حاجة للاستكثار منها.. لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليلة ونهاره وشمله يلتحفها... لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء إنما النعيم والرخاء في الآخرة)[3]. لقد عبر ابن الصامت رضي الله عنه في كلماته هذه أبلغ تعبير عن فلسفة الجهاد في الإسلام وهكذا كان إعلان الحرب على المسلمين لإجهاض عقيدتهم وأبادتهم إيذانا بتطور فكرة الجهاد لديهم من جهاد فكري إلى جهاد قتالي دفاعاً عن العقيدة ومنع الفتنة وإرضاء لله تعالى وإعلاء لكلمته. وبناء على ذلك يكون الجهاد من أركان الإسلام أو

(١) سورة النساء، من الآية ٧٥.

(٢) الكبيسي، خليل ، السلام الدولي في الإسلام، ص ٥٤٦.

(٣) ابن تغري، بردي يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ص١، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م)١٣/١.

شرطاً للإيمان به حتى عد فرض عين إذا كان نشراً للدعوة أو الدفاع عن العقيدة والأوطان والذمار وضمان سلامة المسلمين وأموالهم من خطر أعداء الله، ويكون فرضاً كفائياً إن كان الخطر أقل من ذلك أنه واجب على من يكون قادراً عليه[1] .

وبالنظر لما تقدم فان الجهاد في الفكر الإسلامي يبدأ كعقيدة قتالية حيث يبدأ العدوان، لقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[2] وينتهي القتال بدفع العدوان لقوله عز وجل: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[3]. أو بطلب السلم لقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾[4].

وبناء على ذلك فان الإسلام لم يأذن بالحرب إلا دفعاً للعدوان، وحماية للدعوة، ومنعاً للاضطهاد، وكفاية لحرية التدين فإنها حينئذ تكون فريضة.. ويطلق عليها، الجهاد)[5]. ومن خلال كل ما تقدم يمكن التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

١- المبادرة للقتال لا تكون إلا بعد استنفاد الوسائل السلمية كافة مما قد يحول دون الحرب[6]

٢- أن ينذر العدو إنذاراً نهائياً بعد استخدام الوسائل السلمية كافة ويتضمن السبب والشروط التي تجنبهم الحرب، ومنها عقد معاهدة سلام يقطع بها عدوانه،فقد

(١) محمود/ ضاري خليل (دكتور) بحث بعنوان(الجهاد من الفكر العربي الإسلامي إلى القانون الدولي) ندوة بيت الحكمة ٨-٢٠٠٢/١/٩.

(٢) سورة البقرة، الآية١٩٠.

(٣) سورة البقرة، الآية١٩٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية/٦١.

(٥) سابق سيد، فقه السنة، دار البنان، الطبعة الشرعية السابقة(بيروت، ١٩٨٥م) ج٢ ص٦٣٢.

(٦) أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام ص٩٤.

كان النبيﷺ يوصي أمراء السرايا بالقول(إذا لقيت عدوك فادعه إلى ثلاث فآيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فان أبوا فسلهم الجزية، فان أبوا فاستعن بالله وقاتلهم) [1]. يقول ابن عباس رضي الله عنه : (ما قاتل رسول اللهﷺ قوماً قط إلا دعاهم[2]. أقام عليهم الحجة[3]).

٣- يحرم الابتداء بالقتال بالأشهر الحرم(٤أشهر) إلا أن يبدأ الخصم القتال فيها[4].

٤- يحرم القتال في الأماكن المقدسة(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) [5].

٥- تحريم الغدر والغلول والتمثيل وقتل الشيوخ والنساء والأطفال.. لقولهﷺ (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً...) [6] هذه أمثله من الثوابت والأحكام وآداب الجهاد في الفكر الإسلامي:

٣ـ الجهاد بناء إنساني وحضاري :

يعد الجهاد في الإسلام إيذاناً بتغيير شامل للحياة البشرية التي كانت تعتمد على الشرك والطغيان والتحريف في الدين وتشجيع الرذائل، وكان هذا التغيير يقتضي نفيراً عاماً في الداخل بتصفية النفوس وتربيتها على التوحيد وبناء المجتمع الإسلامي الموحد،

(١) السمان، الإسلام والأمن الدولي، ص٢٠٦.

(٢) الشوكاني، نيل الأوطار، ٧٢/٣.

(٣) أبو يوسف، الخراج ، ص٢٠٧.

(٤) سورة البقرة، الآية/١٨٧.

(٥) سورة البقرة، الآية /١٨٧.

(٦) مسلم، الصحيح، ١٣٥٧/٣-١٣٥٨، الحديث ٣ من كتاب الجهاد.

العالم، العابد القوي في مسارات الحياة كلها لتقديم مجتمع رباني سعيد نموذجاً للبشرية، وتهيئته لمواجهة الأخطار الخارجية، التي تمثل الباطل ضد الحق الذي جاء به الإسلام. ومن هنا جاء تشريع الجهاد العام الشامل ضرورة لبناء مجتمع التوحيد والحق والتغيير الصحيح[١] . وشكل الجهاد ركناً متيناً من أركان الإسلام، مشى مع موكب الإسلام من أول ظهوره مروراً بالعصور المتتابعة، وأنشأ حضارة إسلامية زاهرة أنارت للبشرية جميعاً دروب الحياة[٢].

لقد صار لمفهوم الجهاد منذ مرحلة مبكرة من عمر الدولة العربية الإسلامية أوسع مما كان عليه لا سيما بعد فتح مكة فقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) [٣]. فقد جمع عليه الصلاة والسلام بين الفعل الجهادي وبين النية وهي الإخلاص في العمل لله تعالى. وكأنه عليه الصلاة والسلام بين الفعل الجهادي وبين النية وهي الإخلاص في العمل لله تعالى. وكأنه عليه الصلاة والسلام يشير في هذا الحديث إلى أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة بعد دخولها في دار الإسلام أي الدولة العربية الإسلامية. فعلى هذا الأساس صارت عملية المجاهدة هي الإخلاص في الجهاد للقتال في دار الكفر. ويرتبط بما تم ذكره تفسير الأزهري للجهاد فانه فسره تفسيراً واسعاً يدخل فيه عنصر الجهد المبذول لبلوغ غاية الأمر الذي لا تألو على الجهد فيه[٤]... وانطلاقاً من هذا المفهوم الواسع جاء في الحديث الشريف أن الرسول ﷺ بعد

---

(١) عبد الحميد، محسن (دكتور) بحث بعنوان(الجهاد والوعي بالمستقبل) ندوة بيت الحكمة للفترة من ٨-٢٠٠٢/١/٩.

(٢) عبد الحميد، محسن(دكتور) مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، دار عمار، (عمان،٢٠٠٠م) ٢٤٠ وما بعدها.

(٣) البخاري، الصحيح، ٢٠٠٠/٣ ومسلم، الصحيح، ١٤٨٧/٣.

(٤) ناجي، عبد الجبار، (دكتور) بحث بعنوان(الجهاد والرد العسكري والبناء الحضاري، ضمن ندوة بيت الحكمة من ٨-٢٠٠٢/١/٩.

رجوعه من غزوة تبوك فقال(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر[1] . وهذا الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير بلفظ: (قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: مجاهدة العبد هواه) [2]. وقد وصف الرسولﷺ هذا الجهاد الأكبر لأنه المعنى العام والمهم والدائم للمجاهدة، وهذا حقاً لا يتماشى كلية مع المفهوم الذي أصبح شائعاً عن الجهاد بمعنى الجهاد الأصغر، أي مرحلة قتال الأعداء، فبناء النفس الإنسانية بناءً جذرياً يعد بالفعل الجهاد الحضاري البناء إنها مرحلة بناء الإنسان والجماعة المسلمة ، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[3].

لئن كان معلوماً بأن الشهادة في سبيل الله هي أعلى أشكال الجهاد بمفهوم العقيدة فان مما يؤكد بأن الجهاد ينطوي على مفهوم آخر أساسي في الفكر الإسلامي، إن الإسلام أعطى الشهادة معاني لا ترتبط فقط بالموت في سبيل الله. ذلك أن معاني الشهادة الأخرى، الفعل الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي الذي يحقق نفعاً وسعادة للناس، فقد ورد في حديث الرسولﷺ أنه قال لأصحابه بعد الفراغ من جهاد قتالي لقد انتهى ، (الجهاد الأصغر) وبدأ (الجهاد الأكبر) [4]. وهو العمل الصالح البعيد عن الجور والهوى والظلم.

---

(١) أبو السعود، تفسير، ٤٦/٤، حيث جاء تفسير: (وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ) الحج : من الآية ٧٨. أي أعداء الدين الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس.

(٢) السيوطي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥١١/٤.

(٣) سورة التوبة، الآية/١١١.

(٤) سبق تخريجه.

فالفعل الصالح الجهاد في ذاته وفي الحديث عن جابر بن عتيك أن النبيﷺ قال: (الشهادة سبع – سوى القتل في سبيل الله – المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد ، وصاحب الحرق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة) [1].

إن الله تعالى يحدد آجال الناس كلهم في هذه الحياة فيفارقونها وتوارى أجسامهم في التراب ولكن الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله لا تنقطع حياتهم على الرغم أنهم في الظاهر يموتون كغيرهم وتوارى أجسادهم التراب، بل ينتقلون إلى الحياة الحقيقية لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾[3]. على وفق هذه الآيات كان المجاهدون ينذرون نفوسهم وأرواحهم للجهاد فهو فرض عين تارة وفرض كفاية تارة أخرى والأول هو أساس ديمومة الجهاد في قتال العدو ورد عدوانه أنه أمر واجب على كل مسلم ولما كان الاتجاه الجماعي في الجهاد فرض عين، فان تطبيق اللازم على المسلمين يأخذ اعتبارات عديدة شاملة للأعمار والمهن والحرف والصنائع. إذ ليس المقصود به تحديداً استعمال السلاح في معركة. فالإسلام عد المشورة من الشيوخ الكبار الذين لا يستطيعون حمل السلاح جهاداً كما عد الشاعر الذي ينظم قصائد الحث على القتال وإثارة الحماس في نفوس الجند جهاداً وعد الإبداع العلمي في شتى الميادين جهاداً

(١) البخاري، الصحيح، ٢٩/٤ ومسلم الصحيح، ٦٢/١٣ والترمذي، الجامع الصحيح ٣٧٧/٣-٣٧٨ والنسائي السنن، ٨٢/٤ ، ٣١/٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية١٦٩.

(٣) سورة النساء، الآية٧٤.

فعلماء الأمة حين يدعون الناس إلى الاستماتة في مجابهة الظلم والعدوان إنما هم مجاهدون والعلماء في حقول صناعة السلاح وتطوير الصناعات في بلادهم مجاهدون أيضاً وهكذا صار الجهاد فرض عين عسكرياً وحضارياً.

فالجهاد عامل مساعد على نشر الإسلام وبناء الحضارة الإسلامية والحفاظ على حدود الدولة العربية الإسلامية، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تحرير قيسارية في جبهة الشام وشحنها برجال حافظوا عليها ثغراً للمسلمين وكذلك الأمر في إنطاكيا التي رابط بها مسلمون من ذوي النجدة والبأس منحهم الخليفة رضي الله عنه، العطاء من أجل ذلك)[1] . ولهم من الله جزيل الأجر لقوله ﷺ (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل)[2].وقولهﷺ(رباط في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها...)[3]. لقد كان أهالي الربط يقضون وقتاً طويلاً من حياتهم اليومية في تلاوة القرآن الكريم وإقامة العبادات من صلاة وصيام، وتحولت الربط بمرور الزمن إلى مراكز ثقافية ومحطات حضارية يأوي إليها التجار والحجاج وأهل العلم.

فالمجاهد أمام واجبين مقدسين ومهمين ولا سيما وأنه كان يعاصر ظروفاً ومستجدات خطيرة أوجدتها التحديات العسكرية والسياسة المحدقة بالدولة العربية الإسلامية من جانب أقوى قوتين إلا وهي البيزنطية والفارسية وما فرضه وجودها من مخاطر عسكرية، وفي الجانب الأخر كان إمام واجب حضاري هو التعليم والتفقه بأحكام الإسلام ومبادئه. ويصفهم (جاسوس رومي) أفلت من قبضة المسلمين ويقول لقائده: (هم رهبان في الليل، ليوث بالنهار... الحق عندهم غالب وأميرهم كأضعف من فيهم، إلا أنه

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤٧، ١٥٣.

(٢) الترمذي، الصحيح،١٦٦٧ وأخرجه النسائي ٤٠/٦.

(٣) البخاري، الصحيح ٦٤/٦،١١، مسلم، الصحيح (١٨٨٨) وأخرجه الترمذي، ١٦٦٤.

مطاعاً عندهم... مناهم القتال، وشهوتهم النزال ومرادهم أن يموتوا شهداء في قتالكم)[1]. وعلى ذلك فإن معاني الجهاد ما يرتبط بالفعل الإنساني والاجتماعي والأخلاقي تحقيقاً لأهداف إنسانية وحضارية وأن ما يجب الانتباه له أن الفكر الغربي الاستعماري يريد إفراغ الجهاد الإسلامي من فلسفته الشمولية الإنسانية والحضارية والمساواة بين الجهاد باكسائه لبوس (الحرب المقدسة) وبين الحروب الصليبية التي أثيرت تحت مفهوم (الحرب المقدسة) وإثارة حرب دينية بين المسلمين وبين النصاري في العالم كغطاء لأهدافهم المشبوهة وسخر لهذا المخطط من أعلنها حرباً صليبية ومدنسة ضد الإرهاب العربي الإسلامي[2]. بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م ، متحدياً كل القيم والأخلاق والأديان السماوية ومخترقاً لكل الأعراف والقوانين الدولية. وهكذا فأن الغرب لا يكتفي بأن ينطلق في منظوره العدواني من خلفية تاريخية سبق لها أن بلورت عقيدة تاريخية عززتها المرحلة الاستعمارية والغزو والاحتلال الصهيوني لفلسطين. بل إنه يمضي أبعد من ذلك في تطبيق نظرية هينجتون في صدام الحضارات ونظرية فوكوياما في نظرية نهاية التاريخ.

وكلاهما حاقدين على الإسلام وحضارته وهما يؤلبان الغرب للقضاء على الإسلام والمسلمين بحجة أن الإسلام والحضارة الإسلامية يشكلان خطراً على الحضارة الغربية المسيحية – اليهودية. وأن الصراع حتمي بين الغرب والعالم الإسلامي. وهو ما تنبأ به الرئيس الأمريكي السابق نيكسون متأثراً بما يوحيه مستشاره لشؤون الأمن القومي

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، جـ١٢٣، وينظر ابن كثير البداية والنهاية، ج٧، ص٨ وينظر يوسف غوانمة معركة اليرموك (إربد، ١٩٨٥) ص٥٣.

(٢) محمود. ضاري خليل، بحث (الجهاد من الكفر العربي الإسلامي إلى القانون الدولي) في ندوة بيت الحكمة ، ٨–٢٠٠٢/١/٩.

آنذاك هنري كيسنجر اليهودي المعروف بعدائه السافر للعرب والمسلمين والذي يعد من منظري السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

❁ ❁ ❁

الباب الأول

العقيدة العسكرية في الفكر الإسلامي

الفصل الأول

العقيدة العسكرية في الإسلام والأديان والأمم الأخرى

الفصل الثاني

الجهاد جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية

الفصل الأول

العقيدة العسكرية في الإسلام والأديان والأمم الأخرى

المبحث الأول : العقيدة العسكرية الإسلامية .

المبحث الثاني : العقيدة العسكرية لدى اليهود والنصارى .

المبحث الثالث : العقيدة العسكرية لدى الأمم الأخرى .

المبحث الأول
العقيدة العسكرية في الإسلام

أولاً : العسكرية الإسلامية عقيدة وتاريخاً .

ثانياً : خصائص العقيدة العسكرية الإسلامية .

المبحث الأول : العقيدة العسكرية في الإسلام

أولاً : العسكرية الإسلامية عقيدة وتاريخاً :

١ـ التعريف بالعقيدة العسكرية الإسلامية :

هي تعبير عن النظرة إلى الحرب كظاهرة تاريخية اجتماعية وتمثل إحدى الوسائل الأساسية لتحقيق سياسة الدولة وأهدافها. وهي تحديد الأسس العامة والمبادئ الرئيسية اللازمة لبناء القاعدة العسكرية وتكوينها.

وهي العقيدة التي وردت تفاصيلها في القرآن الكريم والسيرة والسنة النبوية الشريفة والفقه والفكر الإسلامي، مبادئ طبقها المسلمون الأولون على عهد الرسول القائد محمدﷺ وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى، فأحرزوا بتطبيقها الانتصارات المتوالية على أعدائهم في داخل شبه الجزيرة العربية من المشركين واليهود. وفي الخارج شبه الجزيرة العربية من الفرس والروم وغيرهما من لأمم الأخرى حتى امتدت فتوح المسلمين من المحيط إلى المحيط، فلما تخلى المسلمون عن تطبيق هذه العقيدة العسكرية الإسلامية تخلى عنهم النصر.

انتصرنا بالعقيدة العسكرية الإسلامية لأن لها سمات معينة لا مثيل لها في العقائد العسكرية الأخرى[1].

٢ـ النشأة التاريخية للعقيدة العسكرية الإسلامية :

أ ـ نشأة العقيدة العسكرية الإسلامية :

نشأت العقيدة العسكرية الإسلامية مع بداية المعارك العسكرية العربية

(١) خطاب، محمود شيت لواء ركن، العسكرية العربية الإسلامية دار الشروق، ط١، (بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٧، ٣٧.

الإسلامية، التي وقع فيها القتال ، وأولها معركة بدر الكبرى التي وقعت السنة الثانية من الهجرة[1]. وتسمى بدر القتال وتسمى بدر العظمى وتسمى يوم الفرقان، حيث ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾[3].

قال المفسرون: أي نصركم يوم بدر مع قلة العدد والسلاح لتعلموا أن النصر من عند الله لا بكثرة العدد والعُدد[4].

إن معركة بدر كانت معركة فاصلة أراد الله لها أن تقع وشملها برعايته في الابتداء والانتهاء، وفي الأثناء ليقضي أمراً كان مفعولاً ونصر الله تعالى فيها المسلمين نصراً مبيناً فرق فيه بين الحق والباطل.

ب ـ غزارة التراث العسكري العربي الإسلامي :

إن التراث العسكري العربي الإسلامي، يعمر مكتبات أوربا ومتاحفها ويتيسر في مكتبات العالم كافة ومتاحفها وتزخر به مكتبات المخطوطات العربية في شتى أصقاع العالم ويحوي معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية على جزء مهم من هذا التراث العريق وحسبنا أن نتصفح كتاب (فهرست ابن النديم) الذي عدد فيه مؤلفهُ (الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك) لنتلمس

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ ص٩ وينظر ابن القيم في زاد المعاد، ج ص٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية/١٢٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية/٤١.

(٤) ابن كثير،تفسير، مج١ ج٤٠١،٤ وينظر الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ) الكشاف عن وجوه التنزيل، طبع الحلبي(القاهرة،١٩٤٨م).

بوضوح أي تراث عسكري أصيل كان للعرب منذ عدة قرون [1]، ومن مقارنة ما جاء في المسلمين منذ عدة قرون. ومن مقارنة ما جاء في (الفهرست) عن الكتب التي أطلع عليها في عصره وسجلها في كتابة، بالمؤلفات العربية الإسلامية المعروفة في الوقت الحاضر يتبين لنا أن الكثير من التراث العسكري العربي الإسلامي لا يزال مفقوداً. ولكن ما وصل إلينا من المخطوطات العربية الإسلامية يدل على أن العرب المسلمين بلغوا شأناً بعيداً في العلوم والفنون العسكرية. والتراث العسكري العربي الإسلامي بالنسبة لكتبه عدة أنواع: كتب للتدريب على الرمي وكتب للتدريب على الفروسية وكتب في صفات الأسلحة والتدريب عليها وأساليب استعمالها وكتب في الأسلحة الهجومية ككتاب الدبابات والمنجنيقات والحيل والمكايد وكتب للتدريب التعبوي ككتاب أدب الحرب وفتح الحصون والمدائن وككتاب الحيل للهرتمي الشعراني الذي ألفه للمأمون وحقق ونشر جزء منه [2].

وعلى ضوء ذلك يمكن باختصار تعريف التراث العسكري العربي الإسلامي أنه ما ورث العرب المسلمون عن أجدادهم من تراث عسكري أصيل تحتوي المخطوطات والمؤلفات والكتب والآثار والوثائق المادية الأخرى من أسلحة ومعدات حربية عربية إسلامية عريقة. وهذا التراث الأصيل موزع في المكتبات العامة والخاصة والمتاحف ودور الآثار في جميع العالم تقريباً [3].

إن هذا التراث، ينتظر التحقيق والنشر وإخراجه للناس، أسوة بما حقق (نشر من التراث العربي الإسلامي في مجالات الآداب والعلوم والفنون والتاريخ، لأنه ليس أقل

---

(١) خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص٥٤-٥٥.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ٣١٤-٣١٥.

(٣) خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص٥٣.

أهمية من التراث الذي تم تحقيقه ونشره . وإن بعث هذا التراث يعد مسؤولية قدسية. وإن إعادة كتاب المعارك العربية الإسلامية بشكل واضح وأسلوب جديد، بحاجة ماسة إلى تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره، لأنه يعين على زيادة في الإطلاع والكشف عن التاريخ العسكري للأمة وتسليط الضوء على طلائع حركات الجهاد الإسلامي في الغزوات والسرايا والمعارك التي قادها الرسولﷺ والصحابة رضوان الله عليهم بدأ بأولى الغزوات وهي (غزوة الأبواء) [1].

جـ - تحقيق الغزوات والسرايا والبعوث :

بدأت بغزوة الأبواء وتسمى ودان وهما موقعان متجاوران بينهما ستة أميال أو ثمانية، وكانت هذه الغزوة في ١٢ صفر سنة اثنين للهجرة وقد عاد الجيش إلى المدينة. وتتابعت الغزوات التي قادها الرسولﷺ والسرايا التي قادها صحابته رضوان الله عليهم فقاد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام الكثير من الغزوات واختلف الرواة في عددها:

١- ذكر البخاري ومسلم وابن الأثير إنها تسعة عشرة غزوة [2].

٢- وأورد الطبري إنها كانت ستة وعشرين غزوة [3].

٣- وقال ابن سعد وابن هشام والمسعودي في مروج الذهب هي سبع وعشرون غزوة[4].

وأورد الواقدي وابن عبد البر ذلك أيضاً[5]، على اعتبار أن عمرة القضاء ليس

---

(١) ورد في صحيح البخاري من حديث زيد ابن أرقم أن أول غزوة (العشيرة) ووفق ابن كثير بينه وبين رواية ابن اسحق بان المقصود أول غزوة غزاها بن الأرقم مع الرسول هي العشيرة (البداية٣/٢٤٦).

(٢) البخاري في صحيح ، ج ٥ ص٢٢٣، ج ٦ ص٢٠ ومسلم في صحيحه ، ج٢ ص١١٩، وابن الأثير في الكامل ٢/٢٠١.

(٣) الطبري، في جامع البيان في تفسير القرآن، ج٢ ص٢٠٠، وفي تاريخ الطبري ج٣ ص١٧٠.

(٤) ابن هشام، في السيرة ج٢ ص٢٥٦ وابن سعد في الطبقات، ج٢ ص٥ والمسعودي في المروج ٢/٢٨١ أما في تنبيه الأشراف فقد ذكر المسعودي إنها ثمان وعشرون غزوة، ص ٢٤١.

(٥) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٧ وابن عبد البر، عيون الأثرج ١ص ٢٩٤.

بغزوة وخيبر ووادي القرى غزوة واحدة وهذا هو الراجح من الأقوال والله أعلم.

ويذكر المؤرخون[1]. هذه الغزوات بمجموعها وهي:

١- ودان أو (الأبواء) ٢- بُواط بناحية رضوي ٣- العُشيرة ٤- بدر الأولى ٥- بدر الكبرى ٦- بنو قينقاع ٧- بنو سليم ٨- السويق ٩- ذو أمر ١٠- بُحران ١١- أحد ١٢- حمراء الأسد ١٣- بنو النضير ١٤- ذات الرقاع ١٥- بدر الآخرة ١٦- دومة الجندل ١٧- بنو المصطلق ١٨- الخندق ١٩- بنو قريظة ٢٠- بنو لحيان ٢١- ذو قَرد ٢٢- الحُديبية ٢٣- خيبر ٢٤- فتح مكة ٢٥- حنين ٢٦- الطائف ٢٧- تبوك.

وقد قاتل الرسولﷺ في تسع غزوات منها[2]. أما السرايا والبعوث فقد تباينت آراء العلماء على أقوال هي:

١- إنها خمس وثلاثون سرية. حسب رأي بعض المؤرخين[3].

٢- وإنها تسع وثلاثون سرية على رأي الطبري في تفسيره[4].

٣- وسبع وأربعون سرية عند ابن سعد والواقدي[5].

٤- وثمان وأربعون سرية في رواية ثانية للطبري وابن الأثير[6].

٥- أما النويري فقد قال بأنها نحو من ستين سرية[7]. وفي رواية أخرى للمسعودي أيضاً[8].

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٣ ص١٧١، المسعودي، مروج الذهب ، ج٢ ص٢٨٢ وابن الأثير في الكامل ، ج٢، ص٢٠١.

(٢) فتح الباري، ج٧، ص٣٥٦، وعند السيوطي، في الدرر في أختصار المغازي والسير (سبع غزوات)ص١٠٣..

(٣) الطبري، تاريخ،ج٣، ص١٧١ والمسعودي، مروج الذهب، ج٢ ص٢٨٢ وابن الأثير، الكامل،ج٢ ص٢١.

(٤) الطبري، تفسير، ج٢ ص٥٠٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ ص٦، والواقدي ، المغازي، ج١ ص١٧.

(٦) الطبري، تاريخ ج٣ ص١٧١ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢ ص٢٠١.

(٧) النويري، نهاية الأرب، ج١ ص١٠٣.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج١ ص١٠٣.

٦- وهي لدى بعض الكتاب المحدثين بين خمس وخمسين وست وخمسين[١] .

٣ـ نماذج من التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية :

تعد المعارك العربية الإسلامية التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية على الأرض في ميادين القتال وهي التي أثبتت أن هذه العقيدة مبادئ وقواعد قابلة للتطبيق وقادرة على إحراز النصر وهذا ما حصل بالفعل في معركة بدر الكبرى والتي ستكون موضوع بحثنا كنموذج للمعارك العربية الإسلامية التي برزت فيها السمات الرئيسية للعقيدة العسكرية. والتي تختلف عن القتال والحرب التي شهدها التاريخ الإنساني والتي استهدفت تحقيق أهداف سياسة أو اقتصادية لأفراد أو جماعات طموحين يريدون العلو في الأرض[٢].

فالهدف وضوابط الحق والعدل والرحمة التي احتفت في الجهاد الإسلامي الذي هو جوهر العقيدة الإسلامية ميزته من أنواع الحروب الأخرى لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ ﴾[٣].

أ ـ ميزان القوى في معركة بدر الكبرى :

صح أن جيش المشركين بلغ ألفاً[٤] وقد كانت ألويتهم ثلاثة كلهم من بني عبد الدار[٥]وهم:

---

(١) خطاب، محمود شيت، جيش محمد، ص٥٥-٥٦ وينظر عبد الرازق محمد أسود في كتابه حياة الرسول المصطفىﷺ الدار العربية، بيروت، ج٢ص ٣٩٨.

(٢) العمري، أكرم السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص ٣٣٨.

(٣) سورة النساء، الآية/٧٦.

(٤) النووي، في شرح صحيح مسلم، ج١٢،ص٨٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢،ص١٥.

١- لواء مع أبي عزيز بن عمر.

٢- ولواء مع النظر بن الحارث.

٣- ولواء مع طلحة بن أبي طلحة.

وكان معهم (٧٠٠) بعير و(١٠٠) فرس وأسلحة كثيرة.

وقد ذكر ابن اسحاق- دون إسناد- أنهم كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً معهم مائتاً فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين [(١)]. وقد عرف رسول الله ﷺ عدد الجيش وموقعه وزعماءه من بعض خدم المشركين الذين سقطوا أسرى عند عيون الماء ببدر فذكروا عدد ما ينحرون من الإبل لطعامهم كل يوم فقال عليه الصلاة والسلام: (القوم ألف، كل جزور لمائة وتبعها) [(٢)].

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [(٣)].

وبالمقارنة مع جيش المشركين الأكثر عددا وعدة كما سبق ذكره فقد كان جيش المسلمين ثلاثمائة وتسع عشر رجلاً فقط [(٤)]. منهم مائة من المهاجرين وبقيتهم من الأنصار إذا أخذنا برواية الزبير بن العوام رضي الله عنه وقد شهد الموقعة، أما البراء بن عازب الذي رده الرسول ﷺ عن شهودها لصغر سنة فقد ذكر أن المهاجرين كانوا يزيدون عن الستين وأن الأنصار كانوا يزيدون على أربعين ومائتين [(٥)].

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية، ج٣، ص٢٦٠.

(٢) أحمد، في مسنده، ج٢ ص١٩٣رقم٩٤٨.

(٣) سورة البقرة، من الآية/٢٤٩.

(٤) النووي في شرح على صحيح مسلم، ٨٤/١٢.

(٥) فتح الباري، ٢٩٠/٧-٢٩٢، ٣٢٤-٣٢٦.

وقد ذكر ابن كثير أسماء (٣٤٠)صحابياً ممن شهد بدراً. وهذا بسبب الاختلاف بينها في شهود بعضهم الغزوة [١].

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً يتعاقبون على ركوبها [٢].

وكان رسول اللهﷺ وأبو لبابة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يتعاقبون على بعير واحد، فأرادا أن يؤثراه بالركوب فقال: (ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما [٣].ويا للروعة هذه هي خلق الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه هي العقيدة والنظام الذي جاء به وهذه هي مبادئ الحرب وعقيدة القتال عند المسلمين . هذا الموقف عندنا يستوي القائد والجندي في تحمل الشدائد وقد تملكهم الصدق والأخلاق في التطلع إلى رضوان الله وثوابه: وكيف لا يتحمل الجند المشاق وقائدهم يسابقهم في ذلك، ولا يرضى أن يكون دونهم في مواجهتها، وهو شيخ في الخامسة والخمسين من عمره[٤].ﷺ يا رسول الله ولم يكن مع المسلمين إلا فرسين أو ثلاثة، ولم يكن معهم إلا أسلحة قليلة. وقد أمر النبيﷺ على المدينة عند خروجه إلى بدر عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه للصلاة بالناس، ثم أعاد أبا لبابه رضي الله عنه من الروحاء وهي على أربعين ميلاً من المدينة – وعينه أميراً على المدينة [٥].مما يبين أهمية وجود الأمير في الحضرة والسفر والسلم والحرب.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٣١٤/٣.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، ١٠٨، وينظر ابن كثير البداية والنهاية، ٢٦٠/٣.

(٣) أحمد، المسند، ٤١١/١ بسند قال الحاكم أنه صحيح على شرط مسلم(المستدرك ٢٠/٣)، وقال الهيثمي (رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدله وحديثه حسن: وبقية رجال أحمد رجال الصحيح(مجمع الزوائد ٦٩/٦).

(٤) العمري، أكرم ضياء(دكتور) السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، ط٥،(المدينة المنورة ١٩٩٣م) ج٢،ص ٣٥٥.

(٥) البداية والنهاية، ٣٦٠/٣ نقلاً عن ابن اسحق دون إسناد، وينظر الحاكم في المستدرك، ٦٣٢/٣ وفي إسناده ابن لهيعة، وهو صدوق.

ب ـ الرسول يشاور أصحابه فيما لا نص فيه :

عندما وصل جيش المسلمين إلى بدر نزل بهم عليه الصلاة والسلام أدنى ماء من مياه بدر فقال عليه الصلاة والسلام (أشيروا على في المنزل)فقال الحباب[1]. بن المنذر: يا رسول أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنز لكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة، فقال: فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فنهض رسول الله ﷺ وتحول إلى المكان والرأي الذي أشار به الحباب رضي الله عنه[2].

واقترح سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يبني عريشاً لرسول الله ﷺ حتى يكون في مأمن فيه رجاء أن يعود سالماً إلى من بقى من المسلمين المدينة المنورة وأن لا ينكبوا بفقده إذا أصيبوا بنكسة فوافق ﷺ على ذلك[3].وهذا يشير إلى أهمية الحفاظ على القائد في المعركة في العقيدة العسكرية الإسلامية. قال تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[4].

استشار الرسول ﷺ الناس، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو(ت٣٣هـ) رضي الله عنه فقال: (يا رسول الله أمض لما أمرك الله فنحن معك لا نقول لك كما قال بنوا إسرائيل لموسى أذهب أنت وربك فقاتلا أنآها هنا قاعدون، ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا أنا معكما مقاتلون....

(١) هو الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزوجي(ت٢٠هـ) شهد بدراً له قصة في بيعة العقبة عاش إلى خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي في زمانه زاد عمره على الخمسين، ينظر الإصابة، ج١ ص٣٠٢.

(٢) ابن هشام، السير ٣٠٣/٢، ينظر الحاكم المستدرك ٤٢٦/٣–٤٢٧.

(٣) فتح الباري، ٢٨٧/٧ من رواية البخاري.

(٤) سورة آل عمران، الآية/١٥٩.

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له)... وقام سعد بن معاذ (ت٥هـ)رضي الله عنه (عن الأنصار) فقال: (قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوا الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته خضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، أنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقربه عينيك فسر على بركة الله)، فسر رسول الله بقوله ثم قال ﷺ: (سيروا وابشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم) [1].

كل هذا يدل على أن مبدأ الشورى ثابت بنصوص القرآن الكريم وأحداث السيرة المطهرة، فكثيراً ما كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه فيما لا وحي فيه، من الكتاب والسنة تعويداً لهم على التفكير والإبداع وحرصاً على تربيتهم على الشعور بالمسؤولية ورغبة في تطبيق الأمر الإلهي بالشورى وتعويد الأمة على ممارستها لقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [2].وهو أمر من الله للمؤمنين حتى يتشاوروا بأمورهم وقد وصف علي رضي الله عنه في رواية صحيحة كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر من رمضان ببدر وأمامهم معسكر المشركين قال: (لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ فانه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح... ثم أنه أصابنا في الليل طش – قليل – من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والجحف [3].نستظل تحتها من المطر، وبات

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٢٦٢-٢٦٣ من رواية ابن اسحق بإسناد صحيح ، قال ابن كثير: وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك رواية البخاري والنسائي وأحمد يشير ابن كثير إلى رواية البخاري ورواية الأمام أحمد لقول المقداد بن الأسود: ينظر فتح الباري، ج٧، ص٢٨٧ ومسند أحمد ج٥، ص٢٥٩،رقم الحديث ٣٦٩٨.

(٢) سورة الشورى، الآية/٣٨.

(٣) الساعاتي، الفتح الرباني، ٣١/٢١، والحجف: الترس من جلود ليس فيها خشب ولا عقب.

رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: (اللهم أنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد) فلما طلع الفجر نادى: (الصلاة عباد الله)، فجاء الناس من تحت الشجر والجحف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرض على القتال) [1].

جـ ـ التأييد الرباني للمسلمين :

لقد اثبت القرآن الكريم نزول المطر ببدر بقول تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [2].

قال القرطبي مختصراً ما رواه أهل السيرة كابن إسحاق وغيره فقال: (قال ابن عباس لما أخبر رسول الله ﷺ بأبي سفيان أنه مقبل من الشام ندب المسلمين إليهم وقال: (هذه عير قريش فيها الأموال فاخرجوا إليهم لعل الله أن ينفلكموها) قال فانبعث معه من خف وثقل وقوم كرهوا الخروج وأسرع رسول الله ﷺ لا يلوى على من تعذر ولا ينتظر من غاب ظهره فسار في ثلاثمائة وثلاثة عشر من أصحابه من مهاجري وأنصاري وخرجَّ البخاري عن البراء بن عازب قال: كنا نتحدث أن أصحاب محمد ﷺ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر على عدد أصحاب طالوت الذين جاوزو النهر وما جاوز معه إلا مؤمن) [3].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [4].

---

(١) أحمد المسند بإسناد صحيح(الفتح الرباني ٢١/٣٠-٣٦).

(٢) سورة الأنفال، الآية/١١.

(٣) القرطبي، تفسير،ج٧، ص٣٧٢.

(٤) سورة الأنفال،الآية ١٢.

أي ثبتوا المؤمنين وقووا أنفسهم على أعدائهم سألقي الرعب والذلة والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي، واضربوا الهام فافلقوها واحتزوا الرقاب وقطعوها وقطعوا الأطراف منهم وهي أيديهم، وأرجلهم وذلك لأنهم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ﴾[1]. هذا خطاب للكفار أي ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا وأعلموا أيضاً أن للكافرين عذاب في الآخرة[2].

د ـ الرسول القائد يعد الصفوف كنظام جديد في القتال :

وفي صبيحة يوم السابع عشر من رمضان نظم الرسولﷺ جيشه في صفوف كصفوف القتال[3].وهو أسلوب جديد في القتال يخالف ما جرت عليه عادة العرب من القتال بأسلوب الكر والفر وهو الأسلوب الذي قاتل وفقه المشركون ببدر، ولا شك أن نظام الصفوف يقلل من خسائر المسلمين ويعوض عن قلة عددهم أمام المشركين، وفيه مزية السيطرة على القوة بكاملها وتأمين العمق حيث تبقى دائماً بيد القائد قوة احتياطية في الخلف يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان[4].

وجعل رسول اللهﷺ شعاراً للمعركة (يا منصورا مت)[5].

وروي أن شعار المسلمين يوم بدر كان (أحد أحد)[6].

(١) سورة الأنفال، الآيتين ١٣/١٤.

(٢) ابن كثير ج٢،ص ٩٠-٩١ والقرطبي ج٧، ص٢٧٩-٢٨٠ والكشاف، ج٢ ص١٤٨.

(٣) أحمد في المسند صحيح(٥/٢٤٠) والهيثمي، مجمع الزوائد(٦/٧٥).

(٤) خطاب، محمود شيت،الرسول القائد، ص٧٨-٧٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص١٤، ومعنى (يا منصورا مت) قد ظفرت بعدوك فاقتل من شئت منهم، ينظر البيهق، دلائل النبوة،ج٤، ص٤٨ ، حاشية رقم١.

(٦) الشيباني، شرح السير الكبير، ج١ ص٧٤ وابن هشام في السيرة، ج١ ص٣٦٤.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (جعل رسول اللهﷺ شعار المهاجرين يا بني عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بني عبد الله، والأوس يا بني عبيد الله) [1].

هـ ـ الرسول القدوة يباشر القتال بنفسه :

كان الرسول اللهﷺ يباشر القتال بنفسه، قال علي رضي الله عنه رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً) [2]. وأخذ النبيﷺ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه، ثم نفخهم بها فلم يبق منهم رجل إلا امتلأت عيناه منها [3]. لقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ [4]. وأمر النبيﷺ أصحابه بنفح المشركين بالنبل إذا اقتربوا منهم حرصاً على الإفادة من النبال بأقصى ما يستطاع فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا اكثبوهم فارموا واستبقوا نبلكم) [5].

ثم التقى الجيشان واستنصر المسلمون الله، واستغاثوه واخلصوا له وتضرعوا إليه فأوحى إلى ملائكته: ﴿ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ [6]. وأوحي إلى رسوله ﷺ ﴿ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ ﴾ [7].
ثم حمي الوطيس ودارت رحى الحرب واشتد القتال والرسولﷺ آخذ بالدعاء والابتهال ومناشدة ربه... حتى أخذته إغفاءه وأحده وأخذ القوم النعاس في حال الحرب ثم رفع

---

(١) الشيباني، شرح السير الكبير، ج١ ص٧٤.
(٢) أحمد في المسند،ج٢، ص٢٢٨.
(٣) الطبري ، التفسير ، ج١٣، ص٤٤٢-٤٤٣.
(٤) سورة الأنفال، الآية ١٧.
(٥) فتح الباري، ج٧، ص٣٠٦ من رواية البخاري.
(٦) سورة الأنفال الآية/١٢.
(٧) سورة الأنفال، الآية /٩.

رسول اللهﷺ رأسه فقال(ابشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع)[1].وجاء النصر وانزل الله جنده وأيد رسوله والمؤمنين ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلا[2]. قتل فيها عدد من زعماء المشركين منهم أبو جهل عمرو بن هشام الذي وصفه الرسولﷺ (بأنه فرعون هذه الأمة) أذله الله فقد قتله المعاذان كل من معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وهما غلامين قتلاه لما كان من سبه للرسولﷺ وقد أجهز عليه ابن مسعود بعد إن أصاباه[3] .

إذا كان هذا فعل غلمان الأمة فكيف بفعل رجالها صحابة رسول اللهﷺ من تساقط المشركون بسيوفهم ورماحهم ونبالهم حتى قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين[4].

وكان بعضهم يصرعون في مواضع كان الرسولﷺ قد يبين لأصحابه قبل المعركة إنهم يصرعون فيها وذكرهم بأسمائهم[5]. أمر رسول اللهﷺ بسحب قتلى المشركين إلى أبار ببدر فالقوا فيها. وأقام ببدر ثلاثة أيام ودفن شهداء المسلمين وهم أربعة عشر شهيداً.

سمتهم المصادر[6]. وزاد ابن حجر عليهم في الإصابة اثنين آخرين[7]. فلما كان اليوم الثالث ببدر وقف عليه الصلاة والسلام على أربعة وعشرين رجلاً منهم من صناديد قريش في إحدى الآبار فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء إبائهم ويقول: (أيسركم أنكم

(١) ابن هشام، السيرة ج١ ص٦٢٧، ٦٢٦، وينظر ابن كثير في تفسيره ج٢، ص٢٩١.
(٢) التووي، الشرح على صحيح مسلم، ج١٢، ص٨٦-٨٧ وينظر ابن القيم في زاد المعاد١٨١/٣.
(٣) فتح الباري، ٢٩٣/٧-٣٢١، ٢٩٦ ومسلم بشرح النووي ج١٢ ص١٥٩-١٦٠.
(٤) شرح النووي، على صحيح مسلم ٨٦/١٢-٨٧.
(٥) أحمد، المسند، ٢٣٢/١ بإسناد صحيح.
(٦) ابن هشام: السيرة ٤٢٨/٢ وابن كثير: البداية والنهاية، ٣٢٧/٣.
(٧) ابن حجر، الإصابة ٦٠٨/٣،٣٢٨، وهما معاذ بن الحارث وهلال بن المعلى.

أطعتم الله ورسوله؟ قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما) [1].

و ـ أعلى الله وعلى رسوله :

لقد كانت موقعة بدر – رغم صغر حجمها – فاصلة في تاريخ الإسلام لذلك سماها الله تعالى في كتابه ﴿ يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ [2]. لأنه فرق بها بين الحق والباطل. وفيها حققت العقيدة العسكرية الإسلامية انتصارات كبير، فقد ظهر استعلاؤها على سائر المصالح والمطامع والعلائق الدنيوية، فهاهم المهاجرون يواجهون أقاربهم في المعركة فالابن يلقى أباه والأخ يلقى أخاه، فلا تمنعهم أواصر القربى من قتلهم لأن مصلحة العقيدة فوق كل آصره وارتباط ،وهاهم الأنصار يعلنون قبل بدئها أن التزامهم تجاه العقيدة لا تحدها اللوائح والعهود التي قطعوها في بيعة العقبة الثانية. بل هم جند مطيعون ومضحون من أجل عقيدتهم دون شرط ولا قيد. وقد استحق المقاتلون ببدر أن ينالوا التقدير الكبير الذي صار يلازم كلمة (البدري) حتى كانوا الطبقة الأولى من الصحابة في سجل الجند لعمر رضي الله عنه وهكذا نالهم التكريم الأدبي والمادي على مر الدهور[3] . وفي طريق عودة الجيش الظافر إلى المدينة وقد تقدمهم زيد بن حارثة أليها بالبشارة... قال أسامة (فو الله ما صدقت حتى رأينا الأسارى) [4].وكانت الدهشة تعلوا الوجوه، أحقاً هزمت قريش وأسر زعماؤها وتحطمت كبرياؤها.

وها هي أم المؤمنين (سودة) لفرط دهشتها تقول لأبي يزيد سهيل بن عمرو ويداه

(١) فتح الباري، ٣٠٠/٧ من رواية البخاري.

(٢) سورة الأنفال : من الآية/٤٢.

(٣) العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص٣٧١.

(٤) العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص٣٧١.

معقودتان إلى عنقه بحبل: (أبا يزيد أعطيتم بأيديكم...) !! فقال رسول اللهﷺ :(أعلى الله وعلى رسوله): أي تؤلبين –فقالت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت) (1).

كانت أصداء بدر عميقة في المدينة ومكة وأرجاء شبه الجزيرة العربية فقد استعلى المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين، فانخذل اليهود وظهرت أحقادهم التي دفعت بهم إلى المجاهرة بالعداء، فقد أغاظتهم النتيجة التي ما كانوا يتوقعوها فلم يعودوا يسيطروا على أفعالهم وأقوالهم ﴿ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ ﴾ (2).

وأما قريش في مكة فلم تكد تصدق ما حدث، وفي رواية مرسلة أنها تجلدت فمنعت البكاء والنياحة على قتلاها لئلا يشمت بهم المسلمون (3).وصممت على الانتقام والثأر..وبما فعلته قريش للثأر لقتلاها أنها أرسلت عمير بن وهب الجمحي لاغتيال الرسولﷺ فامسك به عمر رضي الله عنه وذهب به إلى الرسول ﷺ فسأله عما جاء به فكذب عليه وزعم أنه جاء في طلب أسير، فأخبره الرسولﷺ بمقصده وما كان بينه وبين صفوان بن أمية – الذي وعده بإعالة أهله إن قتل – فأعلن إسلامه وطلب أن يأذن له بدعوة أهل مكة إلى الإسلام (4).ومما فعلته قريش للثأر لقتلاها أنها أشترت اثنين من أسرى المسلمين في حادثة الرجيع وهما خبيب وزيد بن الدثنة فقتلتهما (5). رضي الله عنهما.

(1) ابن هشام، السيرة،٣٣٥/٢ بإسناد صحيح.
(2) سورة آل عمران، الآية ١١٨.
(3) ابن هشام، السيرة، ٣٤٠/٢.
(4) ابن حجر: الإصابة، ٣٦/٣.
(5) فتح الباري، ٣٠٨/٧ من رواية البخاري.

وازداد حقد قريش أكثر لما أصابهم في الرجال وللحصار الذي ضرب على تجارتهم ، فقد قام أبو سفيان بعمل انتقامي حيث أقدم سراً بمائتي فرس من مكة، ولجأوا إلى بني النضير في أطراف المدينة، ثم قام بمهاجمة ناحية العريض – وأد بالمدينة في طرف حرة واقم – فقتل رجلين وأحرق نخلاً وفر عائداً إلى مكة وقد تعقبه المسلمون إلى قرقرة الكدر – ماء لبني سليم- فلم يدركوه وعادوا بالسويق الذي رماه المشركون للتخفيف من حملهم والمسارعة في الفرار فسميت بغزوة السويق [1].

وحاولت قريش الإفادة من الطريق التجاري عبر نجد باتجاه العراق للإفلات من الحصار الاقتصادي الذي ضربه عليهم المسلمون.

فخرج أبو سفيان في تجارة من قريش معظمها من الفضة، فأرسل النبيﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه فلقي القافلة في ماء من مياه نجد يدعى(القَرَدةَ) ففر الرجال تاركين القافلة غنيمة له. وكان ذلك بعد ستة أشهر من غزوة بدر الكبرى [2].

وذكر ابن سعد أن جند زيد بن حارثة كانوا مائة، وأن القافلة كانت تحمل وزن ثلاثين ألف درهم من الفضة، وأن قيمتها بلغت مائة ألف درهم [3]. وبذلك فشلت خطة قريش في إيجاد طريق جديد لتجارتها، وهكذا أحكم الحصار الاقتصادي عليها وأحست بشدة وطأته على اقتصاد مكة التجاري. فكان لا بد أن تقوم بعمل حاسم لإنقاذ اقتصادها وسمعتها وتأخذ بثأر قتلاها في بدر.

---

(١) ابن إسحاق بإسناد صحيح إلى عبد الله بن كعب بن مالك. لكنه مرسل (سيرة ابن هشام، ٤٢٣/٢) وينظر ابن سعد: طبقات ٣٠/٢ بدون إسناد.

(٢) ابن إسحاق بدون إسناد(سيرة ابن هشام ٤٩٢/٢–٤٣٠) وابن كثير : في البداية والنهاية: ٤/٤ وقد ذكر الواقدي أن قائد القافلة كان صفوان بن أمية بدلاً من أبي سفيان كما في البداية والنهاية ٥/٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٦/٢ بدون إسناد.

ثانياً : خصائص العقيدة العسكرية الإسلامية :

تعد العقيدة العسكرية الإسلامية وسطاً لا إفراط ولا تفريط تأخذ بالأسباب المادية ولا تفرط بالجوانب المعنوية. الجندي المسلم الحق مطيعاً لا يعصي، صابراً لا يتخاذل ، شجاعاً لا يجبن ، مقداماً لا يتردد، مقبلاً لا يفر، ثابتاً لا يتزعزع، مجاهداً لا يتخلف، مؤمناً بمثله العليا مضحياً من أجلها بالمال والروح، يخوض حرباً عادلة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، يجود بنفسه لتكون كلمة الله هي العليا، مدافعاً عن الأرض والعرض ، مجاهداً للعدو الباطن والعدو الظاهر من أجل ضمان حرية العقيدة ونشر الدعوة وصيانتها. كل هذه ثوابت ومبادئ عسكرية مستمدة من القرآن الكريم الذي حوت آياته المحكمة على ترسيخ العقيدة العسكرية الإسلامية في عقول المسلمين وقلوبهم. هذه العقيدة تفسر سر الفتوح الإسلامية العظيمة التي امتدت خلال تسع وثمانين سنة[(١)]. من الصين شرقاً، إلى فرنسا غرباً ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً، شعارهم ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾[(٢)].النصر أو الشهادة ولأن المسلمين كانوا يحرصون على الموت حرص غيرهم على الحياة. لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[(٣)].

وبعد تقرير هذه الحقيقة الكبيرة يتحدث القرآن الكريم عن (المؤمنين) الذين

(١) من سنة إحدى عشرة الهجرية إلى سنة مائة الهجرية، ينظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص ٣٧.

(٢) سورة التوبة، الآية/٥٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيتين/١٧٣-١٧٤.

يستبشر الشهداء في الموقعة بما هو مدخر لهم عند ربهم. فيعين من هم، ويحدد خصائصهم وصفاتهم وقصتهم مع ربهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾[1].

إنهم أولئك الذين دعاهم الرسولﷺ إلى الخروج معه كرة أخرى غداة المعركة المريرة. وهم مثخنون بالجراح.وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس في المعركة[2].

ولكن رسول اللهﷺ.. لم يأذن لأحد تخلف عن غزوة أحد أن يخرج معهم – ليقويهم ويكثر عددهم كما كان يمكن أن يقال فاستجابوا ... استجابوا لدعوة الرسولﷺ – وهي دعوة الله– كما هي في حقيقتها وفي مفهومهم كذلك – فاستجابوا بهذا لله والرسول، من بعد ما أصابهم القرح ونزل بهم الضر، وأثخنتهم الجراح كانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة تحمل إيحاءات شتى وتومئ إلى حقائق كبرى[3].، منها:

أ– لعل رسول اللهﷺ شاء إلا يكون آخر ما تنظم عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم، هو شعور الهزيمة، فاستنهضهم لمتابعة قريش وتعقبها، كي يقر في أخلادهم أنها تجربة وابتلاء وليست نهاية المطاف. وأنهم بعد ذلك أقوياء، وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء ، إنما هي واحدة وتمضي ، ولهم الكرة عليهم، متى نفضوا عنهم الضعف والفشل واستجابوا لدعوة الله والرسول.

ب– ولعل رسول اللهﷺ شاء أن يشعر المسلمين وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وجدت في هذه الأرض.. حقيقة أن هناك عقيدة هي كل

---

(١) سورة آل عمران، الآية/١٧٢.

(٢) المعركة هي أحد، وينظرسيد، قطب، في ظلال القرآن ، مج٢، ج٤/١٤٠.

(٣) سيد، قطب، الظلال، مج٢، ج٤/ص١٣٩.

شيء في نفوس أصحابها ليس لهم من أرب في الدنيا غيرها، وليس لهم من غاية في حياتهم سواها لقد كان هذا أمراً جديداً في هذه الأرض وفي ذلك الحين.

لقد كان فضل الله عظيماً في الابتلاء المرير، وهكذا تتظافر مثل هذه الصورة الرفيعة على إعلان تلك الحقيقة الكبيرة في تلك النفوس الكبيرة، النفوس التي لا تعرف إلا الله وكيلاً،وترضى به وحده وتكتفي، وتزداد إيماناً به في ساعة الشدة وتقول في مواجهة تخويف الناس لهم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) ثم تكون العاقبة كما هو المنتظر من وعد الله للمتوكلين عليه، المكتفين به [1]. ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [2].

وفي هذا يقول محمود شيت خطاب رحمه الله: (وأشهد أنني لم أقرأ،حتى في كتب التعبئة وسوق الجيش الفنية الصادرة حديثاً أوضح تعبيراً وأدق تعريفاً وأكثر شمولاً وأوجز عبارة، مما جاء في القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة أسلوباً فذاً لمصاولة الحرب النفسية المعادية، وتعريفاً لإرادة القتال في العقيدة العسكرية الإسلامية) [3].

ولا يقتصر معنى هذه الآية الكريمة وغيرها من آيات الجهاد والقتال بل يشمل تعريف المعنويات العالية والآداب التي يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم أيضاً لتشكل أهم السمات والخصائص البارزة في العقيدة العسكرية الإسلامية في مجال الجندية والطاعة والانضباط وهي:

١- المبايعة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره لقوله تعالى:

---

(١) سيد،قطب، الظلال ، مج٢، ج٤/ص١٤٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية/١٧٤.

(٣) خطاب، محمود شيت، العسكرية العربية الإسلامية،ص٣٨.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(1).

٢- الوفاء بالوعد والصدق في العهد حتى الموت..﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾(2).

٣- الثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(3).

٤- استصحاب الطمأنينة وسكون الجوارح وطرد الأوهام والتخلص من الوهن والحزن ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(4).

٥- الإقدام الحازم والشجاعة الصادقة من أول المعركة إلى آخرها: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾(5).

٦- الصبر حين البأس، ومصابرة العدو عند المجاهدة والمرابطة والتيقظ عند هدوء المعركة وتقوى الله ومراقبته عند النصر لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(6).

٧- مطاردة العدو حتى يقطع دابره ومداومة القتال حتى النصر مهما كانت

(١) سورة الفتح، الآية/١٠.
(٢) سورة الأحزاب ، الآية/٢٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية/٤٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية/١٣٩.
(٥) سورة محمد، الآية/٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية٢٠٠.

الإصابات والخسائر كثيرة من غير وهن ولا ضعف ولا استكانة: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾(1). وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾(2).

٨- عدم التسليم مطلقاً مهما كان الأمر أو الدعوة إلى الصلح قبل انتهاء المعركة بالنصرة أو الشهادة، حتى وإن كان ميزان المعركة في يد العدو، ولا حت بوادر النصر له ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾(3).

٩- الإيمان بأن الفرار من العدو خروج من الإسلام وكبيرة لا توبة منها لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾(4).

١٠- استشعار الرضى بقضاء الله والتسليم لقدره والاطمئنان لحكمه والطاعة المطلقة لأولي الأمر لقوله تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾(5). وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾(6).

---

(١) سورة النساء، الآية/١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية/١٤٦.

(٣) سورة محمد، الآية/٣٥.

(٤) سورة الأنفال،الآية/١٥- ١٦.

(٥) سورة محمد، الآية/٢١.

(٦) سورة النساء، الآية/٥٩.

١١- عدم التنازع مطلقاً على أي أمر في القتال والاتفاق دائماً مع التسامح الأخوي والتجرد من الأثرة والصبر على العمل والطاعة والأخوة. ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

١٢- التحرر من المعاصي الباطنة والظاهرة صغيرها وكبيرها فإن نصر الله لا يتنزل على العاصين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ ﴾[2].

١٣- نفي الفزع من العدو والخوف من كيده وأعداده فان الله اقوى وأعز لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[3]. ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[4]، ﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[5].

١٤- نفي اليأس إذا أحاط بهم العدو، واستحضار حقيقة الإيمان بنصر الله وأنه حق عليه سبحانه للمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[6]. وقوله تعالى ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة الأنفال،الآية/٤٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية/١٥٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية/١٧٥.
(٤) سورة الأنفال، الآية/١٨..
(٥) سورة النساء،الآية/٧٦.
(٦) سورة الروم، الآية/٤٧.
(٧) سورة البقرة، الآية/٢١٤.

١٥- إدراك الحقيقة المعروفة، وهي أن الحرب دواليك يوم لك يوم عليك. ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ ﴾[1].وفي هذا عزاء كبير إذا وقع للجندي المسلم ما لم يكن يحسب وفيه كذلك تحفيز وتجديد.

١٦- الإيمان المطلق بأن القتال هو في سبيل الله وأن المقتول شهيد وأنه حي وفي الجنة وألا سبيل إلى الجنة إلا عن طريق القتال لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2].

١٧- الترفع عن الطمع في الغنائم والعمل للحق في ذاته ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾[3].

١٨- الإيمان الصادق بأن النصر من عند الله وأن الوسائل ستائر للقدرة الربانية وأن الأجر في الجهاد على صدق النية وحسن العمل والوفاء بالعهد لقوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ ﴾[4].

١٩- إحساس الجندي بالمسؤولية العامة كإحساس القائد واعتباره شريكاً في العبء الكبير مع استقلاله في الجانب العملي الذي يقوم به وارتباطه بالنتيجة من غير

(١) سورة آل عمران، الآية/١٤٠.
(٢) سورة التوبة، الآية/١١١.
(٣) سورة آل عمران، الآية/١٦١.
(٤) سورة الأنفال، الآية/١٧.

تأثر بروح المتخلفين ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾[1]. ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾[2].

٢٠- مداومة تجديد النفس وإعدادها لكل تضحية واستمساكها بهدي الله ودائماً الذي لا يمكن معرفته والحصول عليه إلا عن طريق الجهاد لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3]. ويكون روح الحق دائماً في قلوبهم لترديدهم دائماً لقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[4].

وهناك خصائص تقترن بها العسكرية الإسلامية بحكم التزامها بالعقيدة الإسلامية والفكر السياسي الإسلامي زيادة عما ذكرناه سالفاً ومن هذه الخصائص التي يبدو أن العقيدة العسكرية الإسلامية تمتاز بها وتكاد تنفرد بها[5].

١- أنها ثابتة ومتطورة.

٢- أنها عادلة ومتوازنة .

٣- أنها شاملة ومتكاملة.

٤- أنها محكمة ومستقرة.

٥- أنها واقعية ومثالية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية/١٥٣.

(٢) سورة المائدة، الآية/١٠٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية/٦٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية/١٤٧.

(٥) الخلفات، جمال يوسف وبهاء الدين محمد أسعد، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، مكتبة المنار، ط٢ (الزرقاء، ١٩٨٣م) ص٨٧-٨٨.

٦- أنها سلمية وسليمة.

٧- أنها هجومية ودفاعية.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

العقيدة العسكرية لدى اليهود والنصارى

أولاً : العقيدة العسكرية لدى اليهود .

ثانياً : العقيدة العسكرية لدى النصارى .

المبحث الثاني : العقيدة العسكرية لدى اليهود والنصارى

أولاً : العقيدة العسكرية لدى اليهود :

١ـ مصادر العقيدة العسكرية اليهودية :

تعتمد هذه العقيدة في بنائها على مصادر وأصول تمتد جـذورها عميقـاً في التـاريخ اليهودي وإن أهم المصادر التي يضفي عليها القداسة ويستمدون منها التوجيه هي:

أ- العهد القديم أو التوارة. ب- التلمود. ج- بروتوكلات حكماء صهيون.

المصدر الأول : العهد القديم :

ويطلق عليه لفظ (التوارة) وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع عـدة منهـا قولـه تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١].

وتجمع المصادر التاريخية على أن اليهـود قـد حرفـوا التـوراة وأعـادوا كتابتهـا علـى النحو الذي هو قائم الآن في بابل عقب الأسر بين ٥٨٦ق. م و٥٣٨ ق.م كما يقرر(ويلز)[٢].

فـقـد تـوعـدهـم الله عـز وجـل بقوله: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾[٣].

وفي هذا يقول أنور الجندي:

---

(١) سورة الجمعة، الآية/٥.

(٢) ويلز: المختصر (تاريخ) العالم – ص٨٩). wells: ashort History of the world: p.89 .

(٣) سورة البقرة، الآية/٧٩.

(ولا ريب أن هذه التوراة تختلف اختلافاً بيناً عن التـوراة المنزلـة الـتي وردت في القرآن الكريم والتي هي محتويات الألواح التي كتب الله تبارك وتعالى فيها الشريعة وأن التوراة الموجودة الآن ضمن الكتاب المقدس ليست المذكورة في القرآن بحال) [1].

ويختلف اليهود والنصارى على أسفار العهد القديم، فاليهود وبعض أحبارهم يضيفون أسفاراً لا يقلبها أحبار آخرون. أما النصارى فالنسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أسفار عن النسخة البروتستانتية.

فالعهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم... وقد تطلق (التوراة) على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه الصلاة والسلام، لأنه أبرز أنبياء بني إسرائيل وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي وكلمة (توراة) معناها الشريعة أو التعاليم الدينية [2].

وكلمة (التَوْرُ) تعني الرسول بين القوم، قال ابن دريد: وهو عربي صحيح وأنشد:

والتَوْرُ فيما بَيْنَنَا مُعْمَلُ　　　يَرْضى به المَأتيُّ والمُرْسَلُ [3]

الأسفار [4]: وتقسم أسفار العهد القديم التي يعترف بها البروتستانت ثلاثة أقسام:

القسم الأول (التوارة) ويشمل أسفاراً خمسة هي :

١- التكوين.　　٢- الخروج.　　٣- اللاويون (الأخبار).

٤- العدد.　　٥- التثنية.

---

(١) الجندي، أنور، المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية، ص٢٠.

(٢) شلبي، أحمد (دكتور) مقارنة الآديان: اليهودية، مكتبة النهضة، ط٥، (القاهرة، ١٩٧٨)ص٢٣٨ص.

(٣) الجوهري، الصحاح، ج١ ص١٤٧.

(٤) شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، ص٢٣٨-٢٣٩.

وهي تلك التي يطلق عليها أسفار موسى عليه الصلاة والسلام أو يطلق عليها (التوراة).

أما القسم الثاني (أسفار الأنبياء) وهي نوعان :

أ- أسفار الأنبياء المتقدمين وتشمل الأسفار التالية:

١- يشوع (يوشع بن نون). ٢- قضاة. ٣- صموئيل الأول.

٤- صموئيل الثاني. ٥- الملوك الأول. ٦- الملوك الثاني.

ب- أسفار الأنبياء المتأخرين وتشمل الأسفار التالية:

١- أشعيا. ٢- ارميا. ٣- حزقيال. ٤- هوشع.

٥- يوئيل. ٦- عاموس. ٧- عوديا. ٨- يونان(يونس).

٩- ميخا. ١٠- ناحوم. ١١- حبقوق. ١٢- صفينا.

١٣- حجيِّ. ١٤- زكريا. ١٥- ملاخي.

وأما القسم الثالث (الكتابات) وهذا القسم يتشعب إلى أنواع ثلاثة :

أ- الكتب العظيمة: وتشمل الأسفار التالية:

١- المزامير (الزبور). ٢- الأمثال(أمثال سليمان). ٣- أيوب.

ب- المجلات: وتشمل الأسفار التالية:

١- نشد الأناشيد. ٢- راعوت المرائي(مرائي رميا).

٣- الجامعة. ٤- استير.

ج- الكتب: ويشمل الأسفار التالية:

١- دانيال. ٢- عزرا. ٣- نحميا.

٤- أخبار الأيام. ٥- أخبار الأيام الثاني.

ومجموع هذه الأسفار تسع وثلاثون سفراً وهي التي تعتمدها الكنيسة البروتستانتية، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أسفار أخر هي:

١- طوبيا. ٢- يهوديت. ٣- الحكمة. ٤- يسوع بن سيراخ.

٥- باروخ. ٦- المكابين الأول. ٧- المكابين الثاني[١].

كما تجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها بدلاً من سفري صموئيل الأول والثاني وبعض رجال اللاهوت من اليهود لا يوافقون على ضم سفري الجامعة ونشيد الأناشيد لأسفار القديم ، وطائفة السامريين[٢] لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة، ولا يرون غيرها كتاباً مقدساً، وللكاثوليك تقسيم آخر لأسفار العهد القديم فهم يرون أن الأسفار الستة والأربعين[٣]. تندرج تحت خمسة أقسام هي:

١- أسفار موسى عليه الصلاة والسلام الخمسة التي تتضمن شريعته وهذا الذي يهمنا في البحث.

٢- أسفار تاريخية وعددها(١٦).

٣- أسفار شعرية وعددها (٦).

٤- أسفار نبوية وعددها (١٧).

٥- أسفار تعليمية وعددها(٢).

وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببني إسرائيل وهما سفر أيوب وسفر يونان (يونس) فايوب من بني عيسو وليس من أبناء إسرائيل كما يظهر من نصوصه، ويونان

(١) شلبي، مقارنة الأديان ص٢٣٩.

(٢) السامريون طائفة من المتهودين أي الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، ينظر الشلبي، مقارنة الأديان ص٢٣٩.

(٣) شنوده، زكي، تاريخ الارتباط ، ص٩١-٩٢.

تفيد عبارته أنه نبي مرسل إلى نينوى لا إلى بني إسرائيل ومحتويات السفرين قريبة من المحتويات التي أشار لها القرآن الكريم [1].

أسفار التوراة[2]: أول ما يعنينا في البحث أسفار موسى عليه الصلاة والسلام وهي:

١- سفر الخلق (التكوين) أي **Cenesis** في اللاتينية.

٢- سفر الخروج **Exrdes** في اللاتينية.

٣- سفر اللاويين في الأحبار **Leviticus** في اللاتينية.

٤- سفر العدد **Numeri** في اللاتينية.

٥- سفر التثنية **Deuterinomirm** في اللاتينية.

لكن العقل يظل في جانب، ودوافع الأحبار الخفية في (العهد القديم) كما وصفها فرويد تظل في جانب وحدها فالرب! ! كان مشغوفاً (بابرام) وقال له (لنسلك أعطي هذه الأرض، وكان كنعان حينئذ في الأرض) [3].

لقد حرفت التوراة (العهد القديم) عقيدة بني إسرائيل في الإله (يهوه) رب الجنود حيث قطع وعداً لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بتفضيل الشعب اليهودي على جميع الأجناس (يسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة أو شعب الله المختار).

فديانتهم المحرفة تنكر البعث والآخرة، وزينت موقف بني إسرائيل من إبراهيم وأبنائه عليه الصلاة والسلام وبالنسبة لميراث إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى يستأثر به إسحاق وحده دون أخيه الأكبر إسماعيل عليه الصلاة والسلام وذريته. فقد أعطاهم

(١) شلبي، مقارنة الأديان ص٢٤.

(٢) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ج١ ص٩٢.

(٣) سفر التكوين،١٥ : ١-٨.

عطايا وصرفهم عن إسحاق عليه الصلاة والسلام كما جاء في سفر التكوين (ملعون) كنعان: عبد العبيد يكون لإخوانه. ومبارك إله سام، وليكن كنعان عبداً، ليفتح الله على يافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم) [1].

ويكذب الأحبار ويفترون على الله جل في علاه أنه – سبحانه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً – ظهر لا براهام في المنام هذه المره وقال له: (أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدنيين ليعطيك هذه الأرض لترثها... في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات[2].)

ويذكر سبينوزا (أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يكتب الأسفار الخمسة بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة، ولكن لنبحث بمزيد من الدقة في الأسفار التي كتبها موسى نفسه والمذكورة في الأسفار الخمسة ، فمن الثابت،

أولاً: في (الخروج) (١٤:١٧) (١٣) أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عمالق، ولا يقول لنا هذا الإصحاح نفسه أي سفر كتب، بل ورد في (العدد) (١٤:٢١) (١٤) إشارة إلى سفر يسمى (حروب الرب)، يحتوي ولا شك على قصة الحرب ضد عمالق ،وعلى كل أعمال اقامة المعسكرات (التي يشهد مؤلف الاسفار الخمسة في (العدد) (٢:٢٣) (١٥) بأن موسى قد عرضها كتابه).

وثانياً: أن يوناتان الشارح الكلداني الذي تعسف في تأويل كلمات الكتاب حسب هواه، فلقد فضل هذا المترجم... أن يحرف الكتاب على أن يعترف بجهله فهو يترجم إلى الكلدانية هذه الكلمات من سفر توراة الله بقوله: وكتب يشوع هذا الكلام وحفظه مع

---

(١) سفر التكوين، ٢٥: ٩–٢٧.

(٢) سفر التكوين، ١٥– ١٨.

سفر توراة الله... أليس هذا إنكار للكتاب نفسه وابتداعاً لكتاب جديد من وضعه هو؟ نستنتج إذن أن سفر توراة الله الأسفار الخمسة في سفره في المكان الذي ارتآه.

وأخيراً، لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها فإن أحداً لا يستطيع أن يؤكد حقاً، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة[1].

الرب في عقيدة يهود هو رجل حرب :

وجاء في سفر العدد: (أن تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تسبقون منهم أشواكاً في عيونكم ومنخس في جوانبكم ويضايقوكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم) [2].

أما سفر التثنية فإنه يكشف عن حقد اليهود وعدوانيتهم وتعطشهم للدماء وهذه من سمات عقيدتهم العسكرية حيث جاء فيه (متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد (أصحابها) من أمامك وضربتم فإنك تحرمهم (تبيدهم). ولا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم) [3].

وإذا بالرب لدى يهود وأحبارهم (رجل حرب) كما يصرح بذلك سفر الخروج: (الرب رجل حرب) [4].

ويؤكد الجندي رأي (ديورانت) الذي يقرر فيه أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد وأن رسم الكاهن عزرا(عزير)

---

(١) سيبنوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي ومراجعة د. فؤاد زكريا، دار الطليعة، ط٤، (بيروت، ١٩٩٧م) ص٢٧٢ وما بعدها.

(٢) سفر العدد٣٣: ٥٥ و٥٦.

(٣) سفر التثنية ٧: ٢، ١.

(٤) سفر الخروج ١٥: ٣.

مرتبط بتدوين التوراة، ويؤكد المؤرخون أنه في الأسر في بابل بعد عام(٥٨٦ق.م) تحول الدين العبري إلى الدين اليهودي. واصبح الإله- إله شعب الله المختار- وهو يتدخل لا حماية شعبة فحسب بل لإذلال وإخضاع شعوب العالم لشعبه المختار والاستمرار في استعبادهم على مر العصور) [1].

وإن آية القول، بأنهم وحوش وقساة ما نجد في التوراة المحرفة من أنواع الوحشية والبدائية وفي سفر يشوع(ت١١٢٠ ق.م) يقال لهم (أَهلِكوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف واحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار) [2].

ولقد شهد كثيرون بأن العقيدة التي يتستر وراءها اليهود هي شريعة الغاب التي تقوم على تدمير المدن والقرى وحرق المساكن وقتل الأطفال والشيوخ، يقول ول ديورانت: (يبدو أن الغزاة اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه على الصورة التي كانوا هم عليه وجعلوا منه إلهاً، الإله (يهوه) فيهوه ليس خالقاً لهم بل مخلوق لهم، وفي يهوه صفاتهم الحربية: التدمير والسرقة، ويهوه قاس مدمر متعصب لشعبه عدو للشعوب الأخرى [3].

جاء في سفر الخروج: (هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه فخذوه ومروا وأرجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبة) [4].

---

(١) الجندي، أنور: المخططات التلمودية، ص٢٠.

(٢) سفر يشوع، الإصحاح السادس.

(٣) ول ديورانت، قصته الحضارة، ترجمة محمد بدران، (القاهرة، ١٩٥٧م) ٢٤/٢.

(٤) سفر الخروج، الإصحاح٣٢.

وفي سفر المزامير: (اتبع أعدائي فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم، اسحقهم فلا يستطيعون القيام، يسقطون تحت رجلي)[1].

وفي سفر المزامير أيضاً: (أرفعن أيتها الأرتاج رؤوسكنَّ وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد... الرب الجبار في القتال... من هو هذا ملك المجد.. رب الجنود..)[2].

ويأتي رب يهود ليسل سيفه ويقتل القريب والبعيد فقد جاء في سفر حزقيال ما نصه: (هكذا قال الرب هانذا عليك واستل سيفي من غمده فاقطع فيك الصديق والشرير فلذلك يخرج سيفي من غمده على كل بشر من الجنوب إلى الشمال، فيعلم كل بشر أني أنا الرب سللت سيفي من غمده، لا يرجع أيضاً هكذا السيف قد حدّد وهو مصقول لكم يسلّم ليد القاتل)[3]. والتاريخ يعيد نفسه ليجد أن طبع الأحفاد هو طبع أولئك الأجداد فهم يحققوا نبوءة حزقيال ويشفوا غليل رب يهود رب الجنود. الذي عاب عليهم الجبن وجرأهم على الغدر (هكذا قال الرب. هكذا قلتم يا بيت إسرائيل وما يخطر ببالكم قد علمته . قد كثرتم قتلاكم في هذه المدينة وملأتم أزقتها بالقتلى لذلك هكذا قال السيد الرب. قتلاكم الذين طرحتموهم في وسطها هم اللحم... وإياكم أخرج من وسطها قد فزعتم من السيف، أسله عليكم. يقول السيد الرب: وأخرجكم من وسطها وأسلمكم إلى أيدي الغرباء وأجري فيكم أحكاماً بالسيف تسقطون)[4].

وفي سفر التثنية أيضاً يظهر جبنهم وخوفهم من مواجهة الخصم ولهذا يذهب رب

---

(١) سفر المزامير، الإصحاح١٨.
(٢) سفر، مزامير، الإصحاح٤٩.
(٣) سفر ، حزقيال، الإصحاح٢١٠.
(٤) سفر ، حزقيال، الإصحاح ١.١.

الجنود ليبيد خصومهم: (والرب قال لي لا تعبر هذا الأردن. الرب إلهك هو عابر... هو يبيد هؤلاء الأمم من قدامك) [1].

وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي (هؤلاء سيحاربون الخروف والخروف يغلبهم...) [2].

ولما كان ربهم (يهوه) هو رجل حرب ويعرف جبن شعبه المختار! فإنه يطمئنهم في سفر أرميا ويعلمهم أسلوب جديد في الحرب أن يسقوا جميع الشعوب خمراً ليشربوا ويترنحوا ويتمكنوا من الغدر بهم. فيقول بالنص (هكذا قال لي الرب إله إسرائيل،خذ كأس خمر هذا السخط من يدي واسق جميع الشعوب الذين أرسلك أنا إليهم إياها. فيشربوا ويترنحوا... من أجل السيف الذي أرسله أنا بينهم) [3].

ويعلن رب الجنود الحرب الكونية على كل سكان الأرض: بالنص (لا تتبرأون لأني أنا أدعو السيف على كل سكان الأرض يقول رب الجنود) [4].

وتحركت كوامن الحقد والانتقام في نفوسهم المجبولة على الشر وتشجع قادتهم على دخول إحدى المدن ليحرقوها بالنار ويبيدوا أهلها اقتداءً بربهم رجل الحرب فقد جاء في سفر يشوع (فيكر يشوع في العد وعدت الشعب وصعد هو وشيوخ إسرائيل إلى عالي، وجميع رجال الحرب... ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار... وخربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت ... وأحرق يشوع عالي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى اليوم) [5].

---

(١) سفر التثنية، إصحاح٣٠.

(٢) رؤربا، يوحنا،إصحاح١٧.

(٣) سفر أرميا، إصحاح ٢٥.

(٤) سفر أرميا، إصحاح ٢٥.

(٥) سفر يشوع، إصحاح ٨.

ويطول سيف يهود أرض مصر وأهلها بعد أن يثخن في أرض فلسطين وأهلها. فقد ورد في سفر أرميا ما نصه: (ويأتي ويضرب أرض مصر الذي للموت والذي للسبي فللسبي والذي للسيف فللسيف) [1].

ويقول الدكتور أحمد شلبي [2]: أن اليهود ارتدوا بعد سليمان إلى عبادة الأوثان وأن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقة لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة ومن ذلك كله يتبين أن التوراة الحالية زائفة: وإنها كتبت وفق أهواء اليهود ومطامعهم ورسمت طريقتهم في الحياة إلى آخر الدهر، وابرز أهداف الفكر اليهودي التلمودي كما رسمته هي:

١- الامتياز الخاص: هم يهود وكل العالم (جوييم) أو امميون. هم السادة وكل البشر دونهم في المزايا العقلية وبروتوكلات صهيون التي تهدف إلى السيطرة على العالم كله.

٢- مفهومهم لله (جل في علاه) مفهوم زائف فإله اليهود: الإله (يهوه) كما وصفته التوراة متوحش وشرير شغوف بالخراف والفساد وإراقة الدماء فهو رب الجنود، ورجل حرب.

٣- القول بمبدأ التناسخ وإنكارهم للبعث والجزاء والحساب والجنة والنار.

٤- تبريرهم الغدر والكذب والوقيعة كوسيلة للنجاح على قاعدة(الغاية تبرر الوسيلة) متأثراً بالفلسفة اليونانية التي استطاعت أن تحتوي الديانة الموسوية وتسيطر عليها [3].

---

(١) سفر أرميا، إصحاح٣٢.

(٢) شلبي، مقارنة الأديان – اليهودية، ص١٨٢ وما بعدها.

(٣) دائرة المعارف اليهود ، مادة(يهود).

المصدر الثاني : التلمود :

يعتبر اليهود التلمود كتاباً منزلاً ويضعونه في منزلة التوراة ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهاً، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود بل يضعون هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة ويرى بعضهم أن لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى.

وتضطرب آراء اليهود وأحياناً وهم يضعون التلمود في تلك المكانة، فلا يكتفون بما سبق ذكره، بل يعلنون أن التلمود وإن كان أقوال الحاخامات فهو أيضاً في مكانة التوراة. لأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء[1]. (تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً).

ويتجرأ اليهود في التلمود على الله جل في علاه، وليست العصمة من صفات الله في رأي التلمود... وقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر... وأن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته لأن الله هو السبب في كل ذلك[2].

ويتجرأ التلمود على السيد المسيح عليه الصلاة والسلام ويقول: أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار.

ويتجرأ التلمود على السيدة مريم العذراء عليها السلام بالقول: إنها أتت به (المسيح) من العسكري (باندرا) عن طريق الخطيئة وأن الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات ، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور

(١) د. روهلنج ، الكنز المرصود في قواعد التلمود،ترجمة د. يوسف نصر الله،ص ٣٢-٣٣.
(٢) التلمود شريعة إسرائيل، لا يعرف مؤلفة، ص١٧-١٩.

بها [1] .ويحدد التلمود أنواعاً من الطهر لا يصل لها اليهودي إلا باستعمال الذبائح البشرية من المسحيين [2].

حقيقة التلمود :

من الناحية الواقعية التاريخية يتضح أن بني إسرائيل أهملوا المصدر الحقيقي للعقيدة وهو السماء، وانساقوا خلف مصادر أخرى، فقد مرت ببني إسرائيل أحداث خطيرة، عاشوا في مصر، ووقعوا بين شقي الرحى في فلسطين واسروا في بابل وفي فترة الصراع بينهم وبين الدول ، ثم في فترة الأسر والتشرد كتبوا العهد القديم ووضعوا التلمود [3].

ويعتقد اليهود أن العهد القديم ناقص ومبهم في كثير من المواضع ولا يكون اليهودي عندهم مؤمناً إيماناً كاملاً إلا إذا صدق بالتلمود الذي هو عبارة عن الوصايا التي كتبها الأحبار وهي تضم (المشنا) وحواشي المشنا(الجمارا) ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود وهنالك (تلمود بابل) وهناك (تلمود أورشليم) وهم يضعونه بمنزلة التوراة، وقد جمع بعد المسيح بحدود قرن ونصف وقد بدأ في كتابه التعاليم الشفوية عام ١٦٦م. وتشير الأبحاث إلى أن أول من جمع هذه التفسيرات (المشنا) هو الحاخام(بوخاس) وأول من ترجم التلمود إلى اللغة العربية الدكتور شمعون مويال عام ١٩٠٥. وقد طبعت النسخة البابلية عام ١٥٢٠م في البندقية وأما النسخة الأورشليمية فقد طبعت مرتين مرة في بومبرج عام ١٥٢٢م وفي كراكو عام ١٦٠٩م [4].

---

(١) د. روهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص٧٤-٧٦.

(٢) التل، عبد الله (دكتور) خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، ص ٨٢-١٠٥.

(٣) شلبي، مقارنة الأديان، اليهودية، ص١٨٠.

(٤) الجندي، المخططات التلمودية، ص٢٦.

النزعة العدوانية في التلمود :

كان للتشتت الذي وقع باليهود بعد مذبحة الرومان سنة ١٣٥م أثره في بناء الفكر اليهودي الذي قام على أساس التآمر على البشرية كلها من أجل السيطرة عليها وهو الخط الذي صارت فيه اليهودية فيما بعد والى الآن.

ويعتبر أرنولد توينبي (اليهودية) ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها قضية متحجزة ... ويقول (لما فقدت اليهودية صفتها كدولة، استثار هذا التحدي اليهود ليبتدعوا منهم طرازاً من الكيان الطائفي استعاضوا داخل نظامه عن فقدان دولتهم.. بالاحتفاظ بذاتهم في صورة (تشتت) و(انتشار) بين ظهراني أغلبية أجنبية وفي ظل حكم أجنبي) [(١)].

وينص التلمود: (ان الأممين هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار فإذا نفق منهم حمار ركبنا منهم حماراً)وتقوم فلسفة التلمود على العمل على إذلال البشرية وتسخيرها لليهود ونسف جميع المدنيات والحضارات وإزالة الأديان السماوية من وجه الأرض عدا اليهودية ولتقوم محلها الفلسفة الحاقدة على البشرية وتقوم على أنقاضها مملكة إسرائيل، ويعيش اليهود في حرب مع باقي الشعوب.. لأن هؤلاء من نسل الشيطان) [(٢)].

والذي يقرأ التلمود يجد فيه العجب من استخفافهم بالأديان والأمم الأخرى لا بل يستبيحون أموالهم وأعراضهم ودمائهم كونهم من الجوييم ويصفهم خليفة التونسي بالقول:(ومن يقرأ كتبهم – المقدسة –يروعه ويغثيه أن (المؤامرة) قوام تاريخهم حتى

(١) توينبي، أرنولد مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مطبعة لجنة التأليف والنشر ط١،(القاهرة– ١٩٦٠م) ، ج١ ص٢٥٠ وما بعدها.
(٢) د. روهلنج، الكنز المرصود ص٤٨–٤٩.

في موقفهم تجاه ألههم (يهوه) والاعتماد في حياتهم على الخفاء والغدر والخسة والعنف والعناد.. في معاملتهم الأمم التي نكبت بوصالهم، فيندر أن تراهم في صلاتهم بها إلا عبيداً أذلاء لها يمكرون بها إذا كانت أقوى منهم، أو جبابرة غاشمين يستبعدونها إذا كانوا أقوى منها، وهم لا يعترفون بعهد ولا يدينون بذمة بل يلجئون إلى الغدر والبغي كلما أحسوا من أنفسهم قوة) [1].

وقد وصفهم كثير من أنبيائهم في كتبهم – المقدسة – بأنهم شعب غليظ القلب صلب الرقبة، وبأنهم أبناء الأفاعي وقتلة الأنبياء. وليس التلمود سوى قصة العهد الذي أصبح فيه الشيطان سيد العالم وجعل الناس الأولين الذين عاصروهم في الزمان والمكان يحيدون عن جادة الحق والصواب حتى امتلأ العالم شراً وظلماً وبغياً وطغياناً وهكذا تأسس كنيس الشيطان على الأرض وشرع منذ أول يوم في التآمر لمحاربة الدستور الإلهي، وقد جاء سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام في الوقت بلغت مؤامرة الشيطان مرحلة سيطرت فيه على العالم... ففضح سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام كنيس الشيطان وهاجم أتباعه مسمياً إياهم (أبناء الشيطان) وحدد بصراحة معلناً على رؤوس الأشهاد أنهم الذين يسمون أنفسهم يهوداً في حين أنهم حادوا عن شريعة موسى عليه الصلاة والسلام [2].

وفي هذا يقول الغمراوي: (ولقد افترت التلمود على الله وعلى الملائكة وعلى الأنبياء والرسل ومجدت أرواح بني إسرائيل وحاخاماتهم وشياطينهم، لقد جعلوا أرواح

(١) التونسي، محمد خليفة، الخطر اليهودي، ترجمة عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، ط٤، (بيروت، ١٩٦١م) ص٦١-٦٢.

(٢) وليم، كار، أحجار على رقعة الشطرنج، تعليق خير الله طلفاح وشرحه بعنوان (اليهود وراء كل جريمة)، مطبعة العبايجي (بغداد ب ت) ص٤-٥.

بني إسرائيل جزء من الله والأرواح الأخرى شيطانيه شبيهة بأرواح الحيوانات.. يجب على كل إسرائيلي أن يبذل جهده لمنع تملك باقي الأمم في الأرض حتى تبقى السلطة لإسرائيل لأنه يجب أن تكون لهم السلطة أينما حلوا) [(١)].

ويحكي الخطيب غرور اليهود وعدوانيتهم فيقول: (هكذا ظن اليهود في أنفسهم، حتى أنهم جعلوا الله إلههم من دون الناس، وأنزلوه إلى مستواهم – سبحان الله عما يصفون علواً كبيراً – يتعاملون معه معاملة بعضهم بعضاً ومن أجل هذا حرفوا التوراة ، وغيروا وبدلوا في أحكامها وتعاليمها حتى تجيء على وفق أهوائهم الفاسدة، وتصوراتهم المريضة وينزل هذا الزور والبتهان من عقولهم وقلوبهم منزلة العقيدة والإيمان... وهكذا أقام اليهود مسيرتهم في الحياة مع الناس، لا يرون صالحة تنشأ بين الناس حتى يعملوا جاهدين على إفسادها .. ومن هنا كانت الحروب التي أغرى اليهود الناس بها، ليهلك بعضهم بعضاً) [(٢)].

ولقد صور فليون (بين ٢٠–٣٠ق.م) مبدأ الدين الفلسفي الذي يقول(إن العنصر اليهودي يجب أن يستوطن الأرض المقدسة: أرض الميعاد والزحف منها إلى العالم والسيطرة عليه) (لقد كان ما صوره فليون هو حجر الأساس للفكرة الصهيونية.. والفلسفة اليهودية التلمودية الصهيونية التي رسمت على ضوئها مخططاتهم في جميع مراحل تاريخهم والكشف عن إن اليهودية يهوديتان يهودية التوراة التي تُمَثَّل بالجماعات التي هاجرت من المشرق إلى أوربا ويهودية التلمود التي نشأت في بولونيا وحوض الراين وهم يهود أوربا الاشكناز ليسوا من نسل إسرائيل والذين يمثلون تسعة أعشار يهود العالم) [(٣)].

---

(١) الغمراوي، أمين سامي، لهذا أكره إسرائيل، ط١، (القاهرة،١٩٦٤م) ص٧٥.

(٢) الخطيب، عبد الكريم، اليهود في القرآن، دار الشروق ط١، (القاهرة،١٩٨٤م) ص٦٣–٦٤.

(٣) فريد مان، بنيامن، اليهود ليسوا يهوداً، ترجمة زهدي صالح ط٢، طبع النفائس (بيروت،١٩٨٤م) ص٧٣.

المصدر الثالث : بروتوكولات صهيون :

البروتوكول: لغة كما عرفه مجمع اللغة العربية في القاهرة : (بأنه يطلق عادة على اتفاقيات تكميلية ملحقه بمعاهدة أو على اتفاق قائم بذاته (p.accord) أو على محضر لاجتماع دولي (p.peocis – verbal) وهو مرادف لكلمة(Protocole (F)[1].

أما المفهوم الاصطلاحي للبروتوكولات: (فهي محاضر جلسات يسميها بعض الباحثين (قرارات) بالنسبة لقبولها وتأييدها. وبرتوكولات حكماء صهيون عبارة عن (مؤامرة شريرة ضد البشرية. ويبدو أنها كانت رد فعل خلال القرن التاسع عشر من اضطهادهم في أوربا...

فتدارسوا في مؤتمر (بال) الذي عقد سنة (١٨٩٧م) في سويسرا – ضمن ما تدارسوا– وسائل الانتقام من البشرية)[2].

وأن عدد البروتوكولات هذه أربعة وعشرين، تهدف إلى سيطرة اليهود على العالم وأن قصة هذه البروتوكولات بإيجاز: (فقد عقد اليهود مؤتمرهم الخطير في عام ١٨٩٧م بزعامة ثيودور هرتزل[3].تنفيذاً لتعليمات واضحة عثر عليها ضمن نص خطبة ألقاها

---

(١) الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ج١ ص٨٨.

(٢) شلبي أحمد، مقارنة الأديان (اليهودية). ص٢٨٠.

(٣) ولد ثيودور هرتزل في ٢ مايس ١٨٦٠م في مدينة بودابست عاصمة هنغاريا على نهر الدانوب لابوين يهوديين، وكان أبوه موظف بنك هنغاريا أما هو فقد كان تحت تأثير عاملين: الأول :المحافظة على التقاليد اليهودية والثاني: التأثر بالثقافة الألمانية العصرية وتأثر بالعداء الأوربي الشديد لليهود فأوربا كانت على منهج البابا غريغوري الثالث عشر(١٥٨١م) – يعد هرتزل زعيم الحركة الصهيونية الحديثة الداعية إلى هجرة اليهود إلى فلسطين وقد حاول مراراً إقناع السلطان عبد الحميد الثاني بان يسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، فكان رد السلطان رفضاً شديداً حازماً ومعروفاً تاريخياً وسياساً فكادوا له وللدولة حتى أسقطوه وألغوا الخلافة، ينظر حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ص٩٦، ويوميات هرتزل، ص٣٥ ومذكرات السلطان عبد الحميد، ص١١.

الحاخام (ريتشورن) في اجتماع سري عقده اليهود على قبر قديسهم (سيمون بن يهـوذا) سنة ١٨٦٩م في مدينة براغ وورد فيها ما يلي: (لقد وكل آباؤنـا للنخبـة مـن قـادة يهـود أمر الاجتماع مرة على الأقل في كل قرن حول قبر أستاذنا الأعظم الرابـي المقـدس سـيمون بن يهوذا، الذي يعطي تعاليمه للصفوة من كل جيل للسيطرة على العالم وسلطه على نسل يهوذا) [١].وتتابع عقـد المـؤتمرات فقـد عقـد مـؤتمرهم الثـاني ١٨٩٧م في بـال بسويسـرا والثالث ١٨٩٩ في نفس المكان [٢].

وعقد مـؤتمرهم الرابـع في لنـدن سـنة ١٩٠٠م والمؤتمر الخـامس في ١٩٠١ في بـال بسويسرا والسادس في ١٩٠٣ والسابع ١٩٠٥م بسويسرا والثـامن في لاهـاي ١٩٠٧م وكلـها تهدف إلى العمل على قيام دولة يهودية بعد خمسين عاماً وقد تحقق لهـم ذلـك بالفعـل، وفي مؤتمرهم عام ١٩٥١م الذي عقد في القدس ، الذي كان ظـاهره لبحـث خطـة الـتهجير اليهودي إلى فلسطين المحتلة ،أما في باطنه فكان الانتقال بالحركة اليهوديـة مـن دولـة صهيون في إسرائيل إلى بحث خطوات تأسيس دولة إسرائيل الكبرى لتحقيق حلم اليهود في مملكتهم (المزعومة) من النيل إلى الفرات ، وإقامة مملكة صـهيون العالميـة بعـد مائـة سنة من مؤتمرهم بسويسرا عام ١٨٩٧م. وقد خاب ظنهم وسـخيب ولـن يتحقـق حلمهـم بإذن الله لأنهم يعيشون أوهام نبؤاتهم التوارتية التلمودية الكاذبة وأن وعد الله هو الـذي يتحقـق وأن الله تعـالى لا يخلـف وعـده لقولـه تعـالى ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ [٣].

(١) عبد الناصر، شوقي، بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، (بغداد ، ب ت) ص٤٣.
(٢) مجلة المشرق ١٨٩٩/١٢/١.
(٣) سورة الإسراء، الآية/٧.

لقد كان لرفض السلطان عبد الحميد الثاني مقابلة زعيم الصهيونية هرتزل وإبلاغه رسالة بليغه قال فيا (على هرتزل ألا يتقدم خطوة واحدة أخرى في هذا الشأن، لا أستطيع أن أبيع بوصة من هذا البلد لأنه ليس ملكي بل ملك أمتي ولقد أوجدت هذه الإمبراطورية وغذتها بدمها قبل أن نسمح بتمزيقها وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا... ليحتفظ اليهود ببلايينهم ، فحين تقسم الإمبراطورية قد يأخذون فلسطين دون مقابل لكن لن تقسم إلا على جثثنا) [1].

وموقف تركيا منذ انقلاب (اتاتورك) سنة ١٩٠٨م تجاه العرب واليهود، لا يفسره إلا نفوذ اليهود في تركيا فلو بقيت الخلافة العثمانية – رغم ضعفها – قائمة لما أمكن قيام وطن يهودي في فلسطين، فنكب اليهود تركيا لذلك بتسليط بريطانيا عليها أثناء الحرب العالمية الأولى وكادت بريطانيا تعقد الصلح مع تركيا أثناءها ولكن اليهود عطلوه بزعامة وايزمان. الذي صار أول رئيس لدولة إسرائيل المسخ – كما ذكر هو في مذكراته – وبمساعدة بعض النساء فهم الذين حالوا دون الصلح بينهما، حتى تخرب تركيا وتنحل الخلافة وكان أحد الثلاثة الذين سلموا الخليفة عبد الحميد الثاني قرار العزل يهودياً، وكان لنفوذهم أكبر الأثر في طرح تركيا ودينها الإسلامي وقوانينها الإسلامية ومحاربة اللغة العربية والتبرؤ من صلاتها بالعرب، لأن اليهود ولا سيما (الدونمة) – وهم يهود يتظاهرون بالإسلام – هم الداعون إلى الجامعة الطورانية للتخلص من الإسلام واللغة العربية وقطع الصلة بين العرب والترك وقد كان لذلك أثره في أن اصطبغ بهذه الألوان حكم أتاتورك وقد كان فيه عرق من (الدونمة) [2].حيث عين

(١) التونسي، محمد خليفة،الخطر اليهودية، ص٧٣.
(٢) التونسي، محمد،خليفة، الخطر اليهودية، ص٧٣.

الحاخام حاييم ناحوم مبعوثا له إلى مؤتمر لوزان ثم عينه حاخاماً لليهود ومن ذلك الوقت تقف تركيا مع مطالب اليهود ومع دولة يهود بعد قيامها.

الطغيان الصهيوني في البروتوكولات :

إن الطغيان الصهيوني في البروتوكولات قائم على إنكار الأخوة الإنسانية أساساً بين اليهود الطغاة وسائر الأمم، وأكبر مسؤوليات أصحاب البروتوكولات هو النية السيئة فيها ثم الخطة الخبيثة ضد سائر الأمم لهلاكها.. كما يتواطأ اليهود على الاستهانة بسائر الأمم، واحتقارها وإهدار كيانها وحياتها جملة، لا لباعث إلا الكبرياء والأثرة التي تملي لليهود أن يعتقدوا أنهم شعب الله المختار ، وأن سائر الأمم متاع لهم لا قيمة لهم إلا بقدر ما ينفع اليهود أغلظ أنواع المتعة[1].

هكذا تقول التعاليم اليهودية كما تذكر توراتهم التي ينسبون إلى موسى عليه الصلاة والسلام كتابتها وحياً من ربهم (يهوه) إله الجنود وكما توضح التلمود والبروتوكولات وهم لا يدينون إلا بهذه التعاليم ، ولا ينفذون غيرها في معاملة سائر الأمم، وبوحي من هذه التعاليم رسخت في نفوسهم بغضاء الأمم، فكان تاريخهم سلسة من المؤامرات والفتن والحروب الدموية فيما بين بعضهم البعض، وفيما بينهم وبين سائر الأمم وكانت حروبهم ولا سيما الخارجية حروب استئصال ، كما فعلوا مع سائر القبائل التي التحموا بها في فلسطين حين دخلوها قديماً، كما فعلوا بكثير من المدن والقرى حين اقتحموا فلسطين منذ سنين ثم أجلوا عن قسمها الذي قامت فيه دولتهم اسرائيل سكانها الاصليين من العرب عجزوا عن استئصالهم من جانب وزعزعة للدول

(١) البستاني، سيف الدين، أوقفوا هذا السرطان، (دمشق،١٩٥٩م). وينظر .العمري ، موفق مصطفى، الماسونية، الجمعية السرية لبني صهيون، مطبعة الجامعة(بغداد، ١٩٧٢م) ص٣.

العربية بإجلائهم إليها من جانب آخر وما يقومون به الآن في مدن وقرى الضفة العربية وقطاع غزة أدهى وأمر. وقد سخرت اليهودية العالمية الماسونية كوسيلة تستخدمها القوى الخفية لتهديم القيم التي تقف حائلاً دون مطامع بني إسرائيل ومن جملتها الديانات[1].

البروتوكولات تثير الفتن والحروب المدمرة :

نعرض نماذج مما تضمنته بروتوكولات صهيون في هذا المجال ومنها:

١ـ البروتوكول الأول : ومما جاء فيه :

لقد مضى الزمن الذي كانت الديانة هي الحاكمة، وأن فكرة الحرية لا يمكن أن تتحقق... يكفي أن يعطي الشعب الحكم الذاتي فترة وجيزة... وتبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم فتصير معارك اجتماعية وتندلع النيران في الدولة ويزول أثرها كل الزوال وسواء أنهكت الدول الهزاهز الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجي فإنها في كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائياً كل الخراب وستقع في قبضتنا. وأن الاستبداد المالي، والمال كله في ايدينا لا محاله[2]...وإن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه... يجب أن يكون شعارنا (كل وسائل العنف والخديعة) [3]. فالغاية تبرر الوسيلة[4].

(١) البستاني، سيف الدين ، أوقفوا هذا السرطان (دمشق ١٩٥٩م) وينظر: العمري، موفق مصطفى، الماسونية، الجمعية السرية لبني صهيون ،مطبعة الجامعة(بغداد، ١٩٧٢م) ص٣.

(٢) التونسي، خليفة، الخطر اليهودي، البروتوكول(١) ص١١١–١١٨.

(٣) التونسي، خليفة ، الخطر اليهودي ، البروتوكول (١) ص١١١–١١٨.

(٤) ميكاقيللي، نيقولا، الأمير، تعريب خيري حماد، دار الأفاق ، ط١٠(بيروت، ١٩٧٩م).

٢ـ البروتوكول الثاني :

يلزم لغرضنا أن لا تحدث أي تغيرات إقليمية عقب الحروب، فبدون التعديلات الإقليمية تتحول الحروب إلى سباق اقتصادي ، وعندئذ تتبين الأمم تفوقنا في المساعدة التي سنقدمها، وأن اطراد الأمور هكذا سيضع الجانبيين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوي ملايين العيون الذين يملكون وسائل غير محدودة على الإطلاق، وعندئذ ستكتسح مصالحنا الدولية كل القوانين العالم وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذي تحكم به الحكومات الفردية رعاياها. وسنختار من بين العامة رؤساء .. ممن لهم ميول العبيد... ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع الشطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة[١].

٣ـ البروتوكول الثالث :

(... أؤكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا، ولم تبق إلا مسافة كي تتم الأفعى الرمزية(**sympolic serpeni**) [٢]. – شعار شعبنا – دورتها ، وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوربا محصورة فيها بأغلال لا تكسر) [٣].

وفي نفس البرتركول: (أنه يجب علينا – حين نستحوذ على السلطة – أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء.

ولكن يجب أن نركز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع من الدم، وفي تلك اللحظة، يكون يسيراً علينا أن نسخرها وأن نستعبدها. وهذه

(١) التونسي ، خليفة، الخطر اليهودي ، البروتوكول (٢) ص١٢٢– ١٢٣.
(٢) التونسي، الخطر اليهودي، البروتوكول(٣) ص١٢٤ وص ١٣٠.
(٣) التونسي ، خليفة، الخطر اليهودي ، البروتوكول (٣) ١٢٤ وص ١٣٠.

الحيوانات إذا لم تعط الدم فلن تنام، بل سيقاتل بعضها بعضاً) [1]. هكذا الأمم الأخرى في نظرهم حيوانات ومتوحشين.

٤ـ البروتوكول السابع :

إن ضخامة الجيش، وزيادة القوة البوليسية ضروريتان لإتمام الخطط السابقة الذكر. وأنه لضروري لنا كي نبلغ ذلك، أن لا يكون إلى جوانبنا في كل الأقطار شيء بعد إلا طبقة صعاليك ضخمة، وكذلك جيش كثير وبوليس مخلص لأغراضنا .. ويجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على الجانب ما يجاورنا من بلاد تلك الدولة التي تجرؤ على الوقوف في طريقنا، ولكن إذا قرر هؤلاء الجيران الاتحاد ضدنا فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية[2].

٥ـ البروتوكول الثامن :

إننا سنحيط حكومتنا بجيش من الاقتصاديين وسنكون محاطين بألف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين إذ الواقع أن كل شيء سوف يقرره، وما دام ملء المناصب الحكومية بإخواننا اليهود في أثناء ذلك غير مأمون بعد فسوف نعد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم كي تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم ، ...وإذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن. والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذي تنفث صدورهم فيه[3].

٦ـ البروتوكول التاسع :

إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني (الحرية والمساواة والإخاء) وسوف لا

---

(١) التونسي ، الخطر اليهودي ، البروتوكول (٣) ١٢٤ وص ١٣٠.

(٢) التونسي، الخطر اليهودي .البروتوكول(٧) ص ١٣٩ وص ١٤٠.

(٣) التونسي ، الخطر اليهودي ، البروتوكول (٨) ص١٤٢-١٤٣.

نبدل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة، وسوف نقول : (حق الحرية، وواجب المساواة وفكرة الإخاء) وبها سنمسك الثور من قرنيه، وحينئذ نكون قد دمرنا في الحقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا وأن تكون هذه القوى الحاكمة نظرياً ما تزال قائمة، وحين تقف حكومة من هذه الحكومات نفسها موقف المعارضة لنا في الوقت الحاضر فإنما ذلك أمر صوري متخذ بكامل معرفتنا ورضانا كما إننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية السامية) [1].

٧ـ البروتوكول العاشر :

حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامها (وهذا ما سيكون مدبراً على أيدينا) فيصرخون هاتفين(اخلعوهم أعطونا حاكما يمنحنا السلام والراحة.. لكي يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء لا بد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات فتستمر العداوات والحروب والكراهية والموت.. مع الجوع والفقر وتفشي الأمراض إلى حد لا يرى الأميون(غير اليهود) أي مخرج غير أن يلجئوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة) [2].

٨ـ البروتوكول الحادي عشر :

(إن الأمميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم، وأننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة؟

إنها لتغمض عيونها عن كل شيء وإلى هذا المصير سيدفعون) [3].

(١) التونسي ، الخطر اليهودي ، البروتوكول (٩) ص١٤٤.

(٢) التونسي ، الخطر اليهودي ، البروتوكول (١٠) ص ١٥٦.

(٣) التونسي ، الخطر اليهودي ، البروتوكول (١١) ص١٥٨،

٩ـ البروتوكول الثالث عشر :

(سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة **fantastic** التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية. لقد نجحنا كاملاً بنظرياتنا على التقدم في تحويل رؤوس الأمميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية. ولا يوجد عقل واحد بين الأمميين يستطيع أن يلاحظ أنه في كل حالة وراء كلمة (التقدم) يختفي ضلال وزيغ عن الحق) [١].

١٠ـ البروتوكول الرابع عشر :

(سيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية (غير اليهودية) ولكن لن يحكم أحداً أبداً على دياناتنا من وجهة نظرنا، إذ لن يستطيع أحد أبداً أن يعرفها معرفة شاملة نافذة إلا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر بكشف أسرارها) [٢].

١١ـ البروتوكول السابع عشر :

لقد بذلنا جهوداً عظيمة للحط من كرامة رجال الدين من الأمميين (غير اليهود) في أعين الناس وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي يمكن أن تكون عقبة كئود في طريقنا ، وأن نفوذ رجال الدين على الناس لتتضائل يوماً فيوماً، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بدداً انهياراً تاماً،وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى أي (الإسلام) [٣].

نقض اليهود للعهود وقتلهم الأنبياء :

عرف عن اليهود تاريخياً بنقضهم للعهود وقتلهم الأنبياء وحقدهم على المؤمنين والافتراء والكذب عن قصد وعمد وقد فضحهم القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم

(١) التونسي ، الخطر اليهودي ، البروتوكول (١٣) ص١٦٨.

(٢) التونسي ، الخطر اليهودي ، البروتوكول(١٤) ص١٧٠.

(٣) التونسي ، الخطر اليهودي ، البروتوكول (١٧) ص١٨٧.

مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ ﴾[1].

وهذا من الذنوب التي ارتكبوها مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم ﴿ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي حججه وبراهينه والمعجزات التي شاهدوها على يد الأنبياء عليهم السلام ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ ﴾ قال ابن عباس: أي في غطاء وهذا كقول المشركين(وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا إليه) الآية وقيل معناه أنهم أدعوا أن قلوبهم غلف للعلم قد حوته وحصلته قال الله تعالى: ﴿ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾ فعلى القول الأول: كانوا يعتذرون إليه بأن قلوبهم لا تعي ما يقول لأنها في غلف وفي أكنه قال الله تعالى بل هي مطبوع عليها بكفرهم.

وعلى القول الثاني عكس عليهم ما أدعوه من كل وجه[2].

﴿ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ أي تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الإيمان وقوله تعالى ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴾. قال ابن عباس: يعني أنهم رموها بالزنا.. قال السدي والظاهر من الآية أنهم رموها وابنها (عليهما السلام) بالعظائم فقد جعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك[3].وقد سبق قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ

(١) سورة النساء، الآية/١٥٥، ١٥٦.

(٢) ابن كثير، تفسير ج١، ص١٥٤ والزمخشري، تفسير، ج ص ٥٧٨.

(٣) عبد الله، عبد القهار، داود، تفسير القرآن الكريم، ص١٢٩.

بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[1].

كان ذلك موقفهم مع أنبيائهم يبينه ويقرره ثم يجابههم بموقفهم من الرسالة الجديدة والنبي الجديد.

ولقد قص الله تعالى على المسلمين من أنباء بني إسرائيل في هذا ما يحذرهم من الوقوع في مثله، حتى لا تسلب منهم الخلافة في الأرض والأمانة التي أنيطت بهم. فلما وقعوا في مثل ما وقع فيه بنوا إسرائيل وطرحوا منهج الله وشريعته، وحكموا أهواءهم وشهواتهم، وقتلوا فريقاً من الهداة، وكذبوا فريقاً، ضربهم الله بما ضرب به بني إسرائيل من قبل، من الفرقة والضعف والذلة والهوان والشقاء والتعاسة... إلا أن يستجيبوا لله ورسوله ، وإلا أن يخضعوا أهوائهم لشريعته وكتابه، وإلا أن يفوا بعهد الله معهم ومع أسلافهم ، وإلا أن يأخذوه بقوة، ويذكروا ما فيه لعلهم يهتدون[2].

ثم أخبر الله تعالى عن اليهود المعاصرين للنبيﷺ وبين ضلالهم في إقتدائهم بالأسلاف فقال حكاية عنهم ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أي في أكنة لا تفقه ولا تعي ما تقوله يا محمد، والغرض اقناطه عليه الصلاة السلام من إيمانهم، وقال تعالى رداً عليهم ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾[3].أي طردهم وأبعدهم من رحمته بسبب كفرهم وضلالهم ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾[4].وهو القرآن العظيم الذي أنزل على خاتم المرسلين، مصدقاً لما في التوراة ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى

(١) سورة البقرة، الآية/٨٧.
(٢) سيد،قطب ، تفسير، مج١ ج١ ص١١٤.
(٣) سور البقرة من الآية/٨٨.
(٤) سورة البقرة من الآية/٨٩.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾. أي وقد كانوا قبل مجيئه يتنصرون به على أعدائهم ويقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث آخر الزمان، الذي نجد نعته في التوراة ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

ولما بعث محمدﷺ الذي عرفوه حق المعرفة كفروا برسالته، فلعنة الله على اليهود، الذين كفروا بخاتم المرسلين ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2].

يقول صاحب صفوة التفاسير: أي بئس الشيء التافه الذي باء به هؤلاء اليهود أنفسهم بكفرهم بالقرآن الذي أنزله الله ﴿ بَغْيًا ﴾ أي حسداً وطلباً لما ليس لهم، فرجعوا بغضب من الله زيادة على السابق عليهم[3].

هذا هو طبع يهود مع أنبيائهم وكذلك مع الرسول الأكرم محمدﷺ فإنهم لم يلتزموا بالمعاهدة التي أبرمها رسول اللهﷺ معهم في المدينة بل سرعان ما نقضوها ولم يكتفوا بعدم الوفاء بالتزاماتهم التي حددتها بل وقفوا مواقف عدائية أيضاً، رغم إعطائهم حريتهم الدينية في المدينة، وكان ما فعله يهود بني قينقاع بالمرأة المسلمة في سوقهم والتي أوردتها معظم مصادر السيرة والتاريخ وهي تصور الأحداث التي أدت إلى إجلاء بني قينقاع[4].كما أن تطبعهم بالغدر وتآمرهم على قتل النبي محمدﷺ أدى إلى إجلاء يهود بنو النضير لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) سورة البقرة ، الآية/٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية/٩٠.

(٣) الصابوني ،محمد علي، صفوة التفاسير، مج١ ج١ /٧٨.

(٤) ابن هشام، السيرة،٥٦١/٢ وينظر الواقدي،في المغازي ١٧٦/١-١٧٧ وينظر ابن سيد الناس في عيون الأثر ، ٢٩٥/١ وابن كثير في البداية والنهاية، ٣/٤-٤.

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]. أنها نزلت في شأن يهود بني النضير عندما هموا بقتل النبيﷺ فأنقذه الله بنعمة منه[2].كما أن نقض يهود بنو قريظة العهد الذي بينهم وبين النبي محمد ﷺ بتحريض من حيي بن أخطب النضري في وقت حرج وخطير أيام الخندق... وقد فصل ابن إسحاق خبر غدر قريظة ونقضهم العهد[3].أدى إلى جلائهم.

وضنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله :

فلما رد الله الأحزاب عن المدينة خائبين اهتم الرسولﷺ بمعالجة الموقف في خيبر التي صارت مصدر خطير كبير على المسلمين وخاصة بعدما نزل فيهم بنو النضير الذين حز في نفوسهم إجلاؤهم عن المدينة وكان من أبرز زعماء بني النضير الذي نزلوا في خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب فلما نزلوا دان لهم أهلها[4].فقد كان يدفعهم للانتقام من المسلمين حقد دفين ورغبة قوية في العودة إلى المدينة. وكان أول تحرك قوي ما حدث في غزوة الأحزاب حيث كان لخيبر وعلى رأسها زعماء بني النضير دور كبير في حشد قريش والأعراب ضد المسلمين وتسخير أموالهم في ذلك ، ثم سعيهم في إقناع بني قريظة بالغدر والتعاون مع الأحزاب[5].

ولهذا قرر المصطفى ﷺ التوجه بالمسلمين إلى خيبر وتدل الأحاديث الصحيحة على أن النبي ﷺ وصل خيبر قبل انبلاج الفجر وصلى الفجر قربها ثم هاجمها بعد أن بزغت الشمس هاتفاً (الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح

---

(١) سورة المائدة/١١.

(٢) الطبري، تفسير ١٤٦/٦-١٤٧ وينظر البيهقي، دلائل النبوة ، ٤٤٦/٣-٤٤٨ وابن الكثير تفسير ٣١/٣.

(٣) الواقدي، مغازي، ٤٥٤/٣-٤٥٩ وينظر الطبري تاريخ، ٤٧٠/٣-٥٧٣ ، وابن حزم، جوامع السيرة، ١٨٨.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٢٧٢/٣.

(٥) ابن هشام، السيرة، ٢٥٣/٣.

المنذرين)[1].فلجأ اليهود إلى حصونهم ، وحاصر المسلمون حصن (ناعم) وكان حصناً منيعاً وصمد لحصار المسلمين لليومين الأولين ولم يسقط هذا الحصن وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسولﷺ: إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له. فلما صلى الفجر في اليوم التالي دعا علياً رضي الله عنه ودفع إليه اللواء يحمله في اليوم الثالث فتم الفتح على يديه [2].

وقد وصى النبيﷺ علياً رضي الله عنه أن يدعو يهود خيبر إلى الإسلام وما يجب عليهم من حق الله له (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعيم) [3].

مما يدل على أن النبيﷺ ما كان حريصاً على غنائم خبير بل كان همه نشر العقيدة وإزاحة العقبات من طريقها [4].

وبعد فتح حصن ناعم تداعت الحصون الأخرى وسقطت سائر خيبر بيد المسلمين ، وقد صح أن امرأة يهودية أهدت النبيﷺ شاة قد سمتها وأكثرت السم في الذراع عندما عرفت أنه يحبها فلما أكل من الذراع أخبرته أنها مسمومة فلفظ اللقمة، واعترفت المرأة فلم يعاقبها، وقد قتلها بعد ذلك عندما مات بشر بن معرور رضي الله عنه من أثر السم الذي ازدرده مع الطعام [5]. فالغدر شيمة اليهود لذا غضب الله عليهم ولعنهم وأخزاهم وأذلهم وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم وقلاعهم ومعاقلهم. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة ٤٧٨/١، وكتاب الأذان ٨٩/٢ ومسلم الصحيح كتاب الجهاد والسيرة باب غزوة خيبر، ٤٢٦/٣.

(٢) أحمد في المسند ٣٥٣/٥ والحاكم في المستدرك ٣٧/٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٠/٦.

(٣) مسلم، الصحيح كتاب فضائل الصحابة، ١٨٧٢/٤.

(٤) العمري، أكرم، السيرة النبوية الصحيحة، ٣٢٣/١.

(٥) الحاكم، المستدرك، ٢٢٠/٣.

كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[1].

نزلت هذه الآية بحق بني النضير[2]. هذا هو شأن يهود فقد ركبهم الغرور وهموا بمحاربة الله ورسوله متحصنين في صياصيهم وحصونهم فلم يفلحوا، وهذا ديدن الجبان الذي لا يقابل خصمه وجها لوجه لقوله تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾[3].وذلك لفرط جبنهم وهذه هي عقيدة يهود في الحرب قديماً وحاضراً فإذا حصون بني النضير قد تهاوت وحصون خيبر قد سقطت فهل ينفع شارون ومن جاء بعده (جداره الواقي) في صد انتفاضة الأقصى... إن الذي أسقط خيبر سيقضي على دولة إسرائيل قريباً، وإن وعد الله يتحقق، وإن غداً لناظره لقريب.وأن معركة غزة كانت درساً للدولة اليهودية فقد اثبتت أن القوة وحدها لا تقهر الحق وان جيشهم المدجج باحدث الاسلحة قد قهرته المقاومة التي هي على الحق.

---

(١) سورة الحشر، الآية ٢.

(٢) البيضاوي، تفسير ٤٦٩/٣ والألوس تفسير، ٣٩/٢٨.

(٣) سورة الحشر، الآية/١٤.

ثانياً : العقيدة العسكرية لدى النصارى :

١ـ مصادرها : تعتمد هذه العقيدة على مصادر عدة منها :

المصدر الأول : العهد القديم والأسفار :

أن العقيدة العسكرية النصرانية تعتمد كثيراً على ما ورد في العهد القديم والأسفار من نصوص خاصة بالحرب والقتال لأن النصارى يؤمنون بالعهد القديم إيمانهم بالعهد الجديد، لذا يعد الفكر اليهودي والعقيدة العسكرية لدى اليهود مصدراً مهماً للعقيدة العسكرية لدى النصارى، ولا أجد مبرراً لإعادتها حيث تم عرضها في الفقرة السابقة.

المصدر الثاني : العهد الجديد :

إن من يستقرئ ما جاء في الأناجيل الأربعة(متى، مرقس، لوقا، ويوحنا) وأعمال الرسل والرسائل يجدها خالية من الأفكار والوصايا الخاصة بالحرب والقتال إلا من نصوص قليلة جداً وردت في هذه الأناجيل:

ففي إنجيل متى جاء ما نصه:

(لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض – ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً...)[1]. وفي إنجيل متى جاء ما نصه:

(ويقعون بقيم السيف ويسبون إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم) [2]. وأيضاً (فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ومن ليس له سيف ، فليبيع ثوبه ويشتري سيفاً).

---

(١) إنجيل متى، إصحاح ١٠ ونيظر إنجيل لوقا ١٢ : ٥١–٣٥.

(٢) إنجيل لوقا، إصحاح ٢١.

وجاء أيضاً:

(إني أقول لكم أنه ينبغي أن يتم فيَّ أيضاً هذه المكتوب واحضى مع أسمه، لأن ما هو من جهتي له القضاء فقالوا يا رب هو ذا هنا سيفان: فقال لهم يكفي)[1].

وجاء في إنجيل متى أيضاً: (سيجيء كثير من الناس منتحلين أسمي فيقولون أنا هو المسيح! ويخدعون كثيراً من الناس ، وستسمعون بالحروب وأخبار الحروب فإياكم أن تفزعوا. فهذا لا بد منه، ولكنها لا تكون هي الآخرة، ستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة ، وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة، وهذا كله بدء الأوجاع، وفي ذلك الوقت يسلمونكم إلى العذاب ويقتلونكم وتبغضكم جميع الأمم)[2].

وجاء في إنجيل مرقص (فستنزل النكبة على هذا البلد وغضب الله على هذا الشعب فيسقطون بحد السيف ويؤخذون أسرى في جميع الأمم)[3].

وفي سفر زكريا (فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم كما في يوم حربه يوم القتال..)[4].

وفي سفر الأمثال: (قال الكسلان الأسد في الخارج فاقتل في الشوارع)[5].

وفي سفر مزامير(طال على نفسي سكنها مع مبغض السلام، وأنا سلام وحينما أتكلم فهم للحرب)[6].

وفي رؤيا يوحنا: (ولكني اعتب عليك لأن عند من يتمسكون بتعاليم بلعام الذي أشار عليَّ بآلاف أن يوقع بني إسرائيل في شرك الخطيئة فيأكلوا ذبائح الأصنام ويزنوا،

---

(١) إنجيل لوقا، إصحاح٢٢.

(٢) إنجيل متى، إصحاح ٢٤، وينظر إنجيل مرقص، إصحاح ١٣، وإنجيل لوقا، إصحاح ٢١.

(٣) إنجيل مرقص، إصحاح ١٣.

(٤) سفر زكريا، ١٤.

(٥) سفر أمثال، إصحاح ٢٢.

(٦) سفر مزامير، إصحاح ١٢.

وأنت عندك من يتبعون النقولاويين الذي ابغضه فتب وإلا جئتك عاجلاً لأقاتلك بالسيف الذي في فمي) [1].

ليس ثمة شك في أن الله تبارك وتعالى إنما أنزل على المسيح عليه الصلاة والسلام إنجيلاً واحداً مكملاً للتوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام وما من شك أيضاً في أن المسيح حين هتف ببني إسرائيل: (قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) [2].

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه لقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [3].

أما الكتب السابقة فقد وكل حفظها إلى علماء دينها لقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [4].فقد حرفت التوراة الإنجيل لقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [5].

وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [6].

إن محرري دائرة المعارف البريطانية وهم من ذوي الكفاءات العالية في معظم

---

(١) رؤيا يوحنا، إصحاح ٢.

(٢) إنجيل مرقص، إصحاح ١٦/١.

(٣) سورة الحجر، الآية/٩.

(٤) سورة المائدة، الآية/٤٤.

(٥) سورة النساء، الآية/٤٦.

(٦) سورة المائدة الآية/١٣.

التخصصات – ومنها اللاهوت– لم يتطرقوا أو يبالغوا في القول بأنه (لم يبق من أعمال السيد المسيح شيء ولا كلمة واحدة مكتوبة) [1].

وفي رسالة سبينوزا في اللاهوت والسياسة ومحور موضوعها هو فلسفة التاريخ الديني أو التاريخ المقدس(لقد أتى الوحي للشعب اليهودي حتى يتغلب على طبيعة الحسية المادية، وعلى تكوينه الوثني، ولكنه انتهى إلى أن سادته الوثنية، ثم أتى الوحي المسيح داعياً للسلام، من أجل التغلب على الطبيعة الحربية الرومانية وداعياً للطهارة الروحية، من أجل التغلب على الطبيعة المادية الحسية اليهودية والرومانية، ولكنه انتهى إلى أن سادته الحروب والتعصب وتغلبت عليه المادية الحسية [2].

ويقول آدم كلارك أحد شارحي الأناجيل: (محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية وكثرة هذه الأحوال الغير صحيحة (كذا) هيجت لوقا على تحرير الإنجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية، وكان (فابري سيوس) جمع الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاث مجلدات) [3].

وهكذا قفز العددمن واحد إلى سبعين والمسيحية لا تزال في مهدها.ولذلك ليس غريباً أن يكون لدى الكنيسة مئة وعشرون رسولاً [4].تلك حصيلة المسيحية في قرونها الثلاث الأولى سبعون إنجيلاً يكذب بعضهم بعضاً ومائة وعشرون رسولاً.

ففي مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ابتدأت صفحة جديدة في تاريخ النصرانية حيث أن

(١) يوسف، محمد علي، الجفوة المفتعلة بين العلم والدين(بيروت، ١٩٠٦)ص ١٣.
(٢) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص١٧.
(٣) الهندي، رحمه الله، إظهار الحق، تحقيق عمر الدسوقي، (الدار البيضاء، ١٣٨٤هـ) ص٢٩٢.
(٤) أعمال الرسل، إصحاح/١.

الإمبراطور الروماني (قسطنطين) هو الذي دعا إلى انعقاده وهو رجل وثـني وظـل وثنيـاً إلى أن عمد وهو على فراش الموت [1].

ومعلوم أن وثنية قسطنطين ثالوثية ولهذا انحاز إلى جانب الثالوثيون أتباع بـولس وكان عددهم في المـؤتمر حـوالي ثلاثمائـة وثمانيـة عشـر عضـواً في حـين الموحـدون أتبـاع آريوس يقارب عددهم السبعمائة عضو فقد جمع قسطنطين الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً في مجلس خاص وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وسلمه إليهم وقـال (قـد سـلطتكم اليوم على مملكـتي) وإن أبـرز قـرارات المجمـع بشـأن الأناجيـل هـو اعتمـاد الأناجيـل الأربعة(متى، لوقا، مرقص، يوحنا) بل ولعنت وحرمت من يخالف هذه القرارات [2].

المصدر الثالث : التراث الكنسي والعسكريتاريا [3] الرومانية :

إن الربط الذي جمع الكنيسة بالإمبراطور الروماني هو رباط المصلحة الدنيوية لكل الطرفين لا غير وإن كانت مصـلحة الإمبراطـور أرجـح وتنازلـه أرخـص وقـد أدرك هـذه الحقيقة المؤرخ الإنكليـزي (ويلـز) فقـد شـرح بدقـة حالـة الإمبراطوريـة معلـلاً اعتنـاق قسطنطين للمسـيحية وإعلانهـا ديانـة رسميـة بأنـه محاولـة منـه لإنقـاذ إمبراطوريتـه المتضعضعة من التفكك والانحلال) [4].وهو ما قال بـه جيبون من قبل [5].

هذا بالنسبة للإمبراطـور، أمـا بالنسـبة للـذين اعتنقـوا النصـرانية مـن المـواطنين

---

(١) جيبون إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، ترجمة محمد علي أبو دره، ط١(بيروت، ب ت) ٥٦٤/١.

(٢) أبو زهرة ، محمد، محاضرات في النصرانية، ط٤، (القاهرة ب ت) ص.١٤٤

(٣) العسكرتياريا مصطلح اجنبي يعني المبالغة في العسكرة أي الشدة والعسكرية وتعني (milarism (E و (f militarisme وينظر : الصحاح في اللغة والعلوم: ج٢ ص١١٣/ مرعشلي.

(٤) هـ ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة، ١٩٦٧م)٧١٨/٣-٧١٩.

(٥) جيبون، اضمحلال الإمبراطورية ، الرومانية، الفصل العشرون.

الرومان فلم يتغير تصورهم السابق عن الدين ومهمته في الحياة حيث بقت الجذور الوثنية في نفوسهم والروح العدوانية وإشعال الحروب وفق طابع العسكريتارية الرومانية الذي تطبع به شعب قام كيانه على شن الحروب والمدافعة مع الأقوام الأخرى ومنهم العرب والفرس وغيرهم.

كما كانت الوثنية وعبادة القيصر متأصلة في النفوس، فلم تستطع الكنيسة بتصورها الخاطئ أن تقتلع جذور الوثنية المتغلغلة في أعماق النفس الرومانية وقد عبر أحد المؤرخين الغربيين عن ذلك بقوله: (ان المسحية لم تكن عند أكثر الناس غير ستار رقيق يخفي تحته نظرة وثنية خالصة إلى الحياة) [١].

إن التغير الذي طرأ عليهم هو إحلال الثالوث: (الأب والأبن ورح القدس) محل الثلاثي (جوبيتر ومارس وكورنيوس) فما كانوا ينتظرون من آلهة بولس (شاؤول) وكنيسته من تشريع وتوجيه إلا ما ينتظر آلهتهم الجامدة الشاحبة ولم يكن مقام الأب الذي نادت به الكنيسة ليزيد على مقام جوبتير الذي صوره ابيقور، ولم يقتصر الأمر على هذا بل إن الكنيسة تزحزحت عن مركز التأثير فدخلت الخرافات والأساطير والتقاليد الوثنية في صلب تعاليمها وطقوسها وامتزجت بروايات الأناجيل وآراء المجامع المقدسة كما حصل امتزاج وتلاقح بين الشريعة والقانون الروماني فأصبحت النصرانية ديانة (تركيبية) كما وصفها لوبون [٢].

هذا الضلال والخطل الذي وقعت فيه الكنيسة لا يبرره ما ذهب إليه ليكونت دي نوي، حين قال: (قبل الدين الكاثوليكي الذي نشأ على شواطئ المتوسط ذات المخيلة

(١) هامرتن، جون ، تاريخ العالم ، ترجمة إدارة الترجمة (القاهرة،ب ت) ص٦٨.

(٢) لوبون، غوستاف، حياة الحقائق، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة، ١٣٦٨هـ) ص٦٨.

الواسعة بعض العادات لأنه لم يجد إلى إزالتها سبيلاً وانتهت – أي الكنيسة– مرغمة إلى قبول المساومة وقد طغت عليها أمواج الخرافات القديمة الجارفة) [1].

وفي هذا يقول (فيشر): (إن الكنيسة هدت آباءها الأولين إلى قبول... مبدأ تعدد الآلهة الراسخ بين شعوب البحر المتوسط وتطويع ذلك المبدأ لما تقتضيه عقائدها) [2].

وكان أول من سن التنازل عن الشريعة مقابل قبول العقيدة هو شاؤول (بولس) يقول برنتن:

(كانت العقبة الكبرى في وجه الأمميين الذين وجدوا أسلوب الحياة المسيحية جذاباً قانون اليهود – أي شريعة التوراة – ثم يشرح برنتن: كيف أن بولس زال هذه العقبة فافتى بأن (الإغريق والمصريين والرومان الذين يقبلون المسيحية في حل من الختان وفي حل من التقيد بحرفية القانون) [3].

وبمرور الزمن أصبح هذه الإنحراف منهجاً مقرراً اعتمدته الكنيسة بعد مجمع (نيقية) ففصلت بني العقيدة والشريعة، وبين الدين والدولة، وقسمت الحياة البشرية دائرتين، الأولى (دينية) من اختصاص الله ويقتصر محتواها على نظام الاكليروس والرهبنة، والأخرى(دنيوية) من اختصاص قيصر وقوانينه ويحوي محيطها التنظيمات السياسة والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والعلاقات الدولية ونظم الحياة العامة وفي هذا يقول (فيشر): إن المسيحيين الأولين على وجه الإطلاق لم يعمدوا على شيء من الإصلاح في المجتمع الروماني الذي نبتوا فيه. ولذا رضي المسيحيون بجميع ما وجدوا من

---

(١) ليكونت دي نوي، مصير الإنسان، ترجمة خليل الجر، المنشورات العربية، ص ٢٥٢–٢٥٥.

(٢) أ.هـ، فيشر تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة مصطفى زيادة القاهرة،(١٩٦٦) ٨٠/١.

(٣) برنتن، جرين ،أفكار ورجال (قصة الفكر الغربي) ترجمة محمود محمود، القاهرة(١٩٦٥م) ص١٨١.

نظم لا قبل لهم بتغييرها) [1].

هذا التعليل مصيب، ولكنه لا يمثل الحقيقة كاملة، فإن للكنيسة مستندات نقلية من نصوص الأناجيل لا بد من عرض نموذج لها ومناقشتها وأهمها:

النص: أو القول المنسوب للسيد المسيح عليه الصلاة والسلام أعط ما لقيصر لقيصر ومالله لله، هذا القول ظل شعاراً ترفعه أوربا كلما أملى عليها الهوى أن تخالف منهج الله تعالى وتتمرد على شرعه وبفضل هذا الشعار أخذ الدين ينكمش وينحسر على مر القرون.

ولندع القيمة العلمية والتاريخية للنص المذكور ولننظر نظرة موضوعية فاحصة في منطوق العبارة ومدلولها فماذا نجد؟ إن هذه العبارة ظاهرها الأمر الصريح بالشرك، فهي تجعل قيصر شريكاً لله في التوجه إليه بالعمل ، ومن ينفذها على ظاهرها يقع حتماً في شرك الطاعة والإتباع وهو شرك أعظم لتنافيه مع عقيدة توحيد الإلوهية وهذه الدلالة تكفي لنفي صدور العبارة من المسيح عليه الصلاة والسلام، لأن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا بدعوة التوحيد . ليس هذا فقط وإنما الذي ورد في إنجيل متى يؤكد على أن الفريسيون وهم أعدى أعداء السيد المسيح عليه الصلاة والسلام سولت لهم أنفسهم الحاقدة أن يدبروا له مكيدة بحيث تخرج الدعوة عن منهجها ومسارها وتناوئ الأوضاع القائمة مباشرة وبذلك يجدون طريقة للإيقاع بالمسيح عليه الصلاة السلام لدى الحاكم الروماني فكان هذا السؤال الخبيث الذي يحكي قصته متى في إنجيله: بالنص(ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودوسيين قائلين: يا معلم إنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا؟ فعلم

(١) فيشر، تاريخ أوربا في العصور الوسطى،١٠٩/٢ –١١٠.

يسوع خبثهم وقال: لماذا تجرونني يا مراؤون، أروني معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة، قالوا له: لقيصر، فقال لهم أعطوا إذن مالقيصر لقيصر ومالله لله، فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا)[1]. كان المسيح عليه الصلاة والسلام وإتباعه الموحدين قلة مضطهدة تتبنى دعوة جديدة ناشئة فلم يكن في مقدورها أن تصطدم بالإمبراطورية الطاغية ذات الجيوش والعسكر والقوة والجبروت. وهم في مرحلة تشبه مرحلة الدعوة للإسلام في فترة ما قبل فرض الجهاد وهذه المرحلة تقتضي الالتزام بمبدأ (كفوا أيديكم) كيلا يستثار العدو الغاشم فيفتك بالدعوة في مهدها. فالمسيح عليه الصلاة والسلام – لو صحت العبارة – وافق على أجراء مؤقت تقتضيه ضرورة الواقع وطبيعة الدعوة المرحلية فالواقع أنه ليس باستطاعة المسيح عليه الصلاة والسلام، والقلة المؤمنة معه أن يرفضوا دفع الجزية للجابي الروماني الذي يجمعها كل رعايا الإمبراطورية ويدفعها للطاغوت قيصر ولا يعني أن المسيح عليه الصلاة والسلام يقر ذلك الواقع الظالم ويعترف لقيصر بحق مساواة الله جل في علاه في خلقه ويجعله شريكا له في إلوهيته كما فهمت الكنيسة وياله من فهم جائر كافر ... فقد كان منها مالم يكن من أعتى القياصرة[2].

٢ـ العلاقات مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية :

تلك هي الصورة مجملة في القرون المسيحية الأولى، ولكن المد الإسلامي العظيم في القرن الثامن الميلادي الذي شمل معظم المعمورة أحدث بتعاليمه التوحيدية الخالصة أثراً قوياً في البيئات الوثنية المجاورة لا سيما دولة الروم النصرانية، وبفضل هذا التأثير أحس الغربيون بسخافة معتقداتهم وضحالة تفكيرهم مبهورين بما لدى المسلمين من

(١) إنجيل متى، إصحاح٢٢ وإنجيل مرقص، إصحاح١٢.

(٢) تاريخ أوربا في العصور الوسطى ٧١/١.

عقيدة وشريعة ونظام وقد أرخ الواقدي والطبري إرسال رسائل النبيﷺ إلى الملوك سنة ٦هـ[١].ولا شك أن مكاتبة الرسولﷺ الملوك خارج الجزيرة العربية تعبير عن عالمية الرسالة الإسلامية التي أوضحتها آيات بينات نزلت في العهد المكي مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٢].

فقد ذكر ابن حجر بقوله: (أن دحية أرسل إلى هرقل في آخر سنة ست بعد أن رجع النبيﷺ من الحديبية فوصل إلى هرقل في المحرم سنة سبع[٣]. ويدل حديث صحيح على أن كتاب الرسولﷺ وصل إلى هرقل في مدة صلح الحديبية، ويرى ابن حجر أن ذلك كان سنة ست[٤]. قال أنس: كتب النبيﷺ إلى كل جبار يدعوهم إلى الله) وسمى منهم كسرى وقيصر والنجاشي)[٥].

وقد أخرج البخاري في صحيحه نص كتابه رسول اللهﷺ الذي بعث به دحية بن خليفة الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل.

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى .أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك أثم الأريسيين[٦].و﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا

(١) الطبري، تاريخ ٢٨٨/٢ وينظر أبن هشام في السيرة، ٢٧٩/٤، وينظر ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٥٨/١ من رواية الواقدي بأسانيد أربعة من الصحابة.

(٢) سورة الأنبياء، الآية/١٠٧.

(٣) فتح الباري، ٣٨/١.

(٤) فتح الباري، ٣٩/١.

(٥) مسلم في صحيحة، ١٣٩٧/٣ (قال : وليس بالنجاشي الذي أسلم).

(٦) الاريسيون: الفلاحون.

مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وقد ثبت أن النبي ﷺ لما أراد أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لن يقرأوا كتابك إذا لم يكن مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه: (محمد رسول الله)[2].مما يدل على مرونة السياسة الإسلامية في الإفادة من الوسائل والرسوم المعاصرة ما دامت لا تتعارض مع أحكام الشريعة وروحها العامة. كما أرسل إلى المقوقس حاكم مصر البيزنطي مع حاطب بن أبي بلتعه اللخمي،كتابان وكذلك ردود المقوقس وهي كتابان أيضاً[3]. مع هدايا كثيرة بينها جاريتان جميلتان ، أهدى النبيﷺ إحدى هاتين الجاريتين إلى شاعره حسان بن ثابت، أما الجارية الأخرى مارية فاستبقاها النبيﷺ لنفسه وبنى بها، وضعت له غلاماً، سماه إبراهيم تيمناً باسم النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أما علاقات المسلمين بالبيزنطيين في سوريا فتطورت على عكس علاقتهم بالمقوقس تطوراً يؤذن باصطدام قريب[4].

أول معركة بين المسلمين والروم :

ذكر الواقدي السبب المباشر لأول معركة مع الروم وأعوانهم من نصارى العرب. وهو أن شرحبيل بن عمر الغساني قتل صبراً الحارث بن عمير الأزدي الذي أرسله الرسول محمدﷺ إلى ملك بصرى بكتابة، وكانت الرسل لا تقتل فغضب رسول اللهﷺ

---

(١) فتح الباري، ٨/١، ١٦٢/٣٢ والآية من سورة آل عمران رقم ،٦٤.

(٢) البخاري، الصحيح(فتح الباري، ٣٢٤/١٠).

(٣) أبو عبيد، الأموال ، ص٣٠ وأرخه قدامة بن جعفر في السنة الثامنة للهجرة، الخروج ، ص ٢٧٨.

(٤) برو كلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله العربية، نبيه أمين فارس، ومنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٩، (بيروت ، ١٩٨١م) ٥٨- ٥٩ .

وأرسل الجيش إلى مؤتة [1].

فقد بعث جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل إلى الشام [2]. وعين زيد بن حارثة أميراً عليه،فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب فعبد الله بن أبي رواحه [3].مما يدل على جواز تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب [4].وهذه هي المرة الأولى التي يتخذ فيها مثل هذا الاحتياط.

وربما كان متوقعاً أن تحف الأخطار هذه الحملة لوجهتها البعيدة، ولعدم وقوع احتكاك سابق بمناطق تخضع لنفوذ دولة قوية كالإمبراطورية التي كانت قبائل الشام وأطرافها موالية لها سياسياً وعسكرياً.

عندما وصل الجيش المسلمين إلى معان وصلته أخبار نزول هرقل بأرض مآب – وهي البلقاء – في مائة ألف من الروم ومائة ألف أخرى من نصارى العرب لخم وجذام وقضاعه (بهراء وبلى وبلقين)، فأمضى المسلمون ليلتين في معان يتشاورون في أمرهم وبعضهم يرى مكاتبة الرسول ﷺ وإخباره بقوة العدو ليمدهم أو يأمره. فشجع عبد الله بن رواحه الجيش وقال(يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ، الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين أما ظهور وأما شهادة) [5].

وأحدثت كلماته أثرها فدب الحماس في الجيش، وفقد آراء المتريثين قوتها،

(١) ابن سعد، الطبقات، ١٧/٢/١ ابن حجر : الإصابة ٥٨٩/١، وفتح الباري، ٥١١/٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٢٧/٣.

(٣) البخاري، الصحيح(فتح الباري، ٥١٠/٧) وابن اسحق ، (سيرة ابن هشام؟، ٤٢٧).

(٤) فتح الباري، ٥١٣/٧.

(٥) ابن اسحق دون إسناد (سيرة ابن هشام، ٤٣٠/٣).

فادفع زيد بن حارثة رضي الله عنه بالناس إلى منطقة مؤتة جنوب الكرك بيسير حيث آثر. الاصطدام بالروم هناك، فكانت ملحمة سجل فيها القادة الثلاث بطولات عظيمة انتهت باستشهادهم.

وقد أدرك خالد بن الوليد عندما استلم القيادة والراية خطورة الموقف فأعاد تنظيم جيشه وبدل الميسرة بالميمنة وجعل قسماً من الجيش يتقدمون من الخلف وكأنهم إمدادات جديدة لإيهام الروم، وتمكن خلال ذلك من القيام بانسحاب منظم لم يفقده إلا اليسير من جنده حيث سمت المصادر ثلاثة عشر شهيداً فقط[1].

ويعد هذا الانسحاب المنظم الناجح فتحاً عظيماً حيث تمكن خالد من إنقاذ جيشه بخسائر طفيفة مع الإثخان في الروم وأصابهم بقتلى وجرحى فكان هذا أول أخفاق للعسكرية الرومانية تجاه العسكرية العربية الإسلامية.فقد كان استبسال المسلمين في القتال وشجاعتهم النادرة وحرصهم على الشهادة بالإضافة إلى عبقرية خالد العسكرية هو الذي مكنهم وبعون من الله بالخروج بهذا النتيجة، لقد وجد في جسد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أكثرمن تسعين إصابة بالرماح والسهام[2].وما أقعده ذلك عن القتال حتى الرمق الأخير، وقد انكسرت تسعة أسياف في يد خالد بن الوليد رضي الله عنه[3].

ورغم هذا النجاح فقد صاح الناس في وجوههم، – وهم يحثون في وجوههم التراب– (يا فرار فرر تم في سبيل الله! ! فقال الرسولﷺ ليسو بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله)[4].

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٣٠/٣–٤٤٧، وينظر ابن حزم، جوامع السير، ص٢٢٠–٢٢٢.

(٢) البخاري، الصحيح(فتح الباري) ٥١٠/٧.

(٣) البخاري، الصحيح، ٥١٥/٧.

(٤) ابن اسحق بسند حسن (سيرة ابن هشام ٤٣٨/٣).

وقد بين الرسول ﷺ مكانة شهداء مؤتة عند الله تعالى بقوله(ما يسرني أو قال ما يسرهم أنهم عندنا) [1].أي لما نالهم من عظيم التكريم.

معارك التحرير أسقطت العقيدة العسكرية الرومانية :

كانت معارك التحرير العربية الإسلامية في الشام ومصر وأفريقيا التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية على الأرض وفي ميادين القتال وهي التي أثبتت عملياً بأن العقيدة العسكرية الإسلامية، مبادئ قابلة للتطبيق العملي بنجاح وقادرة على إحراز النصر وأثبت ضعف العقيدة العسكرية لدى الروم النصارى، فكما لاحظنا في بداية الصدام في معركة مؤتة التي لم تكن القوى متكافئة بالنسبة لموازين القوى العسكرية فثلاثة آلاف مجاهد بعدة قليلة وبسيطة يواجهون مائتا ألف مقاتل مدربين على فنون القتال ومجهزين بكل معدات الحرب ويقاتلون على أرض خبروها قريبين من مراكز القوة والتموين والإمداد ولم تستطيع كل هذه القوى المادية أن تملأ الكفة التي ملأتها الروح المعنوية مع قلة العدد والعدة للمسلمين فكانت حصيلة المعركة ثبات المجاهدين وصبرهم عند اللقاء يتوج ذلك استعلاء الإيمان بطلب إحدى الحسنيين مما أدى إلى الانسحاب للعدو فراراً وانسحاب المسلمين كراراً. وبالفعل أعد المسلمين الكرة عليهم فخرجوا إلى تبوك عام تسعة للهجرة [2].استجابة لداعي الجهاد، فقد عزم رسول اللهﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وإولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ

(١) البخاري، الصحيح، ١٣٥/٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٤٨/٨ ، وينظر ابن سعد من الطبقات ، ١٦٥/٢ واليعقوبي في تاريخه ٦٧/٢

ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]. ولا صحة لما قيل أن الخروج إلى تبوك كان مشورة يهود وقولهم إنها أرض المحشر وأرض الأنبياء تغريراً بالمسلمين ليخرجوهم من المدينة ويعرضوهم لخطر المواجهة مع الروم، وأن الآية(وأن كادوا ليستفرونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً)[2].

نزلت في ذلك، فإن الخبر في ذلك مرسل ضعيف ويرده أن الآية مكية وتتميز هذه الغزوة وغزوة مؤتة التي سبقتها بأن وجهتها إلى الروم ونصارى العرب في حين كانت الغزوات والسرايا الأخرى وجهتها إلى يهود والقبائل العربية المشركة[3].

وبذلك دخل المسلمون مرحلة جديدة بعد قضائهم على الوثنية في شبه جزيرة العرب، وإجلائهم أهل الكتاب من يهود إلى قتال أهل الكتاب من النصارى[4].

هذا التحول الذي يتسق مع طبيعة الإسلام وأهدافه في الحياة والذي تعتبر غزوة تبوك أحد شواهده، وتبوك موقع شمال الحجاز يبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨كم في الوقت الحاضر وكانت من ديار قضاعة الخاضعة لسلطان الروم آنذاك وقد سماها الرسول ﷺ بتبوك[5].

وسميت بغزوة العسرة أيضاً لما كان أصاب المسلمين من الضيق الاقتصادي وقتها[6].

والذي تدل عليه أيضاً الآية الكريمة ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/٢، والآية ١٢٣ من سورة التوبة وينظر الطبري في تفسير ، ٧١/١١.

(٢) ابن كثير تفسير ، ٢١٠/٥-٢١١ واصل الرواية في سبب النزول هذا في تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦٧/١ – ١٦٨.

(٣) العمري،أكرم، السيرة النبوية الصحيحة ٥٢٢/٢.

(٤) الطبري، تفسير، ٧٢/١١.

(٥) مسلم، في صحيحه – كتاب الفضائل – ٦٠/٧-٦١.

(٦) البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – ١٢٩/٩ وينظر مسلم في صحيحه ٨٢/٥ وفتح الباري ٨٤/٨.

وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾[1].وقد بين كل من قتادة ومجاهد أن (الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا، ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها[2]. ويقول ابن حجر في سبب الأزمة الاقتصادية إن كان وقت هذه الغزوة يرجع إلى توقيت الحملة قبل جني ثمار التمر وبيعه أم إنها ترجع لعوامل أخرى أبعد[3].وقد حث النبيﷺ على النفقة فقال (من جهز جيش العسرة فله الجنة) فجهزهم عثمان[4].رضي الله عنه ولقد أعد الرسول ﷺ جيشاً عظيماً ولي أسامة بن زيد رضي الله عنهما قيادته في العام العاشر إلى الشام وأمره أن يتوجه نحو البلقاء وفلسطين فتجهز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار وكان منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أسامة بن زيد بن ثماني عشر سنة... وأوصى عليه الصلاة والسلام به خيراً[5].

ولكن هذه الحملة تأخرت بسبب مرض الرسول ﷺ بعد البدء بتجهيزها بيومين فقط وكان أسامة قد أخذ اللواء الذي عقده الرسولﷺ بيده وعسكر بالجرف[6].وقد تفرد الواقدي بذكر عدد جيش أسامة أنهم ثلاثة آلاف[7]. والتحق الرسولﷺ بالرفيق الأعلى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ/٨ حزيران سنة ٦٣٢م وهو في الثالثة والستين من عمره بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، ثم حروب الردة في أوائل خلافة أبو بكر الصديق (١١-١٣هـ) رضي الله عنه واستمرت نحو سنة

(١) سورة التوبة، الآية ١١٧، تفسير القرطبي ٢٧٨/٨.
(٢) الطبري، تفسير ٥٥/١١.
(٣) فتح الباري، ٣٤٣/٣-٣٤٤.
(٤) البخاري في صحيحه — كتاب — الوصايا، ١١/٤ وفتح الباري، ٣٠٦/٥ والترمذي السنن — المناقب — ١٥٣/١٢-١٥٤.
(٥) الفتح الرباني، ٢٢١/٢١-٢٢٣.
(٦) ابن هشام، السيرة النبوية ٣٢٨/٤ وفتح الباري ، ١٥٢/٨.
(٧) فتح الباري، ١٥٢/٨.

كاملة أحرز المسلمون النصر المؤزر على المرتدين ، بعد أن أقسم على محاربتهم حتى يثوبوا إلى الحق أو يموت (أبو بكر) مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله فاستجاب أغلب المسلمين أو كلهم إلى اتجاه أبي بكر [1].فكان له النصر وعودة الوحدة إلى شبة الجزيرة العربية. ولم يكد المسلمون يعيدون الجزيرة إلى وحدتها حتى كان الأوان آن للزحف نحو الشمال لمواجهة العدوين الكبيرين اللذين يتربصان بالإسلام ويعملان على القضاء عليه [2].

المعارك الحاسمة التي أسقطت هرقل عن عرشه في الشام ومصر :

كان حكام الروم في أواخر أيامهم يعاملون الأهالي بالظلم ويسومونهم سوء العذاب فتأفف من جورهم أهل البلاد التي كانت النصرانية قد فقدت روحها وأضاعت تعاليمها وانقسمت إلى فرق عديدة ومنشأ الخلاف عقيدتهم في المسيح عليه الصلاة والسلام فأكثرهم يعتقد بالأقانيم الثلاثة (الأب والأبن وروح القدس) واتحاد اللاهوت والناسوت وبعضهم يرى أن له طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية وهم اليعاقبة (المنوفستية) في الشام ومصر، ولم يقتصر الفساد على النواحي العقيدية بل امتد إلى سائر جوانب الحياة فالظلم والاستبداد وكثرة الضرائب وثقلها على الشعوب والروح الطبقية. وقد أمر الله تعالى المسلمين بجهاد أهل الكتاب كما أمر بجهاد المشركين: لقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [3].

وكانت نيران الحقد تأكل قلوب الروم من جراء الغارة التي شنها على بلادهم

(١) البلاذري، فتوح البلدان ، ص١٠٤.

(٢) شلبي، أحمد (الدكتور) ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة، ط٢(القاهرة، ١٩٥٩).

(٣) سورة التوبة، الآية٢٩.

جيش أسامة ابن زيد رضي الله عنهما، والذي سيره أبو بكر رضي الله عنه عقب وفاة النبيﷺ[1]. فقد كان تسيير هذا الجيش عملاً سياسياً أكثر منه حربياً القصد منه إخافة المرتدين والروم في أن واحد ونجحت سياسة أبو بكر رضي الله عنه فقد حقق هذا الجيش انتصارات طيبة في الغارات السريعة التي شنها على الروم والتي كانت فاتحة معارك التحرير الكبيرة مع الروم[2].

فجمع الإمبراطور هرقل جيشاً جراراً عسكر به على مقربة من حدود بلاد العرب وفلسطين [3].فدعا أبو بكر المقاتلين من جميع أرجاء جزيرة العرب فلبوا الدعوة بحماس شديد وسرعان ما أنفذ الجيوش نحو الشمال عقب تجمعهم بالمدينة بعد أن عقد اللواء لأربعة من الأمراء:

١- أبو عبيده بن الجراح ووجهته حمص ومركز القيادة الجابية.

٢- عمرو بن العاص ووجهته فلسطين.

٣- يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق.

٤- شرحبيل بن حسنه ووجهته وادي الأردن.

وأمرهم أبو بكر رضي الله عنه أن يعاون بعضهم بعضاً، وأن يكونوا جميعاً تحت إمرة أبي عبيدة، وأن يستقل عمرو بن العاص بفتح فلسطين وأن يمد الجيوش الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك[4].

وعند مسير عمرو بن العاص إلى فلسطين أوصاه أبو بكر رضي الله عنه وصية بليغة

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٦٥/٢ وينظر بن الأثير في الكامل ، ١٩٢/٢.

(٢) شلبي، أحمد التاريخ الإسلامي، ٢٠٤/١.

(٣) حسن ، إبراهيم حسن، (الدكتور) تاريخ بن العاص،(القاهرة، ١٩٥٣) ص٣٩- ٤٠.

(٤) الطبري، تاريخ ج٤ ص٣٨. وينظر الأثير، الكامل التاريخ، ج٢، ص١٩٥.

حدد فيها آداب الحرب وخلق المجاهدين وغاية الجهاد في سبيل الله ومبادئ العقيدة العسكرية في الإسلام وحرص أبو بكر على المسلمين وسلوك الأمراء مع أهالي البلاد التي منها العرب[1].

عمل عمرو بما رسمه له أبو بكر رضي الله عنه في وصيته التي كانت الخطة العسكرية فسار في طريق إيلياء حتى وصل فلسطين ونزل(بغمر العربات) وبدأ رحى الحرب تدور فقد حشد الروم أضعاف أعداد المسلمين فكانت الجولة الأولى أن اقتحم ألف فارس من المجاهدين المسلمين بقيادة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وداهموا عشرة آلاف من الروم وحمل بنفسه على كبيرهم فقتله فدخل الفزع قلوب الروم واقتتل الفريقان وحلت الهزيمة بالروم فولوا الأدبار وبدت الهزائم تتوالى على الروم وبدت مدن الشام وحصونها تتهاوى أمام زحف جيوش المسلمين ، وكانت موقعة أجنادين وتحرير دمشق بعد أن حاصرها خالد بن الوليد نصف عام استسلمت بعده في أيلول ٦٣٥م[2]. الموافق ١٣هـ.

وتوفي الخليفة أبو بكر رضي الله عنه ومعركة اليرموك حامية الوطيس وتولى عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) رضي الله عنه الخلافة من بعده وتابع سير المعارك وحقق الله للمسلمين الانتصار الكبيرة في عهده فبعد استسلام حصن الشام (دمشق). واندحار الروم في اليرموك اهتز عرش هرقل – وكان ببيت المقدس – فأسرع بالرحيل إلى حمص، وهكذا استمرت معارك التحرير وجيوش الروم تندحر وفتح وتحرير المدن يتم بتنسيق رائع بين قادة جيوش المسلمين[3].وبموجب توجيهات أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وتم

(١) الواقدي،فتوح الشام، ج ص٩٠-١٠ وفيها النص الكامل لوصية أبو بكر رضي الله عنه.

(٢) بروكلمن، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٩٤-٩٥.

(٣) الواقدي، فتوح الشام، ج١/٦٥ وينظر الطبري ج٤ ص٣٢ بتصرف.

تحرير كافة مدن سورية وفلسطين والأردن في مدة قياسية.

وهرب هرقل من أنطاكيه قاصداً القسطنيطينية وتبعه ابنه قسطنطين فيما بعد هارباً من قيسارية(قيصرية) [1]. وانتهى حكم الروم في الشام بعد هذه المعارك وخسر الروم القسم الأكبر من قوتهم. وقتل من المسلمين أقل بكثير من قتلى الروم ومع ذلك تعد خسائر المسلمين في مواقع اليرموك ودمشق وبيت المقدس وحلب أكثر من خمسة وعشرين ألفاً مما جعل ثمن معارك تحرير هذه البلاد عليهم غالياً والدماء التي سالت فيها غزيرة. ودانت كل مدن الشام للدولة الإسلامية وسقطت معاقل البيزنطيين بعد احتلال طويل وبغيض، وجاءت رحمة الإسلام وعدل المسلمين. بدلاً من ظلم الروم وطغيانهم صارت بلاد الشام منطلقات لملاحقة فلول الروم في الجزيرة وأرمينيا ولما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الجابية من أعمال دمشق عام ١٨هـ/٦٣٩هـ ، طلب منه عمرو بن العاص السير إلى مصر واقنعه بان فتح مصر معناه تثبيت فتوحهم في الشام وفلسطين وتأمينها من ناحية الجنوب، فوافق أمير المؤمنين وأمر عمرو بن العاص بالمسير وبعد معارك عنيفة استطاع فتح مصر وسقط حصن بابليون وحررت شمال أفريقيا وبعدها عبر المسلمون مضيق جبل طارق ليقيموا حكم الله في الأندلس عدة قرون، بنوا فيها حضارة عربية إسلاميةكانت سبباً في اليقظة الأوربية واستمرت الفتوحات في العهد الأموي وكانت المعارك البحرية مع الروم على أشدها وكان النصر حليف المسلمين والهزائم للروم وكان المد الإسلامي العظيم في القرن الثاني الذي شمل معظم المعمورة قد أحدث بتعاليمه التوحيدية الخالصة أثراً في البيئات الوثنية المجاورة لا سيما دولة الروم النصرانية، وبفضل هذا التأثير أحس الغربيون بسخافة معتقداتهم وضحالة تفكيرهم مبهورين بما

(١) حسن، إبراهيم حسن (دكتور) تاريخ الإسلام،مكتبة النهضة، ط٧، (القاهرة، ١٩٦٤م) ج٢٣١/١.

لدى المسلمين من عقيدة ناصعة وحضارة شامخة.

ففي البلاد التي تتبع مذهب الكنيسة اليونانية بنوع خاص ترى الصور والتماثيل للقديسين المعبودين في كل مكان في الكنائس والأديرة والمنازل والحوانيت وحتى في أثاث المنازل وأخذت المدن التي تتهددنا أخطار الوباء أو المجاعة أو الحرب تعتمد على الآثار الوثنية المقدسة للنجاة من هذه الكوارث(١).

لذا فقد كانت في الغرب في فترات متقطعة من تاريخه حركات معادية لهذه البدعة من أشهرها محاولة الإمبراطور (ليو الثالث) الذي أصدر مرسوماً يطلب فيها طمس الصور وإزالة التماثيل وأراد بذلك أن يزيل عن أمته ودينها هذه الوصمة الشنيعة التي تظهره بمظهر النقص أمام المسلمين ، لكن الكنيسة رفضت ذلك وضجت الأديرة... واتفقوا على خلعه والمناداة بإمبراطور آخر، غير أن الحركة لم تمت بل ظل أوارها مستعر فاجتمع مجلس من أساقفة الغرب دعا إليه البابا جريجوري الثاني وصب اللعنة على محطمي الصور والتماثيل(٢).

مجمع نيقية الثاني رسخ الوثنية :

وفي عهد أحفاد جريجوري الثاني عاد الصراع من جديد وظلت المسألة تتأرجح بين الحل والحرمة حتى دعت الإمبراطورة (ايربني) التي كانت معاصرة لهارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) رجال الدين في العالم. المسيحي إلى عقد مجمع عام لبحث المسألة واتخاذ قرار حاسم حيالها فاجتمع مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧م وحضره ٣٥٠ أسقفاً واتخذ القرار التالي : (إنا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة والملابس

(١) ديورانت؛ قصة الحضارة، ١٥٤/٢٤ وينظر قصة جزيره صقلية من ص ١٠٩ من المرجع نفسه.

(٢) ديوارانت، قصة الحضارة، ١٥٤/١٢.

الكهنوتية فقط بل في البيوت وعلى الجدران وفي الطرقات لأننا إن أطلنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسل وسائر القديسين في صورهم شعرنا بالميل الشديد إلى التفكير فيهم والتكريم لهم فيجب أن نؤدي التحية والإكرام لهذه الصور...) [1].
وبذلك انتصرت وثنية الكنيسة على أفكار معارضيها، وربما دهش المرء إذا علم أن تقديس الصورة عادة غربية شائعة في عصرنا الحاضر ليس في الأوساط الدينية فحسب، بل في الأوساط العامة وبعض المثقفين) [2].

ولم يقتصر الأمر على المسيح وأمه عليهما السلام بل إن الكنيسة تجرأت على الباري جل شأنه وصورته كما تصور المخلوقين – تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً – وفي هذا يقول الأستاذ ناصر الدين دينية:

(الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ في الآله شكلاً بشرياً أو ما إلى ذلك من الأشكال أما في المسيحية فإن لفظ (الله) تحوطها تلك الصور الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال تثير في النفس ذكرى الموت والفناء ، كذلك (ياهو) الذي يمثل به طهارة التوحيد اليهودي فهم يجعلون في مثل تلك المظاهر المتهالكة تراه في متحف الفاتيكان ونسخ الأناجيل القديمة المصورة) [3].
يقول ديورانت (وبرز إلى الوجود مهزلة جديدة هي (صكوك الغفران) وكانت توزع على المشتركين في الحرب الصليبية ضد المسلمين) [4].

٣ـ الحروب الصليبية إحدى سمات العسكرية الغربية :

(١) الغزالي ، محمد محاضرات في النصرانية ص١٦٤ مع العلم بان عدد الاساقفة فيه(٣٧٧) لا كما ذ كر ديورانت (٣٥٠).
(٢) همنغواي، ارنست وداعاً أيها السلاح، ص٤٧.
(٣) دينية ، ناصر الدين، أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٢٥.
(٤) ديورانت، قصة الحضارة، ٦٦/١٥.

اشتركت عوامل عديدة في إثارة هذه الحروب ودفعها إلى الوصول إلى غاياتها ولم تكن هذه العوامل في جوهرها وحقيقتها إلا ظروفاً أحاطت بالصليبيين في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها.

وربما كان بعض هذه العوامل راجعاً إلى ظروف المجتمع في العالم الإسلامي آنذاك بخاصة حالة الاضطراب والفرقة غير أن ما يعنينا في هذا الكلمات، هو العوامل التي تتصل بالصلبيين أنفسهم [١]...تلك العوامل التي دفعت الحروب الصليبية إلى غايتها كان أبرزها ما يتصل بالناحية الدينية وموقف الكنيسة من هذه الحروب. وإنما تعاونت معها نواح أخرى لا تقل عنها أهمية، كالناحية السياسة والناحية الاجتماعية والاقتصادية. وجاءت جيوشهم بأساليب ومعدات غريبة على الجيش العربي الإسلامي كالأبراج التي يقتحمون بها القلاع وغيرها. لكن المسلمين سرعان ما أوجدوا من وسائل لدرء أخطارها. والواقع أن البابوية قاتمت بدور كبير في توجيه الفرسان وحشدهم لمهاجمة المسلمين، لتحقيق ما تصبو إليه من فرض سيطرتها الورحية والزمنية على العالم المعروف وفتذاك ، على إن الأمراء والفرسان وتجار المدن الإيصالية لم يستجيبوا لنداء البابا أوربان الثاني إلا لأنهم رأوا في الاشتراك في الحرب، وسيلة لتحقيق مطامعهم التي ليست من الدين في شيء [٢].

ومن جملة هذه العوامل أو الدوافع، قامت الحروب الصليبية على قدم وساق وامتدت أخطارها وآثارها في العالم الأوربي كله وفي العالم الإسلامي غربه وشرقه، واستمرت هذه الحروب لما يقرب من قرنين من الزمن من القرن الخامس إلى القرن السابع

(١) محمود، علي عبد الحليم(دكتور) الغزو الصليبي لبلاد المسلمين ، دار النشر الإسلامية، ط١ (القاهرة، ١٩٩٣/٥) ص٩٣.

(٢) باركر،ارشت، الحروب الصليبية، نقله إلى العربية د.الباز العريني، ط٢،دار النهضة (بيروت -١٩٦٧) ص٦.

الهجري (الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي [1].)

هذا من الناحية التاريخية، أما من الناحية الواقعية فهي مستمرة ولسنا نبالغ حينما نقول: أن هذه الدوافع قدم استمرت، حتى بعد أن وضعت الحملات العسكرية أوزارها – وفي هذا يقول (جان بول رو) (لقد اعتدنا أن نتحدث عن ثمان حملات صليبية الأولى بدأت منها ١٠٩٦م و الأخيرة انتهت ١٢٩٠م غير أن هذا التقسيم لا يبدو متجاوباً كثيراً مع الواقع، ويمكننا أن نزيد هذا العدد إذا أخذنا بالحسبان جميع الدفعات التي وجهت إلى الشرق، فقد قذف بملايين الأوروبين إلى شواطئ الشرق ومهمتهم تغيير المعتقدات الشرقية، ومن أجل الوصول إلى ذلك كان عليهم أن يخربوا هذا الشرق... ولم يكن القضاء على الدولة العثمانية فيه إلا مظهراًمن مظاهر الهجوم العام الذي يشنه الأوربيون على الدول الإسلامية ومن جزر الفلبين إلى قلب أفريقيا عمل الرجل الأبيض على بسط طرق المعيشة وتفكيره ومخططاته) [2].

لقد امتحنت الأمة في عقيدتها وفي فكرها وأصالتها فكانت الاستجابة حازمة وحاسمة في صد هذا الغزو الصليبي الهمجي ودحره على يد أبطال الأمة وفهم نور الدين زنكي (ت ٥٦٩هـ) وصلاح الدين الأيوبي (٥٨٧هـ) الذي دوخ الفرنجة وانتصر عليهم في (حطين) عام ٥٨٣هـ وفتح بيت المقدس ولم يكف الصليبيون عن الحرب بل استمرت تكيد للإسلام وتتآمر عليه، فبعد هزيمة أوربا وطردها من الشرق واصلت حملاتها عن طريق إرساليات التبشير [3].وأخذت تتوسل بكل الوسائل للنيل من العالم الإسلامي بعد أن فشلت في الغزو العسكري المباشر ولقد تلا الحروب الصليبية تصفية الوجود الإسلامي

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ، ج٤ ص٢٤٣.

(٢) رو، جان بول، الإسلام في الغرب، ترجمة نجدت هاجر وزميله ، (مصر ، ١٩٦٠م) ص ٤١–٥٦).

(٣) شلبي أحمد، موسوعة النظم الحضارة الإسلامية (المجتمع الإسلامي) مكتبة النهضة، ط٧ (القاهرة١٩٨م) ١٩٨/٦.

في الأندلس بصورة لا نظير لها في التاريخ حيث سقطت آخر دويلة إسلامية في الأندلس سنة ١٤٩٢م) [١].مما ينم عن الحقد الدفين والنزعة العدوانية المتأصلة في نفوسهم وتغذيها نوازع الشر التي تأججت إثر فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في أيدي المسلمين على يد (البطل) محمد الفاتح [٢] رحمه الله، عام ١٤٩٣م وحقق بذلك بشارة الرسول محمد ﷺ في فتح هذه المدينة المهمة في حياة المسلمين ، مما زاد في حقد الغرب على الإسلام وأفقدهم حلاوة انتصارهم في الأندلس.

إن الحروب الصليبية التي يشنها الغرب على هذه الأمة هي مستمرة ، يقول (رو): وأن الحرب دامت ثلاثة عشر قرناً وقسمها إلى أربع مراحل رئيسية جاعلاً المرحلة الرابعة منها هي طرد العثمانين من ممتلكاتهم والقضاء على قوة الإسلام في آسيا الوسط وفرض الاستعمار أو الحماية على قسم الأكبر من ديار الإسلام [٣] .

هذا صحيح أن الحروب صليبية استمرت بعد الحملة على تونس فقد جاءت طلائع حروب صليبية أخرى متخفية برايات المكتشفين الجغرافيين وأولها حملة فاسكودي جاما عام ١٥١٧م، ثم جاءت الروح الصليبية كامنة في مدافع نابليون في حملته على مصر عام ١٧٩٨م، وجاء الإنكليز المستعمرين عام ١٨٨٢م إلى مصر بعد فشل الفرنسيين، مع بعوث المستشرقين وإرساليات المنصرين كانت النوايا الخبيثة للدول الأوربية والتي استهدفت استئصال شأفة الإسلام وخضد شوكته [٤].

(١) قطب، محمد، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، دار الكتاب الإسلامي، ط١، مطبعة القدس ط١،(١٩٩٢م) ص١٧٨.

(٢) هو محمد الثاني (٨٥٥هـ ٨٨٦هـ/١٤٥١-١٤٨١م) لقب بالفاتح لفتحه المدينة العظيمة القسطنطية فصار أسمها (اسلامبول) ينظر لويس شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت، ١٩١٣م) ٣٣٣/٦.

(٣) رو، جان بول، الإسلام في الغرب ، ص٧٠.

(٤) شاتلية، الغراة على العالم الإسلامي، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، المطبعة السلفية(القاهرة،

وبدأ التخطيط لإنشاء دولة يهود في فلسطين عقب المؤتمر الصهيوني الأول في سويسرا ١٨٩٧ ، والتمهيد للغزو الاستعماري الذي طال معظم البلاد العربية والإسلامية، واحتلالها بهمجية ليذل المسلمين في بلادهم فقد احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس عام ١٨٨١م ومراكش عام ١٨٩١م وسوريا ١٩١٨م. واحتل الإنكليز العراق عام ١٩١٧م [1].

والحق إن الجنرال اللنبي لم يكن صادقاً حين وقف على جبل الزيتون في الحرب العالمية الأولى: (الآن انتهت الحروب الصليبية) كما أن الواقع التاريخي يؤكد أن هذه الحرب لم تنتهي وإنها تجاوزت المرحلة الرابعة حسب تقسيم (رو) فقد استمرت طيلة القرن العشرين واختتم بوش الاب رئيس الولايات المتحدة الأسبق الألفية الثانية بحرب صليبية شنها على العراق المجاهد وافتتح بوش الصغير – رئيس الولايات المحتدة الامريكية الحالي – الألفية الثالثة بشن حرب صليبية جديدة على الإسلام وأهله وجند إمكانات أكبر دولة في العالم وحشد معها قوى الدول الحليفة معها وسخر كل وسائل الإعلام والاتصالات والدعاية والتضليل مع حرب أعصاب نفسية انعدمت فيها الأخلاق وخرقت فيها القوانين والمواثيق الدولية. لقد استهدفت أمريكا الطاغية العرب والمسلمين وبلادهم وعبثت بمقدرات دولهم واستهترت بحقوقهم واجتهدت في إذلال المسلمين ومحاربتهم والطعن بمعتقداتهم وأفكارهم بحجة مكافحة الإرهاب، لا بل طالت يد العدوان بعض بلدانهم وشعوبهم فاجتياح العراق واستباحة مقدساته ومقدراته وقتل اهلة وهدم دولته ونهب ثرواته وحل جيشه وحرس حدوده كانت من أعظم الجرائم التاريخية وخرق للقانون الدولي والتجاوز على حقوق الأنسان فيه. مما ينم عن حقد

١٩٦٣م) ص١٢.

(١) شلبي، أحمد، موسوعةالنظم والحضارة الإسلامية، ص٢١٥.

صليبي يهودي اسود على كل بلاد العرب والمسلمين وخاصة العراق .وأن مأساة أفغانستان شاهد آخر على مدى استهتار أمريكا بمصائر الشعوب وما يحدث الآن في فلسطين العربية المسلمة تأكيد على خبث النوايا ومدى الحقد على كل ما هو عربي ومسلم وانحياز كامل وغير أخلاقي إلى جانب الصهياينة الغاصبين لأرض المقدسات وإمعاناً في تدمير وإبادة الشعب الفلسطيني الصابر المجاهد الذين قال بحقه نبي الأمة وقائدها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين بالحق لا يهمهم من خذلهم....) [(١)].

وإن هذا العدوان الأمريكي البريطاني اليوم على العراق هو تأكيد على استمرار الحرب الصليبية الصهيونية الجديدة التي تشنها أمريكا والذليلة بريطانيا على بلدنا الصابر المتحدي للروح العدوانية والحقد الصليبي الصهيوني للغرب. أنه صراع بين الحق الذي نحن أهله وبين الباطل الذي هم أصحابه وأن حتمية المدافعة بين أهل الحق وأهل الباطل قائمة منذ الأزل لمنعهم من الإفساد في الأرض بغير الحق لقول تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [(٢)].

لقد قضت سنة الله تعالى أن الغلبة للحق وأهله وأن العاقبة للمؤمنين والاندحار للباطل وأهله لقوله تعالى ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [(٣)].

هكذا فإن الله جل في علاه يمحق الباطل ولا يدعه ولا يثبت عمل المفسدين بل يزيله وأن مصير أمريكا الطاغية إلى زوال وأن ﴿ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سورة البقرة، الآية/٢٥١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية/١٨.
(٤) سورة يونس، الآية/٨١.

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: (لا يثبته ولا يدعه.. ولكن يسلط عليه الدمار)[1]. ويقول الآلوسي في تفسيره : (لا يثبت عمل المفسدين ولا يقويه ولا يؤيده بل يظهر بطلانه ويجعله معدوماً)[2].

هذا وأن سنة الله تقضي بزوال الباطل، وأن سنة الله تعالى ماضية في نصر المؤمنين يقيناً. وفي هذا يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: (سنة الله ماضية في زوال الباطل وأن سنة الله في نصر المؤمنين لا تختلف أبداً لأنها إخبار من الله تعالى والله أصدق القائلين)[3]. قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ﴾[4].

والله تعالى مع أهل الإيمان يمدهم بالعون والتأييد ثم بالنصر، والخطاب الرباني يأتي بالمدد للمؤمنين في معركتهم مع أهل الباطة بالسيف والقلم، وبالفكر واللسان، وبالحجة والبيان لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[5]. صدق الله العظيم.

---

(١) الزمخشري في تفسير (الكشاف) ٢/٢٦٣-٢٦٤.

(٢) الألوسي في تفسير (روح المعاني) ، ١٦٧/١١.

(٣) زيدان، عبد الكريم (دكتور) السنن الإلهية، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت، ١٩٩٣م) ص٤٩.

(٤) سورة الفتح، الآية/٢٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية/١٣٩.

المبحث الثالث

العقيدة العسكرية لدى الأمم الأخرى

أولاً : استعراض تاريخي لنشأة العقيدة العسكرية وتطورها لدى بعض الأمم القديمة .

ثانياً :العقيدة العسكرية لدى الفرس .

ثالثاً : العقيدة العسكرية لدى الإغريق .

المبحث الثالث : العقيدة العسكرية لدى الأمم الأخرى

أولاً : استعراض تاريخي لنشأة العقيدة العسكرية وتطورها لدى بعض الأمم القديمة :

الحروب قديمة قدم العالم ، وقدم الإنسان ومنذ ان أقتتل ولدى آدم وقضى أحدهما على الآخر، أصبح الإقتتال في الدنيا أمراً معروفاً، وقد ذهب ابن خلدون إلى أن سبب الحروب (إرادة انتقام بعض البشر من بعض).

فقال في مقدمته[1]: (إعلم أن الحروب، وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة، منذ برأها وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض. ويتعصب لكل منهما أهل عصبيته، فإذا تذامروا لذك ، وتواقفت الطائفتان إحداهما تطلب الانتقام، والأخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر، لا تخلو منه أمة ولا جيل).

ثم يحاول ابن خلدون أن يرد هذا الانتقام إلى أسبابه، فإذا به يخرج عن نطاق الانتقام ، ويعدد الأسباب الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها للحروب فيقول: (سبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسه، وإما عدوان وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده، ثم يحاول ابن خلدون أن يوزع هذه الأسباب على الأمم فيقول:

فالأول: أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة.

والثاني: وهو العدوان — أكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر. ويذهب تعليل ذلك إلى الأسباب الاقتصادية والمعاشية وحدها فيقول:

(لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم، ومن دافعهم

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٢٦.

عن متاعة آذنوه بالحرب، ولا بغيـة لهـم فيمـا وراء ذلـك، مـن رتبـة، ولاملـك، وإنمـا همهم، ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم..) [1].

وهذا في الواقع جـزء مـن الحقيقـة ولـيس الحقيقـة بكاملـها كمـا سنبينه في هـذا المبحث. يقول المحاسبي(لم تخل أمة من حرب، وهي إما أن تكـون لهـا مـع الجـار، أو مع من في الدار ، ولقد ابتلى الدهر الشعوب، وفق شرعته، فكتب عليهم أن يقتتلوا فيمـا بينهم[2].

فالكلام على تاريخ الحروب لا تتسع له هذه الفقرة وليس هو مـن مقاصـد البحـث الأساسية، ولذا سنعرض بإيجاز لأهم معالم هذا التاريخ الحربي من سفر التاريخ العـام، منذ بدء ما يسمى بعصـر التـاريخ إلى العصـر الإسـلامي، وقدحـدد المؤرخـون علـى وجـه التقريب ما يسمى بعصر التاريخ مـا بـين أربعـة آلاف سـنة، وثلاثـة آلاف سـنة، قبـل الميلاد[3].

إذ ترك أهل هذه الأحقاب الزمنية من الآثار والرسوم والتواريخ والكتابات ما يدل على شيء من شؤون حياتهم في السلم وفي الحرب.

وذكر المؤرخون ان أول استقرار دائم للأنسان في بداية عصور التاريخ كـان في وادي الرافدين دجلة والفرات، من أرض الجزيرة ووداي النيل بمصر، إذ كانـت تلـك الأقـاليم أوفق بلاد الدنيا اسـتقراراً[4].وتـوطن فريـق مـن النـاس في هـذه البقـاع وتكـاثروا، وكـان وراءهم فريق آخر من الناس يعيشون في غابات أوربـا وأراضـي المراعـي الموسميـة أواسـط

(1) ابن خلدون، المقدمة ص226.

(2) المحاسبي ، زكي، شعر الحرب في أدب العرب، دار المعارف (القاهرة، 1961ك) ص27.

(3) براستد، جميس هنري، العصور القديمة، نقلة إلى العربية داود قربان، ص 38.

(4) هج ويلز، معالم تاريخ الأنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ج1/155.

آسيا معتمدين على الأحوال المناخية في مختلف الفصول، ينتقلون من مكان إلى آخر وهؤلاء هم الأقوام الرحل البدائيون وكان هؤلاء الرحل يغيرون على الشعوب المستقرة في وادي النيل وما بين الرافدين[1]. بدافع الضرورة المعاشية للاستيلاء على المداخرات الغذائية[2]. وما يمكن أن يستحوذوا عليه في غارات النهب والسلب ولم تكن هذه الغارات في بادئ الأمر بقصد الاحتلال والاستقرار في البلاد التي يستهدفونها نظراً لكثرة وقوة أعدائهم المستقرين[3].

غير أن هؤلاء الشعوب الرحل، استطاعوا مع الزمن ، أن يحصلوا على السلاح المتقدم، واستطاع زعماؤهم أن يخضعوا ليسطرتهم كتلاً بشرية ضخمة، فتحولت غاراتهم بعد ذلك إلى حرب بقصد الاحتلال والاستقرار فأصبح أهل البلاد عبيداً للسادة الجدد من قادة الرحل البدائيين الذين بدأوا يأخذون في حياة الاستقرار ، ويتعلمون ممن قبلهم من المغلوبين فنونهم وطريقة حياتهم.

ثم يأتي قوم آخرون من الرحل مارسوا معهم الدور الذي لعبوه هم مع من كان قبلهم وهكذا دواليك[4].

هذه هي الصورة الإجمالية لتاريخ أصحاب المدنيات القديمة من البشر المستقرين مع من يجاورهم من الشعوب البدائية الرحل.

وكانت أشهر تلك المدنيات تستقر في بلاد الرافدين وما يسمى بالهلال الخصيب ومصر وبلاد فارس، ثم انتقلت إلى العالم الايجي، فبلاد اليونان ثم بلاد الرومان كما

---

(١) هـ.ج. ولز. تاريخ الإنسانية، ج١٥٦/١.

(٢) بوتول، غاستون، هذه هي الحرب ، ترجمة مروان قنواتي، ص ٥٠.

(٣) ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، ج١٥٦/١.

(٤) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ج١٥٧/١.

نشأت إلى الشرق من بلاد فارس مدنيان تظهرت بوادرها حوالي سنة ألفين قبل الميلاد في الهند والصين[1].

وكانت تلك المدنيات جميعها هدفاً لغارات الشعوب الرحل على النحو الذي أسلفنا، ثم حدث بعد أن أشتد ساعد تلك المدنيات واتسعت حدودها ومصالحها ومطامحها وكان لا بد من حصول الاحتكاك فيما بينها فكانت الحروب بين تلك المدنيات جبهة جديدة في الصراع المسلح بالإضافة إلى الجبهة القديمة في صراعها مع الشعوب الرحل التي تغير عليها بين الحين والحين. وهذا ما حصل بين أسطول مصر القديمة والفينيقيين في البحر المتوسط ورجوعه محملاً بالأسرى الفينيقيين إلى مصر[2]. وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد استطاعت مصر في عهد (تحتمس الثالث) أن تقهر الأمراء السوريين المتحالفين ضده في معركة (مجدو) بجوار حيفا ثم ضم إليه عن طريق الحروب– وسط سوريا وشمالها وقطع الفرات إلى العراق ثم امتد سلطانه بواسطة سفنه الحربية إلى بحر إيجة وصار أحد قواده حاكم جزائر بحر إيجة[3].

وغزا الهكسوس (ملوك الرعاة) مصر وشغلوا تاريخها نحو أربعة قرون إلى أن جاء فرعون مصر (أحمس) فطرد الهكسوس ومزقهم شر ممزق[4].ثم شن الحثيون الحرب على مصر وانتزعوا منها (سورية) وكانت تحت سيادتها، وفي منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد انهزم جيش مصر أمام (الحثيين). ثم وقعت مصر تحت هجوم جيش قادم من النوبة ودامت السيادة النوبية طيلة عهد حكم الأسرة الخامسة والعشرين[5].ثم

---

(١) براستد،العصور القديمة ٦٠–٦١.

(٢) براستر، العصور القديمة، ٩٠.

(٣) براستر، العصور القديمة،٩٠

(٤) البخاري، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، دار النصر(بيروت ، ب ت) ص ١٥٣.

(٥) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ج١٦٨/١.

احتلتها الإمبراطوية الآشورية[١].

وفي القرن السادس قبل الميلاد خضعت للاحتلال الفارسي وبعد ستين عاماً تحررت من الفرس، ثم جاء الاحتلال الإغريقي على يد الاسكندر المقدوني سنة (٣٣٢ق.م) وجاء البطالمة خلفاء الاسكندر يحكمون مصر[٢].حتى غزاها القيصر الروماني (اقنافيوس) على عهد آخر البطالمة (كليوباثره) وضمت مصر إلى الإمبراطورية الرومانية وأصبحت من ولاياتها سنة ثلاثين قبل الميلاد[٣]. ثم جاء الفتح الإسلامي ليطهر أرض مصر من حكم الرومان.

أما الإمبراطورية الآشورية التي سبق أن أشرنا إليها فهي في التاريخ القديم الدولة الكبرى التي كانت عاصمتها (نينوى) في العراق وكانت هي الأخرى دولة حربية ما تخرج من حرب إلا لتدخل في حرب، ومنذ نشأة الآشوريين حوالي (٣٠٠٠ قبل الميلاد)[٤]. أخذوا يشتبكون في حروب دائمة مع الحثيين ومع الأكديين ومع الميتانيين وتحالفوا مع المصريين ضد البابليين من أجل إثبات وجودهم وتأسيس دولتهم، حتى إذا ما أشتد ساعدها استطاعت أن تخضع سوريا وضمتها إلى ولاياتها بالتدريج وخضعت لها المدن الفينيقية ووصلت جيوشها إلى تخوم مصر بقيادة (سنحاريب) وفي عهد الملك (آشور بانيبال) أخضع مصر وبقيت الدلتا تحت حكم الآشوريين حقبة من الزمان[٥].

(١) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ج١/١٦٩.
(٢) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ج١/١٩٩.
(٣) براستد، العصور القديمة، ٥٧٢.
(٤) براستد، العصور القديمة ١٥٢.
(٥) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ج١/١٦٣.

ثانياً : العقيدة العسكرية لدى الفرس :

١ـ دور العقائد الثنوية وتأثيرها :

إن العقيدة العسكرية الفارسية تقترن بإرادة كسرى الفرس والأعراف العسكرية في الجيش وتعتمد على قوته وقدرته وخبرته التي نشأت من المعارك المريرة مع الروم وغيرهم وفي هذا يقول ديورانت: (لم يكن يوجد في هذه الدولة قانون غير إرادة الملك وقوة الجيش وأن الوعد أو المرسوم الملكي لا ينقضى بحال من الأحوال، فقد كان اعتقادهم أن قرارات الملك وأحكامه إنما يوجهها إليه الآله (اهرامزامزدا) نفسه) [١].وهذا من معتقدات الديانات الثنوية[٢]. السائدة في إيران آنذاك وهي:

أ- الزرادشتية: وتنسب إلى زرادشت بن اسفيمان ، ظهر أيام الملك الساساني بشتاسف الذي جعلها دين الدولة الرسمي واستمرت حتى الفتح الإسلامي[٣] .

وقالوا بوجود أصلين مدبرين قديمين يقتسمان الخير ويمثله (اهرامزا مزدا) والشر ويمثله (اهرمين) وكون أحدهما النور والثاني الظلمة[٤]. دعوا إلى الإباحية وزواج الأمهات والبنات والأخت[٥]. وكانوا يسجدون للشمس في النهار وللقمر وللنار والماء،في الليل ونار البيت لا يجوز أن تخبو، ولا يجوز أن تقع الشمس على النار[٦].

---

(١) ديورانت، قصة الحضارة ج٢، ص٤١٨.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل ، ج٢ ص٧٢.

(٣) كريستنسن، إيران في عهد الساسانين ص١٠٣.

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل ، ج٢ ص٧٣.

(٥) ابن الجوزي: تلبيس ابليس، ص٧٣، وينظر: بارنولد : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٩٥.

(٦) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١٠٨-١١٠.

ب- المزدكية وتنسب إلى مزدك بن نامدان كان قاضياً في أواخر القرن الخامس الميلادي سنة (٤٨٧م) وقد ظهرت أيام الملك قباذ بن فيروز[١].وكانت المزدكية ديناً رسمياً للدولة أيام الملك قباذ خلال العشرة سنوات الأولى من حكمه، ثم انقلب عليهم وتحولت المزدكية إلى جماعة سرية وبقيت تعمل إلى ما بعد الفتح الإسلامي. وهي كذلك تؤمن بالأصليين القديمين النور والظلمة، وتدعوا إلى نوع من الاشتراكية في النساء والأموال[٢].

ج- المانوية: وتنسب إلى ماني بن فتق بن بابك ابن أبي رزام[٣]. وهو فارسي أظهر المانوية وزعم أنه نبي[٤]. وكان ظهوره زمن الملك سابورا بن ارد شير الذي تولى الملك سنة ٢٤٢م وقد تأثر ماني بالزرادشتية والمسيحية والديصانية، ووضع ديناً بين المجوسية والنصرانية[٥]. وقال بأن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان ولم يزالا قوتين حساستين سميعتين بصيرتين[٦].

وثبت ماني في ديانته فكرة الحلول التي أخذها من الهند حيث نُفِيَّ إليها كما يقول البيروني وقال ماني بالتناسخ[٧]. وأخيراً قتله هرمز بن سابور عند تقلده الملك وعلق جسده على باب جنديسابور التي تعرف إلى الآن بوابة ماني[٨].

د- المرقونية: وتنسب إلى مرقيون الذي وضع أسسها وعقيدتها الثنوية كغيرها من

---

(١) الطبري، ج٢، ص٨٨.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١ ص٨٦.

(٣) ابن النديم، الفهرست ص٤٧٠.

(٤) ابن البطريق، سعيد (ت ٣٢٨هـ) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ويعرف (نظم الجوهر) طبعة الآباء اليسوعيين (بيروت، ١٩٠٩) ١١١.

(٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١٥٦-١٩٥.

(٦) الشهرستاني، الملل والنحتل، ج١ ،ص١٨٨-١٩٠، وينظر ابن النديم، الفهرست، ص٤٧٢-٤٧٣.

(٧) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص٢٧.

(٨) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٤٩. وينظر البيروني، الآثار الباقية، ص٢٠٧-٢٠٨.

الديانات الإيرانية[1] .تأثرت بالزرادشتية. وخالفتها بوجود الكون الثالث فقد قالوا بالمعدل الجامع كان قد استمع إلى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام واخذ منه وتأثر بالمسيحية إلى جانب أخذه من الزرادشتية[2].

هـ- الديصانية: وتنسب إلى ابن ديصان[3]. لأنه ولد على نهر يقال له ديصان وإليه أضيفت الديصانية[4] .وهو يقول بوجود عالم ثالث مثل المرقونية وقد وضع ابن ديصان عدة مؤلفات منها (كتاب النور والظلمة) و(كتاب المتحرك والجماد) [5].

ويتحدث الخوارزمي عن هذه الديانات الثنوية قائلاً: (ويدينون زرادشت كدين للدولة وكان منهم من يظهر هذا الدين ويبطن المانوية أو المزدكية لأن الزرادشتية دين الحاكم الذي بيده اضطهاد من ليس زرداشتياً سواء في نفسه أو في مصالحه) [6].

إلى جانب الأثر الديني هذا فان الحضارة الإيرانية والمتمثلة بسلطتها وآثارها المادية والمعنوية خلقت شخصية إيرانية خاصة بها كما أن انتصار العرب عليهم وانتصار الإسلام على دياناتهم ولد عندهم رد فعل عنيف كان وراء عملية المقاومة التي نبتت فيها حركة الغلو كأسلوب منظم خطير في هذه المقاومة وفي هذا الصدد يوضح ابن حزم رد الفعل وأسبابه لدى الفرس فيقول:

(والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون

(١) المسعودي، مروج الذهب ج١ ص٢٠٠ والتنبيه والأشراف ص٨٩.

(٢) البيروني، الآثار الباقية، ص٢٠٧.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٨٨.

(٤) المسعودي ، مروج الذهب، ج١ ص٢٠٠.

(٥) ابن النديم، الفهرست،ص ٤٨٨.

(٦) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم، ص ٢٠٦.

أنفسهم الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعظم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى) [1].

ويوضح (فان فلوتن) ردود الفعل لدى هذا الإنسان غير العربي وأثر العقائد القديمة في ذلك قائلاً(وقد هيأ للنفوس اعتناق الإسلام انتصار المسلمين ، بعد أن هزموا الكثير من العقائد القديمة، على أنه سرعان ما ظهر أثر عكسي لهذا النجاح الذي أحرزه المسلمون في نشر دينهم فقد عصفت في تلك الولايات التي فتحها العرب عاصفة من عواصف البغض للإسلام ولكل دين سماوي..) [2].

لقد كان رد الفعل هذا يتجلى في ذات الإنسان... لذلك فإن ردود الفعل الفردية التي ظهرت في بدء الدعوة الإسلامية وفي بدء انتصارات المسلمين تحولت إلى ردود فعل جماعية منتظمة كان منها من أعلن تمرده ومحاربته للإسلام وسلطته وكان منها من انتظم في أحزاب معارضة وفرق دينية متطرفة عمل فيها من أجل محاربة الإسلام فكرياً... ومن صور التمرد والمحاربة الجماعية ما يشير إليه ابن حزم في قوله : (وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى وكان في قائمتهم سنباد، وإستادسيس والمقنع وبابك وغيرهم، وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب بخداش وأبو مسلم السراج رأوا أن كيده على الحيلة أنجح....) [3].

ويوضح الخوارزمي في أثر التصادم بين العقائد الأولى والإسلام لدى هؤلاء وكيف

(١) ابن جزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢ ص١١٥٥.

(٢) فلوتن، فان، السيادة العربية والإسرائيليات، الترجمة العربية، ص٨٢-٨٦.

(٣) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢ ص١١٥.

كان تحركهم متظاهرين بالإسلام متسلحين بآراء نبعت من معتقداتهم القديمة وكانت تشكل في تحركها معارضة خطيرة للإسلام... (وهكذا فئات تقول مثلاً بأن لأبي مسلم الخراساني حظاً في الإمامة وادعوا حلول روح الله فيه...) [(١)].

واستمر النزاع بين الإسلام والعقائد السابقة مدة طويلة واتخذ النزاع أشكالاً متعددة كان صراع الفكر أمضاها سلاحاً وأكثرها خطراً وأشدها مواصلة على القتال ويشير الدكتور على سامي النشار إلى جانب من ردود الفعل الفكري هذا قائلاً:

(وقد قابل الإسلام الغنوص [(٢)].حين دخل البلاد التي فتحها الصحابة المؤمنون في بساطة وحماس غريبين فأغلق كثير من بيوت النار ومعابد المانوية غيرها من مذاهب الغنوصية تلك البيوتات التي كانت تنتشر في بلاد الأعاجم) [(٣)].

لقد شاطرت الإمبراطورية الفارسية الإمبراطورية الرومانية الشرقية في حكم العالم المتمدن وخاضوا بينهم حروباً مدمرة وكانت بلاد العرب في آسيا وأفريقيا هدفاً لكلا الطرفين المتنازعين فالعراق وبلدان الخليج العربي يخضع لسلطة الفرس والشام ومصر والحبشة واليمن(أحياناً) يقع تحت سلطة الرومان، وقد يحصل أن تحتل إحدى الدولتين المناطق التي كانت تحت سيطرة الأخرى فهي مجرد مناطق نفوذ محتلة من قبل دول متسلطة بالقوة ومتوسلة بالظلم والقهر وقد تطول هذه الحروب الكنائس والمعابد وتأتي على الحرث والنسل والزرع والضرع. وأن الدخول في تفاصيل هذه المعارك لا يعنينا في البحث بقدر ما يراد من معرفة العقيدة العسكرية التي تسود في هذه الحروب ويمكن

(١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم، ص٢٠٦.

(٢) الغنوص أوالغنوصية، كلمة يونانية تعني المعرفة غير أنها أخذت اصطلاحاً خاصاً هو التوصيل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، وأصبح يقصد بها المذاهب الشرقية الثنوية كالزرادشتية والمانونية والمرزدكية، ينظر النشار نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص٤٤-٤٥

(٣) النشار، المرجع نفسه، ص٤٤-٤٥.

أخذ نموذجاً من هذه المعارك شاهداً على ذلك، وذلك قبل ظهور الإسلام، فقد ذكر المقريزي واحدة من المعارك الكبرى التي قامت بين هاتين الإمبراطوريتين مع المداخلات التي حصلت من أطراف أخرى فيها. يقول المقريزي في الخطط: (وفي أيام قرقا ملك الروم، بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام وقتلوا من النصارى الكثير وأتوا إلى مصر في طلبهم، وقتلوا منهم أمة كبيرة، وسبوا منهم سبياً لا يدخل تحت حصر وساعدهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم ، وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل، وقرية الناصرية صور، وبلاد القدس، فنالوا من النصارى كل منال، واعظموا النكاية فيهم، وخربوا لهم كنيستين بالقدس، وأحرقوا أماكنهم وأخذوا قطعة من عود الصليب، واسروا بطرك القدس وكثيراً من أصحابه) [1]. إلى أن قال بعد أن ذكر فتح الفرس لمصر (فثارت اليهود في أثناء ذلك بمدينة صور وأرسلوا بقيتهم في بلادهم وتواعدوا على الأيقاع بالنصارى وقتلهم، فكانت بينهم حرب اجتمع فيها اليهود نحو عشرين ألفاً وهدموا كنائس النصارى خارج صور، فقوي النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم كثير، وكان هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية، وغلب الفرس بحيلة دبرها على كسرى حتى رحل عنهم ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ويجدد ما خربه الفرس، فخرج إليه اليهود من طبرية وغيرها، وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم، ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالأناجيل والصلبان والبخور والشموع المشعلة، فوجد المدينة وكنائسها وقمامتها خراباً، فساءه ذلك وتوجع له، وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وإيقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس وأنهم كانوا أشد نكاية لهم

(١) المقريزي، الخطط، ج٤ ص٣٩٢.

من الفرس، وقاموا قياماً كبيراً في قتلهم عن آخرهم ، وحثوا هرقل على الوقيعة بهم، وحسنوا له ذلك فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه، فأفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عيه في قتلهم فإنهم عملوا حيلة حتى أمنهم من غير أن يعلم بما كان منهم وأنهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جمعة في كل سنة عنه على مر الزمان والدهور، فمال إلى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعهم فيها حتى لم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم إلا من فر وأختفى ألخ...) [1]. لقد انحطت الدولة الفارسية أثر الهزيمة التي ألحقها الاسكندر المقدوني بدارا ملك الفرس سنة (٢٣٣ق.م) وقسم فارس إلى دويلات صغيرة يحكمها ملوك الطوائف حتى لا يقووا على الإغارة على بلاد اليونان. وحين نبغ أردشير من آل ساسان أو الأكاسره استطاع أن يوحد كلمة الفرس من جديد وبقي الحكم إلى (٢٤١م) وأعاد سلطانه إلى الأرض العربية المتاخمة لبلاده ومنها الحيرة والأنبار وبقيت إمارة الحيرة إلى ظهور الإسلام [2].

كما قام الفرس في عهد كسرى أنو شروان (٥٣١–٥٧٨م) بالاستيلاء على اليمن وطرد الأحباش منها بأن أرسل جيشاً قوامه ثمانية سفن بحرية بقيادة قائده (وهرز) ويصفه نلدكه بأنه بلغ من الكبر عيتاً.. فلما وصل إلى سواحل اليمن أحرق المراكب وقال للجنود: ليس أمامكم إلا إحدى اثنتين إما القتال بشجاعة حتى الظفر وإما الاستكانة والتخاذل وحينذاك يلحقكم العار والخزي العظيم [3].

ولما نشب القتال بين الفرس والأحباش، قتل نوذاذ بن وهرز فحنق وهرز على الأحباش وقال أروني ملكهم فقالوا: ترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجه على رأسه بين

(١) المقريزي، الخطط، ج٣٩٢/٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ، ج١ ص٢٩٠–٢٩١.

(٣) نلدكه، تيودر، أمراء غسان، ترجمة الدكتور بندلي جوزي وقسطنطين زريق (بيروت، ١٩٣٣م) ص٢٦.

عينيه ياقوته حمراء ثم أمر بحاجبيه فعصبا له، ووضع في قوسه نشابة فمعط فيها حتى إذا ملأها أرسلها.

فصك بها الياقوتة التي بين عينيه فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه فمات. وهزم الأحباش وكتب وهرز إلى كسرى (أني قد ضبطت لك اليمن وأخرجت من كان بها من الحبشة، وكتب إلى وهرزان ينصرف إليه، فانصرف) [1].وقال الطبري: ثم ولي باذان على اليمن وهو أخر ولاة هذه البلاد من قبل كسرى فارس، وعاش إلى عهد النبي ﷺ، وأسلم هو وقومه على أثر ما دار بينه وبين الرسولﷺ من الرسائل بشأن إسلامه) [2].

وعلى أثر ما توالى على دولة آل ساسان من الضعف... وضعف أمراء الحيرة بعد النعمان بن المنذر الذي لم ينج من الدس والكيد له في البلاط الفارسي ومات في سجن كسرى، ثم أقام أياس بن قبيصة خلفاً للنعمان على بلاد الحيرة، ولم يكن من أهل بيته، وأشرك معه رجلاً فارسياً في الحكم أسمه (النخيرجان). وكان من أثر نزع النعمان من الحيرة أن ضعفت الأدارة الحكومية، وقامت حرب (ذي قار) بين الفرس والعرب فكان النصر للعرب وهزم الفرس وأمير الحيرة، ثم انفرد بالملك في الحيرة آزاذ بن يابيان الهمذاني سبعة عشر عاماً. ولم يلبث المنذر بن النعمان بن المنذر الذي ملك الحيرة من بعده إلا ثمانية أشهر حتى قدم خالد بن الوليد الحيرة [3].

(١) الطبري، تاريخ ، ج٢، ص١١٧.
(٢) الطبري، تاريخ ، ج٢، ص١٢١.
(٣) الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٥٦-١٥٧.

٢ـ تقديس الأكاسرة أساس العقيدة العسكرية الفارسية :

كانت الأكاسره ملوك فارس يدعون أنه يجري في عروقهم دم آلهي، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة، ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئاً علوياً مقدساً فكانوا يكفرّون [١].

لهم وينشدون الأناشيد بألوهيتهم، ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر، ولا يجري اسمهم على لسانهم، ولا يجلس أحد في مجلسهم ويعتقدون أن لهم حقاً على كل إنسان وليس لإنسان حق عليهم، وأن ما يرضخون لأحد من فضول أموالهم وفتات نعيمهم إنما صدقة وتكرم من غير استحقاق وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة[٢]. في السلم والحرب وفي الرخاء والشدة فإذا نادى داعي الحرب والقتال فمن أجل الملك وطاعة لأمره وانقياداً لرغباته وطموحاته وإنما ينظرون إلى (اهرامزامزدا) [٣]. المدبر الذي يستنصرون به في الحرب ويتبركون به ويستفتحون به كما سبق ذكره.

والمجتمع الإيراني متفاوت وطبقي يسوده اعتقادهم في البيوتات الروحية والأشراف من قومهم، فيرونهم فوق العامة في طينتهم، وفوق مستوى الناس في عقولهم ونفوسهم ويعطونهم سلطة لا حد لها، ويخضعون لهم خضوعاً كاملاً وفي هذا يقول كريستننسن: (كان المجتمع الإيراني مؤسساً على اعتبار النسب والحرف، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة) [٤]. ويقول أيضاً: (وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشتري أحد منهم عقاراً لأمير أو كبير، وكان من

---

(١) كفر الرجل لفلان: وضع يده على صدره وطأطأ رأسه تعظيماً له.

(٢) الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار الأنصار ط١٠(القاهرة، ١٩٧٧م) ٤٩.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل ، ج٢ ص٧٢-٧٣.

(٤) كريستننسن، إيران في عهد الساسانيين ، ص ٥٩٠.

قواعد السياسة الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبة، ولا يستشرف لما فوقه [1]. وكان ملوك إيران لا يولون وضيعاً وظيفة من وظائفهم [2]. وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزاً واضحاً وكان لكل واحد مركز محدد في المجتمع) [3].

الصراع بين الفرس والروم :

وحدث أن قام من نسل (ساسان) في بلاد فارس قائد حربي أسمه (اردشير بن بابك يطالب بدم ابن عمه (دارا) أو داريوس الذي قتل أثناء حرب الأسكندر لبلاد فارس [4].

(مريداً – فيما يقول – ردَّ الملك إلى أهله وإلى ما لم يزل عليه أيام سلفه وآبائه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف ، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد) [5]. واشتبك أردشير هذا مع ملوك المدن والأقاليم الكثيرة الذين يسميهم (الطبري) بملوك الطوائف – اشتبك معهم في حروب متصلة في سبيل الوحدة القومية الفارسية فوحد بلاد فارس تحت سلطته، ثم نهض بالملك من بعده أبنه (سابور) [6]. وشرع في حروبه التوسعية فاستولى على كثير من ممتلكات الروم. وقد أتى القرآن الكريم على ذكر طرف من الصراع الدموي الذي كان بين (فارس) و(الروم) في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾[7].

وهذه الآيات الكريمة تشير إلى حربين اثنتين من الحروب التي نشبت بين هاتين

(١) كريستنس، المرجع نفسه، ص ٤١٨.

(٢) كريستنس، المرجع نفسه، ص٤٢٢.

(٣) كريستنسن، المرجع نفسه، ص ٤٢١.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥٧٢/١.

(٥) الطبري، المصدر نفسه، ج٣٧/٢.

(٦) الطبري، مصدر نفسه، ج٤٦/٢.

(٧) سورة الروم، الآيات /١-٤.

الدولتين الكبريين، وكانت الحرب الأولى قبل هجرة المسلمين إلى المدينة وغلبت فيها فارس واستولى الفرس على الرها وحلب وأرمينية، آسيا الصغرى، وأنطاكية وقيصرية، ودمشق والقدس ولم يبق مع هرقل الروم إلا القسطنطينية.. وبعد تسع سنوات كانت الحرب الثانية التي غلبت فيها الروم على فارس وتوافق ذلك مع يوم معركة بدر الكبرى وقبل عام الحديبية ، إذ عاد هرقل فقاد جيوش الروم ودخل أرض فارس وقتل رجالها، واحتل المدائن واستعاد آسيا الصغرى وأرمينيا وأذربيجان سنة ٦٢٣-٦٢٤م، ثم استولى على القوفاز ووادي دجلة [(١)].

عدل الإسلام أسقط غطرسة الفرس :

كان التفاوت في طبقات المجتمع الفارسي امتهاناً للإنسانية ففي مجالس الأمراء، حيث يقوم الناس على رؤوس أمرائهم كأنهم جماد لا حراك بهم ويجلسون مزجر الكلب، وقد أكبر رسول الجيش الإسلامي عليهم وأنكره، وفي هذا يروي الطبري رحمه الله ما وصل إليه الفرس من الاستكانة والخضوع لسادتهم جرياً على عاداتهم،قال:

(عن أبي عثمان النهدي قال لما جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس أجلسوه واستأذنوا رستم في إجازته، ولم يغيروا شيئاً من شارتهم تقوية لتهاونهم فأقبل المغيرة والقوم في زيهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبسطهم على غلوه[(٢)]. ولا يصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها غلوه، واقبل المغيرة وله أربع ظفائر يمشي حتى جلس معه على سريره ووسادته ، فوثبوا عليه فترتروه [(٣)].وأنزلوه ومغثوه، فقال:

---

(١) ابن كثير، تفسير، ج٣/٤٢٥-٤٢٦، وينظر محمد فرج، المدرسة العسكرية ، ص٢٥.

(٢) الغلوه: الغاية مقدار رمية أي المتد طويلاً، ينظر الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ص٢٠٨.

(٣) الترترة: التحريك، وقول زيد الفوارس (ألم تعلمي أني إذا الدهر مسني — بنائبة زلت ولم اتترتر) أي لم أنزلزل ولم أتقلقل ، ينظر نفس المصدر ، ج١ ص١٣٩.

كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتكم ولكن دعوتموني. اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول) [1].

القادسية قررت تهافت العقيدة العسكرية للفرس :

في مطلع عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبتكليف منه جرت المناوشات الأولى بين العرب والفرس على يد المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه، وبعد نجاح المثنى مع قلة ما معه من العدة وقلة من معه من العدد أرسل إليه جيشاً عظيماً يقوده سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه وكتب أبو بكر للمثنى يأمره بتلقي خالد والسمع والطاعة له [2].

ووصل خالد العراق فأخذت مدنه تصالحه وتخضع له وتدفع له الجزية وتعده على أن تكون معه على الفرس وأهم البلاد التي صالحها خالد أرض الحيرة [3].

ومن هذه المعارك التي خاضها خالد وأظهرت تهيب جنود الفرس من مواجهة المجاهدين المسلمين وأكدت ضعف الروح العسكرية لدى الفرس، هي موقعة ذات السلاسل التي ربط الفرس أنفسهم بالسلاسل [4].حتى لا يفروا من المعركة ولكن ذلك لم يعنهم شيئاً، فقد فر منهم من وجد حيلة للفرار وسقط الباقون صرعى، وقد ترتب على

(١) الطبري، تاريخ ج٤ ص١٠٨.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٢.
(٣) البلاذري، المصدر نفسه ، ص٢٤٦.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ٢٦٢/٢.

هذه الموقعة الاستيلاء على ميناء الأبلة على الخليج العربي [1].

وفي عهد عمر رضي الله عنه كانت كفه المسلمين قد رجحت على الروم في الشام بعد انتصارهم في معركة أجنادين ،فاتجه إلى معاودة الزحف على الفرس ، وفيما يلي عرض سريع عن أهم المعارك الحربية التي أسقطت الإمبراطورية الفارسية وعقيدتها العسكرية وأدخلتها إلى الأبد جزءاً من العالم الإسلامي.

ففي سنة ١٣هـ ٦٣٣م التحم القائد أبو عبيد عمر الثقفي رضي الله عنه ومعه سليط بن قيس الأنصاري رضي الله عنه والمثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه بمعركة الجسر مع جيش الفرس بقيادة مردان شاه المعروف برستم وقتل فيها القائد أبو عبيد ومعه سليط [2].فكان خسران هذه المعركة امتحان عسير للمسلمين، وبدت الاستعدادات واستمر عمر رضي الله عنه يخطط بعد يوم الجسر ويأخذ بالأسباب ويستطلع الآراء ويعد العدة لمعاودة الزحف. ولما دخلت سنة١٥هـ ٦٣٤م أرسل جيشاً يقوده جرير بن عبد الله مع المثنى بن حارثة، وكان يقود جيش الفرس مهران وقد ثأر المسلمون في هذه الموقعة لشهداء يوم الجسر وقتل مهران وكثير من أتباعه [3].وسميت هذه الموقعة بيوم مهران أو يوم النخيلة.

كانت هذه المواقع تمهيداً للمعركة الفاصلة ألا وهي معركة القادسية التي حدثت في السنة السادسة عشرة، وكان قائد المسلمين فيها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على رأس جيش يتراوح بين سبعة إلى ثمانية آلاف وكان الفرس يضحكون من العرب ويستهزؤن بهم، في حين كان جيش الفرس يبلغ ثلاثين ألف مقاتل ومعه الفيلة وكان

(١) ياقوت، معجم البلدان، معجم البلدان، ٨٩/١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٥٢.

(٣) البلاذري، المصدر نفسه ص ٢٥٣-٢٥٤.

سعد من السابقين في الإسلام ومن أخوال النبيﷺ وكان على رأس الجيش الفارسي رستم نفسه، قائد الجيش الإمبراطوري وقبيل ذلك كان يزدجرد (كسرى) قد تبوأ العرش الساساني، وكان لا يزال في مقتبل العمر. فنشبت في القادسية، غربي النجف الحاضر وعلى ثمانية عشر ميلا ونصف من معسكر الجيش في الكوفة، معركة فاصلة بين المسلمين والفرس، ومني الفرس بهزيمة شنعاء (1).

وقتل قائدهم رستم وهو رمز العسكرة الفارسية، وتقدم المسلمون وعبروا الفرات إلى المدائن عاصمة الإمبراطورية ودخلها العرب (2).وتلاحقت انتصاراتهم على فلول الجيش الإمبراطوري وتم تحرير العراق في عام ١٧هـ/٦٣٧م.

ثالثاً : العقيدة العسكرية لدى الإغريق :

١ـ العقيدة العسكرية في جمهورية أفلاطون :

يصف أفلاطون (ت٣٤٧ق.م) في جمهوريته المجتمع الإغريقي الوثني المتفسخ والأمة الراشية والآلهة المرتشية بقوله: إن الآلهة تبلوا كثيرين من الأبرار بالكوراث والمحن، وتسبغ على الأشرار سوابغ النعم، فيقرع الملقون والدجالون أبواب المثرين، ويؤكدون لهم نيل السلطان الإلهي ليغفروا لهم ما اجترحوه هم وآباؤهم من المظالم والفجور، لقاء القرابين والولائم وحفلات السرور، وإذا أراد أحدهم الإيقاع بعدوه أمكنه ذلك بنفقة زهيدة باراً خصمه أو مجرماً (3).

أما البحث الذي تناوله جورج أسباين – أستاذ الفلسفة بجامعة كورنل بأمريكا – إذ تعقب تطورات الفكر السياسي وفزعة الأحتراب منذ العهد التمهيدي لعهد

(1) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٩٦-٦٧.

(2) الطبري، تاريخ، ج٤ ص١٣٢-١٤٠.

(3) أفلاطون، جمهورية أفلاطون، نقلها إلى العربية حنا خباز،دار القلم، ط٢، (بيروت، ١٩٨٠م) ص ٥٠-٥١.

الفيلسوف الإغريقي أفلاطون، تلميذ سقراط وأستاذ ارسطو بالقول (وقد أقتضى هذا التعقب – لجذور – الفكر السياسي تحليل البيئة السابقة على سقراط والتي تضمنت شتاتاً من الاتجاهات الفكرية استطاع ذلك الفيلسوف تحويلها إلى فلسفة محددة... وإن جاءت جد متعارضة) [1].

وفي هذا يقول الأستاذ أنور الجندي رحمه الله: (لقد كانت أوربا مغرقة في الوثنية... أن التراث الذي كان قائماً قبل الإسلام كان خليطاً من ركام الوثنيات السابقة والمعاصرة لهم من تراث الفرعونية والمجوسية والهندوسية وعقائد اليونان وهي مجموعة من الأفكار المختلطة.. وهذا الركام المختلط الذي تمثل في مراحل كثيرة فيما قدم أفلاطون وأرسطو قبل المسيحية وما قدمه أفلوطين بعدها) [2].

ويعلق (جورج أسباين) على موضوع إلغاء الأسرة في جمهورية أفلاطون فيقول: (تتخذ شيوعية أفلاطون اساسين يلتقيان في إلغاء الأسرة، أما الشكل الأول فهو تحريم المكلية الخاصة على الحكام، سواء كانت منازل، أم أرضاً أم مالاً، وجعلهم يعيشوا في المعسكرات ويتناولون طعامهم على مائدة مشتركة، وأما الشكل الثاني فهو إلغاء الزواج الفردي الدائم والاستعاضة عنه بالإنسان الموجه وفقاً لمشيئة الحاكمين لإنتاج أصلح سلالة ممكنة على أن الشيوعية في (الجمهورية) إنما تنطبق على فئة الحراس وحدها، أي الجنود والحكام أي القادة) [3].ويعقب (ريتر) بالقول (إن الرق قد ألغي في (الجمهورية) من حيث المبدأ ولكن لا يكاد يصدق أن أفلاطون قصد إلى إلغاء نظام عالمي أنذاك وهو الرق

---

(١) أسباين، هـ جورج، تطور الفكر السياسي ، الكتاب الأول ترجمة حسن جلال العروسي، دار المعارف ، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣م) ص ٢٧.

(٢) الجندي، أنور ، الفكر الغربي دراسة نقدية، ص ٢٨.

(٣) اسباين، تطور السياسي ، ٦٩/١-٧٠.

دون أن يذكر ذلك) [(١)].

ويعقب الجندي في الشبهات قائلاً: (إلا أنه في الوقت نفسه نجد أفلاطون يقسم الناس إلى قادة وعبيد في جمهوريته ودافع تلميذه أرسطو (ت ٣٢٢ق.م) عن إقامة نظام العبودية والرق، وحتى القانون الروماني لم يكن يعد الرقيق إنساناً له شخصية ذات حقوق على الإنسانية بل يعده شيئاً كسائر السلع) [(٢)].

أما سيد قطب رحمه الله فيقول: (فالفلسفة الأغريقية نشأت في وسط وثني مشحون بالأساطير واستمدت جذورها من هذه الوثنية ومن هذه الأساطير ولم تخل من العناصر الوثنية الأسطورية قط) [(٣)].

وقد لاحظ كثير من مؤرخي وعلماء أوربا روح العبث في الحياة اليونانية والعنصرية إلى حد التعصب والاستخفاف بغيرهم من الأجناس وطال هذا التعصب حتى فلاسفتهم وفي هذا يقول ليكى (تاريخ أخلاق أوربا): (إن أرسطو طاليس لم يكتف بحب وطنه والولاء له فحسب ، بل قال: إن اليونانيين ينبغي لهم أن يعاملوا الأجانب بما يعاملون به البهائم) [(٤)].

ويعقب الجندي فيقول: (وقد رفض الفكر الإسلامي رأي ارسطو في (الآله) ذلك أن أرسطو جرد الآله من كل شيء فهو عنده المحرك الذي يتحرك وأنه مفارق للعالم ولا يعلم شيئاً) – سبحان الله عما يصفون علواً كبيراً – ولقد قضى فقهاء الأمة وعلماؤها موقفاً حازماً من أساليب اليونان وفلسفتهم وفكرهم ومعتقداتهم الوثنية والجوانب

---

(١) ريتر، كونستنتين ، أفلاطون حياته ومؤلفاته ومذهبه(القاهرة، ١٩٢٣م) ٥٩٦/٢.

(٢) الجندي، أنور، الشبهات والأخطاء الشائعة، ص٦٧.

(٣) سيد، قطب ، خصائص التصور الإسلامي، ص١٢.

(٤) ليكي: تاريخ اخلاق أوربا طبع سنة ١٨٦٩، ص ٣٤٣.

الهدمية في المنطق الأرسطو طاليسي ، فقد وجه ابن تيمية رحمه الله نقده إلى هـذا المنطـق بإحدى عشرة حجة استمدها من الشكاك اليونـانين مـن ناحيـة ومـن السوفسـطائيين مـن ناحية أخرى، وقد تضمنت مؤلفات ابن تيمية أهم الآراء التي انتقـد بهـا منطـق أرسـطو وهـي (منهـاج السـنة) و(مجموعـة الرسـائل الكـبرى) و(السـبعينية) و (الـرد علـى المنطقيين). وقد أنقسم الفقهاء بعد ابن تيمية في أمر آراء أرسطو إلى قسمين قسم تابع ابـن تيمية في اتجاهه النقدي للمنطق وأهم ممثليه تلميذه ابـن القـيم الجوزيـة (ت ٧٥١هــ) والصنعاني (ت٨٤٠هـ) صاحب (كتاب ترجيح أساليب القـرآن علـى أسـاليب اليونـان) . والسيوطي (ت٩١١هـ) وقسم اتجه اتجاه ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) في تحريم المنطق وأهم ممثليه عبد الوهاب السبكي(ت ٧٧١هـ) وليس لابن تيمية أثر فيه) [١].

وتأثر الفكر الغربي بالنزعة الاستعلائية لدى اليونان والعرقيـة وسـيادة الجـنس الأبيض وتمييزه بالنفوذ والسلطان على غيره من الأجناس وفي هذا يقول الجندي: (وأخذ الفكر الغربي هذه النظرة من التراث اليوناني الروماني الذي كان يـرى أن رومـا وحـدها هي صاحبة الامتياز والسيادة وأن كل ما حولها عبيد) [٢].ويعقب سفر الحوالي بـالقول: فإذا كانت هذه أصول الفكر الغربي ومقوماته، فنستطيع القـول أن المجتمـع اليونـاني لم يكن له دين موحد يتعبد به ولا فلسفة واحـدة يـؤمن بهـا..فالطبقـة الحاكمـة لا تـدين في الواقع بغير الشهوة العارمة للتسلط وأن الإمبراطور نفسه كان (إلهاً) يعبده الشعب) [٣].

ويقـول (كرسـون): (إن الآلهـة يعيشـون بعيـداً عـن العـوالم ولا يهتمـون إلا

(١) النشار، علي سامي (دكتور) مناهج البحث عند مفكري الإسلام، (القاهرة، ١٩٦٢م) ص ٢٢٠.

(٢) الجندي،أنور، الثقافة العربية، ص٢٢٩.

(٣) الحوالي، سفر عبد الرحمن، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسـلامية ، الـدار السـلفية (كويـت، ١٩٨٧) ص٥٣.

بشؤونهم.. فإنهم لا يعيروننا بالاً فلنفعل كما يفعلون نحوناً) [1].

ويقول محمد أسد في هذا الشأن: (لم يعتنقوا ديناً اعتناقاً جدياً يجعلهم يستمدون تصوراتهم وعقائدهم ونظام حياتهم منه وحده، نعم كان لهم آلهة ولكنها تقليدية لم تكن سوى محاكاة شاحبة للخرافات اليونانية) [2].

ويذكر سلامة موسى (أن أناجز أجوراس (ت٤٢٨ق.م) هو أول من نعرفه ممن اضطهد في تفكيره فإنه كان يعلم تلاميذه بأن الشمس ليست مركبة تركبها الآلهة كما تقول الديانة بل هي قطعة من نار... وقد حبس في أثينا ثم نفوه فمات في آسيا الصغرى) [3].

ومن خلال النظرة الاستعلائية في المجتمع الإغريقي تتبين معالم طبيعة ظالمة ومجحفة بحق الإنسان ومصيره.

فقد قال افلاطون متحسراً عقب انتهاء الحرب: أن كل مدينة وإن صغرت قد انشطرت إلى شطرين إحداهما مدينة الفقراء والأخرى مدينة الأغنياء) [4].(وظل هذا المثل على الدوام جزءاً من الفكر السياسي لدى الإغريق.. ففتح ذلك الباب بكل سهولة للأنانية السياسية، تصور في جلاء ما كان يكتنف حياة أثينا السياسية من مخاطر التشاحن ومن الأنانية التي لا وأزع لها من ضمير) [5].

---

(١) كرسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحليم محمود ،ط٢،(القاهرة، ب ت) ص٦١.

(٢) أسد محمد، سلامة، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم لملايين، ط٦ (بيروت، ١٩٦٥) ص٢٨.

(٣) موسى، سلامة، حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، دار العلم للملايين، ط٢ (بيروت، ١٩٥٩) ص٢٩.

(٤) أفلاطون، الجمهورية، الكتاب الرابع ص ٤٢٢.

(٥) اسباين، تطور الفكر السياسي، ١٨/١.

أفلاطون يحدد سن الخدمة العسكرية ومهام الجنود :

وفي معرض تحليله للطبقات في المجمتع الإغريقي اعتمد أفلاطون على واحد يفسر به الدولة والفرد معاً، فقد أتاحت له التوصل إلى نظرية أبسط من أن تحل مشكلته فتحليل الدولة قد كشف عن وجود ثلاث وظائف ضرورية لا بد من تأديتها في إشباع الحاجات الطبيعية، ومن حماية الدولة، وحكمها ويقتضي مبدأ التخصص.. مما يستتبع ظهور ثلاث طبقات تشمل [1]:

١- العمال الذين ينتجون.

٢- والحراس الذين هم الجنود والفرسان.

٣- الحكام وإن كان فرداً فهو الملك الفيلسوف ولم يكن أفلاطون بأي حال الوحيد الذي آمن بهذه الطبقات فقبل (الجمهورية) بمدة طويلة قسم (يوريبيدس) المواطنين إلى طبقات ثلاث هي : طبقة الأثرياء غير النافعين، وطبقة الفقراء المعدمين والطبقة المتوسطة أو طبقة الفرسان الأشداء حماة الدولة [2].

أما منهاج أفلاطون التعليمي فينقسم إلى قسمين: التعليم الأولي الذي يشتمل تدريب النشئ حتى سن العشرين وينتهي عند بداية الخدمة العسكرية [3].والتعليم الأعلى الذي يقتصر على فئة مختارة من كلا الجنسين ويمتد هذا التعليم سن العشرين إلى

(١) أفلاطون، الجمهورية، ص ٥٥١.

(٢) أسباين تطور الفكر السياسي ، ص٧٠.

(٣) الأرجح أن الخدمة العسكرية الإجبارية للشبان الأثينيين بين سن الثامن عشرة والعشرين لم تكن قد طبقت عندما كتب أفلاطون هذا، وإن كانت أدخلت بعد ذلك بسنين قليلة كما يفترض (wlamowitr) استناداً إلى كتاب (القوانين) ينظر: (Aristalces and Athen,1894 voll, p-191) .

سنة الخامسة والثلاثين يمكن القول بصفة عامة أن نظام التعليم الأولى الذي عرضه أفلاطون في الجمهورية كان أقرب إلى مشروع إصلاحي، وكان جمعاً بين الإعداد الذي كان يتحقق عادة لأبناء السادة من الأثينيين ، وبين الإعداد الذي يسير تحت إشراف الحكومة للنشئ في أسبارطة. وقد بولغ في تأثير اسبارطه على نظرية أفلاطون في التعليم وتتجلى أبلغ صور هذا التأثير الأسبارطي في تكريس التعليم حسب هذه النظرية للتربية الوطنية أما مضمون النظرية فكان أثينياً خالصاً[1].

وقد استهدف أفلاطون غرضين آخرين على الأقل، يعد أحدهما عرضياً إلى حد ما، ويعد الآخر أوثق صلة بظهور الدستور المختلط، فهو يعرض في نقده لاسبارطة، ويرد أسباب سقوطها إلى نظامها العسكري المحض لأن(الجهل خراب الدول) ولكنه كان يرغب قبل كل شيء في أن يبين كيف كانت سلطة الملكية القائمة على العسف وما يصيبها من طغيان سبباً من الانحلال ، كما يتجلى مثال ذلك بوجه خاص في دولة الفرس[2]. وكيف أدت ديمقراطية أثينا الطليقة العنان إلى إهلاك نفسها بالتطرف بالحرية. وكانت كل دولة منهما تستطيع أن تزدهر لو قنعت بالتزام الاعتدال.. وبنظرة إلى تاريخ أثينا يقرر حكمه بمضار القوة البحرية مع ما سبق أن حكم به على مضار القوة العسكرية في اسبارطه[3].وانتقد أرسطو اسبارطه ذات الدستور المختلط وربما جال بخاطره أيضاً تلك الدولة التي شرعت أثينا في تكوينها سنة ٤١١ق.م ولم يكن دستورها حبراً على ورق تلك الدولة تهدف إلى إيجاد هيئة من المواطنين مقصورة على خمسة آلاف من القادرين على تزويد أنفسهم بالأسلحة الثقيلة، وقد قال أرسطو في كتابه (دستور

(١) أسباين تطور الفكر السياسي، ص ٧٥-٧٦.

(٢) أفلاطون، القوانين، ٦٩٠. وينظر كتاب أرسطو (السياسة) ١٢،٣-١٣.

(٣) أسباين، ص٩٨.

أثينا) إن هذه الحكومة كانت خير حكومة عرفتها أثينا على مدى الزمان، وقد اضطر أرسطو – كما اضطر أفلاطون من قبله – تحت ضغط الاعتبارات العملية إلى أن يعود على الملكية الفردية بدلاً من الفضيلة... ويعالج أرسطو في الكتاب الخامس في إسهاب، أسباب الثورات والتدابير السياسية التي يمكن الإلتجاء إليها للحيلولة دون وقوعها[1].

يقول ديورانت (أن بولبيوس – pallibius) كان يرى إنها تحقق تحقيقاً تاماً دستور أرسطو طاليس المثالي، وقد رسمت هذه الحكومة الخطوط الرئيسية للتاريخ اليوناني كما رسمت في بعض الأحيان ميادين القتال في هذا التاريخ) [2].

(وربما كان يفرضه من المراسيم والحفلات قبل كل حملة ومعركة حربية، يرفع قوى الجندي المعنوية ويحمله على الاعتقاد بأن القوى الروحية تحارب إلى جانبه) [3].

٢ـ معالم العقيدة العسكرية الإغريقية في معارك أثينا ـ أسبارطة :

عبر بركليس [4].في خطاب عن حالة الحرب والصراع القائم آنذاك بين أثينا وأسبارطة بالقول: (أننا لا نعتمد على المخاتلة أو الخديعة، وإنما نعتمد على قلوبنا وسواعدنا وإذا كان أهل اسبارطة يدربون النشيء منذ حداثتهم المبكرة تدريبات دقيقة قاسية ترمي إلى جعلهم شجعاناً، فإننا نحيا حياة سهلة ولكننا على الرغم من ذلك على استعداد مثلهم لمواجهة المخاطر والخطوب التي تواجهنا) [5].

ولقد كان الأثينيون في عهد بركليس يعدون شغل المواطن كل وقته في شئونه

(١) أرسطو، السياسة، ٣، ٢٩٢.

(٢) ديورانت، قصة الحضارة، ١٣٩/٩.

(٣) ديورانت، المرجع نفسه، ١٣٩/٩.

(٤) بركليس هو زعيم الديمقراطية في أثينا ومن أشد المتعصبين لمدينته وإمبراطوريته، ينظر توسيدس الكتاب الثاني ص ٣٥-٤٦ نقلاً عن ترجمة بنيامين تويت ط٢ اكسفورد /٩٥٠.

(٥) أسباين، تطور الفكر السياسي، ج١/١٥-١٦.

الخاصة انحرافاً شديداً عن المثل العليا، فمثلاً بالرغم من بلوغ الصناعة الأثينية وبخاصة الخزف والأسلحة أعظم شأناً لها في العالم الإغريقي، فإن رجالها ما كانوا ليرتضوا أن تستغرق كل وقتهم فتحرمهم الفراغ اللازم للأعمال العامة وشئون المدينة[1].

وأن بركليس هذا في الوقت الذي يندد باسبارطة ويعيب على نظامها العسكري الجامد. فإنه يمتدح الحياة في أثينا ويفاخر بالأثيني لأنه قادر بقدرته العقلية على أن يبز سائر الشعوب في الفن والحرف والحروب البحرية[2].

ولا شك أن أفلاطون – وقد كانت تحت نظره تلك الخاتمة السيئة التي انتهت إليها حرب البيلوبونيز – بدت له القيم محل تشكك أكثر مما كانت تبدو لبركليس من قبله.

وتجد كذلك في كتاب التاريخ لتوسيديدس تهكماً لأذعاً بخطبة بركليس سالفة الذكر ، عندما قارنها بهزيمة أثينا فيما بعد[3].

وبلغت حياة الأثنين أوجها في الربع الثالث من القرن الخامس ق.م على حين لم تبلغ الفلسفة السياسية هذا الشأو إلا بعد انهزام أثينا في كفاحها مع اسبارطه، ومما يؤكد بوضوح أن الأغريق في القرن الخامس ق.م قد استهواهم الوقوف على مضمون القوانين والتنظيم التي ملأت العالم حينذاك، ما تضمنه كتاب هيرودوت في التاريخ دراسات مستفيضة لعلم الإنسان...فحياة كل إنسان ينبغي أن تشير وفقاً لمعايير أساسية معينة والطبيعة البشرية في حاجة إلى تلك التقوى التي تنبعث من الملاحظة والتأمل ولقد نظر هيرودوت إلى كل ذلك المزاج العجيب والأفكار ... ورأى في احتقار قمبيز

(١) أسباين، تطور الفكر السياسي، ج١/١٥-١٦.

(٢) أسباين، المرجع نفسه، ١/١٦.

(٣) The cydides, The creek city, teans by.N.mallinson londan 1929

وأهانته، بطقوس غير الفرس من الأمم دليلاً قاطعاً على جنونه[1].

ولقد جدت في القرن الخامس قبل الميلاد أفكار، إن لم تبلغ حد التنظيم أوالتجريد فإنها عرضت للبحث والمناقشة معظم النظريات الفلسفية التي برزت في القرن الرابع ولعلها لم يكن يعوزها إلا أن تمر أثينا بمثل تلك الأيام السوداء التي عاصرت خواتيم حرب البيلوبونيز لتطبع الشعب الأثيني بالطابع التأملي أكثر من الطابع العملي، وتجعل مدينته (مدرسةالهيلينيين) بصورة لم تخطر على بال توسيد بدس[2].

٣ـ الأسكندر المقدوني يغزو العالم القديم :

وبعد أن استولى على دمشق وصيدا من غير قتال حاصر صور وقاومته المدينة القديمة مقاومة طويلة غضب لها الاسكندر أشد الغضب ولما أن استولى عليها ترك رجاله يذبحون ثمانية آلاف من أهلها ويبيعون ثمانين آلفاً بيع الرقيق، وحاربته غزة حتى قتل كل رجل في المدينة وسبيت كل امرأة.. ووصل إلى قصر دارا .. فحرق المدينة ودكها دكاً، وانطلق جنوده ينهبون البيوت ويسبون السناء ويقتلون الرجال .. وكانت حروبه وحشية ولم يجن منها نفعاً[3]. ويستطرد ديورانت في عرض العقيدة العسكرية لليونان فيقول (وكان (القبياس) حارب وهو في سن العشرين بجانب سقراط) [4].ويضيف قائلاً:

(واستولى ميموس على كورنته عام ١٤٦ق.م أشعل النار في المدينة الغنية وذبحوا جميع رجالها وباعوا جميع نسائها وأطفالها في أسواق الرقيق) [5].

(وكان الاسكندر في خلال حملاته العسكرية كلها يحتفظ معه بنسخة من

(١) أسباين، تطور الفكر السياسي، ٣٨/١.

(٢) أسباين ، تطور الفكر السياسي، ٣٨/١.

(٣) ديورانت ، قصة الحضارة ، ٢٥٦/٧-٢٥٧.

(٤) ديورانت، المراجع نفسه، ٣٥١/٧.

(٥) ديوانت، المرجع نفسه، ٢٠٣/٨.

(الإلياذه) عليها شروح. بقلم أرسطو وكثيراً ما كان يضعها تحت وسادته أثناء الليل بجوار خنجره كأنه يرمز بهذا إلى أداته وهدفه) [١].ويفضح فضائع هذه الحروب(وكانت أكثر الحروب القديمة (الحرب اليونانية الثانية) جميعها نفقة ، فقد خربت مزارع إيطاليا الجنوبية وألحقت بها أشد الأضرار وهدمت أربعمائة من مدنها وأهلكت رجالها، ولم تفق إيطاليا الجنوبية حتى اليوم من جميع ما أصابها من هذا الدمار... كما كانت سبباً فيما طرأ على حياة الرومان وأخلاقهم من أنقلاب) [٢].

لقد جاء الاسكندر المقدوني تلميذ أرسطو طاليس فاستخدم الحرب لإخضاع اليونان تحت سلطته ثم شن حروبه التوسعية التي شملت آسيا الصغرى، وكانت تحت سلطان الفرس ثم الساحل الفينيقي، ثم مصر ثم التفت نحو بلاد فارس، فاكتسحها ثم واصل شرقاً حتى وصل إلى الهند ، وسار جنوباً حتى وصل المحيط الهندي[٣].ومن ثم انكفأ راجعاً بعد أن لمس من جيشه العجز عن مجاراته، ويذكر الطبري هنا أن الاسكندر فتح الهند والصين والتبت ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي[٤].

ونشبت الحروب بين خلفاء الاسكندر الذي انقسمت إمبراطوريته بعد وفاته إلى ثلاث ممالك هي مملكة مقدونياً في أوربا ومملكة آسيا ومملكة مصر[٥]... إلى أن جاءت الدولة الرومانية وقوي ساعدها، فراحت تشن حروبها التوسعية، فكانت بين (روما) وبين (قرطاجة) طيلة مائة وعشرين سنة إلى أن انتهى الصراع الرهيب بتدمير (قرطاجة) سنة مائة وستة وأربعون قبل الميلاد وضمت أملاك (قرطاجة) إلى (روما)

(١) ديورانت، المرجع نفسه، ٥١٦/٨.
(٢) ديورانت، المرجع نفسه، ١١٤/٩.
(٣) براستد، العصور القديمة، ٤١٨-٤٢٦.
(٤) الطبري، تاريخ، ج٥٧٢/١.
(٥) براستد، العصور القديمة، ٤٣٤.

تحت اسم ولاية أفريقية[١].

وانطلقت (روما) في حروبها التوسعية فاستولت على الممالك الثلاث التي تولاها خلفاء الاسكندر[٢].

٤ـ حروب اليونان والرومان أشد وحشية في التاريخ :

ويقول صاحب (قصة الحضارة): (وإذا نظرنا إلى تدمير قرطاجنة وكورنته من الناحية الأخلاقية – حكمنا دون تردد بأن هذا العمل من أفضح الفتوح وأشدها وحشية في التاريخ كله)[٣].وكان قوادهم قساة القلوب حتى مع القتلى والأسرى: وفي هذا يقول أيضاً: (ولم يسمح(صلا) وهو قائد روماني، بدفن الموتى بل تركت جثثهم في الشوارع تلتهمها الكلاب والطيور الجارحة، وانطلق الأرقاء ينهبون ويفسقون ويقتلون الناس بلا تمييز بينهم)[٤].

وقال أيضاً: (وحاصر هنيبال سلينس وكانت جنحت إلى السلم بعد أن عمها الرخاء، فلما أن باغت العدو المدينة واستولى على سيلينس ذبح كل من بقي حياً من أهلها وقطع أوصالهم... وواصل هنيبال زحفه على هيميرا واستولى عليها وعذب وقتل ثلاثة آلاف من أهلها)[٥].

---

(١) براستد، المرجع نفسه، ٥٣١.

(٢) براستد، المرجع نفسه، ٥٣٣-٥٧٢.

(٣) ديورانت، المرجع نفسه، ٢٢٤/٩.

(٤) ديورانت، المرجع نفسه، ٣٤١/٧.

(٥) ديورانت، المرجع نفسه، ٣٤١/٧.

الفصل الثاني

الجهاد جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية

المبحث الأول : وسائل الجهاد ومراتبه في السلم والحرب .

المبحث الثاني : سياسة الحرب وفن القتال في الإسلام .

المبحث الثالث : آثار الجهاد ومقاصده .

المبحث الأول
وسائل الجهاد ومراتبه في السلم والحرب

أولاً : وسائل الجهاد .

ثانياً : جهاد العدو الباطن .

ثالثاً : جهاد العدو الظاهر .

المبحث الأول : وسائل الجهاد ومراتبه في السلم والحرب

أولاً : وسائل الجهاد :

لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، كان رسول الله ﷺ وسلم في الذروة العليا منه فاستولى على أنواعه كلها فجاهد في الله حق جهاده. بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً أعظمهم عند الله قدراً وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه[1].وفي الحديث الشريف الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطيع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [2].

وأمرهم الله تعالى أن يجاهدوا فيه حق جهاده كما أمرهم أن يتقوه حق تقاته، أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، فحق جهاده أن يجاهد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله، فيكون كله لله وبالله لا لنفسه ولا بنفسه، ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ومعصية أمره وارتكابه نهيه،فينشأ له من هذين الجهادين قوة وسلطان وعدة يجاهد بها أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله لتكون كلمة الله هي العليا[3].

١ـ الجهاد باليد (بالنفس والمال) :

إن تغيير المنكر باليد أي تغييره فعلاً ولو باستعمال القوة والاستعانة بالأعوان

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ٣٨/٢.

(٢) مسلم ،الصحيح بشرح النووي، ج٢٢/٢–٢٥.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ٣٩/٢.

عند الاقتضاء كما في دفع الصائل لتخليص نفس بريئة من القتل أو لتخليص عرض مصون من الهتك[1].

والجهاد باليد يشمل الجهاد بالمال والنفس وهما قرينتان في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في سياق الجهاد في سبيل الله. فهما ركنان لا يغني أحدهما عن الآخر، إذ لو وجد المجاهد المسلم المدرب على جميع وسائل الحرب بدون مال لا يستطيع أن يخوض معارك الجهاد ضد الأعداء لأنه يحتاج إلى نفقات لأكله وشربه ولباسه وسلاحه وما يحمله ويحمل عدته ونفقات أهله الذين يخلفهم، فكيف يكون مجاهداً بدون مال؟ ولو وجد المال الوفير الذي به توجد الأسلحة والكفاية وغيرها بدون نفوس مسلمة معدة للقتال تواقة إلى الجهاد في سبيل الله لنيل إحدى الحسنيين، فماذا عسى أن يفعل ذلك المال بدون رجال؟ [2].

وجاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحض المؤمنين على الجهاد بالأموال والأنفس ومنها قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ ﴾[3]. أي تجاهدون أعداء الله لإعلاء كلمة الله – قال المفسرون: جعل الإيمان والجهاد تجارة، ومن آمن وجاهد بماله ونفسه فقد بذل ما عنده وما في وسعه، لنيل ما عند ربه من جزيل ثوابه والنجاة

(١) زيدان، المفصل، ج٤ ص٣٦٤.

(٢) القادري، الجهاد في سبيل الله، ج١ ص٤٧٤.

(٣) سورة الصف، الآيات ١٠-١٢.

من أليم عقابه فشبه هذا الثواب والنجاة من العذاب بالتجارة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1]. قال الإمام الفخر والجهاد ثلاثة أنواع:

١- جهاد فيما بينه وبين نفسه وهو قهراً للنفس ومنعها عن اللذات والشهوات المحرمة.

٢- وجهاد فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم.

٣- وجهاد أعداء الله بالنفس والمال نصرة لدين الله[2].

لقوله تعالى :﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي ما أمرتكم به من الإيمان والجهاد في سبيل الله ، خير لكم من كل شيء في هذه الحياة، إن كان عندكم فهم وعلم وقوله تعالى: (نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين). أي أن ينصركم على أعدائكم ويفتح لكم مكة.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: يريد فتح فارس والروم ، وبشر يا محمدﷺ المؤمنين، بهذا الفضل قال في البحر : لما ذكر تعالى ما يمنحهم من الثواب في الآخرة، ذكر لهم ما يسرهم في العاجلة وهو ما يفتح الله عليهم من البلاد[3]. وهذا هو خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة. فالأمة التي تبذل أنفس أبنائها وأموالهم في سبيل الله أمة ناجحة لأنها تملك- مع إيمانها وقوة صلتها بربها — ركني البقاء في الأرض بقاء يحقق السعادة

(١) سورة التوبة، الآية/١١١.

(٢) الرازي ، التفسير الكبير، ٣١٦/١٩.

(٣) تفسير البحر المحيط، ٢٦٣/٨.

لها ولغيرها ويمكنها من قيادة البشرية هذان الركنان، هما صفة الشجاعة والكرم التي هي من أهم علاماتها تقديم النفس التي عقد مع الله تعالى بيعها له لإعلاء كلمته في الكون، والكرم من أبرز علاماته بذل المال في سبيل الله.

سئل رسولﷺ أي الناس أفضل فقال: (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)[1]. وحذر رسول الله ﷺ من الجبن والبخل أشد التحذير بقوله(شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع) [2].

لقد فهم أصحاب رسول اللهﷺ أن الهلاك محقق في هاتين الصفتين اللتين تقعدان من اتصف بهما عن الجهاد في سبيل الله كما جاء عن أسلم بن أبي عمران قال: غزونا من المدينة والروم قد لصقوا ظهورهم بحائط فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال: أبو أيوب رضي الله عنه إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾[3]. فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد (قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية) [4].

ويبين الله تعالى فضل الذين أنفقوا أموالهم وجاهدوا في سبيل الله قبل الفتح وجعلهم أعظم درجة من الذين انفقوا وجاهدوا بعد الفتح بقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن

(١) البخاري، الصحيح رقم ٢٧٨٦ وينظر فتح الباري، ٦/٦ ومسلم ، الصحيح ١٥٠٣/٣.
(٢) أبو داود، السنن، ٢٦/٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٤) أبو داود، السنن، ٢٧/٣.

قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١).

أيْ أيُّ شيء يمنعكم من الاتفاق في سبيل الله، وفيما يقربكم من ربكم، وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم وهي صائرة إلى الله تعالى؟ قال الفخر: المعنى أنكم ستموتون فتورثون فهلا قد متموه في الانفاق في طاعة الله(٢).، وهذا أبلغ الحث على الإنفاق في سبيل الله . وفي معرض المفاضلة قال المفسرون: إنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم، لأنه حاجة الإسلام إلى الجهاد والانفاق كانت أشد... ثم أعز الله الإسلام بعد الفتح وكثر ناصريه ودخل الناس في دين الله أفواجا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أعظم درجة من الذين ﴿ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ﴾ أي أعظم أجراً، وأرفع منزله من الذين انفقوا من بعد الفتح وقاتلوا لإعلاء كلمة الله ،قال الكلبي نزلت في (أبي بكر) رضي الله عنه لإنه أول من أسلم وأول من أنفق ما له في سبيل الله، وذب عن رسول الله تعالى ﷺ(٣).وحضﷺ أمته على المشاركة في الجهاد في سبيل الله — إن لم يكن بالخروج المباشر بالنفس والمال وبتجهيز الغزاة بما يملك من مال لقولهﷺ: (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا) (٤).

وتوعد رب العزة الذين يبخلون عليه وهو رازقهم والمنعم عليهم وهو الغني عنهم ولكن هو الامتحان !! لقوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ

(١) سورة الحديد، الآية ١٠.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ٢١٨/٢٩.

(٣) الخازن، تفسير، ٣٢/٤.

(٤) البخاري، الصحيح رقم ٢٨٤٣ وفتح الباري ٤٩/٦ مسلم، الصحيح ١٥٠٧/٣.

وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[1]. أي ها أنتم معشر المخاطبين تدعون للإنفاق في سبيل الله، وقد كلفتهم ما تطيقون ﴿ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ﴾

أي فمنكم من يشح عن الإنفاق ويمسك عنه ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ أي ومن بخل عن الإنفاق في سبيل الله فإنما يعود ضرر بخله على نفسه لأنه يمنعها الأجر والثواب قال الصاوي: وبخل يتعد بـ(على) إذا ضمن معنى شح، وبـ(عن) إذا ضمن معنى أمسك[2]. ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ أي والله مستغن عن إنفاقكم ليس بمحتاج إلى أموالكم وأنتم محتاجون إليه، وإن تعرضوا عن طاعته واتباع أوامره يخلف مكانكم قوماً آخرين أطوع لله منكم[3].

والجهاد بالمال يعني بذله فيه – أي في متطلبات الجهاد بالنفس ومستلزماته – أو بإنفاقه على من يجاهد بنفسه، قال الجصاص رحمه الله: (إن الجهاد بالمال يكون على وجهتين:

(أحدهما) إنفاق المال في إعداد السلاح والآلة والراحلة والزاد وما هو مجراه مما يحتاج إليه المجاهد لنفسه. و(ثانيهما): إنفاق المال على غيره ممن يجاهد بنفسه أو إعانته بالزاد والعدة للقتال)[4].

ومن الجهاد بالمال بذله في فداء أسرى المسلمين ، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ

---

(١) سورة محمد، الآية ٣٨.

(٢) الصاوي، حاشية الصاوي، ٨٩/٤.

(٣) الصابوني صفوة التفاسير، مج٣، ج١٦ ص٢١٤-٢١٥.

(٤) الجصاص، أحكام القرآن ، ج١١٧/٣.

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[1].

قال ابن العربي في هذه الآية: (قال علماؤنا: أوجب الله سبحانه في هذه الآية القتال لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس فكان بذل المال في فدائهم أوجب لكونه دون النفس وأهون فيها. وقال الإمام مالك: على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم) [2].

٢ـ الجهاد باللسان (الدعوة إلى الخير وإنكار المنكر) :

المقصود بالجهاد باللسان بذل الجهد المستطاع في تبليغ الإسلام إلى الكفار، ودفع شبهات المبطلين بالكلمة الطيبة، والحجة البينة، والحكمة النافعة، والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن[3].

قال ابن تيمية رحمه الله – والله تعالى يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[4]. بالحجة والبيان وباليد واللسان، هذا إلى يوم القيامة، لكن الجهاد المكي – أي الذي كان في مكة قبل الهجرة – بالعلم والبيان،والجهاد المدني مع المكي باليد والحديد قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[5].وهذه الآية في سورة مكية وهي الفرقان، وإنما جاهدهم ﷺ باللسان والبيان [6].

(١) سورة النساء، الآية/٧٥.

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن، ج١ ص٤٥٩.

(٣) زيدان، المفصل ، ٤/٤٩٩.

(٤) سورة التوبة،الآية/٣٣.

(٥) سورة الفرقان،الآية/٥٢.

(٦) ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ج٢٨ ص٢٨.

وقال ابن القيم: (وأما جهاد الحجة، فقد أمر بهﷺ في مكة قبل الهجرة بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ أي جاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً.... والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة[1].

وقد كان رسول اللهﷺ مأموراً في الابتداء – أي ابتداء الدعوة الإسلامية – بالصفح والإعراض عن المشركين ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالوعظ والمجادلة بالتي هي أحسن[2]. لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[3].

وجاء في الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: (جاهدوا الكفار بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[4]. وجاء في شرحه: قوله (جاهدوا الكفار) وإنما خص أهل الشرك لغلبتهم إذ ذاك، (بأموالكم) أي في كل ما يحتاجه المجاهد من سلاح وزاد وراحلة ،(أنفسكم) أي: في القتال بالسلاح، وقوله (وألسنتكم) أي بالمكافحة عن الدين وهجو الكافرين، فلا يداهنهم المسلمون بالقول بل يجادلونهم[5]. وقول الشارح: (بالمكافحة عن الدين) يشمل تبليغ الإسلام للكافرين ودعوتهم إليه، وعرض معاني القرآن عليهم ، ورد شبهاتهم عن الإسلام حتى يتيسر للكافرين منهم الإسلام، وعسى أن يحملهم هذا الفكر إلى أن يسلموا. ويدخل في (هجو الكفار) بيان باطل ما هم عليه من كفر وضلال ، ورد ما يقال عن الإسلام ويسمعونه من هذه الأقاويل الباطلة. وأن الجهاد

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢ ص٥٨.
(٢) السرخسي، المبسوط، ج١٠ ص٢.
(٣) سورة النحل، الآية/١٢٥.
(٤) السيوطي، الجامع الصغير، من حديث البشير النذير، ج١ ص٤٨٨.
(٥) المناوي، فيض القدير بشرح الجامع الصغير ، ج٣ ص٣٤٤.

باللسان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،واصل المنكر الشرك فهو اعظم ما يكون من الجهل والعناد ، فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما قدر عليه [1].

والجهاد باللسان هو أوسع أبواب الجهاد. وجنوده هم جميع أفراد الأمة فهو فرض عين على كل مسلم، وقيل فرض كفاية، فيجب على كل بقدر طاقته ومن موقعه.

وقادة هذا الجهاد ابتداءً هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذلك خاطب الحق سبحانه وتعالى رسوله الأمين محمدﷺ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[2]. وأرهق نفسه ﷺ هماً وحزناً وحرصاً على البشر حتى خاطبه ربه عز وجل فقال: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[4]. وهكذا جهاد كل نبي في تبليغ دعوة الله إلى قومه ونشر عقيدة التوحيد في إطار تكليفه، ولم يمنعهم في ذلك مانع.

ولم يقتصر هذا الجهاد على الأنبياء بل حمل لواءه ورفع رايته العلماء والصالحون والدعاة والمجددون، يجاهدون بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسداء النصيحة والموعظة والبيان للناس، وإقامة الحجة على من تقع عليه الحجة لا يخافون في الله لومة لائم.

فهذا أبو بكر رضي الله عنه يقف خطيباً في المسجد الحرام يجهر بالدعوة بعد أن أصبح عدد المسلمين ثمانية وثلاثين رجلاً فيضربه المشركون ويضربون إخوانه معه

(١) السرخسي، المبسوط ، ج١٠ ص٢.
(٢) سورة المائدة، الآية/٦٧.
(٣) سورة فاطر، الآية/٨.
(٤) سورة الكهف ، الآية/٦.

ويصعد عدو الله عتبة بن ربيعة[1] ،على بطن الصديق رضوان الله عليه ويضربه بنعلين مخصوفتين على وجهه حتى ما يعرف وجهه من أنفه ويحمله أقرباؤه وهم لا يشكون في موته، وهم يتوعدون عتبة بن ربيعة ، ثم إنه لما استيقظ رضي الله عنه كان أول سؤاله عن رسول ﷺ[2].وقريب من هذا فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أبى إلا أن يعلن إسلامه من أول يوم يدعو إلى ما آمن به، حتى اجتمع عليه المشركون فأخذوا يضربونه حتى أرهق ، فجلس وهم يضربونه وهو يقول: أفعلوا ما بدا لكم، حتى جاء العاص بن العاص السهمي [3]، ودفع القوم عنه[4]. وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخذ يجهر بالقرآن عندمقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليسمع قريشاً ويقرأ من سورة الرحمن فيضربه المشركون وهو مستمر يقرأ بها لا يأبه لضربهم [5].وهو صاحب الجسم النحيف الضعيف!!

لقد كانت الدعوة الإسلامية مهمة كل مسلم منذ دخوله في الإسلام فكان الواحد منهم إذا توسم الخير في إنسان دعاه إلى الإسلام فان استجاب وجهه إلى دار الأرقم حيث يلتقي رسول الله ﷺ[6]. فبهذا الجهد والجهاد والاستمرار في الدعوة وإقامة الحجة، والصبر على متاعب الطريق وما يترتب على ذلك من الأذى، واحتمال المشاق والصعاب

---

(١) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كبير قريش وأحد سادتها أدرك الإسلام وعاند وطغى وآذى المسلمين إيذاءً شديداً شهد بدراً فقتله علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهما ينظر الروض الأنف ١٢١/١ وبلوغ الأرب ٢٤١/١، والزركلي الإعلام ٢٠٠/٤.

(٢) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٧٣/١ وينظر ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠/٣.

(٣) هو العاص بن وائل السهمي أحد كبراء قريش قبل الإسلام وهو والد عمر بن العاص رضي الله عنه ظل مشركاً ولم يدخل الإسلام هلك بالأجواء بين المدينة ومكة سنة ٢ق. هـ، ينظر نسب قريش /٢٠٩، الزركلي الإعلام /٢٤٧/٣.

(٤) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٧٩/١ وما بعدها وينظر ابن كثير في البداية والنهاية ، ٨٢/٣.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١٣/١-٣١٥.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩/٣ وينظر الشامي، السيرة النبوية، ترتبه أمة ص١٣.

والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الدعوة ونشر الإسلام وإعلان كلمة الحق بهذا كله قامت دولة الإسلام وإرتفعت راية الحق، ولن ينتهي بذلك دور الجهاد باللسان بل بقي مواكباً للجهاد بالسنان، فأخبر سبحانه وتعالى أن على الأمة ألا تغفل الجهاد بطلب العلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير من الخروج على أمر الله، وأن عليها أن تخرج لهذه المهمة عدداً من العلماء حتى يقوموا بواجب الحفاظ على استقامة المسار وتربية الأجيال التي تحمل لواء الجهاد بالسنان، وإلا فإنه يخشى أن تتغير الأهداف مع مرور الزمان لدى المجاهدين وتضيع المقاصد[1].

وبين سبحانه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2].

قال محمد رشيد رضا رحمه الله: الآية تدل على وجوب تعميم العلم والتفقه في الدين والاستعداد لتعليمه... وأن المتخصيين في هذا المجال بهذه النية لا يقلون درجة عند الله عن المجاهدين بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله[3].ولم يقتصر رفع راية الجهاد على جيل الصحابة رضوان الله عليهم وإنما واكب مسيرة الأمة على مدار الزمان وفي كل العصور.

٣ـ الجهاد بالقلب :

من الجهاد بالقلب: إنكار لمن لا يستطيع التغيير باليد ولا باللسان كمن يخشى على نفسه إن أنكر بلسانه أو بيده أو كان يترتب على ذلك فتنة أكبر، فإنه يكفي منه أن

(١) التكروري، نواف هايل (دكتور) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، دار الشهاب ، ط ١ (بيروت، ٢٠٠٠م) ص٢٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية /١٢٢.

(٣) رضا، تفسير المنار، ٧٨/١١.

ينكر بقلبه وذلك عملاً بقولهﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيد، وإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [(١)].

والإنكار بالقلب يكون بكراهية المنكر واجتناب فاعله وعدم موالاته فيه [(٢)].

سأل رسول اللهﷺ: أي الناس أفضل يا رسول الله؟

قال: (مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) قال ثم من ؟ قال: (ثم معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه).

وفي رواية : (يتقي الله، ويدع الناس من شره) [(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول اللهﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وفي رواية (وضلع الدين وغلبة الرجال) [(٤)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ كان إذا خاف قوما قال: (اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم) [(٥)]. وهذا يشمل الدعوة على الظلم والبغي وكان عليه الصلاة والسلام يقول: (من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) [(٦)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : (ثلاث دعوات مستجابات لا شك منهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده) [(٧)].

---

(١) مسلم ، الصحيح بشرح النووري، ٢٧/٢، ٢٨ حديث رقم (٧٨).

(٢) مسلم، بشرح النووي الصحيح مسلم، ٣٢/٢.

(٣) البخاري، الصحيح، ٢٨٤/١١.

(٤) البخاري، الصحيح، ١٥٢/١١.

(٥) أبو داود، السنن، ١٥٣٧.

(٦) مسلم، الصحيح، ٢٧٠٨.

(٧) أبو داود، السنن، ١٥٣٦ والترمذي، ١٩٠٦ وابن ماجه، ٣٨٦٢.

ثانياً : جهاد العدو الباطن :

ويشمل جهاد النفس والشيطان وهو الجهاد المعنوي وهو أساس الجهاد المادي الذي يشمل العدو الظاهر وهم الكفار والمنافقين وأهل البدع والضلالات . ولأن مجاهدة العبد هواه أعظم الجهاد وأكبر لأن قتال الكفار فرض كفاية وجهاد النفس فرض عين على كل مكلف وكذلك مجاهدة الشيطان لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾[1] .وعلى هذا الأساس فإن جهاد العدو الباطن يتضمن جهاد النفس وجهاد الشيطان، وكما سبق الإشارة إلى أن جهاد النفس والشيطان أساس لقتال العدو الظاهر لأن الذي لا يستطيع جهاد نفسه لا يتوقع منه أن يضحي بها أو بسواها من الأموال والأهل وغيره[2].

١ـ جهاد النفس :

إن الله عز وجل خالق النفس وبارئها، وهو الخبير الذي يعلم أغوارها والتواءاتها، وأن الإنسان ليجهل من نفسه أكثر مما يعلم منها لقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[3].

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم يصف هذه النفس تارة بالإيمان والعمل الذي يترتب عليه الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۞

(١) سورة فاطر، الآية/٦.
(٢) القادري، الجهاد في سبيل الله، ج١ ص٢٧٥.
(٣) سورة الملك، الآية/١٤.

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وتارة بالاطمئنان بالإيمان بالله وبذكره والعمل الصالح له وبما أعد الله لها من الكرامة في الدار الآخرة والرضا بكل ذلك كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴾[2].

وتارة بالعناد والصدود وعدم الاستجابة للحق مهما كانت الدعوة إليه واضحة مقنعة، وذلك حين يختم عليها فلا يدخل إليها خير ولا يخرج منها شر: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3]. وتارة بأنها أمارة بالسوء أي دأبها الإكثار والإلحاح على صاحبها في أن يعمل المنكر القبيح: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[4]. وتارة يصفها بالخداع والغش والنفاق المرض والفساد لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[5].

الآيات إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6]. وتارة يصفها بأنها كثيرة

(١) سورة البقرة، الآيات/١-٥.

(٢) سورة الفجر، الآيات/٢٧-٣٠.

(٣) سورة البقرة ، الآيات/٦-٧.

(٤) سورة يوسف، الآية/٥٣.

(٥) سورة البقرة ٨-١٢.

(٦) سورة البقرة ٢٠.

التحرج من فعل الشر وترك الخير وإنها تلوم صاحبها على ذلك باستمرار ، كما قال تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾(1).

وتارة يذكرها بحقارتها وكبريائها: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾(2).وتارة يذكر الله تعالى أنه قد أقام عليها الحجة فلم يبق لها عزر في تمردها وعصيانها بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾(3). وقوله تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾(4). وتارة يصفها بالظلم والجهل: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾(5).

وإذا كان الله تعالى هو خالق هذه النفس وهو أعلم بها منها، وقد أراد لها أن تقوم بالخلافة في الأرض وبين لها طريق الخير وحذرها من طريق الشر بما فطرها عليه من معرفة الحسن والقبيح فإنه جل في علاه لم يدعها لذاتها تتخبط في هذه الحياة دون هداية وبيان بل أرسل إليها الرسل وأنزل الكتب وجعل لها شريعة ومنهاجاً لبيان ما يصلها ويجعلها مصلحة مرشدة تعمر الأرض بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح وبناء الحضارة ونشر رواق العدل بين الناس وهذا ما جاء القرآن الكريم آخر الكتب السماوية وأكملها على الأنبياء والمرسلين وهومحمد رسول الله ﷺ الذي أرسله بالهدى ودين الحق

(1) سورة القيامة، الآيتين /1-2.

(2) سورة يس، الآية/3.

(3) سورة الإنسان، الآية/3.

(4) سورة الشمس ، الآيتين/7-8.

(5) سورة الأحزاب، الآية/72.

رحمه للعالمين: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1].وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2].

فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في حقيقة الأمر ما موضوعها إلا النفس البشرية في حال انفرادها أو اجتماعها في سلمها وحربها في عسرها ويسرها في حال رضاها وسخطها وفي ثوابها وعقابها وفي كل حاله من حالاتها وبنظرة فاحصة في كتاب الله وسنة رسوله نجد أن هذه النفس هي المقصودة بكل أمرو كل نهي وكل توجيه وكل ترغيب أو ترهيب وثواب أو عقاب، لذلك فإن خطر هذه النفس عظيم وأمرها جسيم.

وسائل مجاهدة النفس :

وتتم في وسائل عدة منها :

الوسيلة الأولى :

وذلك بمحاسبتها على ما منحها الله تعالى من النعم العظيمة التي توجب عليها شكره والبعد عن معصيته، إن نعم الله سبحانه على عبده لا يحصيها إلا هو جل في علاه فمنه تعالى كانت نعمة خلق هذا الإنسان وإيجاده بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً. كما بين له طريق الخير والشر وحثه على سلوك الأولى وحذره من الثانية لقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[3].

ومنه سبحانه وتعالى نعمة الرزق حيث سخر له ما في السماوات والأرض من

(١) سورة الإسراء، الآية/٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية/٤٥-٤٦.

(٣) سورة الدهر ، الآيات من /١-٣.

نباتات وحيوانات في البر والبحر والهواء والضياء والشمس والقمر والنجوم مسخرات ومنحه الإدوات التي تعينه على تناول ذلك الرزق، كل ذلك لكي يعيش هذا الإنسان ويعبد الله ويجاهد في سبيله لنشر عقيدة التوحيد وتحقيق العدل وإعمار الأرض ودفع الظلم والعدوان.

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾(1).

فعلى الإنسان أن يحاسب نفسه على الدوام وأن يحملها على شكر الله على نعمه ويحذرها من معصيته التي تكون سبباً لكفران تلك النعم لقوله تعالى: ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(2). وقوله تعالى: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾(3).

قال ابن القيم رحمه الله(ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسب ذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾(4). وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(5).

---

(1) سورة لقمان، الآية/20.

(2) سورة النحل، من الآية/71.

(3) سورة النحل، من الآية/72.

(4) الشورى ، الآية /30.

(5) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، طبع محمد علي صبيح، (القاهرة، ب ت) ص 62، (سورة الأنفال آية 53.

الوسيلة الثانية :

تذكير النفس بأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأن كل شيء يعمله العبد فإنه محصي عليه مكتوب يحاسب عليه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

وفي حديث جبريل عليه السلام في معنى الإحسان وهو: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[3].. ولهذا أمر رسول الله ﷺ المسلمين بتقوى الله في كل مكان لأنه تعالى حاضر وهو أقرب إلينا من حبل الوريد فقال عليه الصلاة والسلام: (اتق الله حيثما كنت)[4].

الوسيلة الثالثة :

تذكير النفس بالموت وأهوال يوم القيامة الذي يجمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين وفيه تكشف الأسرار وتوزن الأعمال فإذا غلبت حسناته فاز ونجا ومن غلبت سيآته خسر وندم ولات ساعة مندم لقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا

---

(١) سورة ق، الآيات /١٦-١٨.

(٢) سورة المجادلة، الآية/٦.

(٣) االبخاري — الصحيح رقم ٥٠ وفتح الباري ١١٤/١ ومسلم الصحيح ٣٦/١.

(٤) الترمذي، الصحيح، ٣٥٥/٤-٣٢٦، وابن رجب، جامع العلوم والحكم ص ١٣٦.

ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾[2].

ويذكر رسول اللهﷺ بالقبر ووحشته وعذابه ويقول: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم آتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل (محمدﷺ) فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً)[3].

وهذا يدعو المؤمن أن يذهب بنفسه إلى القبور فيزورها ليتذكر الحياة وابتلاؤه فيها والموت وما بعده لقولهﷺ: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)[4]. وفي رواية أبو داود (فان زيارتها تذكره)[5]. وفي رواية (فزوروا القبور فإنها تذكر بالموت)[6].

الوسيلة الرابعة :

وهي توجيه النفس للاقتداء بأصحاب السمو والرفعة الذين ارتفعت نفوسهم عن شهوات الدنيا وسفاسفها حباً لله وطمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه. حتى يكون ممن

(١) سورة الأنفطار، الآيات /١-٥.
(٢) سورة النازغات ، الآيات /٣٤-٣٩.
(٣) البخاري، الصحيح رقم ١٣٧٤، فتح الباري ٢٣٢/٣ ومسلم ،الصحيح، ٢٢٠٠/٤.
(٤) مسلم، الصحيح، ٦٧٢/٢.
(٥) أبو داود، السنن، ٥٥٧/٣.
(٦) ابو داود، السنن، ٧٥٥/٣.

تشمله رحمة الله ومغفرته، إذ يحقق محبة الله تعالى ومحبة رسوله وعباده الصالحين والمرء مع من أحب، لقوله ﷺ: (المرء مع من أحب)[1]. وحب النبي ﷺ وموادته يستلزم بغض ضده وكراهته مع العلم بالمضاد ولهذا قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[2].والموادة من أعمال القلوب)[3]. فليقتد المؤمن في مجاهدة نفسه بعباد الله الصالحين حتى يكون في ركبهم.

الوسيلة الخامسة :

تذكير النفس بمعنى الحرية الحقة ومعنى الرق والعبودية المذلين لأن النفس تهوى الإنفلات في مهب شهواتها وتكره أن تقيد عنها – مهما كانت – وتظن أن في ذلك حريتها،وأن في تقييدها عبودية وخضوعاً لمن يقيدها عن شهواتها وهي لا تريد الخضوع لأحد، وإنما تريد الحرية الكاملة. ولقد كذب إبليس اللعين على سيدنا آدم ﷺ وأغراه وحرضه على معصية الله بتسمية الأشياء بغير أسمائها للتضليل ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[4]. وبالرغم من تحذير الله جل في علاه لآدم من كيد الشيطان فإن قلب الحقائق عمل عمله: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[5]. كما بين الرسولﷺ أن الرق والأسر أن تصير النفس مستعبدة للشهوات كما قال: (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم)[6].

(١) مسلم، الصحيح، ٢٠٣٢/٤.

(٢) سورة المجادلة رقم ٢٢.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى: ٧٥٢/١٠ .

(٤) سورة طه، الآية/١٢٠.

(٥) سورة طه، الآية/١٢١.

(٦) البخاري، الصحيح، ٢٨٨٧ فتح الباري ، ٨١/٦.

الوسيلة السادسة : غرس حب الله وخوفه في النفس البشرية :

فالذي لا يحب الله مطلقاً ليس بمؤمن، لأن المؤمن لا بد أن يحب الله كما يحبه الله لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[1].وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾[2].وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) [3].

وقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) [4]. لأن الرسول الله ﷺ أحب إلى الله تعالى من الناس جميعاً.

ولا بد – مع محبة الله تعالى – من تمرين النفس على الخوف منه وحده وليس المراد الخوف من السبع ونحوه وإنما خوف الخضوع الكامل من جبار السماوات والأرض الذي إذا أراد شيئاً كان.

وهذا الخوف يجليه تأمل المسلم في أسماء الله وصفاته وآثارها في الكون وفي الدنيا ثم الآخرة – فمثلاً إذا تأمل المسلم أسمه (القدير) في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[5].قال ابن القيم رحمه الله: (وقد أمر الله سبحانه بالخوف منه في قوله: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم

(١) سورة المائدة، الآية/٥٤.
(٢) سورة البقرة، الآية/١٦٥.
(٣) البخاري الصحيح، رقم ١٦ فتح الباري، ٦٠/١ ومسلم ٦٦/١.
(٤) البخاري، الصحيح، رقم ١٥ فتح الباري، ٥٨/١ ومسلم ٦٧/١.
(٥) سورة البقرة، الآية٢٠.

مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1].فجعل الخوف منه شرطاً في تحقيق الإيمان – إلى أن قال – والمعنى إن كنتم مؤمنين فخافوني) [2].

الوسيلة السابعة : التوبة إلى الله تعالى :

ومن أعظم الأمور التي تزكى بها النفس وتطهر حملها على ترك الذنب والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى واستغفاره فإن الإنسان يخطيء ويصيب، ويطيع ويعصي، وليس العيب في الخطأ والمعصية مع التوبة، وإنما العيب في الاستمرار على المعصية، فقد أذنب آدم عليه السلام عندما عصى ربه فأكل من الشجرة ولكنه تاب فتاب الله عليه وغفر له. وأذنب إبليس عندما امتنع من السجود لآدم وقد أمره الله به ولم يتب إلى الله فلعنه الله تعالى وأبعده من رحمته وأطال عمره ليتحمل أوزاره وأوزار من يضلهم إلى يوم القيامة. والتوبة من الذنوب واجبة،وقد أمر الله بها في كتابة العزيز ، فقال: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3]. ويجب أن تكون التوبة خالصة لله تعالى بالرجوع الصادق إلى الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ﴾[4].

وأمر بها رسول اللهﷺ وكان هو يداوم عليها ففي حديث الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: (يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فاني أتوب في اليوم مائة مرة) [5].ويقول عليه الصلاة والسلام : (والله إني لاستُغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) [6].

(١) سورة آل عمران، الآية/١٧٥.

(٢) ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، طبع الشؤون الدينية (قطر ب ت) ص ٥٠٢.

(٣) سورة النور، الآية/٣١.

(٤) سورة التحريم، الآية ٨.

(٥) مسلم، الصحيح، ٢٠٧٥/٤.

(٦) البخاري، الصحيح رقم الحديث ٦٣٠٧، فتح الباري ١٠١/١١.

وباب التوبة مفتوح لا يقنط العاصي من رحمة الله. وتوبة العبد يفرح بها ربه لرحمته إياه لقولهﷺ: (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة) [1].

٢ـ جهاد الشيطان :

إن خطر الشيطان له جوانب عديدة عني بها القرآن الكريم عناية فائقة، وكذلك السنة النبوية وعلماء المسلمين ، وعداؤه للإنسان قديم، إذ لم يوجد الإنسان إلا كان الشيطان بجانبه يحسده على الخير الذي آتاه الله، ويدبر له المؤامرات ويغريه بالمعاصي ويزين له الابتعاد عن طاعة الله ورضاه. ويبين لنا الله جل في علاه خطر الشيطان على بني آدم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[2].

وهناك عصى إبليس أمر ربه، وأن الله تعالى حذر آدم وزوجته منه لأنه عدو لهما ولا يريد لهما البقاء في رحاب طاعة الله والنعيم الذي منحهما الله إياه، ويصعب عليه أن يبقى مطروداً من رحمة الله وآدم وزوجته في رضوان الله ونعيمه ، وأن الشيطان على الرغم من ذلك التحذير الذي حصل لآدم وزوجته استطاع أن يغويهما ويوقعهما في معصية الله ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[3] فلولا رحمة الله بهما وتوبته عليهما لكانا – وكذلك ذريتهما – مطرودين مثله من رحمة الله.

(١) مسلم، الصحيح، ٢١٠٥/٤.

(٢) سورة طه، الآيتين /١١٦–١١٧.

(٣) سورة طه، الآيات /١٢٠–١٢٢.

وبدأ الصراع المرير بين الإنسان وبين الشيطان ، كما بدأ الامتحان الصعب بعد أن طرد الجميع من الجنة لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[1].

ولما طرد إبليس صاغراً طلب من رب العزة أن يطيل بعمره إلى يوم الدين ليضمن ملازمته لذرية آدم وإضلالهم ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

قال ابن عباس: أنظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم وكان طلب الانتظار إلى التفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين فأبى الله تعالى ذلك عليه[3]. وتؤيده الآية الأخرى: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾[4].

وقال المفسرون في الآية ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم ﴾ أي آتى عبادك من كل جهة من الجهات الأربع لأصدنهم عن دينك ، قال الطبري: معناه لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فأصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم

(١) سورة طه، الآيات /١٢٣-١٢٦.

(٢) سورة الأعراف،الآيات /١٤-١٨.

(٣) القرطبي، تفسير، ١٤٧/٧.

(٤) سورة الحجر، الآيتين /٣٧-٣٨.

لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى [١].

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [٣].

قال الطبري رحمه الله: (ينزغ بينهم) يقول: يفسد بينهم ويهيج بينهم الشر) [٤].

والشيطان لا يقنع دون التفريق بين أقرب المقربين، كما في حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (أن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سر إياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال : فيدنية منه ويقول: نعم أنت – قال الأعمش فيلتزمه) [٥].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها ما يدل على أنه لا يخلو أحد من قرين يحاول إضلاله إلا رسول الله ﷺ الذي أعانه الله على شيطانه فأسلم وهذا نصه: (إن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك يا عائشة أغرت؟ فقلت ومالي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله ﷺ أقد جاءك شيطانك؟ قالت يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال: نعم ، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال نعم ولكن ربي أعانني عليه فأسلم) [٦].

---

(١) الطبري، تفسير ، ٣٤١/١٢.

(٢) سورة الزخرف ، الآية/٦٢.

(٣) سورة الإسراء ،الآية/٥٣.

(٤) الطبري، جامع البيان ، ١٠٢/١٥.

(٥) الطبري، جامع البيان، ١٠٢/١٥.

(٦) مسلم، المصدر نفسه، ٢١٦٨/٤.

قال النووي رحمه الله (وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنةالقرين ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان) [1].

وسائل مجاهدة الشيطان :

وكما أنه لمجاهدة النفس وسائل ، عدة فإن لمجاهدة الشيطان وسائل عديدة ومنها:

الوسيلة الأولى :

العلم بخطر الشيطان ومكره وكونه لا يدعو حزبه إلا إلى ما فيه هلاكهم وخسارتهم ، فعلى المسلم أن يكثر من قراءة القرآن الكريم والأحاطة بسنة رسول الله ﷺ ويعلم أن كل خير دعا الله إليه ورسوله ﷺ مما فيه سعادة المسلم في الدنيا والآخرة فإن الشيطان يدعو إلى ضده، وسيجد كثير من مكر الشيطان وكيده للإنسان. وعلى المسلم كذلك أن يكثر من قراءة كتب العلماء لا سيما الذين عنوا بطب القلوب ودوائها وبيان أسباب موتها ومرضها وضعفها وتحصينها من نزغ الشيطان ووسوسته. لقوله ﷺ لأبي هريرة: (قل اللهم عالم الغيب والشهادة) إلى أن قال (أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه) [2]. وفي هذا المجال ايحاء دائم للمسلم باليقظة. وتوجيه له بأنه جندي في ميدان الصراع مع الشيطان وأنه صاحب الغنيمة والنصر في هذا الميدان[3].

الوسيلة الثانية :

أن يجاهد المسلم نفسه على أن يسير على صراط الله المستقيم ويكون على حذر من أن يزيغ عنه، لأن الشيطان قد أقسم أنه لا يغادر هذا الصراط لا ليسلكه ولكن ليضل

---

(١) النووري، شرح النووري على مسلم، ١٥٨/١٧.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، مصطفى البابي الحلبي وشركاه (القاهرة، ب ت) ١٠٧/١-١٠٨.

(٣) سيد، قطب، في ظلال القرآن ، ٧٢/١.

سالكيه كما مضى، ومن رحمة الله تعالى بالمسلم حيث بين له هذا الصراط بياناً شافياً وبين له السبل المضلة كذلك ثم شرع له قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة سواء كانت فرضاً أونافلة وفيها هذا الدعاء : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[1].

الوسيلة الثالثة :

أن يحقق عبوديته لله رب العالمين، فإنه إذا حقق هذه العبودية نجا من عدوه وحال بينه وبين الشيطان ، لأنه ولي الله، والله لا يجعل لأعدائه على أوليائه سبيلاً لقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[3]. هذا إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم وكفى بالله حافظا ومؤيدا ونصيرا[4].

الوسيلة الرابعة :

الاستعانة به سبحانه على أداء هذه العبادة وتحقيق الخضوع له جل في علاه فإنه لولا فضله سبحانه ما قدر المسلم على ذلك لكثرة مغريات الشيطان وتهديده

---

(١) سورة الفاتحة، الآية/٦-٧.

(٢) سورة ص، الآية /٨٢-٨٣.

(٣) سورة الإسراء ، الآيتين /٦٤-٦٥.

(٤) ابن كثير، تفسير، ج٢ ص٣٨٨، والزمخشري، ج٢ ص٤٥٧.

وتخويفه،ولذلك جمع الله تبارك وتعالى بين إخبار المسلم بأن يعبده وحده ويستعين به فقال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]. قال القرطبي: والغرض أن تزكيته لكم، إنما هي بفضله لا بأعمالكم[3].

الوسيلة الخامسة :

ومن سبل مجاهدة الشيطان الاستعاذة بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، والتوكل على الله العلي القدير، وقوة الصلة به لتقوية الإيمان لأن الإيمان به تصد عدو الله عن الطمع في إضلال المؤمن المستعيذ المتوكل على ربه لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[5].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية /٥.

(٢) سورة النور، الآية/٢١.

(٣) القرطبي، تفسير، ٢٠٧/١٢.

(٤) سورة النحل ، الآيات /٩٨-١٠٠.

(٥) سورة فصلت، الآية/٣٦.

قال المفسرون في الآية ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1].

هـذا أمـر مـن الله تعـالى لعبـاده علـى لسـان نبيـه ﷺ إذا إرادوا قـراءة القـرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، وهذا امر ندب ليس بواجب، وحكـى الإجمـاع علـى ذلك ابن جرير وغيره من الأئمة [2].

الوسيلة السادسة :

أن يقارن الإنسان بين ما يعد الله تعالى به ويأمر به، وما يعد به الشيطان ويأمر به لقوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

يقول ابن كثير: الشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء، والـذي يخـاف الفقـر يكـون بخيلاً شحيحاً لا ينفق من ماله ما يجب أن ينفقـه، والـذي يفعـل الفحشـاء يكـون بـذلك بعيداً عن طاعة الله ورضاه، أما الله – جل في عـلاه – فإنـه يـأمر بالطاعـة والابتعـاد عـن المعصية ويعد على ذلك المغفرة ويأمر سبحانه بالإنفاق في سبيله ويعـد المزيـد مـن الـرزق فأين هذا من ذاك[4].

الوسيلة السابعة :

أن يوطن المسلم نفسه دائماً على مخالفة الشيطان في كل ما يدعو إليه أو يوسوس به.

ويفكر في كل عمل يقدم على فعله أو يعزم على تركه، ويعرض ذلك على كتـاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقد جعل الإسلام المعركة الرئيسة بين الإنسان والشيطان ووجه قـوى

---

(١) سورة النحل الآية /٩٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٣٤٦.

(٣) سورة البقرة، الآية /٢٦٨.

(٤) ابن كثير، تفسير، ٣٢١/١.

المؤمن كلها لكفاح الشيطان والشر الذي ينشئه في الأرض والوقوف تحت راية الله وحزبه في مواجهة الشيطان وحزبه، معركة واحدة متصلة طوال الحياة، ومن يجعل الله مولاة فهو ناج غانم ومن يجعل الشيطان مولاة فهو خاسر هالك : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[1].

كما حذر القرآن من الشيطان ودعا إلى جهاده ومخالفته، وبين الأدوية النافعة فان السنة كذلك مملوءة بالتحذير منه ومجاهدته ومخالفته وبيان ما يصده عن إضلال المؤمن وقد أورد البخاري رحمة الله أحاديث كثيرة تحت عنوان: باب صفة إبليس وجنوده[2]. ومنها:

عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، وأحدهما قد أحمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال رسول الله ﷺ (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب ما يجد) فقالوا له: إن النبي ﷺ قال (تعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[3].

ثالثاً : جهاد العدو الظاهر :

ويشمل العدو الظاهر الكفار والمشركين والمنافقين وأرباب الظلم والبدع والمنكرات.

١ـ جهاد الكفار والمشركين :

الكفر هو ،ضد الإيمان وقد كفر بالله كفراً وجمع الكافر كفار وكفرة والكفر. أيضاً: جحود النعمة هو ضد الشكر. وقد كفره كفوراً وكفراناً. وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ

(١) قطب، سيد في ظلال القرآن ، ٢١١/٥ والآية من سورة النساء الآية/١١٩.

(٢) البخاري، الصحيح، ٢٤٢/٦.

(٣) البخاري، الصحيح، ٢٤٢/٦.

كَـٰفِرُونَ ﴾[1]. أي جاحدون وقوله عز وجل ﴿ فَأَبَىٰ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾[2].قال الأخفش: هو جمع الكفر. يقال لا تكفر أحداً من أهل القبلة أي لا تنسبهم إلى الكفر[3]. فإذا كان هذا هو المفهوم اللغوي للكفار فإن المفهوم الاصطلاحي له يتضمن الكفار من أهل الكتاب أي (اليهود والنصارى) لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾[5].

أما المفهوم اللغوي للشرك. فتعنى تعدد الآلهة وهو الإشراك بالله تعالى ويأتي الشرك أيضاً بمعنى الكفر: وقد أشرك فلان بالله فهو مشرك ومشركي بمعني واحد.

وجاء في المجمع اللغوي الشرك. فتعنى الآلهة وهو الإشراك بالله تعالى ويأتي الشرك أيضاً بمعنى الكفر: وقد أشرك فلان بالله فهو مشرك ومشركي بمعنى واحد.

وجاء في المجمع اللغوي في القاهرة أن الإشراك هو الشرك ويعني مذهب تعدد الآلهة[6].

والجهاد شرعاً: بذل الجهد في قتال الكفار[7].

---

(١) سورة القصص، الآية/٤٨.

(٢) سورة الإسراء ، الآية/٩٩.

(٣) الجوهري، الصحاح، ٣٩٩/٢.

(٤) سورة الحشر، الآية/٢.

(٥) سورة الحشر، الآية/١١.

(٦) الجوهري، الصحاح، ٦٦٢/١ ويضمنها رأي المجمع اللغوي في القاهرة /تصنيف مرعشلي.

(٧) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج٦ ص٣.

وفي المفهوم الاصطلاحي تأتي كلمة الكفر مرادفة للشرك لقوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[1].

والمقصود هنا هم مشركي قريش أي حين دخل إلى قلوبهم الأنفة والكبرياء بالباطل، فرفضوا أن يكتبوا في كتاب صلح الحديبية ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ورفضوا أن يكتبوا (محمد رسول الله) وقوله تعالى ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]. أي جعل الطمأنينة والوقار في قلب الرسول ﷺ والمؤمنين رضوان الله عليهم ولم تلحقهم العصبية... كما لحقت المشركين[3].

ولهذا نجد العديد من الآيات في القرآن الكريم تقترن فيها كلمة الكفار بالمشركين وقد يكون الخطاب إلى الكفار بمعنى المشركين أو الكفار والمشركين.

وسائل مجاهدة الكفار والمشركين :

١- يقول ابن الأثير رحمه الله(الجهاد محاربة الكفار، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول وفعل[4].

٢- ويقول ابن القيم رحمه الله: (وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين باللسان)[5].

٣- أما ابن حجر رحمه الله فيقول: (وتقع مجاهدة الكفار باليد والمال واللسان والقلب)[6].

---

(١) سورة الفتح، الآية/٢٦.

(٢) سورة الفتح الآية /٢٦.

(٣) قطب، تفسير في ظلال القرآن، ١١٥/٢٦. وينظر الصابوني ، صفوة التفاسير مج ٣، ٢٢٦/٢٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٣١٩.

(٥) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٤٠.

(٦) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٢، ص٣.

٤- ويقول ابن عابدين رحمه الله (الجهاد بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة، أو بمعاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك) [(١)].

٥- ويقول الحطاب رحمه الله: (الجهاد قتال العدو لإعلاء كلمة الإسلام) [(٢)].

٦- وفي تفسير المنار: الجهاد في الكتاب والسنة يستعمل بمعناه اللغوي وهو احتمال المشقة في مكافحة الشدائد، ومنه جهاد النفس روي عن السلف التعبير عنه بالجهاد الأكبر،ومن أمثلة ذلك مجاهدة الإنسان لشهواته وجهاده بماله وما يبتلى به المؤمن من مدافعه الباطل ونصر الحق[(٣)].

٧- ومما تقدم فان الجهاد الكفار والمشركين الذين نعنيه في البحث هو الجهاد بالنفس (أي القتال) أو الجهاد بالمال ضد الكفار من أهل الحرب لإعلاء كلمة الله. كلمة التوحيد[(٤)].

٨- إن المجاهدة تقع على اهل الحرب من الكفار دون أهل الذمة والعهد والمستأمنين لقولهﷺ (فادعهم إلى الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم...) [(٥)].

أي في حالة إقرار بعض الكفار على كفرهم شرط بذل الجزية وإلتزام أحكام الملة[(٦)]. ولا خلاف في جواز عقد الذمة لليهود والنصارى والمجوس ، وما عدا ذلك مختلف فيه: والراجح عقدها لكل كافر أملاً في إسلامه من قبل الإمام أو من ينوب عنه لكافر بالأمن على نفسه وماله نظير التزامه الجزية ونفوذ أحكام الإسلام عليه[(٧)].

---

(١) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار تنوير الأبصار، مطبعة مصطفى الحلبي ، ط٢ (القاهرة، ١٣٨٦هـ) ١٢١/٤.

(٢) الحطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤هـ) مواهب الجليل شرح المختصر خليل، مطبعة السعادة ط١ (القاهرة ١٣٢٨هـ) ٣٤٧/٣.

(٣) رضا، تفسير، المنار، ج٤/١٥٥-١٥٦.

(٤) الكرماني، شرح الكرماني، ج١٢، ص١٢-١٣، وينظر شرح العيني ج١٤ ص١٠٨ والقسطلاني شرح القسطلاني، ٤٨/٥.

(٥) مسلم، الصحيح، بشرح النووي، ٥٧/١٢.

(٦) زيدان، عبد الكريم (دكتور)، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٨هـ ص٢٠.

(٧) مجموعة باحثين ، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف، ط٢، (الكويت، ١٤٠٦هـ) ، ١٢١/٨، ١٤٤/٨.

والكفار الذين يقع عليهم القتال هم (أهل الحرب غير المسلمين الذين لم يدخلوا في عقد الذمة ولا يتمتعون بأمان المسلمين ولا عهدهم)[(١)].

والكافر: (هو الذي يحارب المسلمين أو ينتسب إلى قوم محاربين للمسلمين سواء أكانت المحاربة فعلية أو متوقعة)[(٢)].

وقد جاءت الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة المتحنة لتفرق في التعامل بين أصناف من أهل الحرب بحسب درجة عدائهم وتآمرهم على المسلمين لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[(٣)].

وعلى الرغم من أن بعض العلماء ذهب إلى إن الآية الثامنة منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[(٤)]. إلا أن جمهور العلماء قالوا إنها محكمة[(٥)]. وليست الآية خاصة في أهل الذمة ،كما ذهب بعض المفسرين وإنما هي عامة في كل من لم يقاتل المسلمين أولم يعن على قتالهم[(٦)].

---

(١) مجموعة باحثين ، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف، ط٢، (الكويت، ١٤٠٦هـ) ، ١٢١/٨، ١٤٤/٨.

(٢) الطريفي، عبد الله بن إبراهيم (دكتور)، الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤١٤هـ، ص ١٣١.

(٣) سورة المتحنة، الآيتين /٨-٩.

(٤) سورة التوبة، من الآية٥.

(٥) القرطبي، تفسير ٥٩/١٨ وينظر ابن العربي، أحكام القرآن ، ١٧٨٧/٤ والسايس، تفسير آيات الأحكام ، ٥٣٦/٤.

(٦) القرطبي، تفسير ٥٩/١٨، وينظر ابن العربي، أحكام ، القرآن ، ١٧٨٤/٤، والسايس، تفسير آيات الأحكام ٥٣٦/٤ وينظر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت٣٣٨هـ) الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل ، تحقيق الدكتور سليمان عبد الله اللاحم، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤١٢هـ/١٩٩١م) ٦٦/٣.

وبالتالي فإن أقسام أهل الحرب بناء على هاتين الآيتين على النحو التالي:

القسم الأول : لم يقاتل المسلمين ولم يحرض على قتالهم، إلا أنه ليس بينه وبينهم هذنه، أو أمان يأمنونه به ويأمنهم به، وهؤلاء أباح الحق سبحانه وتعالى برهم والإقساط إليهم... وأنه ليس معنى القسط هنا العدل وإنما هو الصلة لأن العدل واجب حتى في حق المحارب بالفعل [1].

القسم الثاني : وهذا القسم أظهر عداءه للمسلمين وأعلن الحرب عليهم وقاتلهم بسبب انتمائهم الديني.

القسم الثالث : وهذا القسم لم يباشر مقاتلة المسلمين إلا أنه أعلن عداءه ومالأ أعداء المسلمين ، وأمدهم بأسباب القوة المادية والمعنوية.

وهذان الصنفان نهى الحق سبحانه الحق وتعالى عن برهم والأقساط إليهم وأمر بالشدة عليهم والقوة في مواجهتهم ، وعدم الإستكانة إليهم، لقوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [2].

وفي هذا قال العلماء:

(وإذا بلغ أهل الحرب بعدائهم وعدوانهم أن يخرجوا المسلمين من ديارهم أو يغتصبوا أرضهم فان: مواجهتهم عندئذ لا بد أن تكون بالجهاد لاسترداد ما استولوا عليه ، بل أن جهادهم يكون فرض عين على كل مسلم ومسلمة وحر وعبد) [3].

---

(١) القرطبي، تفسير المصدر نفسه.

(٢) سورة التوبة، الآية/١٣.

(٣) الموصلي، عبد الله محمود مودود، الإختيار لتعليل المختار، تعليق محمود أبو دقيقة، دار المعرفة (بيروت ب ت) ١١٨/٤.

قال المفسرون: في ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾ [(1)].تحريض على قتالهم أي ألا تقاتلون يا معشر المؤمنين قوماً نقضوا العهود وطعنوا في دينكم ، قال البيضاوي رحمه الله: وهو متعلق بـ(قاتلوا) أي ليكون غرضكم في المقاتلة الانتهاء عما هم عليه، لا إيصال الأذية بهم كما هو طريقة المؤذين[(2)]. قال الزمخشري رحمه الله: يعني أن قضية الإيمان الصحيح ألا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه[(3)].

ويعد هذا الحض والحث أمرهم بقتالهم صراحة فقال ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [(4)].أي يذلهم بالأسر والقهر ويمنحكم الظفر والغلبة عليهم ويشف قلوب المؤمنين بإعلاء كلمة دين الله وتعذيب الكفار وخزيهم.

قال الرازي رحمه: أمر الله تعالى بقتالهم وذكر فيه خمسة أنواع من الفوائد : كل واحد منها يعظم موقعه إذا انفرد فكيف بها إذا اجتمعت[(5)].

والذي يراجع أحداث السيرة النبوية ووقائعها، ليرى خلالها الواقع التاريخي للمنهج في ذاته ومراحله، وأهدافه... يرى بوضوح إن هذه الخطوة الحاسمة في العلاقات بين المعسكر الإسلامي في الجزيرة وسائر معسكرات المشركين – وكذلك بينه وبين معسكرات أهل الكتاب التي تقررت في سورة التوبة – كان قد جاء موعدها، وتمهدت لها الأرض ، وتهيأت لها الأحوال، وأصبحت هي الخطوة الطبيعية في أوانها المحتوم[(6)].

(1) سورة التوبة، الآية/١٣.
(2) البيضاوي، ص ٢١٩.
(3) الزمخشري، الكشفاف ، ٢٥٢/٢.
(4) سورة التوبة، الآية/١٤.
(5) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٢/١٦.
(6) سيد، قطب في ظلال القرآن ١١٠/١٠.

لقولــه تعــالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2].

الخطاب للمشركين، قال الطبري رحمه الله: هذا توبيخ من الله تعالى لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت الحرام فأعلمهم أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله[3].وقال في البحر: ومعنى الآية إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين، وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة[4].

لقد كشفت التجربة تلو التجربة عن القانون الحتمي الذي يحكم العلاقات بين المجتمع المسلم الذي يفرد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والحاكمية والتشريع، وبين المجتمعات المشركة الكافرة التي تجعل هذا كله لغير الله أو تجعل فيه شركاء الله، هذا القانون الحتمي هو قانون الصراع الذي يعبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[5].

وقد ظهرت آثار هذا القانون الحتمي في ظاهرتين بارزتين:

إحداهما: انطلاق الإسلام خطوة بعد خطوة، وغزوة بعد غزوة، ومرحلة بعد مرحلة، لنشر منهج الله في الأرض حوله، وإبلاغ كلمة الله إلى أرض بعد أرض وإلى قبيلة

(١) سورة التوبة الآية/١٦.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٩.
(٣) الطبري، تفسير، ١٠-٩٤.
(٤) أبو حيان، البحر المحيط، ٢٠/٥.
(٥) سورة البقرة، الآية/٢٥١.

بعد قبيلة في طريقه إلى إبلاغها إلى الناس كافة وإزالة الحواجز المادية التي تحول دون هذا الإعلان العام والبلوغ إلى كل بني الإنسان تمهيداً لما وراءها من أرض الله حسبما تتهيأ الظروف الملائمة لكل خطوة تالية، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله.

وثانيهما : نقض العهود التي كانت المجتمعات الكافرة والمشركة تعقدها مع المسلمين – في ظروف مختلفة – عهداً بعد عهد بمجرد أن تتاح لها فرصة نقضها، وعند أول بادرة تشير إلى أن المعسكر الإسلامي في ضائقة تهدد وجوده.. فما كانت هذه العهود – إلا نادراً – عن رغبة حقيقية في مسالمة الإسلام ومهادنة المسلمين، إنما كانت عن اضطرار واقعي إلى حين، لأن هذه الظاهرة الأخيرة والقاعدة الأصيلة التي يقوم عليها هي التي يقررها الله سبحانه في قوله عن المشركين: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾[1].وقوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[3]. لقد تجلى ذلك القانون قبيل نزول سورة التوبة وبعد فتح مكة وبهذه النصوص يبين سبحانه وتعالى عن وحدة الهدف بين جميع معسكرات الكفار والمشركين تجاه الإسلام والمسلمين، وعن قوة الإصرار على هذا الهدف وامتدادها عبر الزمان، وعدم توقيتها بطرف أو زمان. وبدون إدراك ذلك القانون الحتمي في طبيعة العلاقات بين التجمع الإسلامي والتجمعات

(١) سورة البقرة، الآية/٢١٧.
(٢) سورة البقرة، الآية/١٠٩.
(٣) سورة البقرة، الآية/١٢٠.

الكافرة تفسير الظواهر التي تنشأ عنه – على مدار التاريخ – بالرجوع إليه، لا يمكن فهم طبيعة الجهاد في الإسلام ولا طبيعة تلك الصراعات الطويلة بين المعسكرات الكافرة والمعسكر الإسلامي، ولا يمكن فهم بواعث المجاهدين الأوائل ، ولا أسرار الفتوحات الإسلامية وحروب التحرير ولا أسرار الحروب الوثنية والصليبية التي لم تفتر قط طوال أكثر من أربعة عشر قرناً والتي لا تزال.

٢ـ مجاهدة المنافقين :

أمر الله تبارك وتعالى ﷺ بمجاهدة المنافقين وذلك لخطورتهم ، وأنهم هم العدو فالحذر منهم، وأنهم يصدون عن سبيل الله، وأنهم الجبناء وأهل الغدر والتخذيل، وأنهم لكاذبون لقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾[١].

قال المفسرون : أي قالوا بألستنهم نفاقاً ورياء نشهد بأنك يا محمد رسول الله ﷺ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون، وأنهم أتخذوا أيمانهم الفاجرة وقاية وسترة يستترون ، بها قال الضحاك : هي حلفهم بالله أنهم مسلمون (فصدوا عن سبيل الله) أي فمنعوا الناس عن الجهاد وعن الإيمان بمحمد ﷺ[٢]. قال الطبري أي أعرضوا عن دين الله الذي بعث به نبيه ﷺ وشريعته التي شرعها

(١) سورة المنافقين، الآيات من /١-٤.

(٢) الصابوني، صفوة التفاسير، مج ج٢٨ ص٣٨٤.

لخلقه[1]. قال ابن كثير إن المنافقين اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون وهم في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً[2].قال ابن عباس : كان ابن سلول – رأس المنافقين – جسيماً ، فصيماً، ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبيﷺ قوله. وكذلك كان أصحابه إذا حضروا مجلس النبي ﷺ يعجب الناس بهياكلهم.

ويصف القرآن الكريم في سورة البقرة الناس وصفاً دقيقاً، حيث ترسم هذه السورة في آياتها العشرين الأولى صوراً لثلاثة أنماط من النفوس، كل نمط منها نموذج حي لمجموعات ضخمة من البشر، نموذج أصيل عميق متكرر في كل زمان ومكان حتى ما تكاد البشرية كلها في جميع أعصارها وأقطارها تخرج من تلك الأنماط الثلاثة.

١- **الصورة الأولى** : وهي صورة المؤمنين.. دعا الناس جميعاً إلى هذه الصورة وناداهم كافة أن يفيئوا إليها، أن يفيئوا إلى عبادة الله الواحد، والخالق الواحد، والرزاق الواحد، بلا شركاء ولا أنداد، بأربع آيات بينات من الآية ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ إلى الآية ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3]

٢- **الصور الثانية** : فهي صورة الكافرين ... وهي تمثل مقومات الكفر في كل أرض وفي كل حين ، وصفهم بآيتين فقط ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[4]

(١) الطبري، تفسير، ٦٩/٢٨.

(٢) ابن كثير، مختصر التفسير، ٥٠٣/٣.

(٣) سورة البقرة، الآيتين/٢– ٥.

(٤) سورة البقرة، الآيتين/٦–٧.

٣ـ **الصورة الثالثة** : إنها صورة المنافقين: النموذج الأخطر تصفهم سورة البقرة بثلاثة آية تبدأ بـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[1]. ويستمر إلى الآية ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ ﴾[2].

لقد كان اليهود يشككون في صحة رسالة النبي محمدﷺ وكان المنافقون يرتابون فيها، كما ارتاب المشركون وشككوا في مكة وغيرها، وهنا يتحدى القرآن الجميع ، إذ كان الخطاب إلى (الناس) جميعاً يتحداهم بتجربة واقعية تفصل في الأمر بلا مماحكة لقوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3].

ومن هنا جاءت خطورة المنافقين فجعلهم الله في الدرك الأسفل من النار. وأمر نبيهﷺ بمجاهدتهم بكل شدة وحزم لقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[4].

روى ابن كثير[5]. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعث رسول اللهﷺ بأربع أسياف سيف المشركين ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[6].

(١) سورة البقرة، الآيتين/٨.
(٢) سورة البقرة، الآيتين/٢٠.
(٣) سورة البقرة، الآيات/٢٣.
(٤) سورة التوبة، الآيات/٧٣.
(٥) ابن كثير، مختصر التفسير، ١٥٦/٢.
(٦) سورة التوبة، الآية/٥.

وسيف لأهل الكتاب ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[(١)]. وسيف للمنافقين ﴿ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾[(٢)]. وسيف للبغاة ﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[(٣)].

نموذج من المنافقين ودورهم في التخريب الحضاري :

قال تعالى: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾[(٤)].

لقد كان هذا هو الموقف الدائم للمشركين وأهل الكتاب من المسلمين، كما تم بيان ذلك في الفصل الأول... وما صنعوه مع الرسول الأكرم محمدﷺ وأصحابه، ومع صنع المشركون بالمسلمين أيام الغزوالتتاري عندما ظهر الوثنيون التتار (المغول) على المسلمين والذين يتميز تاريخهم بطابع الفوضى ووحشيتهم لا تترك إلا صوراً بغيضة، وأن حكمهم كان انتصاراً للفساد والفوضى[(٥)].

فقد كان التتار وثنيون، يعبدون الكواكب، ويسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئاً ، فكانوا يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير، وكانوا إباحيين لا يعرف الولد منهم أباه... وكانوا يعبدون عدداً من الآلهة المنحطة وبخاصة الحيوانات الشريرة التي كانوا يقدمون لها القرابين والضحايا لما كانوا يعتقدونه فيها من السلطان والقدرة على إيذائهم . وكانوا يقدسون أرواح أجدادهم القدامى. ولم تكن ديانة المغول معدودة ضمن تلك الأديان التي تستطيع أن تقاوم جهود الأديان الكثيرة الأتباع والأنصار

(١) سورة التوبة، الآية/٢٩.

(٢) سورة التوبة، الآية/٧٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية/٩.

(٤) سورة التوبة، الآية/١٠.

(٥) Dr.Hossn,Historythe mongolism Amesterlam,1834 Rome p,1-8

ذات اللاهوات المنظم الذي يملك قوة الإقناع وسد حاجات العقل وذات الهيئات المنظمة للمعلمين الدينيين [1].

المنافقون يتآمرون مع قوى الشر لإسقاط بغداد :

أرسل هولاكو إنذاراً إلى الخليفة العباس المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ) وطلب منه أن يهدم الحصون وأن يردم الخنادق ويسلم البلاد لابنه، وأن يحضر لمقابلته أويرسل الوزير سليمان شاه والدويدار – قائد الجند – يحملان رسالته إليه، وختم هولاكو كتابه بقوله أنه إذا استمع الخليفة لهذا النصح تجنب حقده عليه وإلا عرض جيوشه للهزيمة أمام جيوش المغول التي قهرت جيوش خوارزم وإيران [2]. وكانت خوارزم هي الجدار الواقي للدولة العباسية وحاضرتها بغداد. وكان هناك مخذلين للخليفة ومشجعين لهولاكو من المقربين إليه مثل الوزير ابن العلقمي وبعض علماء السوء مثل الطوسي الذي صار وزيراً لهولاكو فيما بعد، فقد كانا يتصلان به سراً ويستعد يانه على غزو بغداد واسقاط الحكم الإسلامي فيها وذكر ابن كثير رحمه الله – أن الوزير ابن العلقمي كان قد اجتمع بهولاكو مع أهله وأصحابه وحشمه، ثم أشار على الخليفة بالخروج إلى هولاكو والمثول بين يديه... وفي يوم الأحد ٤ صفر سنة ٦٥٦هـ /١٠ شباط سنة ١٢٥٨م خرج الخليفة لملاقاة هولاكو وكان بصحبته أولاده الثلاثة وهم ولده الأكبر أبو العباس أحمد، وولده الأوسط أبو الفضائل عبد الرحمن، وولده الأصغر ابو المناقب مبارك وثلاثة آلاف من القضاة والفقهاء والصوفية والأمراء وأعيان المدينة ولما اقترب هذا الركب من دار هولاكو حجبوا عن الخليفة ولم يبق معه إلا سبعة عشر شخصاً منهم. ولما حضر الخليفة

(١) ابن الأثير، ج١٢ ص٢٣٥.

(٢) رشيد الدين،فضل الله الهمداني (ت٧١٨هـ) جامع التواريخ، – تاريخ المغول، (لندن، ١٩١٠م) مج٢ ج١ ص٢٦٨.

بين يدي هولاكو طلب منه أن يأمر أهل بغداد بوضع سلاحهم والخروج من مدينتهم بحجة عمل تعداد لهم فأنفذ الخليفة رسولاً من قبله ينادي الناس في طرقات المدينة بأن يلقوا السلاح ويخرجوا من الأسوار – وكانت خدعة – غير أنهم لم يكادوا يلبوا طلبه، حتى أمر هولاكو جنده فانقضوا عليهم وقتلوهم شر قتلة. ولما استقر هولاكو بقصر المأمونية شرقي بغداد سمح لجنده بدخول المدينة فعاثوا فيها أسبوعاً كاملاً وهدموا مساجدها وجردوا القصور مما فيها وأتلفوا عدداً كبيراً من الكتب القديمة في مكتباتها وأهلكوا كثيراً من رجال العلم فيها [1].

ويقول ابن القوطي: (وقد أعمل جند المغول السيف في رقاب أهل بغداد أربعين يوماً سلبوا فيها أموالهم واهلكوا كثيرين من رجال العلم، وقتلوا أئمة المساجد وحملة القرآن الكريم وتعطلت المساجد والمدارس والربط، وأصبحت المدينة قاعاً صفصفاً ليس بها إلا فئة قليلة مشردة الأذهان. وكان القتلى في الطرقات كأنها تلال، ثم انتشر الوباء فحصدهم بمنجله حصداً ذريعاً، وفسد الهواء وعم الوباء) [2].

وقد انتهت هذه الأحداث المحزنة بقتل الخليفة المستعصم (٦٤٠-٦٥٦) [3]. واستشهاده مع ابنيه أبي العباس أحمد وأبي الفضائل عبد الرحمن وأسر ابنه الأصغر مبارك وأخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم وبسقوط بغداد زالت الدولة العباسية وزالت الخلافة التي عاش في ظلها العالم الإسلامي زهاء خمسة قرون.. ولم يحدثنا التاريخ أن حضارة زاهرة كالحضارة الإسلامية في بغداد قد اختفت في مثل هذه السرعة

---

(١) Browne, literaty of Persia – Persian literature under Tatar Dominion Vol. 463 llp وينظر ابن كثير في البداية والنهاية : ج١٣ ص٢٠١.

(٢) ابن القوطي، عبد الرزاق أحمد (ت٧٢٣هـ) ، الحوادث الجامعة في أعيان المائة السابعة، ص٣٣٠-٣٣١.

(٣) زامباور: ادوار دبول، معجم الأنساب والأسر الحاكمة، أخرجه الدكتور زكي محممد حسن وآخرين (القاهرة، ١٩٥١هـ). ص٧.

وقد اختلف المؤرخون في عدد الأنفس التي أزهقها المغول على أثر دخولهم بغداد فذهب بعضهم إلى أنها بلغت ثمانمائة ألف وقدرها السبكي[1].بتسعمائة ألف وذهب ابن كثير[2]. إلى أنها بلغت مليوناً وثمانمائة ألف، عدا من غرق أو هرب – وإنا لله وإنا إليه راجعون – على أنه لا شك فيه أن هذه المدينة فقدت معظم سكانها في هذه الكارثة وهدمت حضارة إسلامية سعدت بها البشرية قروناً عديدة، والمهم في هذا الأمر هو الوقوف على أسباب هذه الكارثة وهذا الابتلاء الذي حصل بسبب تقصيرات حصلت بحق الله والدين والأمة. وتفريط واقع في تجاهل خطر هؤلاء المشركين المتوحشين وعدم الأخذ بالأسباب كما ينبغي، ولم تكن الاحتياطات بمستوى الخطر وهذا التحدي الكبير.

وتقول الروايات التاريخية عن هذه المأساة الدامية... ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقنى الوسخ وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ، ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر أو بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعلى الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب، من الدماء في الأزقة – فإنا لله وإنا إليه راجعون – كذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى[3].ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي . وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وكان عدو الوزير (ابن العلقمي)، وقتل أولاده الثلاثة عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم وأكابر الدولة،

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ص ١١٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ ص٢٠٢.

(٣) ذلك في اليهود والنصارى كانوا ممن كاتب التتار لغزو عاصمة الخلافة والقضاء على الإسلام والمسلمين وقد دلوا على عورات المدينة وشاركوا مشاركة فعلية في هذه الكارثة واستقبلوا التتار الوثنيين بالترحاب ليقضوا لهم على الإسلام والمسلمين الذين أعطوهم ذمتهم ووفروا لهم الأمن والحماية.

واحداً ، منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك وشهاب الدين سليمان ... وأكابر البلد، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين على بن النيار وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد [١].

٣ـ مجاهدة أهل الغلو والحركات الهدمية :

أ ـ الغلو :

لغة: هو تجاوز الحد [٢].لقول تعالى: ﴿ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ ﴾ [٣].

ب ـ والغلو اصطلاحاً :

هو موقف مبالغ فيه يقفه إنسان من قضية عامة أو خاصة بشكل متطرف يتجاوز حدود المألوف والمعقول والمقبول.

وقد عرف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) الغلاة بقوله: (تجاوز حد العقل والإيمان في اقول بألوهية الأئمة إما على أنهم بشر أتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية)[٤].

جـ ـ نشأت الغلو ودور ابن سبأ[٥] في الفتنة :

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ ص٢٠١ وما بعدها.

(٢) الجوهري، الصحاح، ٢٠٨/٢، ابن منظور في لسان العرب، ١٢٤/١٥.

(٣) سورة المائدة: الآية /٧٧.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٨٣٢.

(٥) هو عبد الله بن سبأ يهودي من اليمن،ينسبه الجاحظ(ت٢٥٥هـ) إلى أمه فكثيراً ما يطلق عليه ابن السوداء كما في كتابه البيان والتبيين ج٣ ص ٨١ أما البلاذري فينسبه إلى أبيه فهو عنده عبد الله بن وهب كما في الأنساب ص ٣٧٢، ويقول الطبري(كان عبد الله بن سبأ يهودياً من صنعاء) ينظر كتابه(تاريخ، ٣٤٠/٤) ويوفق السمعاني (٥٦٢ هـ) بينهما في الرأي بأن ابن وهب هذا منسوب إلى عبد الله بن سبأ (الأنساب ٢٤/٧) ويؤكد الذهبي (٧٤٨هـ) أنه عبد بن وهب السبأي في (المشتبه في الرجال أسماؤهم وأنسابهم ١، ٣٤٦/.

ويبدو أن بداية حركات الغلو في التاريخ العربي الإسلامي كانت – من حيث بعدها السياسي – قد ظهرت مع ما يسمى بالسبئية، نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي (ت٤٠هـ) الذي تستر بالإسلام وهو يحمل الإرث اليهودي والحقد التلمودي على الإسلام، فبدأ ينفث سموم أفكاره المغالية التي خرجت عن الإسلام الصحيح في عهد الراشدين رضوان الله عليهم. فقد أثار الفتنة على الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) رضي الله عنه[١].

يقول ابن حزم (ت٤٥٦هـ) رحمه الله في عبد الله بن سبأ هذا: (أنه لعنه الله أظهر الإسلام ليكيد أهله، فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضي الله عنه[٢].

د ـ الحركة السبئية أنموذج للحركات الهدمية :

ذكرنا في الفقرة السابقة بأن عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء [٣].قد بدأ بإثارة الفتن عند إظهاره الإسلام وعرضنا بعض النصوص التاريخية التي تؤكد حقيقة ومقصد هذا الرجل الخطير الذي مثل دور شاؤل الاسخربوطي الذي عمل على هدم عقيدة التوحيد في النصرانية التي كانت على عهد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام.

وتستمر السبئية في الهدم وإثارة الفتنة في المجتمع الإسلامي بقصد إضعافه وتفتيته وإعاقته عن حركة الجهاد وتوسيع دائرة الفتوحات ومعارك التحرير في العراق والشرق وفي الشام والغرب وفي مصر وأفريقيا في البر والبحر.

لقد تعرض الطبري رحمه الله إلى جانب من الفتنة التي أثارها رأس السبيئة على ذو النورين عثمان رضي الله عنه، الذي كانت جيوشه تفتح الآفاق في البر وتحطم أساطيل

---

(١) الطبري، تاريخ، ٣١/٤.

(٢) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل، ١١٥/٢.

(٣) المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار، مكتبة المثنى (بغداد، ١٩٧٠م) ٣٥٦/٢.

الروم في البحر وتبلغ عزة الأمة ورفعتها بما حققته جيوش الصحابة رضوان الله عليهم في المشرق والمغرب، وكيف يروق للسبئية هذه الانتصارات؟ وفي صدر ابن سبأ يعتمل الثأر ونار الحقد على الإسلام وأهله، إنه يسعى لتهديم كل شيء ليشفى غليله، وفي هذا يستشهد فاروق عمر فوزي بتصريح خطير لابن سبأ هذا حين قال: (فالخليفة لا يقتل في (الغلس) [١].كما كان الأمر مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإنما يقتل الخليفة في وضح النهار وهذا ما حصل مع ذي النورين رضي الله عنه ثم تعصف الفتنة غايتها في معركة الجمل[٢].

وفي رواية للطبري رحمه الله عن دور السبئية الواضح في إفساد الإتفاق على الصلح مع الخليفة علي رضي الله عنه، فقد أثار الحرب بعد أن كان الإتفاق على حسمها قد تم، تقول الرواية (وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح في معركة الجمل)[٣].

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله جانب من المؤامرة على عثمان رضي الله عنه عندما أورد أحداث سنة (٣٥هـ) مع الأحزاب الذين قدموا من مصر لقتال عثمان رضي الله عنه بتحريض من ابن سبأ وتصوير هذه الفتنة جهاداً) [٤].

ويقول ابن كثير رحمه الله: (إن ابن سبأ هو الذي جهز خوارج المصريين فخرجوا ومعهم ابن سبأ) [٥].وفي هذا تأكيد لما قاله الطبري رحمه الله: إن فيهم كنانة بن بشر الليثي وسودان حمران المرادي، كما خرج غوغاء البصرة وعليهم حرقوص بن زهير

(١) الغلس، ظلمة آخر الليل ينظر الجوهري، الصحاح، ج٢ ص ٢٠٤، وقصد ابن سبأ قتل عمر رضي الله عنه عند الفجر.
(٢) فوزي، فاروق عمر (دكتور) الخمينية وصلتها بحركات الغلو الفارسية وبالإرث الباطني منظمةالمؤتمر الإسلامي الشعبي (بغداد ، ١٩٨٨م) ص٢٨.
(٣) الطبري، تاريخ، ج١٢٦/٤.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٠/٨، ٤٥٠/٧.
(٥) ابن كثير، البداية والنهاية،١٩٠/٨، ٤٥٠/٧.

السعدي، أما من الكوفة فخرج يزيد الأرحبي ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم، وكان هوى المصريين في علي رضي الله عنه والكوفيين في الزبير رضي الله عنه والبصريين في تولية طلحة رضي الله عنه ويبدو أن تفرق أهواء الأمصار الثلاثة هذا كان بايحاء بن سبأ نفسه بما يوافق رغبته في تفريق المسلمين وإثارة الفتنة بينهم، ولكي يوقع الخلاف بينهم بعد تنفيذ خطته[1].وهذا ما يؤيد رواية ابن كثير – رحمه الله – والتي تقول: (لقد لاقت دعوة ابن سبأ استجابة بعض الناس،وأخذت بالذيوع في مصر والبصرة والكوفة وهي المواطن التي مر عليها وكون فيها أتباعاً وكان يكاتبهم من مصر) [2].

الخليفة عثمان رضي الله عنه يأمر بأخذ الحق للمظومين :

ويروي الطبري رحمه الله فيقول: (ولم يكن الخليفة عثمان رضي الله عنه في غفلة من الأمر، فبعث برسائل إلى عماله يستدعيهم فيها إلى موافاته في مواسم الحج، ليطلعوه على ما ينكره الناس،ودعا الولاة لأخذ الحق للمظلومين، ودعا الناس أن يوافوه ويأخذوا حقهم منه أو من عماله) [3].

ولكن السبئية ودعاة التمرد استمروا بالتحريض على الخليفة عثمان رضي الله عنه وعماله، وإظهار الحرص على الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويخفون وراء ذلك مقاصدهم في هدم الخلافة والدين. ثم تلا خروج المتمردين إلى المدينة، بعد أن تواعدوا أن يوافوها في موسم الحج وذلك ليستروا غايتهم التي جاءوا من أجلها. ويستغلوا الوقت المناسب في تجمعهم وتآمرهم على الخليفة عثمان رضي الله عنه في غياب الجيش عن المدينة لانشغاله في الفتوحات[4]. إذ كان عهد عثمان رضي الله عنه عهد فتوح وجهاد ورخاء واستقرار [5].

(١) الطبري، تاريخ ٣/٣٥٨-٣٨٦ بتصرف.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/٤٣٠.
(٣) الطبري تاريخ، ٣/٣٨٠.
(٤) الطبري، المصدر نفسه، ٦/٢٩٥٨.
(٥) البلاذري أنساب الأشراف، ٥/٢٥.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكشف نوايا السبئية :

ويسلط الطبري رحمه الله الضوء على موقف سيدنا علي كرم الله وجهه من المتآمرين غلاة السبئية، عندما تصدى لهم وكشف كيدهم وسوء نواياهم، تقول الرواية: (ونجد علياً رضي الله عنه يكشف أهداف المتمردين ونواياهم، فعندما خرجوا من المدينة بعد أن استرضاهم عثمان رضي الله عنه، عادوا إليه بحجة أن الكتاب المزعوم ممهوراً بخاتمه ولما قابلهم علي رضي الله عنه قال لهم: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع البريد كتاباً موقعاً من عثمان يأمر عامله بقتلنا فقال علي رضي الله عنه كيف علمتهم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بخبر الكتاب المرسل إلى أهل مصر، وقد سرتم مراحل في طريق بلادكم؟! هذا والله أمر أبرم في المدينة!! (أي قبل رجوعكم)[1].

وهذا يؤكد بأنه غَدْرُ مدبر بين وفود المتمردين للرجوع بناء على خطة أحكمت في المدينة عند اجتماعهم الأول ومحاصرتهم المدينة المنورة، والثاني أن الكتاب المزعوم وجده المصريون موجهاً إلى واليهم، والمعروف أن ابن سبأ رأس الفتنة كان على رأس الغلاة المصريين ، فالتزوير تم بإشرافه وتخطيطه، وهذا ما يرجح رواية الطبري حول دور علي رضي الله عنه كرم الله وجهه في كشف الغدر المدبر، ويضعف من رواية البلاذري رحمه الله: في أن مروان بن الحكم هو الذي كتب الكتاب بغير علم الخليفة عثمان رضي الله عنه[2].وذلك لعدم وجود مصلحة لمروان في أن يثير الناس ضد الخليفة وهو ابن عمه، لأنه سيكون أول الخاسرين بغض النظر عن موقفه.

وهكذا نجد أن هذه الفتنة قد أحكمت حلقاتها ونفذت بدقة متناهية لتؤدي في النهاية إلى مقتل الخليفة ذو النورين رضي الله عنه، صهر رسول الله ﷺ، والمبشر بالجنة

(١) الطبري، المصدر نفسه، ٢٩٥٨/٦.

(٢) البلاذري، انساب الأشراف، ٦٦/٥.

مجهز جيش العسرة، وكان استشهاده يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، وذلك بدء افتتاح التاريخ المشؤوم[1]. للحركات الهدمية التي بدأتها السبئية وعلى رأسها اليهودي المتستر بحب آل البيت – عليهم السلام – كذباً ونفاقاً، إنه راس الفتنة عبد الله بن وهب بن سبأ بن السويداء الصنعاني.

السبئية أم الحركات الهدمية منذ صدر الإسلام وإلى اليوم :

إن هذه الحركات على اختلاف تسمياتها وقادتها فإنها تعتمد عقائد وأساليب مشتركة ولهم أهداف ومقاصد واحدة في كل زمان وأي مكان ابتداء من السبئية في صدر الإسلام وإلى البهائية والخمينية في الوقت الحاضر، الذين وصفهم الإمام الغزالي رحمه الله: (بالباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظاهر مجرى اللب من القشر) [2].

ويعرفهم الشهر ستاني رحمه الله: (أولئك الذين يجعلون لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويل) [3].

وقد ذكر الغزالي رحمه الله ثمان فرق هدمية ضالة مضلة هي: (التعليمية والباطنية والبابكية والمحمرة والخرمية والإسماعيلية والقرمطية والسبعية) [4].

وفي هذا يقول د. محسن عبد الحميد: (ولهذا ينعقد إجماع الباحثين والعلماء المحققين مسلمين وغيرهم أن الباطنية هي كبرى حركات التحريف في تاريخ الإسلام أرادت أن تظهر عقائدها وأهدافها الحقيقية متسربلة بمبدأ التأويل الباطني للقرآن

(١) الطبري، تاريخ ٣٩٦/٤ وينظر الخضري، محمد تاريخ الأمم الإسلامية، ج٢ ص٤٢.

(٢) الغزالي ، أبو حامد (ت٥٠٥هـ) فضائح الباطنية، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، الدار القومية، (القاهرة ، ١٩٦٤) ص١١.

(٣) الشهرستاني، الملل، والنحل، ٢٩/٢.

(٤) الغزالي، فضائح الباطنية، ص ١١–١٧.

الكريم، متجاهلة الضوابط النقلية والعقلية والأصولية التي أجمع عليها المفسرون والأصوليون الثقات في تفسير الآيات القرآنية وكانوا دائماً يحذرون من أن إسباغ المعاني الباطنية على النص القرآني معناه إلغاؤه والقضاء عليه وعلى كل ما ورد من عقائد وأحكام وأخلاق عليه وعلى كل ما ورد من عقائد وأحكام وأخلاق) [١].كما (يرجح الكثير من الباحثين والمؤرخين أن هذه الحركة مبعثها يهودي حيث تقدم أن عبد الله بن سبأ كان رأس الفتنة والغلو والتأويل الباطني) [٢].

العقائد والوسائل والأهداف المشتركة للحركات الهدمية :

تشكل الحركات الهدمية تحديات خطيرة ضد الفكر والعقيدة والحضارة الإسلامية ويمكن تلمس هذه التحديات من خلال العقائد والوسائل والأهداف التي تعتمدها هذه الحركات وهي بإيجاز:

١ـ العقائد الرئيسية :

أ ـ الحلول :

يقول الشهرستاني رحمه الله (وهو أن يحل الله (تعالى عما يصفون علواً كبيراً) بذاته أو بروحه في البشر ، الحلول قد يكون بجزء كإشراق الشمس في كوة، وقد يكون الحلول بكل كظهور الملك بشخص) [٣].

ويقول أيضاً: (وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق

---

(١) عبد الحميد، محسن (دكتور) تطور تفسير القرآن، قراءة جديدة، دار الكتب (جامعة الموصل، ١٩٨٩) ص١٧١.

(٢) الغرباوي، حسن حميد (دكتور) الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية، دار الشؤون الثقافية (بغداد، ١٩١٩) ص٧٢.

(٣) الشهرستاني، الملل، والنحل ، ١٧٥/١.

بالخالق فسرت هذه الشبهات في اذهان الغلاة)[١].هذا بالنسبة للمتقدمين وعند الباحثين المحدثين: (ومن القائلين بالحلول عبد الله بن سبأ اليهودي الذي زعم أن علياً نبي ثم غلافيه حتى زعم أنه إله بحلول روح الإله فيه وتبعه قوم في الكوفة فلما سمع بهما الخليفة علي رضي الله عنه أمر بإحراق قوم منهم وخشي الفتنة فنفى ابن سبأ إلى المدائن.. إن مبدأ الحلول هذا يؤدي إلى هدم ركن التوحيد وإلى هدم النبوة)[٢].

ب ـ التناسخ :

وهو رد الروح إلى بدن غير البدن الأول، وهو فرع من القول بالحلول ، والقائلون بالتناسخ ينكرون يوم الحساب لقولهم (ليس قيامة ولا آخره وإنما هي أرواح تتناسخ في الصور، فمن كان محسناً جوزي بأن تنتقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئاً جوزي بأن تنتقل روحه إلى أجساد يلحق الروح فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك ، وأن الدنيا لا تزال أبداً هكذا)[٣].وفي هذا يقول محمد رمضان: (إن فكرة التناسخ تلغي الإيمان باليوم الآخر..)[٤].

جـ ـ التأويل الباطني :

وهو صرف الكلام عن ظاهره إلى وجه يحتمله، أوجبه برهان في القطعيات وظني في الظنيات، وبعبارة أخرى، هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر غير ظاهر.. والتأويل كما يقول ابن تيميه رحمه الله: (يحتاج إلى دليل، والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي يدعيه ، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه

(١) الشهرستاني، والمصدر نفسه، ١٠/٢.

(٢) الدوري، قحطان عبد الرحمن، الحركات الهدامة في الإسلام، مطبعة الرشاد، (بغداد ١٩٨٦م) ص١٥.

(٣) الأشعري، أبوعلي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ) مقالات الإسلاميين، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة (القاهرة ، ١٩٥٤م) ١١٤/١.

(٤) عبد الله، محمد رمضان، (دكتور) عقيدة النصيرية، (بغداد، ١٩٨٩م) ص٦٩.

عن المعنى الظاهر)[1].وكما سبق أن أشرنا إلى رأي الشهرستاني رحمه الله بقوله: (أولئك الذين يجعلون لكل ظاهراً باطناً ولكل تنزيل تأويل)[2]. أما التأويل الذي ذهبت إليه كثير من فرق الباطنية، تأييداً لدعواها مع اصطدامها بالأصول التي وردت في ظاهر القرآن الكريم والسنة فهو التأويل المرفوض ومنه تأويل الخطابية قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾[3].وقالوا: (فهو آدم ونحن ولده، وعبدوا أبا الخطاب وزعموا أنه إله وزعموا أن (الصادق) رضي الله عنه الههم أيضاً إلا أن أبا الخطاب أعظم منه وأعظم من علي)[4].وقال أيضاً عن أبي منصور العجلي: (وأسقط الفرائض وقال هي أسماء رجال أوجب الله ولايتهم)[5].وقال بالنبوة المستمرة واعتمدت المنصورية الاغتيالات عن طريق الخنق واعتبروا هذا جهاداً خفياً[6].

د ـ التشبيه :

وهو تشبيه ذات الله جل في علاه بذات المخلوقين وتشبيه صفاته تعالى بصفات غيره ومن هذه الفرق (البيانية) أتباع بيان بن سمعان الذي قال بالحلول وادعائه النبوة ثم الألوهية، وفي هذا يقول البغدادي أن من البيانية من زعم أن بياناً كان نبياً وأنه نسخ شريعة محمدﷺ ومنهم من زعم أنه إله فادعى لنفسه الربوبية[7]. وزعم أن القرآن يعنيه ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾[8].

---

(١) ابن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل ، ص ٢٣.

(٢) الشهرستاني ، مصدر سابق.

(٣) سورة ص، الآية/٧٢.

(٤) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ٧٤/١-٧٧.

(٥) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ٧٤/١-٧٧.

(٦) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢ ص١٤٧، وينظر الجاحظ، كتاب الحيوان ، ج٦ ص ٢٨٩ص.

(٧) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢١٤-٢٢٧.

(٨) سورة آل عمران، من الآية/١٣٨.

٢ـ الوسائل المشتركة للحركات الهدمية :

من استقراء العقائد والأفكار التي تدين بها الحركات الهدمية يمكن الاستنتاج بأن هذه الحركات تعتمد أساليب ووسائل شتى للوصول إلى غاياتها ولتحقيق أهدافها وأهم هذه الوسائل[١] هي:

أ- التستر بالإسلام.

ب- التظاهر بحب آل البيت الأطهار عليهم السلام.

ج- اعتماد السرية والتكتم على خططهم ومآربهم.

د- الغلو في الدين.

هـ- التطرف واستخدام العنف والغدر مثل المنصورية (الخناقين) والحشاشين (السفاكين).

و- اعتماد أسلوب الاستدراج والخداع والتدرج في الدعوة إلى معتقداتهم الباطلة.

ز- التواطؤ مع أعداء الأمة.

ح- اعتماد الكذب على الغير (تقية) واعتباره جزء من حياتهم.

٣ـ الأهداف الرئيسية للحركات الهدمية :

وعلى ضوء ذلك يمكن تحديد الأهداف المركزية لهذه الحركات بما يأتي[٢]:

أ- هدم عقيدة التوحيد والربوبية.

ب- إنكار البعث والآخرة والحساب.

ج- هدم مبدأ ختم النبوة وانقطاع الوحي.

---

(١) السامرائي، عبد الله سلوم (دكتور) ، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط للنشر، (بغداد ، ب ت) وبضمنه كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ص١٥٨ وما بعدها. وينظر الغرباوي،الشعوبية ص ١٢٥ بتصرف.

(٢) السامرائي، م.ن ص١٨٠ وما بعدها، والغرباوي، الشعوبية، ص١٦٩ بتصرف.

د- إسقاط التكاليف والفرائض الشرعية، أي هدم أركان الإسلام.

هـ - تحريف القرآن الكريم والطعن فيه.

و- تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ووضع الأحاديث الكاذبة.

ز- الدس في تاريخ الأمة وتشويه إرثها الحضاري.

ح- الطعن في الصحابة رضوان الله تعالى عنهم عامة والمبشرين بالجنة منهم خاصة.

ط- العمل على تقويض الحكم العربي الإسلامي.

ي- تعطيل فريضة الجهاد ومحاولة نسخة لإضعاف الأمة وتمكين أعدائها منها.

مجاهدة الغلاة والحركات الهدمية :

إن مجاهدة الغلاة والحركات الهدمية والرد عليهم جاء قوياً بكتاب الله تعالى فكان النذير موجهاً لأهل الكتاب من اليهود والنصارى وتحذيراً لهذه الأمة بأن يعتبروا بمن قبلهم لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾[1].وقوله تعالى: ﴿ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].(ولكن الحبر اليهودي عبد الله بن سبأ قام بنقل إرث قومه البغيض ليصير كالوباء الوبيل الذي ابتليت به هذه الأمة، فقد نشر سموم أفكاره بين الناس بمكر ودهاء للنيل من الإسلام وأهله وهدم الدين والدولة متحدياً بذلك رب العزة وعقيدة التوحيد، وقال بتأليه على رضي الله عنه بقوله (أنت أنت!!) فكان الرد سريعاً والمواجهة قوية من سيدنا علي رضي الله عنه، ومن آل البيت عليهم السلام من بعده ومن أئمة المسلمين والخلفاء والعلماء على

(١) سورة النساء، الآية/١٧١.

(٢) سورة المائدة، الآية/٧٧.

مواجهة هذا الخطر الذي يهدد الإسلام في عقيدته ودولته وحضارته[1].

نماذج من مجاهدة الغلاة والحركات الهدمية :

إن ذكر الحروب والمواجهات التي تعرضت لها هذه الحركات وقادتها على مر التاريخ العربي الإسلامي أمر يطول لذا نكتفي بعرض نماذج منها لإعطاء صورة عن مجاهدة هذا الصنف من الأعداء وفيما يأتي ذلك بإيجاز:

١- قام سيدنا علي رضي الله عنه بمواجهة أوائل الغلاة وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ الذين أشاعوا الوصية له رضوان الله عليه، وحملوا لواء الدعوة له، وكانوا في حقيقتهم ألد الخصوم له لذا أمر في اليوم الثالث لتسلمه الخلافة بطرد الغلاة والسبئية) قائلاً : (أيها الناس اخرجوا عنكم الأعراب فليلحقوا ابمياههم فاطاعت الاعراب وابت السبئية) [2]. وبذلك كشفوا عن ذلك الحقد الخفي نفسه والذي ألهوه، وما كان من سيدنا علي رضي الله عنه بعد هذا العناد إلا أن حرَّق بعضهم ونفي ابن سبأ إلى ساباط المدائن مخافة الفتنة[3].

٢- تصدت الدولة الأموية لحركة الكيسانية، الجناح المتطرف بحركة المختار الثقفي الذي قال بالبداء والتناسخ فقُضّي عليه سنة ٦٧هـ[4].

٣- وقام آل البيت عليهم السلام بدور كبير في مواجهة أهل الزيغ والضلالات والحركات الهدمية وتصدوا لهذا الخطر، فكان الموقف الحازم لسيدنا محمد الباقر (ت١١٧هـ) عليه السلام ومواجهته للدعي المغيرة بن سعيد العجلي الذي عمد إلى التأويل الباطني للقرآن واستعمل السحر وادخل بعض العقائد المجوسية مثل المانوية، لذا تصدى

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٦٧ بتصرف.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ١٩٦/٣.

(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٢٥، ٢٣٣.

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل ، ١٩٦/١.

له الباقر عليه السلام وطرده ونهره [1]. ولاحقه والي العراق خالد القسري (١٠٥- ١١٩هـ) فقبض عليه وصلبه سنة ١١٩هـ في واسط[2].

٤- كما تصدى خالد القسري لحركة بيان بن سمعان التميمي الذي ادعى النبوة ثم الربوبية على مذاهب الحلولية) [3]. وألقى القبض عليه وصلبه في الكوفة سنة١١٩هـ.

٥- وتصدى الوالي يوسف الثقفي لأبي منصور العجلي الذي سار على خطى المغيرة بن سعيد العجلي سالف الذكر حيث كانت عقيدة المنصورية هي نفس عقيدة المغيرة القائلة (بالنبوة المستمرة) والإدعاء بالنبوة. كما اعتمدت المنصورية الاغتيالات عن طريق الخنق لمخالفيهم في المذهب وقد ظهرت المنصورية في أواخر العصر الأموي في العراق واستفحل أمرهم في العصر العباس حيث استمر خطرها بعد القبض على أبي منصور من قبل يوسف الثقفي وصلبه عام ١٢٠هـ، الذي أحل المحارم واسقط التكاليف والفرائض الشرعية وتستر وراء إمامة الباقر عليه السلام على الرغم من تبرأه منه[4].

٦- أما الخداشية نسبة إلى عمار بن يزيد الملقب (بالخداش) ويعني خدشه للدين وهدمه فقد تصدى له أسد القسري وصلبه[5].

٧- تصدى سيدنا أبو جعفر الصادق (ت١٤٨هـ) عليه السلام لأبي الخطاب الأسدي الذي ظهر في أواخر العصر الأموي في الكوفة سنة ١٢٨هـ[6].،حيث ادعت

(١) الطبري، تاريخ، القسم الأول ١١١٩، وينظر الأشعري، مقالات الإسلاميين ج١ ص٧،٨.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢ ص٤٠٥.

(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٢١٤، ٢٢٧.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٤٧/٢.

(٥) الطبري، تاريخ، القسم الثاني، ١٥٨٨.

(٦) في سنة ١٢٨هـ كان على رأس الحركة عمير بن بيان العجلي الذي تصدى له ابن هبيرة وإلى بني أمية وتولى أبو الخطاب قيادة الحركة وأعلن عنها سنة ١٣٨هـ في خلافة المنصور فتصدى له عيسى ابن موسى فأسره وصلبه سنة ١٤٣هـ في كناسة الكوفة، ينظر، البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٤٧.

الخطابية بألوهية الصادق عليه الصلاة والسلام وأن أبا الخطاب رسوله، وأولوا القرآن حسب مشيئته فاحل المحارم وترك الفرائض وقد تبرأ منه أبو جعفر الصادق[1].وأصدر فتواه قائلاً (من قال به فهو عندي مشرك بالله بِّين الشرك) [2]. وقال أيضاً (حذروا شبانكم الغلاة لا يفسدوهم فان الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعبادة الله وكان كتابه (توحيد المفضل) حرب على المانوية[3].وكانت الخطابية ذات صلة وثيقة بالإسماعيلية التي تفرعت منها فرق القرامطة والحشيشية والدروز. والتي تعتبر التحول العقائدي والاستمرار التاريخي للحركة الخطابية الهدامة، والتي نسبت إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي كان موافقاً على نهج الغلاة من أمثال أبي الخطاب الذي كان على صلة متينةبهم وأن الروايات تشير إلى توتر العلاقة بين الصادق عليه السلام وابنه إسماعيل ومن حوله من الغلاة المتطرفين.

٨- أما الراوندية: نسبة إلى عبد الله الراوندي: فهم الشيعة العباسية عبدوا أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) وقالوا أنه الله الذي يطعمهم ويسقيهم ويميتهم . إلا أنهم ثاروا عليه في هاشمية الكوفة وكادوا أن يفتكوا به فقضى عليهم سنة ١٤١هـ.

كما فتح أبو مسلم الخراساني الذي ألهته فرقة (الابومسلمية) وادعت أنه حي تجدست فيه روح الله واستحلوا المحارم وزعموا رجعته[4].

٩- وكان للمهدي (١٥٨-١٦٩هـ) دوراً كبيراً في محاربة الزنادقة وأوصى من بعده الهادي (١٦٩-١٧٠هـ) والرشيد(١٧٠-١٩٣هـ) ثم المأمون (١٩٨- ٢١٨م) وتصدوا لبابك

(١) الشهرستاني، الملل والنحل ، ١٦/٣.
(٢) ظهير ، إحسان إلهي، الإسماعيلية ص٣٤.
(٣) الصادق، جعفر بن محمد، توحيد المفضل، طبع (النجف، ١٩٥٠م) ص٢٥.
(٤) البغدادي، الفرق بين الفرق ، ص٢٥٧. وينظر الأشعري ، مقالات الإسلاميين، ٩٤/١.

الخرمي[1]. الذي ظهر في جبل البدين بناحية أذربيجان وكثر أتباعه واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين وجهزوا جيوشاً كثيرة مع أفشين الحاجب [2]. ومحمد بن يوسف الثغري، وأبي دلف العجلي وأقرانهم بقيت العساكر في وجهه عشرين سنة إلى أن أخذ بابك وأخوه إسحاق في بغداد سنة ٢٢٢هـ. ويذكر المسعودي أن هدف بابك هو (إزالة ملك وقلب ملة وتبديلها) [3].

١٠- وكان لعلماء الأمة دوراً كبيراً في محاربة هذه العقائد والأفكار الضالة المضلة وألفوا الكتب في الرد على أباطيلهم ومنها:

أ- رد الإمام أبو حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) رحمه الله بقوة على الغلاة وألف رسائل عدة وكان كتابه الفقه الأكبر حرباً على الجهمية والدهرية.

ب- وكذلك فعل الإمام مالك ابن أنس (ت ١٧٩هـ) رحمه الله عندما رد على أهل الخلاف بكتابة الموطأ.

ج- وقام الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) رحمه الله بجهود كبيرة في هذا المضمار من خلال مؤلفاته وأشهرها الأم.

---

(١) بابك رجل فارس مجوسي الأصل دخل الإسلام، وتسمى الحسن وقيل الحسين، كان شديد البطش صعب المراس حدثته نفسه الخبيثة بأن يسترجع ملك فارس ودينها فاستعص بجبل البدين وفي سنة ٢٠١هـ في عهد المأمون أظهر أمره وأعلن العصيان وجهز له المأمون جيشاً سنة ٢١٢هـ بقيادة حميد الطوسي وهزم جيش الخليفة سنة ٢١٤هـ وقتل الطوسي ثم تصدى له المعتصم وجهز له جيشاً سنة ٢٢٠هـ وبقيت المعارك إلى سنة ٢٢٣ حيث تم القبض عليه وصلب ينظر المسعودي ، مروج الذهب ٥٥/٤.

(٢) الأفشين أصله فارسي... وكان أسمه خيذر بن كاوس فنعشه المعتصم واصطفاه لحسن خدمته وطاعته حتى صار بحيث وكل إليه مقاتلة بابك فكان منه ما ذكر . اختلف المؤرخون في أمره فيذكر بعضهم أنه كان قد انقلب على المعتصم وعلى دولة الإسلام فاخذ يدبر المؤامرات ويدعو سراً للانتقاض على الخلافة ويذكرون أن المازيار أقر عليه أنه هو الذي بعثه على الخروج والعصيان ، فأخذه المعتصم وصلبه وأحرقه، ينظر المسعودي في المروج ، ٦١/٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ، ٥٥/٤.

د- وكان دور ابن حنبل (ت ٢٤١هـ) رحمه الله في محاربة الغلاة بمسنده ورد على الجهمية والزنادقة بكتابه (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من القرآن) الذي فند فيه أقوال الغلاة وثبت مبادئ الإسلام[١].

هـ- وكان لعبد الله بن المبارك – رحمه الله – دوراً في محاربة الزنادقة وكذلك الفزاري وقد خاطب الرشيد أحد الزنادقة حين تحداه بقوله: (فأين أنت عن ألف حديث وضعها عن رسول الله ﷺ ما فيها حرف واحد نطق به... فكان رد الرشيد لهذا الزنديق قوياً (فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلاً)[٢].

و- ورد الجاحظ (ت٢٥٥هـ) رحمه الله على الزندقة في كتاب الحيوان[٣].

ز- وألف أبو سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) رحمه الله كتاباً في الرد على الجهمية[٤].

ح- وألف عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط (ت٣٢٤ هـ) رحمه الله كتاب (الأنصار والرد على ابن الراوندي الملحد).

ط- وألف أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ) رحمه الله كتاب مقالات الإسلاميين).

ي- والف أبو منصور عبد القاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ) رحمه الله كتاب (الفرق بين الفرق).

ك- وابن حزم (ت٤٥٦هـ) رحمه الله ألف كتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل).

---

(١) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، الترجمة العربية ، ٢٧٣/٣-٢٧٥.

(٢) الدوري، عبد العزيز (دكتور) مقدمة تاريخ صدر الإسلام، ط١، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٤٩م) ص١١.

(٣) الجاحظ، كتاب الحيوان، ٥٧/١.

(٤) أتباع جهم بن صفوان الضال المبتدع. زرع شراً عظيماً ينظر الذهني تذكرة الحفاظ، رقم ١٥٨٤.

ل- وأبو المظفر الاسفراييني (ت ٤٧١هـ) رحمه الله ألف كتاب (التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية).

م- أما الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) رحمه الله فقد ألف كتاب (فضائح الباطنية) وكتاب (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة).

ق- وألف أبو الفتح الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) رحمه الله كتابه(الملل والنحل).

س- وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله دوراً كبيراً في الرد على الباطنية والقرامطة، ومن ضمن كتبه التي إلفها في هذا المضمار كتاب (بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة[1]. والباطنية) مطبوع ضمن مجموعة الفتاوى، وكتاب (منهاج السنة)، وكان علمه وجهاده ومنطقة وكلامه قد قارع بها معاول الهدم وغلاة الدين وأظهره الله عليهم.

هذه آراء وجهود ومجاهدة المتقدمين من علماء وأمراء هذه الأمة وفي هذا القدر من التوضيح كفاية لتسليط الضوء على خطورة هذه الحركات مع ذكر جانب مهم في مجاهدتهم.

(١) القرامطة — نسبة إلى مؤسسها حمدان بن الاشعث (قرمط) في إحدى قرى الكوفة تسترت بالتشيع العلوي لتقويض النظام السياسي الإسلامي وهدم عقيدة الإسلام، وهي من فرق الإسماعيلية وتتشابه عقائدهم مع عقيدة الإسماعيلية الباطنية الهدامة. قامت قرامطة البحرين بزعامة أبو سعيد الجنابي ثم سليمان بن حسن الجنابي بمهاجمة البصرة ثم قوافل الحجاج والتجار وهددوا بغداد، وتجرءوا على بيت الله الحرام ونهبوا الحجر الأسود، وقالوا بإباحة النساء وألوهية زعمائهم بالحلول والتناسخ، وهدموا مبدأ ختم النبوة، وعملوا بالتأويل الباطني والتشكيك والخلع والسلخ، واعتمدوا أسلوب الكتمان في العمل. وعندما شعرت السلطة العباسية بخطرهم أرسلت جيشاً في عهد المعتضد سنة ٢٧٨هـ فكان أول صدام مع القرامطة ولم يفلح مع قرامطة البحرين، ولما جاء البويهيون سنة ٣٣٤هـ تواطئوا مع القرامطة ولم يقضى على القرامطة الأبعد مجيء السلاجقة وطرد البويهيين سنة ٤٤٧هـ حيث جند السلاجقة مع الخلافة العباسية جيوشاً لمقاتلة القرامطة المارقين سنة ٤٦٢هـ وألحقوا الهزيمة بالقرامطة وانسحبوا إلى الإحساء وهناك وقعت (معركة الخندق) سنة ٤٧٠هـ والتي كانت فيها نهاية القرامطة بعد أن دامت دولتهم حوالي قرنين، ينظر بن خلدون، العبر، ج٤/ ص٩٠.

ع- أما بالنسبة للتصدي ومجاهدة الهدمية الحركات الحديثة فيمكن الإشارة إلى خطورتها من خلال قيام علماء الأمة وكتابها المحدثين بمواجهتها بالقلم واللسان والبنان. ولنعرض نموذجاً من هذه الحركات التي تشكل تحدياً للأمة في دينها وحضارتها ووجودها وهي:

أولاً : البابية والبهائية :

تكاد تكون حركة واحدة ذات مرحلتين:

المرحلة الأولى ـ البابية :

نسبة إلى مؤسسها (الميرزا علي محمد رضا الشيرازي) الذي سمي الباب إلى المهدي المنتظر عندما أعلن مبادئه في مدينة شيراز سنة (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م)وكان عمره (٢٥) سنة. وعندما تدرج في الحركة واستدرج الناس المغفلين إليها أدعى الألوهية وسمى نفسه الأعلى[١]. وقال في كتابه(البيان): (لا تتبعن إلا ما نزل في البيان فإن ذلك ما ينفعكم)[٢]. فهو عندهم أفضل من القرآن الكريم واللعين يفضل نفسه على رسول الله ﷺ لقوله(إني أفضل من محمد كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد)[٣].وأدعى بأن (البيان) نسخ كتاب الله (القرآن) وتمادى أكثر فتجرأ على الله جل في علاه وادعى أنه الإله الحق. ولهذا انبرى علماء الأمة وأصحاب الغيرة لنصرة الله ورسوله والتصدي لهذا الدعي ومن هؤلاء العلماء:

أ- فقد تصدى الدهلوي بكتابه (التحفة الأثنى عشرية) ليعري هذه الحركة الضالة المضلة بقوله: (وقد ظهرت ..طائفة يقال لها البابية أصحاب الميرزا علي الملقب

(١) النوري، عبد الله: البهائية سراب، دار العربية للطباعة والنشر ، (الكويت، ١٩٧٤م) ص٢٥.

(٢) الشيرازي، الميرزا علي، البيان ، ص ٨٥-٧٨ ملحق كتاب الحسني، عبد الرزاق ، البابيون والبهائيون.

(٣) مهدي، ميرزا أحمد، مفتاح باب الأبواب، ص٢٠.

بالباب... وقد أظهر الباب شنائع كثيرة منها زعمه ارتفاع فرضية الصلوات الخمس وأنه سترفع فريضة الحج وأنه يوحى إليه وأنه ألف كتاب وقد حشاه هذيانات وحرف فيه آيات وزعم التحدي به..) [1].

ب- وقام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء النجفي بكشف حقيقة البابية بقوله: (البابية حركة يهودية ظهرت في إيران في القرن التاسع عشر وتعد من أخطر الفرق التي هاجمت الدين الإسلامي... وارتكب البابيون من الفضائع وحرق القرى وذبح النساء والأطفال وقتل النفوس البريئة ما تقشعر له الجلود وتذوب من ذكره الأكباد... وحكمت (قرة العين) على عمها فقطعوه بسيوفهم) [2].

ج- وفي هذا يقول د. محسن عبد الحميد: (إن اليهودية العالمية كانت وراء الحركة البابية وأنهم دفعوا الميرزا علي محمد لإعلان نفسه مهدياً جاء لنسخ شريعة الإسلام وإلغاء الجهاد للقضاء على روح الكفاح في المجتمع الإسلامي) [3].

د- ويقول الوردي إن أحبار اليهود دخلوا البابية ومنهم الحبران(الياهو) و(لازار) في همدان [4].(وانظم كثير في إيران تحت لواء هذه الحركة بإيعاز من دوائر اليهودية العالمية. باعتبار أن هذه الحركة تستهدف القضاء على ملة الإسلام التي يشتد اليهود في معاداتها ففي طهران مثلاً دخل(١٥٠) يهودياً وفي همدان (١٠٠) يهودياً وفي كاشان (٥٠) يهودياً وفي كلباكيان (٨٥) يهودياً) [5].

---

(١) الدهلوي، شاه عبد العزيز غلام حكيم، التحفة الأثنى عشرية، ترجمة غلام محمد بن محي الدين الأسلمي، وهذبه واختصره محمود شكري الألوسي، تحقيق محي الدين الخطيب، ط٢، المطبعة السلفية (القاهرة، ١٩٦٧م) ص٢٢-٢٣.

(٢) آل كاشف الغطاء، محمد حسين، كتاب الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، جمع ونشر محمد عبد الحسين آل كاشف الغطاء، (بغداد، ١٩٢٦م) ص ٢٩-٣٠.

(٣) عبد الحميد، محسن(دكتور)حقيقة البابية والبهائية، مطبعة الوطن العربي، ط٤ (بغداد ، ١٩٨٠م) ١٧٥/٢.

(٤) الوردي، علي (دكتور) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مطبعة الشعب (بغداد،١٩٧٢). ١٧٥/٢.

(٥) روزندي، محمد، مطالع الأنوار، ترجمة شوقي أفندي رباني، (القاهرة، ١٩٤٠م) ص ٥٣٤.

هـ- ويتابع د. فاروق عمر فوزي الموضوع بالقول: (إن دخول اليهو في هذه الحركة تحت شعار (وحدة الأديان والإنسانية) كان بتدبير الماسونية العالمية التي كان لها ركائز قوية في إيران ، والتي يسيرها اليهود، وقد سيطرت على الحركة البابية حتى توجهها لأغراضها الخاصة وهي تمكينها لتنفيذ مؤامراتها وإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين وبالتالي القضاء على الروح الإسلامية وزحزحة المجتمع الإسلامي عن قيمة وتراثه وتعاليمه) (١).

المرحلة الثانية ـ البهائية :

بعد أن هلك الميزرا على محمد (الباب) باعدامه في تموز ١٩٥٠لتبدأ مرحلة جديدة مع مفسر آخر وميرزا آخر هو الميرزا حسين علي الذي لقب (بهاء الله) وإليه تنسب البهائية، ولد سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م وهلك سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م في عكا، حيث أودعته حكومة الدولة العثمانية سجن عكا في فلسطين عام ١٨٦٨م بسبب أفكاره المسمومة وعقيدته الضالة ومات فيها بعد أن ألف عدة كتب منها: الأقدس بالعربية، والإيقان بالفارسية، والهيكل أكثره بالعربية، والألواح بالعربية والفارسية (٢)

ويدعي الميرزا حسين علي أنه الموعود والذي ظهر إلى الوجود ويقول في الألواح: (قل يا قوم قد جاء الروح مرة أخرى ليتم ما قال من كذلك وعدتم به في الألواح إن كنتم من العارفين) (٣).

ويحاول البهائيون بسذاجة أن يثبتوا للميرزا أنه المسيح المنتظر وكيف يكون (البهاء) مسيحاً وهو الذي آمن بمزاعم سلفه الميرزا علي محمد (الباب) الباطلة في ادعائه

(١) فوزي ، فاروق عمر (دكتور) الخمينية وصلتها بحركات الغلو الفارسية والإرث الباطني، ص١٢٢.

(٢) هيوار (Ci. Huari) دائرة المعارف الإسلامية ٢٢٧/٣-٢٣١.

(٣) مهدي، محمد خان، مفتاح باب الأبواب، ص٣٨٢

المهدية والنبوة ثم اغتصب النيابة من أخيه (الميرزا يحيى نور) الذي انشق عن البهائية ودخل معه في صراع وأطلق على أتباع يحيى نور (الأزلية) أو (البيانية) وبذلك خان البهاء وصية أستاذه (الباب) الذي استخلف (يحيى نور) ولقبه (صبح الأزل) فأخذه لنفسه واصبح هو (بهاء الله) ثم تجرأ فادعى أنه الله بكل صفاته بتشجيع من الحكومتين الروسية والإنكليزية آنذاك وكذلك بدفع من اليهودية العالمية، كما جاء بقوله: (إنه هو مالك الأسماء إنه لا إله إلا أنا المقتدر المتكبر المتعال على العالمين) [1].إنها نفس المبائ التي سار عليها الباب الذي تبعه البهاء وابنه من بعده.

الأهداف الحقيقية للبابية والبهائية :

١- هدم عقيدة التوحيد بادعاء كل من الباب رأس البابية والبهاء وعبد البهاء وريث البهاء وزعيم البهائية وقولهم بحلول روح الله فيهم وادعى كل منهم بإنه(إله) [2].

٢- نسخ الشريعة الإسلامية ونبوة سيد المرسلين محمدﷺ ففي مؤتمر (رشت) الذي عقد سنة ١٨٤٨ قرر البابيون على لسان الفاجرة(قرة العين) نسخ الشريعة الإسلامية بعقيدتهم الباطلة والإنسلاخ نهائياً من الإسلام [3].

٣- هدم الدين ونظام الأخلاق والدعوة إلى الإباحية حيث كانت قرة العين تقول بحل الفروج ورفع التكاليف بالكلية [4].

٤- مناصرة أعداء الأمة من الروس القياصرة والإنكليز المستعمرين فقد كان أقطاب الحركة البابية والبهائية عملاء للروس ويتقاضون رواتب من السفارة الروسية في طهران

---

(١) العمري، موفق، الماسونية والبهائية، ط١، مطبعة الحوادث ، (بغداد، ١٩٧٦م) ص٧٨-٧٩.

(٢) زيهر، اجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، ط١ دار الكتاب المصري، (القاهرة، ١٩٤٦م) ص ٢٤٢، وينظر الخطيب، محب الدين، البهائية، ص ٢٧.

(٣) الوردي، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ١٤٧/٢، وينظر روزندي ، محمد، مطالع الأنوار ص٢١٤.

(٤) الدهلوي التحفة الاثنى عشرية، ص٢.

سراً باعتراف الجاسوس (كنيا زوالكوركي) مترجم السفارة[1].وأن حكومة بريطانيا أمدتهم بالدعم المالي والمعنوي والتواطؤ مع الاستعمار البريطاني على تقويض الحكم الإسلامي.

٥- العمل على تحقيق أغراض اليهودية العالمية فقد أكد المؤرخون أن مؤسس البابية كان يقرأ التوراة بدلاً من القرآن وتوثقوا أن الحركة البابية حركة يهودية وقضى الميرزا حسين البهاء حياته في الدعوة إلى التجمع الصهيوني على أرض فلسطين بقوله: (هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القديم تالله أن الطور يطوف حول مطلع الظهور وصاح الصهيوني قد أتى (الوعد) [2].

٦- التقت مصلحة الروس مع مصلحة الدول الاستعمارية الغربية وعلى رأسها بريطانيا ومؤسساتها الإستشراقية والتنصيرية والجميع يلتقون مع هذه الحركة على هدف واحد هو هدم الإسلام ودولته وتجزئة بلاد المسلمين وتوهين قواهم) [3].

مواجهة الحركة البابية والبهائية الهدمية :

١- بقوة الإسلام وثبات العقيدة الإسلامية وأصالة الفكر الإسلامي جعلت المعركة محسومة مع هذه الحركة الضالة. فقد وجد المسلمون أنفسهم وجهاً لوجه أمام التآمر اليهودي والكيد المجوسي والحقد الصليبي وضلالات الفرق الباطنية ولأن البابية والبهائية أن هما إلا حلقتان من سلسلة حلقاتها الهدامة التي أرادت تحريف الإسلام وتشويه مبادئه والقضاء على أصوله وأحكامه[4].

---

(١) مجلة الشرق السوفيتية لسنة ١٩٢٤.

(٢) البهاء، الميرزا حسين الأقدس، ص ١١٨.

(٣) الميداني، عبد الرحمن، أجنحة المكر الثلاثة ص٢١٢.

(٤) الانسكلوبيدية التركية، ٨/٥، بالإشارة إلى هامش للدكتور محسن عبد الحميد، حقيقة البابية، ص ٢١.

٢- إن القرآن الكريم يرد على إدعاء الباب والبهاء وعبد البهاء بالألوهية والتعالي على البشر ويندد بعقيدتهم الباطلة﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[1].

٣- وأما الرد على عقيدة استمرار النبوة ونزول الوحي التي تقول بها الحركة (فان مسألة ختم النبوة والرسالة برسول الله ﷺ معلومة بالضرورة عند الأمة فهي عقيدة من العقائد الجوهرية في الإسلام وثابتة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ المتواترة وبإجماع الصحابة وعلماء الأمة منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، فالشك فيها شك في القرآن الكريم وارتداد عن الدين وميل صريح إلى الكفر وخسران مبين في الدنيا والآخرة)[2]. فلا نبي بعد محمد ﷺ إذ هو خاتمهم، به أكمل بنيان الدين لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾[3].

٤- بعد أن ثبت تعاون البابين والبهائيين مع الجهات الأجنبية العدوة والتواطؤ معها على تقويض الحكم الإسلامي وتهديم عقائد المسلمين وتشويه تاريخهم وإشاعة الإلحاد والإباحية والدعوة الصريحة لمناصرة اليهودية العالمية والعمل في السر والعلن لإقامة دولة يهود وعلى أرض المقدسات فلسطين، فقد انبرت الحكومات الإسلامية آنذاك وعلماء الأمة وكتابها ومؤرخوها لمحاربة هذه الحركة الهدامة، فقد قامت الدولة العثمانية بحبس ممثل الباب ونفيه إلى كربلاء العراق وبعد أن تمادى في بث سموم الحركة قبض عليه ونفي وحبس في قلعة (نكرلي طاغ) حتى مات[4].وتقع هذه القلعة في الأناضول.

(١) سورة ص، الآية/٦٥.
(٢) عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، ص٦٥.
(٣) سورة المائدة، الآية/٣.
(٤) الدهلوي، التحفة الأثنى عشرية، ص ٢٣.

٥- تحركت حكومة فارس آنذاك لمجاهدة هذا الباطل بعد تآمرهم عليها وحصلت مواجهة مع أقطاب الحركة بضمنهم الفاجرة (قرة العين) ودارت معارك قاسية سقط في نهايتها قادة البابية في الميدان أو قتلوا بأحكام إعدام أصدرتها الحكومة، وكان الميرزا علي (النقطة) قد أعدم في تموز (عام ١٨٥٠م) [١].وسقط الباب وخفت صورت البابية ولجأت إلى العمل السري وفتحت البابية بذلك الباب على مصراعية لليهود، فالحركات السرية يهواها اليهود ويتخذوها وسيلة لدس أفكارهم وتنفيذ أغراضهم[٢].

٦- في ١٥ آب ١٨٥٠م حاول عدد من أتباع الباب بضمنهم حسين البهاء وقرة العين بمؤامرة لاغتيال الشاه ناصر الدين ثأراً لإعدام الباب وفشلت المحاولة، فكان من نتائج ذلك أن شنت الدولة حملة عنيفة، أعدمت خلالها (قرت العين) [٣].، واعتقل حسين البها ء وأبعد إلى بغداد وأقام بها أثنتى عشرة سنة يبث أفكاره وأباطيله يدعو الناس إليها وضج منه علماء العراق، فأخرج مخذولاً.

٧- قامت الدولة العثمانية باقتيادة إلى إسلامبول عام ١٨٦٤م وقاومه علماؤها ونفي إلى أدرنه وبقي فيها خمس سنوات ثم أرسلته حكومة الدولة العثمانية إلى سجن عكا في فلسطين عام ١٨٦٨م مع ثمانية وستين من أتباعه وأربعة من أصحاب (صبح الأزل) حيث غدر بهم حال وصولهم عكا، وبعد أن أفرج عنه بضغط من الحكومتين الإنكليزية والروسية بدأ يدعي المهدي المنتظر ثم (اعتبر نفسه هو الله بدعم من اتباعه ودفع من اليهودية العالمية) ومات في عكا في ١٨/ آذار/١٨٩٢[٤].وتولى أبنه عباس بوصية منه إدارة البهائية من بعده وبدأ بنشر الفساد وجعل حيفا منطلقه.

---

(١) النوري، عبد الله، البهائية سراب، ص٢٧.

(٢) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان — اليهودية — ص ٣٥١-٣٥٢.

(٣) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٦٦٧.

(٤) العمري، موفق، الماسونية، والبهائية، ص٧٩.

٨- قامت الدولة العثمانية باعتقال عباس (عبد البهاء) وأسرته في عكا لمدة سبعة سنوات إلا أنه تنفس الصعداء، بعد الانقلاب ضد السلطان المسلم عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩م فانتقل إلى حيفا ثم إلى الإسكندرية ومنها إلى لندن وباريس ثم عاد إلى مصر سنة ١٩١٢ ثم ذهب إلى أمريكا – نيويورك – في نسيان ١٩١٢ واحتضنه اليهود هناك وخطب في معابدهم ومدارسهم واعتنق قسم من اليهود البهائية لمساندته. ثم رجع إلى بريطانيا ثم إلى ألمانيا وفرنسا وبلغاريا وأخيراً أعادته اليهودية العالمية إلى القاهرة ومنها إلى حيفا ١٩١٣ وعندما قامت الحرب العالمية الأولى أوى إلى القنصلية البريطانية لمؤازرة الإنكليز والحلفاء والاحتماء من المسلمين مخافة قتله. وجاءت النتائج على ما يريد فقد سقطت الدولة التي كانت تقف في طريق فساده وأباطيله وزال هم اليهود وانفتح الطريق لهم إلى فلسطين بعد أن أغلقه السلطان عبد الحميد رحمه الله، وفعلاً سقطت فلسطين أسيرة بيد الإنكليز أعداء الله وأنصار اليهود، ولما دخل الإنكليز حيفا في ٢٣ أيلول عام ١٩١٨، طالبهم عبد البهاء باحتلال البلاد العربية واستعداده للقيام بإبداء المساعدات اللازمة في سبيل خدمة بريطانيا ولهذا نال أعلى وسام بريطانيا عام ١٩٢٠[1]. لامتهانه بمهنة حقيرة هي الجاسوسية للإنكليز في سبيل تمكينهم في الشرق وتمكين اليهود في فلسطين وعندما أهلكه الله عام ١٩٢١م تولى أمر البهائية أبنه (شوقي أفندي) الذي ولد عام ١٨٩٧م وتربى على سموم البهائية وتتلمذ على أيدي المستشرقين والمنصرين في الجامعة الأمريكية في بيروت وكان وفاة هذه المفسد سنة ١٩٥٧م في لندن[2].

---

(١) عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، ص ١٧٧، إشارة إلى كتاب الحقائق الدينية ص ٤٨ نقلاً عن كتاب عبد البهاء والبهائية وهو من كتبهم.

(٢) العمري، موفق، الماسونية، والبهائية ص٨٢.

٩- ثبت لدى مكتب المقاطعة العربية لإسرائيل أن البهائية تتعامل مع الصهيونية وتتآرز معها لذلك أصدر في شهر صفر عام (١٣٩٥هـ/آذار ١٩٧٥م) قرار باعبتار البهائية من الحركات الهدامة، ووضعها في القائمة السوداء ومقاطعتها وحظر أي نشاط لها في البلاد العربية[1].

١٠- حرم نشاط البهائية في العراق بموجب الفقرة (١٦) من المادة الرابعة من قانون السلامةالوطنية رقم (٤) لسنة ١٩٦٥م حسب كتاب وزارة الداخلية المرقم ٢٦٦٨ الصادر في ١٩٦٥/٤/١١م حيث تم بموجبه غلق جميع المحافل البهائية في العراق وضبط محتوياتها، علماً بأن العراق كان مركزاً إقليمياً مهماً بالنسبة للحركة البهائية وكان مجمع العراق هو أحد أهم ثلاث مراكز في البلاد العربية هي بغداد وطهران والقاهرة[2].

١١- أصدرت جبهة العلماء في الأزهر بياناً حول تواطيء البهائية مع اليهود جاء فيه (ولقد تزلف البهائيون إلى اليهود ومالؤوهم على العرب والمسلمين وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطناً قومياً لهم)[3].

١٢- وأصدر مجلس قيادة الثورة في العراق، قانون تحريم النشاط البهائي في العراق برقم (١٠٥) لسنة ١٩٧٠ الصادر في جريدة الرسمية (الوقائع العراقية بعددها المرقم ١٨٨٠ السنة الثانية عشرة في يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠/٥/١٨[4].

---

(١) الميداني، عبد الرحمن، أجنحة المكر الثلاثة ص ٢١٤.

(٢) العمري، موفق، الماسونية والبهائية، ص ٩٤(وفيها أن البهائيون كانوا يحجون إلى حسينية الشيخ بشار بالكرخ باعتبارها الدار الذي سكنها حسين المازنداني الملقب (بهاء الله) أثناء مكوثة في العراق ويحجون كذلك إلى الدار التي سكنها المفسد الأول علي محمد (الباب) في مدينة شيراز في إيران) ينظر المرجع أعلاه.

(٣) عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، ص ١٧٤.

(٤) العمري، موفق الماسونية والبهائية، ص ٩٥-١٠٥ (نشر القانون في ملحق الكتاب المذكور).

ثانياً : التصدي للقاديانية والأحمدية :

وهي نحله جديدة عملت بما تستطيع من خدمة مأجورة من قبل المستعمرين الإنكليز لهدم العقائد والشرائع الإسلامية. والتي يخدم هدمها مصالح المستعمرين في بلاد المسلمين وكان لتأسيس هذه الحركة تحت ستار ديني لتفريق المسلمين ، وأن التصدي للقاديانية المنسوبة إلى الميرزا غلام أحمد (ت ١٩٠٨م) الذي وقع عليه اختيار الإنكليز ليقود حركة هدمية في شبه الجزيرة الهندية يدعو إلى إلغاء الجهاد وهدم عقيدة وشريعة المسلمين والأدعاء بأنه المسيح الموعود والمهدي المنتظر وتدرج في أباطيله حتى ادعى النبوة ثم أدعى أنه الرب[١].

لقد فزع لمواجهة هذه الفتنة علماء المسلمين وقادة الفكر الإسلامي ومنهم [٢]:

أ- محمد إقبال بلسانه وقلمه وألف كتاب (الإسلام والأحمدية) ورد على إدعاء الميرزا بالنبوة.

ب- أبو الأعلى المودودي حيث تصدى لهم بكل الوسائل واستنفر المسلمين لمجاهدة هذه الحركة الهدامية التي تهدف إلى تركيز الإستعمار البريطاني على أرض المسلمين[٣]. وألف كتابه (ما هي القاديانية ومدى تأثيرها في المجتمع الإسلامي).

ج- أبو الحسن الندوي وهو من العلماء الذين تصدوا للقاديانية، وكتب للمسلمين موضحاً غدر هذه الفئة الضالة ومدى تواطئوها مع أعداء الأمة (الحكومة الإنكليزية) ويذكر عن إحدى المعارك معهم فيقول: (ولقد دفع المسلمون أبهض الثمن وأغلاه لهذا

(١) الميرزا غلام أحمد ، الأعجاز الأحمدي ملحق نزول المسيح ، ص ٧، وينظر شلبي ، أحمد موسوعة النظم والحضارة الإسلامية (المجتمع الإسلامي) ج٦/ ص٢٩٢.

(٢) إقبال محمد، الإسلام والأحمدية، ص ٩٦.

(٣) المودودي، أبو الأعلى، ما هي القاديانية، ص٥١.

الجهاد ... لقد استمرت المجزرة سبعة أيام، لا يحصى من قتل فيها) [1]. لقد كان هدفهم القضاء على روح الجهاد وإضعاف قوة المسلمين وتفريق وحدتهم[2].

د- وألف الكاتب عبد الرحمن الميداني كتابه (أجنحة المكر الثلاثة) وفيه تصدى لهذا الحركة كذلك.



(١) الندوي، أبو الحسن، المسلمون في الهند، دار الفتح، (دمشق ، ١٩٦١م) ص٩٠.

(٢) الندوي، القادياني والقاديانية، الدار السعودية، ط٦، ١٩٩٠م ص٧٠.

المبحث الثاني

سياسة الحرب وفن القتال في الإسلام

أولاً : سياسة الحرب ومبدأ الردع في الإسلام .

ثانياً : أساليب الحرب وفن القتال .

المبحث الثاني : سياسة الحرب وفن القتال في الإسلام

أولاً : سياسة الحرب ومبدأ الردع في الإسلام :

١ـ المفهوم اللغوي والاصطلاحي للحرب والقتال :

أ ـ الحرب لغة :

تؤنث: يقال وقعت بينهم حَرْبٌ... وأنا حرب لمن حاربني، أي عـدُوٌّ، وتحـاربوا واحتربوا وحاربوا بمعنى واحد.

ورجل محرب بكسر المـيم، أي صـاحب حـروب، وقـوم محْرَبَـة والحربـة واحـدة الحراب، وحرب الرجل بالكسر: اشتد غضبه ورجل وأسد حربٌ) [١].

وقال ابن منظور في كلمـة (حَـرْب) بفـتح الحـاء وسـكون الـراء (هـي القتـال بـين فئتين، بمعنى المقاتلة والمنازلة وجمعها حروب) [٢].

وفي القاموس : (... ودار الحـرب بـلاد المشـركين الـذين لا صـلح بيننـا وبيـنهم، ورجل حرب ومحرب ومحراب شديد الحرب شجاع) [٣].

ب ـ الحرب اصطلاحاً :

الحرب عند المتقدمين كما يعرفها ابن قتيبة: (هي الترامي بالسهام ثم المطاعنـة بالرماح، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم المعانقة والمصارعة إذا تزاحموا) [٤].

ومصطلح الحرب عنـد المحـدثين بأنهـا: (القتـال الناشـب بـين دولـتين أو أكثـر

(١) الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم ، ٢٤٦/١.

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٩٣/١.

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٥٣/١.

(٤) ابن قتيبة، أبي عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، (القاهرة١٣٤٣هـ /١٩٢٥م) ٢١/١.

للحصول على مقاصد بقوة السلاح) [1].

ولفظة الحرب كانت ولا تزال تطلق على القتال الذي يشب لهيبه وتستعر ناره بين الرجال والشعوب لمآرب شخصية وأغراض ذاتية، والغايات التي ترمي إليها أمثال هذه الحروب لا تعدو أن تكون مجرد أغراض شخصية أو اجتماعية، لا تكون فيها رائحة لفكرة أو انتصار لمبدأ، وبما أن القتال المشروع في الإسلام، ليس من قبيل هذه الحروب ولم يكن له بد من ترك هذه اللفظة (الحرب) لأن الإسلام لا يهمه أن يمتلك دعاته أرض وإنما تهمه سعادة البشر وفلاحهم[2].

ويعرفها محمود شيت خطاب رحمه الله: بأن الحرب بفتح الحاء والراء _ وهي الويل والهلاك) [3].

ولقد وردت كلمة – حرب – في القرآن الكريم أربع مرات بمعنى القتال واستعمال السلاح وجميع مشتقاتها أو ما اشتق منها تكون إحدى عشر آية من آيات الذكر الحكيم. والقرآن الكريم لم يتخذ منها مصطلحاً شائعاً ، لما تحمله هذه الكلمة من معنى الصراع والتناصر للاستيلاء على ما يملكه الغير[4].

جـ - مفهوم القتال لغة :

قال الجوهري، في كلمة (قتل) : القَتْل معروف: وقتَله قَتْلاً وقتَلَةُ قتْلَةَ سوء بالكسر والمقاتلة: القتال وقد قاتله قتلالاً، والمقاتلة، بكسر التاء: القوم الذين يصلحون للقتال) [5].

---

(1) محمد إسماعيل إبراهيم، نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية ، مكتبة الفلاح، (الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص٢١.

(2) المودودي، أبو الأعلى، الجهاد في سبيل الله، (بيروت، ب ت) ص٣-٢٥.

(3) خطاب، محمود شيت، المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٢م) ١٧٦/١.

(4) اللهيبي، محمود تركي فارس (دكتور)، التنظيمات العسكرية في عصر النبوة والخلافة الراشدة – رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) جامعة بعداد، ص ٢٢، غير منشورة.

(5) الجوهري، الصحاح، ٢٧٨/٢.

وفي جمهرة اللغة – القتل – يدل على إذلال وإماتة، يقال يقتله، قتلاً – أي أذهب حياته وقتله قتلة سوء – واقتتل وتقتلوا – أي تقاتلوا[1].

وعند ابن منظور : القتال (المقاتلة والمحاربة بين اثنين) [2].

د ـ مفهوم القتال اصطلاحاً :

وردت كلمة القتال ومشتقاتها في القرآن الكريم، أكثر من مائة مرة[3].بمعنى الجهاده.

وقد ورد منها بما يعني العمليات الحربية ضد الأعداء، وترد كلمة – القتل – أحياناً بمعنى الدعاء على الشخص كما في الآية ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[4]. يقول الطبري رحمه الله في تفسيره أي (لعنهم الله وطردهم من رحمته وصرفهم عن الحق) [5].

٢ـ سياسة الحرب تاريخياً :

قامت في المدينة المنورة عقب الهجرة أول مدرسة عسكرية في تاريخ المسلمين على أسس من القرآن الكريم والسنة المطهره وكان الرسول الأكرم محمدﷺ قائد هذه المدرسة ومعلمها فهو المثل الكامل والقدوة المثلى لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[6].

وهو القائد الذي اصطفاه الله ليبلغ أعظم رسالة، وكان عليه الصلاة والسلام هو الذي

---

(١) ابن دريد الأزدي ، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، جمهرة اللغة،دار صادر، ط١ (بيروت، ١٣٤٥هـ) ص ٦٢ وينظر الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ٣٥/٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٦٤/١٤.

(٣) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم ، ص ٥٣٤-٥٣٦.

(٤) سورة المنافقين، الآية(٤).

(٥) الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ١٠٨/١٤ .

(٦) سورة الأحزاب ، الآية٢١.

يرسم سياسية الحرب ويعلمهم فنون القيادة ومباديء القتال، وإذا كـان القـادة يتعلمـون فنون القيادة وفنون الحرب على يد غيرهم من القادة والخبراء القتـال ، وإذا كـان القـادة يتعلمون فنون القيادة وفنون الحرب على يد غيرهم من القادة والخبراء والمعلمـين ، فـإن الرسول القائد ﷺ: (لم يأخذ عن غيره) وإنما أخذ عن الله جل شأنه وقد تحدث عن نفسه فقال: (أدبني ربي فأحس تأديبي) فلا عجب أن يظهر عليـه الصـلاة والسـلام في الأمـور الحربيـة، ما لا يتسامى إليه القادة الذين تعلموا فنونها واتخذوها صناعة من عبقرية فذة في القيادة والتخطيط وإدارة المعارك الحربية[1].

٣ـ مفهوم سياسة الحرب في الإسلام :

إن سياسة الحرب: عمل يختص بالأسـاليب التنظيميـة والتطبيقيـة الهـدف منـه تحديد الوسائل والإمكانات المختلفة الضـرورية لشـن وإدارة الحـرب، وبالتـالي تحقيـق الغايات العسكرية السياسة للدولة، وهي مجال النشـاط العملـي للقيـادات العسـكرية في أعلى مستوى، وهو ما يعبر عنها حالياً (بالاستراتيجية العسكرية) — النابعة من تعبير (سـتراتيجوس) الأغريقـي الـذي يعـني (القائـد) أو (قائـد القـوات) — والإسـتراتيجية العسكرية الإسلامية هذه تبدأ حيث تنتهي العقيدة العسكرية الإسلامية[2].

فالاستراتيجية: هي فن توزيع واستخدام الوسـائل العسـكرية مثـل القـوات المسـلحة لتحقيق أهداف سياسية ما، وهي في المدرسة العسكرية الإسلامية وعلى يـد قائـدها ومعلمهـا الرسول الأكرم محمدﷺ تعلم أجدادنا المسلمون الأوائل من قادة وجنود وأفراد جيش الإسـلام الأول، وطبقوا تعاليمها ومبادئها ونظرياتها عملياً في ميادين القتال في سبيل الله.

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص١٦.

(٢) الخلفات، جمال يوسف وبهاء الدين محمد أسعد، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص٩٠.

فكانوا مضرب الأمثال في الكفاءة القتالية، وفي الشجاعة والعبقرية الحربية، وجاءت النتائج بما يبرهن على أن سياسة الحرب ومبادئ العقيدة العسكرية الإسلامية أثبتت عملياً في المعارك صحتها وكمالها[1].

وقد لا يبدو محقاً من قال: (أن المؤرخين الذين كتبوا لنا في الماضي تاريخ الحروب الإسلامية كتبوه كأحداث ولم يكتبوه كدراسة ولم ينظر إليه كفن عسكري قائم بذاته... ولو كانوا قد فعلوا لأضافوا على التاريخ الإسلامي دراسات عسكرية تحمل أفكاراً لا يزال يطبقها العسكريون في عالمنا الحديث) [2]. نقول : أنهم ادوا دورهم وجزاهم الله عن الأمة كل خير أنهم لم يدعوا شاردة ولا واردة إلا وقدموها لمن يأتي بعدهم من الباحثين ، ثم إن دور الباحث هو أن يقتبس مما قدموه وينتهل مما أفاضوا فيه في هذا المجال وغيره وعليه هو أن يقدم الدراسات التي توافق عصره وينفع فيها أمته ، وإلا أين تقف مسؤولية الباحث من الاستنباط والاستنتاجات من الجزيئات وقراءة ما بين السطور ، لقد قدم مؤرخونا الكثير ولقد أفضوا إلى ما قدموا فهم المعين وأفضل تبويب وهذا ما نجتهد أن نفعله بكل تواضع ووفاء لمن هم قدوتنا.

٤ـ نماذج من تطبيقات سياسة الحرب في عصر النبوة :

ولعل من المهم أن نذكر ما حققته العسكرية الإسلامية من إنجازات على ضوء ما اعتمد من مبادئ وأسس في سياسة الحرب وفن إدارتها، وأن ما حققته من نتائج أصبحت من الحقائق التاريخية التي لا تنازع ومن خلال البحث والاستقراء نجد أن أساس نجاح سياسة الحرب في الجيوش الإسلامية إنما هو نابع من أصالة العقيدة العسكرية

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ١٧.

(٢) الخلفات، العسكرية الإسلامية، ص ٩٧.

الإسلامية وجوهرها الذي هو الجهاد في سبيل الله والتضحية بالغالي والنفيس من أجل تحقيق ذلك. تقول الروايات التاريخية في قصة الصحابي خبيب بن عدي رضي الله عنه وقد غدر به المشركون وأخذوه ليقتلوه وأحاطوا به يظهرون الشماتة، يحسبون أنه سينهار وتهتز أعصابه أو تضطرب نفسه ولكنه نظر إليهم وهو يسخر منهم وأنشد يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي جنب كان في الله مصرعي

ثم قاموا فقتلوه[1].وصعدت روحه إلى بارئها ملبية ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[2].

هذا هو شأن المؤمن المجاهد في سبيل الله يخوض المعركة والموت يبرق ويرعد وهو يصدح بنشيد الحرب الذي صدح به عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في (مؤته): (يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ، الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة) [3]. هذا شان القائد المؤمن يقول لجنده اتبعوني ولا يقول لهم إلى الأمام، هكذا طبقت مبادئ الجهاد وسياسة الحرب في عصر النبوة، لقد كانت معركة مؤتة – جنوب الكرك بيسير – ملحمة ودرساً كبيراً صار منهجاً في مدرسة الإسلام العسكرية ، فقد استشهد فيها قوادها الثلاثة الأوائل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضوان الله عليهم . وكان درساً كبيراً ودوراً أخطر منه الذي لعبه سيف الله خالد بن الوليد رضي االله عنه الذي صار منهجاً في سياسة الحرب وفن القيادة، والقتال، وأظهرت هذه المعركة غير المتكافئة القوى – حيث كان جيش المسلمين ثلاثة الآف مجاهد مقابل مائتي ألف مقاتل من الروم وغيرهم – عبقرية خالد العسكرية

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ١٠٤/٢ وينظر ابن حجر العسقلاني ، في الإصابة ، ١٠٣/٢.

(٢) سورة طه من الآية/٨٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ، ٤٣٠/٣، وينظر العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ٤٦٨/٢.

وتمكن من تطبيق أسلوب رائع في الإنسحاب المنظم الذي لم يفقده إلا اليسير من جنده حيث سمت المصادر ثلاثة عشر شهيداً فقط [1]. وبذلك ألقى على عدوه درساً في الحرب النفسية بإيهام الروم بأن المدد مستمر، وفي الوقت نفسه كانت صولات خالد على صفوف الروم قوية ومؤثرة لإلقاء الرعب في قلوبهم بتسع أسياف نالت منهم وانكسرت – من شدة الضرب – في يد خالد بن الوليد رضي الله عنه [2]. وإنه التأييد الرباني وبشارة النبيﷺ عندما أخبر الصحابة باستشهاد القادة الثلاثة وعيناه تذدفان الدموع قبل أن يأتيه الرسول بالخبر ، وأخبرهم باستلام خالد للرئاسة وبشرهم بالفتح على يديه [3]. والمراد بالفتح في هذا الحديث الصحيح الإنسحاب المنظم الناجح وما أوقعه المسلمون بالروم من خسائر رغم تفوقهم العددي الكبير، إنها من معجزات الرسول الأكرم محمدﷺ أن أخبر أصحابه في المدينة بما كان يدور في أرض المعركة وهي في الشام، لقد كانت معركة مؤتة مدرسة عسكرية تتلمذ فيها الرعيل الأول من المجاهدين وتلقوا فيها دروساً ومنهاج ونظريات صارت فيما يعد مبادئ أساسية في سياسة الحرب في الجيوش الإسلامية. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ، أن رسول اللهﷺ عندما قتل الحارث بن عمير الأزدي الذي أرسله إلى ملك بصري بكتابه وكانت الرسل لا تقتل فغضب رسول اللهﷺ وأرسل جيشاً إلى مؤتة [4]. قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وعين زيد بن حارثة أميراً عليه، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب فعبد الله بن رواحه [5].مما يدل على جواز تعليق الإمارة بشرط تولية عدة أمراء بالترتيب [6]. وهذه المرة الأولى التي يتخذ فيها مثل هذا الاحتياط .

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ، ٤٣٠/٣-٤٤٧ وينظر ابن حزم ، جوامع السير، ص ٢٢٠-٢٢٢.

(٢) البخاري، الصحيح، (فتح الباري ٥١٥/٧).

(٣) البخاري، الصحيح، مصدر نفسه ٥١٢/٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات ، ١٧/٢/١ وينظر ابن حجر في الإصابة ، ٥٨٩/١.

(٥) البخاري،الصحيح (فتح الباري، ٥١٠/٧) وينظر ابن هشام في السيرة ، ٤٢٧/٣.

(٦) فتح الباري ، ٥١٣/٧.

٥ـ العوامل المؤثرة على سياسة الحرب :

ترتكز سياسة الحرب على قواعد العقيدة العسكرية للدولة، إذ أن مبادئ العقيدة تعد هي المادة الأولية اللازمة لوضع النظم والوثائق والمراجع والتعليمات المتعلقة بتنظيم وتطوير وتدريب والاستخدام القتالي للأسلحة المقاتلة والقوات المسلحة ككل، وتتأثر العقيدة كثيراً بالعوامل السياسة والاقتصادية، وأن سياسة الحرب تأخذ الموارد الاقتصادية والموارد البشرية للدولة باعتبار وتوظف أيضاً القوى المعنوية في الأمة باعتبارها المصدر الحقيقي للصمود وإرادة القتال، وبعبارة أخرى فان القوة المقاتلة – ليست الإرادة – واحدة من أدوات سياسة الحرب والفن العسكري للدولة، يجب أن تضع في حسابها قوى الضغط الاقتصادي والتجاري والمادي والأدبي لإضعاف عزيمة الخصم على القتال واحراز النصر عليه في الحرب[1].

٦ـ محتوى نظرية سياسة الحرب في الإسلام :

في ضوء العقيدة العسكرية في الإسلام فان نظرية سياسة الحرب تبحث في الأساليب والوسائل المتعلقة بالقضايا التالية:

أ– طبيعة الحرب وفن إدارة القتال وقواعد شن الحرب.

ب– الأهداف والمهام الرئيسة التي على الجيش الإسلامي تنفيذها لكي تحدث تغيرات حادة في الموقف العسكري والسياسي عموماً أو في الموقف الحامي في جبهة القتال.

ج– كيف يبنى الجيش وكيف يتم تطويره بحيث يكون مؤهلاً لتحقيق الأهداف والمهام الكبرى.

د– التوزيع المناسب للجيش جغرافياً وهو ما يسمى حالياً (بالتوزيع

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ٢٩–٣١.

الإستراتيجي) وهو أمر حيوي لكي يستطيع الجيش مواجهة الضربات المفاجئة للعدو أو مواجهة الفترة الأولية للحرب ويرتبط بذلك أيضاً الأسلوب الملائم لاستخدام الجيش.

هـ- مبادئ التخطيط ورسم سياسة الحرب والأعمال القتالية واساليب وفن إدارة المعركة.

و- نظام إعداد الدولة للحرب الذي يمنحها القدرة على ردع العدوان في أية لحظة وتحقيق النصر في أقل وقت ممكن والصبر والصمود للحرب طويلة الأمد، والتقليل من الخسائر الناتجة من ضربات العدو، والمحافظة على مستوى عالم من الروح المعنوية، والتصميم على كسب الحرب وتحقيق النصر، وهذا الأمر يقودنا إلى ضرورة البحث في سياسة الردع في الإسلام بشكل مفصل لمنع الأعداء من إتخاذ القرار باستخدام أسلحتهم، أو منعهم من العمل أو الرد إزاء عمل معين وذلك باتخاذ إجراءات وتدابير كفيلة تشكل تهديداً للدولة المعادية كافياً لتحقيق الردع [1]. لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [2]. وقوله ﷺ (نصرت بالرعب مسيرة شهر) [3].

٧- سياسة الردع أول نظرية للحرب في الإسلام :

يقول الجوهري في مفهوم الردع اللغوي : ردعته عن الشيء، أردعه ردعاً فارتدع أي كففته فكف [4].

وإن الهدف من الردع هو : (منع العدو من إتخاذ قرار باستخدام القوة وهذا

(١) الخلفات ، العسكرية الإسلامية، ص٩٠ وينظر بوفر، اندرية، الردع والاستراتيجية ص ٢١.
(٢) سورة الأنفال، آية /٦٠.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) الجوهري، الصحاح، ٤٧٦/١.

الهدف يختلف عن هدف أسلوب الحرب الفعلية، فإن أسلوب الحرب يستهدف إكراه الخصم على إتخاذ قرار بقبول الشروط التي يراد إملاؤها عليه). ولكي يتحقق يجب أن تشكل التدابير والإجراءات التي تتخذ (تهديداً كافياً) يجعل العدو يمتنع فعلاً عن إتخاذ باستخدام القوة[١].

لقد كان قرار الردع الذي اتخذه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك خير مثال على ذلك.ففي رجب من صيف عام ٩هـ بعد العودة من حصار الطائف بستة أشهر [٢]. ورغم أن بعض المؤرخين حاولوا أن يجدوا سبباً مباشراً لها فذكر ابن سعد أن هرقل جمع جموع من الروم وقبائل العرب الموالية لها وأن المسلمين علموا بخبرهم فخرجوا إلى تبوك[٣].وذكر اليعقوبي أن الثأر لجعفر بن أبي طالب هو سبب الغزوة[٤].

ولكن الصحيح أنها استجابة طبيعة لفريضة الجهاد الذي هو جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية وعملاً بسياسة الردع الذي اعتمدها الرسول ﷺ في بعض المعارك والغزوات وعلى سبيل المثال غزواته لحصون اليهود في معركة خبير وبقية معاقل اليهود في الحجاز، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٥].

ولقد نبه على ذلك ابن كثير رحمه الله بقوله: (فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه) [٦].

---

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتجية العسكرية الإسلامية ص١٠١.

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٨٤/٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ١٦٥/٢.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ٦٧/٢.

(٥) سورة التوبة، الآية/١٢٣.

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية، ٥/٢ وينظر الطبري ، تفسير ، ٧١/١١.

وبذلك دخل المسلمون مرحلة جديد بعد قضائهم على الوثنية في شبه جزيرة العربية وإجلائهم أهل الكتاب من يهود إلى قتال أهل الكتاب من النصارى[1]. هذا التحول الذي يتسق مع طبيعة سياسة الحرب والجهاد وأهدافه في الحياة والتي تعد غزوة تبوك أحد شواهده، وتبوك هذه موقع شمال الحجاز ويبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨كم حسب الطريق المعبد في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاعة الخاضعة لسلطان الروم آنذاك وقد سماها الرسولﷺ بتبوك [2].

وسميت بغزوة العسرة أيضاً لما كان أصاب المسلمين من الضيق الاقتصادي وقتها [3].

٨ـ الخصائص المميزة لسياسة الردع الإسلامية :

إن سياسة الردع الإسلامية هي نابعة من العقيدة العسكرية في الإسلام وتتفق بداهة مع جوهر الإسلام لذا تتميز سياسة الردع الإسلامية بخصائص نبيلة عديدة نذكر منها ما يأتي:

أ- إنها سياسة ردع لمنع العدو من إتخاذ قرار الحرب وليست سياسة حرب بقدر ما هي سياسة تهديد بالطاقة الكامنة أي الردع لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[4].

لقد أمر الله تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة فقال تعالى ﴿ أَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم ﴾ أي مهما أمكنكم ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[5].

---

(١) الطبري، تفسير، ٧٢/١١. ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ التوبة، الآية ٢٩.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، ٦٠/٧-٦١.

(٣) البخاري الصحيح، كتاب التوحيد، ١٢٩/٩ وينظر، مسلم الصحيح ٨٢/٥ وينظر ابن حجر العسقلاني فتح الباري، ٨٤/٨، وينظر القرطبي ، تفسير ٢٧٩/٨.

(٤) سورة الأنفال الآية/٦٠.

(٥) القرطبي، تفسير ج٨ ص٣١-٣٢ وابن كثير، تفسير، ج ص١١٤-١١٥.

وقولـــــه تعـــــالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1].

إنه لتعبير عجيب ، يرسم صورة للأخذ المفزع والهول المرعب المعبر عن قوة الردع الذي يكفي السماع به للهرب والشرود، فما بال من يحل به العذاب الرعيب؟. أنها الضربة المروعة يأمر الله تعالى رسولهﷺ أن يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا على نقض العهد، وانطلقوا من ضوابط الإنسان ، ليؤمن المعسكر الإسلامي أولاً وليدمر هيبة الخارجين عليه أخيراً، وليمنع كائناً من كان أن يجرؤ على التفكير في الوقوف في وجه المد الإسلامي من قريب أو من بعيد.... وما ينبغي أن يتبع في ردع وإرهاب من وراءهم[2].

ب- إنها سياسة ردع وقائي : تنسجم مع أهداف الحرب في الإسلام ومقاصدها غير العدوانية.

وينطبق عليها وصف الردع الدفاعي الذي يعرف بأنه ذلك النوع من الردع[3]. الذي يقتصر على منع العدو من أن يجر على نفسه عملاً عدوانياً كالتصدي للدعوة الإسلامية أو العدوان على ديار المسلمين [4].

ج- التفوق لا يغري بإستخدام القوة : تتميز سياسة الردع الإسلامية على غيرها بالإعتدال والتوازن وعدم العدوان، فإذا تملكت الأمة الإسلامية للقوة المتفوقة على أعدائها حتى إذا أصبح ميزان القوة في صالحها فان ذلك لا يغريها باستخدام تلك القوة

(١) سورة الأنفال الآية/٧٥.

(٢)سيد، قطب، تفسير في ظلال القرآن مج٤، ج١٠ ص٤٠.

(٣) بوفر، أندريه، الردع والاستراتيجية، ص٢٢٠.

(٤) محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص١٠٦.

ضد أعدائها ما داموا يمتنعون عن العدوان، فالأمة الإسلامية لا تتعدى حدود الردع ما دام يحقق الهدف منه وهو إخافة العدو ومنعه من استخدام القوة ويرجع ذلك إلى ما يأتي:

١- ليس العدوان غاية من غايات سياسات الحرب في الإسلام ولم يشرع الجهاد إلا إعلاء لكلمة الله ودفاعاً عن الأمة ضد أعدائها.

٢- إن القصد من إعداد القوة في العقيدة العسكرية الإسلامية هو ردع وإرهاب العدو ليمتنع عن استخدام القوة والتجرأ على الأمة والعدوان عليها.

د- سياسة الردع الإسلامية لا تؤدي إلى سباق التسلح [1].لأن تمسك الأمة الإسلامية بعقيدتها العسكرية النابعة من دينها الحنيف الذي يحرم الإعتداء ولا يقاتل إلا لرد الإعتداء يبعث في الأمم المسالمة التي تريد أن تعيش بسلام، الطمأنينة والثقة في حسن نوايا الأمة الإسلامية، فتتجه بطاقاتها نحو ما فيه الخير لها والخير للبشرية جمعاء لا إلى التسابق في التسلح الذي يرهق إقتصادها ويزيد من حدة التوتر ويغري بإشعال الحروب [2].

هـ - إنها سياسة تملك القدرة الهجومية فالعقيدة العسكرية الإسلامية ذات طبيعة سلمية دفاعية ولكنها لا تقبل بالخضوع والاستسلام فإن اقتران استراتيجية الردع الإسلامية بالقوة والمرابطة، ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ يفهم بكل وضوح أنه لا بد أن تتوفر في تلك القوة القدرة الهجومية التي تقنع العدو - حين يضع حساباته وتقديراته — بأنه سوف يكون هو الخاسر لو تحرك بعدوان، وهو ما يستوحي من لفظ (الخيل) التي

(١) الخلفات ، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام ، ص٩١.

(٢) محفوظ، المرجع السابق، ص١٠٧.

تنطوي على مفهوم الهجوم مع ما يدل عليه من معاني القوة والسرعة والتمكين لقولهﷺ (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) [1].

ولفظ (القوة) ينطوي على القوة الدفاعية والهجومية معاً.

و- استغلال عنصري الحركة والمفاجأة : تعتمد سياسة الردع الإسلامي بالإضافة إلى إظهار القوة على الاستغلال الأمثل لعنصرين من أهم عناصر سياسة الحرب وهما (الحركة والمفاجأة) وهذان العنصران يعبر عنهما (رباط الخيل) في الآية الكريمة (وأعدوا...) فالرباط هو الحراسة والاستعداد للقتال الفوري عند الخطر، والخيل تعبير يشير إلى السرعة وخفة الحركة والمباغتة، وذلك ما يفهم أيضاً من قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ [2]. لقد أقسم الله تعالى بخيل المجاهدين المسرعات في الكر على العدو يسمع لأنفاسها صوت جهير هو الصبح، قال ابن عباس رضي الله عنه، الخيل إذا عدت قالت: أُحْ، أُحْ فذلك صبحها وقال أبو السعود: أقسم الله سبحانه بخيل المجاهدين التي تعدو نحو العدو وتضبح ضبحاً وهو صوت أنفاسها عند عدوها[3]. ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ أي فالخيل التي تخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها على الحجارة من شدة الجري. قال الألوسي: هذا المعتاد في الغارات، كانوا يعدون في الليل لئلا يشعر بهم العدو، ويهجمون صباحاً ليروا ما يأتون وما يذرون[4].

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة العاديات، الآيات/١-٥.

(٣) ابو السعود، تفسير، ٢٨٠/٥.

(٤) الآلوسي، تفسير روح المعاني، ٢١٥/٣٠.

لقد أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة، تعظيماً للمقسم به وهو خيل المجاهدين في سبيل الله، التي تسرع على أعداء الله، وتقدح النار بحوافرها، وتغير على الأعداء وقت الصباح ، فتثير الغبار،وتتوسط العدو فتصيبه بالرعب والفزع (1).

ز – التوفيق بين الوسيلة والغاية :

من المبادئ الأساسية المعروفة (التوفيق السليم بين الغاية والوسيلة قد يؤدي إلى إقتصاد تام في القوة) (2).

وهذا بعينه ما تحققه سياسة الردع في إطار العقيدة العسكرية الإسلامية فهي في الحقيقة أرقى وأسمى منهج للتوفيق بين الغاية وهي إعلاء كلمة الله والدفاع عن الأمة الإسلامية وبين الوسيلة لتحقيق تلك الغاية بتطبيق سياسة الردع قبل سياسة الحرب التي لا يلجأ إليها الإسلام إلا لرد العدوان . ويؤيد هذا التوفيق السليم بين الغاية والوسيلة على أساس سياسة الردع إلى منع نشوب القتال، وبالتالي إلى الاقتصاد التام في القوة مادياً ومعنوياً، ولو لم يكن لسياسة الردع من آثار في الاقتصاد وفي القوة سوى حقن الدماء لكفاها. لقوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾ (3).

ولقد أخطأ فيلسوف الحرب (كلاوزفتر) وتعرضت نظريته عن معنى الاستراتيجية للنقد الشديد من جانب رجالات الإستراتيجية الذين أبرزوا الأخطار التي تنطوي عليها والتي ظهرت آثارها المفجعة في الحرب التي قادها من أخذوا بتلك النظرية

(1) القرطبي، تفسير، ٢٠/١٦٠.

(2) محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص١١٠.

(3) سورة الأحزاب، الآيتان /٢٥-٢٦.

من أمثال نابليون. إن كلاوزفتر قد قصر معنى الإستراتيجية العسكرية على مجرد (استخدام الموقعة الحربية) أي أنه قد جعل الموقعة الحربية هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الهدف من الحرب وكان مما قاله في هذا المجال ما يأتي[1]: (أن لدينا وسيلة واحدة فقط في الحرب وهي (المعركة) من الضروري أن تكون فكرة (القتال) أساساً لتفكيرنا، إن (الحل الدموي) للأزمة لتدمير قوات العدو هو المولود الأول للحرب ، يجب أن نصم آذاننا عن القادة الذي ينتصرون (دون إراقة دماء).

وهكذا ساهم كلاوزفتر في الإنهيار الذي جاء بعد ذلك للقيادة إذ وقع تلامذته – وهم أقل تعمقاً منه – في خطأ الخلط بين الوسيلة والغاية من الحرب .. فقد أدى ذلك مثلاً في الحرب العالمية الأولى إلى عمليات دموية مثلت المذابح، ومن أخطر ما قاله كلاوزفتر (قد يتصور المحبون للخير بسهولة أنه توجد طريقة بارعة لنزع السلاح الذي في يد العدو دون قتال والتغلب عليه دون إراقة كثير من الدماء).

ح – تحقيق الأمن والعزة للأمة الإسلامية :

فسياسة الردع معنية بتحقيق الأمن والعزة للأمة، فالإسلام إذ يوجب عليها أن تعد ما تستطيع من قوة يستهدف أن تصبح الأمة الإسلامية شديدة الشوكة قوية البأس مرهبة الجانب من قبل الإعداء ، قادرة على الدفاع عن نفسها وحماية حدودها ومواجهة كل من يعتدي عليها أو يقف في سبيل دعوتها، لتكون أمة عزيزة لها كيانها وكرامتها وسيادتها ولها وزنها وقيمتها في هذه الحياة وليطمئن كل واحد فيها على نفسه ويأمن على ماله وعرضه[2].

(١) هارت، ليدل، الاستراتيجية – الاقتراب غير المباشر- ، ص ٧٣-٩٦.

(٢) محفوظ، المدخل إلى العقيدة، ص١١٢.

ط- ردع القوى المضادة المستترة : ومما يميز سياسة الردع الإسلامية أنها لا تهدف إلى ردع العدو الخارجي الظاهر فقط، بل تهدف أيضاً إلى ردع أعداء الأمة من القوى المضادة وقد تعرضنا لذلك في مجاهدة المنافقين والحركات الهدمية الذين يعتمدون الكتمان في العمل ويظهرون الإسلام، ويضمرون له ولأهله الشر والعدوان . لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ ﴾[2]. فقد قال المفسرون المتقدمون: هم المنافقون والذين يلبسون ثوباً ظاهره الرحمة وباطنه العذاب. ويمكن توسيع المفهوم ليشمل كل القوى المضادة التي تحقد على الأمة وتنفث سمومها في الخفاء وتروج الإشاعات وتثير الفتن.

ثانياً : أساليب الحرب وفن القتال :

إن العقيد العسكرية الإسلامية وخطة السوق وسياسة الحرب في الإسلام قد سبقت غيرها إلى تحقيق مبادئ الحرب، وكانت المثل الأعلى في توخي الحق والخير والقوة ، ومكارم الأخلاق تتوج مقدرة المجاهد في الحرب وبراعته في فن القتال.

١ـ التعاون بين المجاهدين :

أن من عوامل تحقيق النصر في المعركة هو تعاون المجاهدين في سبيل الله وتظافر جهودهم في مواجهة العدو وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان/١٤-١٥.

(٢) سورة الأنفال ، من الآية/٦٠.

(٣) سورة الصف، الآية/٤.

والرسول ﷺ يقول: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[1]. والمتأمل في كلمة (صفاً) وتشبيه المقاتلين بالبنيان المرصوص المتماسك الذي يقوي بعضه بعضاً يفهم أن المبادئ والأصول التي تحقق التعاون يجب العمل: بها وهي:

أ- وحدة الهدف.

ب- وحدة الصف.

ج- قوة العقيدة(وهي كالأساس للبناء).

د- التنسيق والتماسك بين المجاهد وبين إخوانه كل منهم يؤدي دوره.

هـ- النظام.

و- إنكار الذات في سبيل الهدف فليس لأحد أن يدعي لنفسه الفضل وحده، فكما أن البناء لا يقوم إلا على أساس التكامل بين عناصره ومواده المختلفة، فإنه يجب أن يسود إنكار الذات وما يسمى (بروح الفريق أو الجماعة).

٢ـ التضحية والإقدام :

إن المجاهد في سبيل الله يضع نصب عينيه أحد أمرين، إما شرف النصر أو شرف الاستشهاد لقوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

يقول ابن كثير رحمه الله: (أي كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل أو غلب فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر عظيم كما ثبت في الصحيحين، وتكفل الله للمجاهدين في سيبل الله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة)[3].

---

(١) البخاري، الصحيح، ٧٢/٥، ٢٧٦/١٠، ومسلم، الصحيح، ٢٥٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية /٧٤.

(٣) ابن كثير، تفسير، ج١، ص ٤١٢- ٤١٣ وينظر الخازن، تفسير ج١ ص٥٥٨-٥٥٩.

والإجابة على ذلك: بأن المجاهد المؤمن لا يغلب أبداً أي (لا يقهر) وذلك لأن من ينتظر إحدى الحسنيين، ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج لأنه فائز في كل من النصر أو الشهادة غير مغلوب، كما يلاحظ المتأمل في هذه الآية أنه قدم فيها (القتل) على (الغلب) (فيقتل أو يغلب) وفي هذا تحريض للمجاهدين على الإقدام واسترخاص النفوس في سبيل الله بل فيه إغراء بالاستشهاد وإشعار بأن شرفه أعظم وأكرم من شرف النصر [1].

وفي تاريخنا الإسلامي نماذج كثيرة ضربت أروع الأمثلة في الفداء والاستشهاد وفي هذا يروي لنا ابن إسحاق فيقول: وقد حدثني بعض بني جبار بن سلمى بن مالك قال – وكان جبار فيمن حضر (بئر معونة) مع عامر ثم أسلم – (قال) فكان يقول: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت والله: فقلت في نفسي: ما فاز؟ ألست قد قتلت الرجل؟! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة، فقلت ، فاز لعمرو الله [2].

وأنس ابن مالك عندما شعر بسن الرمح يخترق ظهره قال: (فزت ورب الكعبة) وكان الشهيد يردد وهو يحتضر قوله تعالى: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [3]. وكان جاره في الصف يقول هنيئاً لك الشهادة.

٣ـ الكمائن :

يقول الجوهري : في كلمة (كمن) اختفى والكمين في الحروب [4].

---

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة ، ص ٢٠٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ص١٨٣–١٨٧.

(٣) سورة طه، من الآية/٨٤.

(٤) الجوهري، الصحاح، ٤١٢/٢.

وعند ابن منظور: يعني في المفهوم اللغوي أن كلمة (كمن ، كموناً) اختفى، وكمن استخفى في مكمن لا يفطن له أحد ثم ينهضون على العدو على غفلة منهم)[1].

أما في المعنى الاصطلاحي: فهي عبارة عن (مجموعة) من الجند تكمن للعدو فيمر بها دون أن يعلم بذلك ثم يفاجئ قواته ملحقة به أفدح الخسائر)[2].

ويعد الكمين من (أعظم مكائد الحروب وأقواها تأثيراً)[3].

وهناك نوعان من الكمائن: (كمائن الفرسان وكمائن المشاة فإذا كان جنود الكمين من الفرسان وجب أن تكون خيولهم قوية الظهر)[4].

وفي هذا يقول الأنصاري بشأن خيل الكمائن: (أن تكون سليمة من العلل، وأن لا يكون فيها ما يستدل منها على مكانهم كالصهيل وغيره كأن تكون إما إناثاً كلها أو ذكوراً كلها)[5].

أما إذا كان جنود الكمين من المشاة فيجب (أن ينتقون من المقاتلين المتمتعين بالجرأة والشجاعة والمتصفين بصفات صحية وذهنية وشخصية تساعد على نجاح المهمة وتحتم على قائدهم أن يكون شجاعاً مقداماً عارفاً بالأماكن الصالحة للاختفاء)[6].

أما عن تنظيمهم فيكون على : (شكل كراديس منفصلة من غير أن يبعد بعضهم عن بعض فتكون حملتهم على العدو مفاجئة وسريعة من غير دهس ولا اختلاط ولا رهبة

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢٤٠/١٧.

(٢) الهرثمي، سياسة الحروب، ص٤٩، وينظر الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي ص ١٩٩.

(٣) ابن أبي الربيع، أحمد بن محمد (ت٥٢٧هـ) سلوك المالك في تدبير الممالك، ط١، (بيروت، ١٩٧٨م) ص٨٤.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١١٣/١.

(٥) الأنصاري، عمر بن إبراهيم الإوسي (أوائل القرن التاسع هـ) تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق سكاتلون (القاهرة، ١٩٦١م) ص٧١.

(٦) الأنصاري، م.ن ص٧١ وينظر، الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي ، ص٢٠٠.

فيؤدي ذلك إلى تمزيق وتشتيت جيش العدو ويسهل عملية الرجعة إلى الوضع الذي أبعدوا عنه...) [1].

ومن مهام الكمناء(الإغارة) أيضاً على (مؤخرة جيش العدو وإشغاله والاستيلاء على اسلحته وأمتعته، وقطع إمداداته وإرباك خطوط مسيرته وتموينه وتحقيق هبوط معنويات جنده [2].

ولقد اتصفت الإغارة التي استخدمها رسول اللهﷺ بالسرية كما في الإغارة على جموع المشركين من بني سليم في غزوة بحران عندما (تهيأ رسول اللهﷺ لذلك ولم يظهر وجهاً، فخرج في ثلثمائة رجل من أصحابه فأغذوا السير حتى إذا كانوا بحران بليلة، لقى رجلاً من بني سليم فاستخبره عن القوم وعن جمعهم ..) [3].

وكذلك اتصفت بالصمت كما في بدر عندما أوعز (بقطع الأجراس من أعناق الإبل) [4].

وفي العهد الراشدي استخدمت الإغارة كثيراً في (حروب فارس) وأجاد استخدامها القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه في (معركة الولجه) سنة ١٢هـ/٦٣٣م : (عندما بلغه نزول قوات فارس في منطقة الولجة فسار للقائهم ووضع كمينين على جانبي طريق تقدم القوات الفارسية لمهاجمة مؤخرتها، وأمر قائدي الكمينين بعدم الاشتراك في القتال إلا بعد اشتداد المعركة، وفي ذروة القتال خرج الكمينان خلف صفوف العدو فأصبحوا بينها وبين قوات خالد الرئيسة ،فحلت بهم الهزيمة) [5].

(١) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب ص٥٠(بتصرف) وينظر اللهيبي، التنظيمات العسكرية، ص١٥٣.

(٢) السلومي، عبد العزيز عبد الله، ديوان الجند نشأته تطوره، مكتبة الطالب، (مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ) ص ٣٤٦.

(٣) الواقدي، المغازي، ١٩٦/١ وينظر ابن سعد، الطبقات ، ٢٤/٢.

(٤) ابن حنبل – المسند، ١٥٠/٦ وينظر بن كثير، البداية والنهاية، ٢٦١/٣.

(٥) الطبري، تاريخ، ٣٥٣/٣ وينظر بن الأثير، الكامل، ٢٦١/٢.

٤ـ المطاردة :

وتعني (ملاحقة العدو ومتابعته بعد إجراء هجوم ناجح عليه، الهدف منه عدم إفساح المجال لإعادة تنظيم قواته ولا القدرة على العودة إلى ميدان القتال مستغلين فرصة انهزامه وارتباط قواته) [(١)].

وقد استخدم الرسولﷺ هذا النوع من الأساليب ، ففي غزوة السويق: (عندما خرجوا في إثر أبي سفيان بن حرب، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون فيلقون جرب السويق – وهي عامة زادهم – فجعل المسلمون يمرون بها فيأخذونها فسميت تلك الغزوة غزوة السويق لهذا الشأن..) [(٢)].

واستمر العمل بهذا الأسلوب القتالي في العهد الراشدي، فعندما بعث الصديق رضي الله عنه خالد لقتال المرتدين ، فقام خالد رضي الله عنه (بتتبع قوات طليحة الاسدي بعد هزيمته ليقضى عليهم وأجال خيله فيما حوله....) [(٣)].

وفي عهد الفاروق عمر رضي الله عنه: (أمر خالد في واقعة فحل بتتبع قوات الروم فتبعوهم وألقوهم في الوحل) [(٤)]. واستخدم هذا الأسلوب مع الفرس أيضاً عندما كان لخالد رضي الله عنه حريصاً على مطاردة المنهزمين من قوات الفرس(حيث ركب المسلمون أكتافهم إلى الليل واستحوذوا على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير...) [(٥)].

---

(١) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٣٦، وينظر موري بك ، قائمقام أركان حرب ، غاية الآمال في فن الحرب والقتال، ترجمة محمد زهدي، مطبعة عموم آركان حرب الجهادية. ٢٩٣هـ ٥٠/٢ وينظر فرج، محمد ، العبقرية العسكرية في غزوات الرسولﷺ الدار القومية، (مصر ب ت) ص ١٩١.

(٢) الواقدي، المغازي، ١٨١/١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٣٢/٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦/٧.

(٥) ابن كثير، م.ن، ٢٦/٧.

٥ـ **المباغتة** (**المفاجأة**) :

وتعني مباغتة العدو بالتدابير العامة، أي إحداث موقف وفعل لم يكن يتوقعه وبإسلوب يجهله ، وبهذه الطريقة ينشر الإرتباك في صفوفه فيجعله متوتراً شاكاً في قدرته على صد الهجوم فيرضخ دون مقاومة [١].

والمفاجأة من التدابير القتالية قد تكون (بالمكان والزمان أو أسلوب القتال أو باستخدام أسلحة جديدة لا يعرفها العدو أو لا يتوقع وجودها مع خصمه) [٢].

ويعد الكتمان والمحافظة على سرية التحركات والعمليات من وسائل تحقيق المفاجأة .

(فينبغي... أن تكتم الأخبار عن العدو، وأن يخفى التحرك والجهة بكل وسيلة) [٣].

فكان النبي ﷺ (إذا أراد غزوة ورىَّ بغيرها) [٤]. فقد كتب ﷺ في رجب (٢هـ) كتاباً مكتوباً لعبد الله بن جحش رضي الله عنه وأمره بالمسير إلى جهة حددها له وطلب منه أن يفتح الرسالة بعد مسيرة يومين) [٥].

وبهذه الحيطة والسرية لم يستطيع أحد من أهل المدينة أن يعرف واجب سرية عبد الله بن جحش وهدفها [٦].

وفي (غزوة بني سليم عندما تحرك بجيشه إلى قبائل غطفان وسليم التي كان تتحشد وتتجمع عند ماء قرقرة الكدر ففاجأهم وانتصر عليهم) [٧].

---

(١) خطاب، الرسول القائد، ص ١٦٨، وينظر فرج، المدرسة العسكرية، ص٤١٠ واللهيبي ، التنظيمات ، ١٦٢.

(٢) عرموش، محمد راتب، قيادة الرسولﷺ السياسة العسكرية ، دار النفائس ، (بيروت، ب ت) ص١١٨.

(٣) الواقدي، المغازي/ ٤٠٣/١، وينظر بن أبي الربيع، سلوك المالك، ص ٨٤.

(٤) البخاري، الصحيح، ٤٥٨/٤.

(٥) الواقدي، المغازي، ١٣/١، وينظر ابن سعد، الطبقات ، ١٠/٢ ، واليعقوبي ، تاريخ ، ٥٨/٢.

(٦) خطاب، الرسول القائد، ص٥٩.

(٧) الواقدي، المغازي، ١٨٢/١، ابن سعد، الطبقات ، ٢١/٢.

وفي غزوة الأحزاب (٥هـ/٦٢٦م) فاجأ الرسول ﷺ الأحزاب بحفر الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها) [١]. واستخدم عليه الصلاة والسلام (المجانيق والدبابات في حصار الطائف) [٢]. وهي أسلحة لم تكن منتشرة في شبه الجزيرة العربية آنذاك.

٦ـ كلمة السر والشعار :

وهي كلمة متجددة يتعارف بها الجنود بعضهم على بعض عند القتال ويتميزون بها، وتختلف هذه الكلمات من معركة إلى معركة (وتختار ذات دلالة تثير التفاؤل) [٣]. لتوقظ في النفوس عوامل العزة وكوامن القوة ودوافع العمل وتحيي فيها الشجاعة والأقدام، ويبعث الحزم والعزم [٤].

وجاء في شرح السير الكبير [٥] : (وينبغي أن يتخذ كل قوم شعاراً إذا خرجوا في مغازيهم حتى إن ضل رجل عن صاحبه نادى بشعارهم، وكذلك ينبغي أن يكون لأهل كل راية شعار معروف ، حتى إن ضل رجل عن أهل رايته نادى بشعاره فيتمكن من الرجوع إليهم... ففي غزوة المريسيع كان الشعار (يا منصور أمت).

وعن كلمة السر يقول ابن العربي [٦]: (الاشتهار بالعلاقة في الحرب سنة ماضية، وهي هيئة باقية ما قصد بها الهيبة على العدو والإغلاظ على الكفار والتحريض

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٤/٢.

(٢) ابن هشام، م.ن ٤٧٨/٢ والبلاذري، فتوح ص ٦٧.

(٣) العتبابي الجزائرلي، محمد بن محمود، اختصار المسعي، (خ) ورقة (٥) وينظر، وتر، الإدارة العسكرية ص١٧٢ الخوالي، أمين ، الجندية والسلم ط١، دار المعرفة (القاهرة ، ١٩٦٠م) ص١٥٠.

(٤) نار، القتال في الإسلام، ٢١٨.

(٥) الشيباني، شرح السير الكبير، ٧٣/٢-٧٤.

(٦) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن ، تحقيق علي البخاري ، ط٢، الحلبي (القاهرة) ص٢٩٧.

للمؤمنين) ففي معركة بدر كان الشعار (أحد.... أحد) [1].

وفي أُحد اختار النبيﷺ شعار هو (أمت أمت) [2]. وأن شعار (أمت) يزيد المسلمين قوة فإن (المشرك حين يسمع المسلم يقول لأخيه وقد أقبلا عليه – أمت – أمت– أي أقتل أقتل– تطير نفسه من الخوف) [3].

٧ـ التعرض :

وهو أسلوب وفن قتالي مهم: (يأخذ دائماً صفة الهجوم ، والضغط على العدو وإضعافه وتدمير قواته، وإفقاده الرغبة في مواصلة القتال، وهو وسيلة ناجحة وحاسمة لأنها الحرب..) [4].

ومن خلال استعراض معارك وغزوات الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين نجد أنها معارك تعرضية – هجومية عدا معركتي أحد والخندق ففي الأولى(خرج الرسولﷺ من المدينة بجيشه لملاقاتهم) [5]. وفي الثانية (الأحزاب) (حصن المدينة ودافع عنها حتى انصرف المحاصرون عنهم) [6]. وما كان هدف السرايا التي كان يرسلها رسول اللهﷺ إلا تعرضاً، كما في (سريه سعد بن ابي وقاص) [7]. و(سرية نخلة) [8]. (وسرية أبي سلمة عبد الأسد إلى بني أسد) [1].

---

(١) الشيباني، م.ن ٧٤/١، وينظر الواقدي، المغازي، ٧١/١.

(٢) الواقدي ، م.ن، ٢٣٤/١، وينظر البلاذري، الأنساب ، ٣١٧/١.

(٣) أبو فارس ، محمد، غزوة أحد، ط١، (الأردن، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) ص٦٢.

(٤) الواقدي، المغازي: ٦٨/١ وينظر ابن سعد، الطبقات : ١١٣/٢.

(٥) الواقدي، م.ن: ١٩٩/١.

(٦) الواقدي، م.ن: ٤٤٠/٢.

(٧) الواقدي، م.ن: ١١/١ وينظر الطبري، تاريخ ٥٦٤/٢.

(٨) الواقدي، م.ن: ١٣/١ وينظر ابن الأثير: الكامل ، ٢٠٧/٢.

(١) الواقدي: م.ن: ٣٤٠/١.

وفي بدر الآخرة قال رسول اللهﷺ: (والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد) [1].

وكانت المعارك التي خاضها الجيش الإسلامي في العهد الراشدي تعرضية (ومعارك خالد رضي الله عنه كلها تعرضية.. فكان بحق قائداً تعرضياً مشبعاً بروح التعرض) [2]. وكان تعرضه في معركة اليرموك (أثر حاسم في انتصار المسلمين على الروم بعد أن كان المسلمين في ضيق) [3].

ثالثاً : النظام التعبوي في القتال :

١ـ التعبئة في المفهوم اللغوي والإصطلاحي :

قال عبأت المتاع عباً ،إذا هيأته وعبأته تعبئة وتعبيئاً قال كل من كلام العرب وعبأت الخيل تعبئة وتعبيئاً وكان يونس لا يهمز تعبئة الجيش [4].

ويقول ابن منظور: عبأت الجيش وعبأتهم تعبئة ، أي رتبتهم في مواضعهم وهيأتهم للحرب فهو مصطلح حربي يعني لغوياً: فن ترتيب الجند في مواضعهم وتهيئتهم للحرب [5].

تعبير (عبأ) مساو لتعبير (نظم) [6].

وفي المفهوم الاصطلاحي يمكن تعريف التعبئة العسكرية بأنها: (تحديد ترتيب قتالي جيد، العمل على إيجاد تنظيم للتعاون وبشكل منسق بين عناصر الترتيب،

---

(١) الواقدي، م.ن: ٣٨٧/١.

(٢) الواقدي، م.ن: ٨٨٠/٣.

(٣) الواقدي، م.ن:١٥٣/٣ وينظر بن الأثير، الكامل، ٢٩٥/٢.

(٤) الجوهري، الصحاح، ٧٢/٢.

(٥) ابن منظور، لسان العرب ، ١١٨/١.

(٦) عون، عبد الرؤوف ، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م) ص٢٠٦.

بالإضافة إلى التأمين المادي للقوات) [1].

٢ـ أنظمة التعبئة في القتال :

ولقد عرف العرب المسلمون (النظم التعبوية الصحيحة ووضعوا الأسس الصحيحة للتشكيلات القتالية) [2]. واستخدموا الكثير منها وطوروها [3]. وهذه التراتيب القتالية تتخذ (بغية توجيه الضربة الرئيسة إلى العدو وحرية المناورة ، وصد ضربات العدو وتلقليل الخسائر) [4]. لقد اعتمد الجيش الإسلامي في تلك الفترة عدة أنواع منها:-

أ ـ نظام الصفوف :

كان العرب قبل الإسلام يستخدمون نظام (الكر والفر) [5]. في القتال لكن رسول الله ﷺ ابتكر (نظام الصفوف) [6]. طبقاً: للآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [7].

فالقتال بأسلوب الكر والفر هو: (أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو فإن صمد لهم العدو وأحسوا بالضعف نكصوا، ثم أعادوا تنظيمهم وكروا، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر) [1].

---

(١) العدوي، إبراهيم ، النظم الإسلامية مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الإسلام والعصر الأموي، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م) ص٢٣٨.

(٢) الخلفات واسعد، العسكرية الإسلامية، ص٥٦.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص١٧٥، خطاب، الرسول القائد، ص٨١، السلومي ديوان الجند ص٣٦٠.

(٤) الدوري، عبد الرزاق، مجموعة التأليف ، ص٣٧٦.

(٥) ابن سيده، المخصص، ٨١/٦ وابن خلدون، المقدمة، ص ١٧٥.

(٦) الطبري، تاريخ، ٢٨٠/٢ وينظر ابن حجر، الإصابة، ٩٦/٢.

(٧) سورة الصف، الآية:٢.

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٧٥، وينظر خطاب، الرسول القائد، ص ٨١، وهندي، إحسان ، الحياة العسكرية عند العرب مطبعة الجمهورية (دمشق ، ١٩٦٤هـ) ص ٢٤٦.

أما القتال بنظام الصفوف فيكون (بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة أو أكثر على حسب عددهم، وتكون الصفوف الأمامية من المسلمين بالرماح لصد هجمات الفرسان وتكون الصفوف المتعابقة الأخرى من المسلمين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء) [1].

يتبين من ذلك أن أسلوب الصفوف يمتاز على أسلوب الكر والفر بأنه يعمل على إرهاب العدو بدرجة أشد، ويؤكد على الثبات والإقدام والإستماتة في ساحة القتال، وذلك على النقيض من أسلوب الكر والفر الذي لا يعطي الجيش مهابة ويسهل على ضعاف النفوس التخاذل والفرار.

يقول الطرشوشي [2].عن نظام الصفوف (الزحف) بأنه:

(ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة، ويمشون بصفوفهم إلى العدو قدماً، فلذلك تكون أثبت عند المصارع وأصدق في القتال، وأرهب للعدو لأنه كالحائط الممتد والقصير المشيد، لا يطمع في إزالته).

وتعد معركة بدر الكبرى أول معركة طبق المسلمون فيها هذا النظام (فكان الرسول ﷺ حينما إلتقى بقريش أخذ يصف أصحابه صفاً حتى يستعدوا لمجابهة أعدائهم، حتى أن قريشاً لم تتوقعه..) [3].

وعن أبي سعيد الساعدي رضي الله عنه [4].قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صف الفريق وصفوا لنا، إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل) [1].

---

(١) خطاب، الرسول القائد، ص٨١.

(٢) الطرشوشي، محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت ٥٢٠هـ) سراج الملوك ط١، المكتبة العربية (مصر، ١٩٣٥م) ص١٥٥. وينظر ابن خلدون، المقدمة، ص١٧٥.

(٣) ابن هشام، السيرة : ٦٢٦/١، وبنظرفرج، المدرسة العسكرية الإسلامية، ص٢٨٠.

(٤) الساعدي، أسمه مالك بن ربيعة الأنصاري من كبار الصحابة، شهد بدراً والمشاهد كلها وذهب بصره في آخر عمره ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام ٢٥٧/٢.

(١) البخاري، الصحيح، ٢٧٧/٣.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه [(١)].(صففنا يوم بدر ، فبدرت منا بادرة أمام الصف فنظر الرسول اللهﷺ فقال: معي، معي) [(٢)].

وكان المجاهدون يرتبون صفوفاً كما تسوى صفوف الصلاة، فقد روى الواقدي رحمه الله: (أن رسول اللهﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح (سهم) يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية،حليف عدي بن النجار، وهو مستنتل (متقدم) من الصف، فطعن رسول اللهﷺ بالقدح، وقال له: استوي يا بابن غزية) [(٣)].

وفي معركة أحد (سوى رسول اللهﷺ صفوف المسلمين وأقامها إقامة القدح فلم يزل منكب عن منكب) [(٤)].

وفي العهد الراشدي قاتل المسلمون بنظام الصفوف ايضاً، ففي عهد عمر رضي الله عنه كانت أغلب المعارك (التي خاضوها على جبهات معاركهم مع الفرس بهذه الطريقة) [(٥)].

ففي معركة القادسية نظم الجيش في ثلاث صفوف: (في الأول وقف الفرسان والثاني وقف الرجالة أصحاب الرماح والسيوف والثالث وقف الرماه) [(٦)].

وفي معارك الشام يقول الأزدي رحمه الله: (أن أبا عبيدة استعرض الصف من أوله إلى آخره، يقف على كل راية وكل قبيلة) [(١)].

---

(١) الأنصاري، أسمه أيوب خالد بن زيد، شهد القبة وبدراً وسائر المشاهد نزل رسولﷺ في بيته، كان شجاعاً تقياً محباً للغزو والجهاد فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية، ابن سعد، الطبقات ٤٩/٣ وابن حجر، الإصابة ٤٠٥/١، ابن عماد، حلية الأولياء ٣٦١/١.

(٢) ابن تيمية،المنتقى من أخبار المصطفى، ٧٦٩/٢.

(٣) الواقدي، المغازي ،٥٦/١.

(٤) ابن سعد الطبقات ، ٢٣٩/٢، البلاذري، فتوح ص ٣١٥.

(٥) الطبري، تاريخ، ٣٩٤/٣.

(٦) الطبري، م.ن، ١٣٠/٤.

(١) الأزدي، محمد بن عبد الله (ت١٦٨هـ) فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عام، (القاهرة، ١٩٧٠م) ص ١٣١.

أنواع الصفوف :

كانت تشكيلات القتال المتبعة بنظام الصفوف على النحو التالي:

١- الصف المستوي: وهو الذي يكون فيه الجناحان والقلب في خط مستقيم وهو أوفق الصفوف وأكثرها استعمالاً [(١)]. وقد استعمل هذا الصف في (معركة بدر) [(٢)]. واستعماله خالد بن الوليد رضي الله عنه في قتال طليحة [(٣)].

٢- الصف الهلالي: وهو الخارج من الجانبين الداخل الصدر، وهو أوثق للقلب ولكنه للجناحين أضعف، ويضعون في كل جناح قوة من الفرسان إسناداً للجناح وتقوية له [(٤)]. واستعمله خالد بن الوليد في معركة اليرموك [(٥)].

٣- الصف المعطوف: وهو الصف الداخل الجناحين الخارج الصدر، وهو مكروه ولا يكون إلا عن ضرورة وهو ضعف على القلب وقوة للجناحين، وكانوا إذا استعملوا هذا النوع صيروا أهل البأس والنجدة ميمنة وميسرة ليكون أشد للقلب، أو يقووا القلب بكردوسين من الخيل المقوية يكونان مما يلي طرفيه أمامه قليلاً [(٦)].

وقد استعمل هذا الصف في معركة صفين(وأن القلب جعل عند الطرفين صفوف) [(١)].

---

(١) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص ٣٤، وينظر ابن منكلي، محمد بن محمود (ت٧٨٤هـ) التدابير السلطانية في سياسة الصناعة الحربية، تحقيق صادق الجميلي ، مجلة المورد، مجلداً ١٢، عدد٤ (بغداد ١٩٨٣م) ص١٨٧.

(٢) الواقدي، المغازي : ٥٦/١، ابن سعد، الطبقات ، ٥١٧/٣.

(٣) الكلاعي، أبي الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء تحقيق مصطفى عبد الواحد (بيروت ١٩٦٨م) ص٧٣.

(٤) الهرثمي، م.ن، ص ٣٤-٣٥، وينظر ابن منكلي م.ن ص١٩٩.

(٥) ابن أعثم، الفتوح، ٢٥٤/١.

(٦) ابن منكلي، الأدلة الرسمية، ص ١٩٩، وينظر عون، الفن الحربي ، ص ٢٤٣.

(١) المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢ هـ) موقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة المدينة (القاهرة، ١٩٦٢م)، ص ٢٢٩.

ب ـ نظام الكراديس :

الكردوس لغة: (كردس) والكردوس، القطعة من الخيل العظيمة والكراديس، الفرق منهم، يقال: كردس القائد خيله أي جعلها كتيبة كتيبة) [1].

واصطلاحاً تعني: (فرقة من الجيش أو كتيبة يتراوح عددها بين ستمائة رجل... وألف رجل [2].

ولكل (كردوس) قائد يفصل الكردوس عن الآخر مجالاً مناسباً تحدده طبيعة المعركة) [3].

وأن السبب الذي جعل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أن يعبئ بهذه الطريقة ما رآه من كثرة عدد عدوه، حيث طالبهم بالتماسك في مواجهة عدو أكثر عدداً وعدة. فقال لهم: (إن عدوكم كثير، وليس تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس) [4].

وكذلك رآى خالد بن الوليد رضي الله عنه أن أسلوب (التساند والانتشار) لا ينهى أمر القتال مع تلك الأعداد الضخمة من المقاتلين الروم [5].

لذا قال: (ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبئة وأنتم تساند وانتشار فان ذلك لا يحل ولا ينبغي) [1].

ثم عبأ جيشه على نظام الكراديس. (حيث جعل كل كردوس يتألف من ألف مقاتل)[2].

---

(١) الجوهري، الصحاح، ٣٨٣/٢.

(٢) الطبري، تاريخ، ٣/٤.

(٣) ابن دقمان، إبراهيم محمد بن أيدمر (ت٨٠٩هـ) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كما الدين ط١، عالم الكتب ، (بيروت، ١٩٨٥م) : ٧٩/٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ٣/٤.

(٥) اللهيبي، التنظيمات العسكرية، ص ١٤٧.

(١) الطبري،تاريخ، ٣٣/٤ وينظر ابن الأثير، الكامل، ٢٨٢/٢.

(٢) الطبري، م.ن٣٩٦/٣.

يقول الذهبي رحمه الله: (فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى الإربعين، فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل حسنة [1]. وجعل الميسرة كراديس، وعليها يزيد بن ابي سفيان، وكان على كردوس (من كراديس العراق) القعقاع بن عمرو، وجعل على كل كردوس رجلاً من الشجعان ، وعلى الطلائع قباث ابن اشيم [2]. وجعلها تتقدم الكراديس) [3]. وكانت النتيجة أن انتصر المسلمون على الروم إنتصاراً كبيراً بفضل الله سبحانه ثم بالعبقرية وحسن الأداء وفن القتال والتعبئة كل ذلك مع استعلاء الإيمان والثقة بنصر الله للمؤمنين (تجلت فيما يتعلق بالتنظيم والسيطرة أثناء القتال) [4].

جـ ـ نظام الخميس :

عرف المسلمون هذا النظام الذي (يتم بموجبه تقسيم الجيش إلى خمسة أقسام) [5]. هي:

١- المقدمة: وهي التي (تكون أمام الجيش وتكون في طليعة القلب ويكون منهم الفرسان والرجالة ويكون معهم الراية والشعار وتبدأ بهم المبارزة) [1]. كما في (معركة

---

(١) شرحبيل بن حسنة، اسم أبيه عبد الله بن المطاع، حليف بن زهرة، هاجر هو وأمه إلى الحبشة وهو أحد الأمراء الذين أمرهم الصديق رضي الله عنه ينظر الذهبي، تاريخ ، ٧٢/٢.

(٢) قباث ابن اشيم الليثي، شهد بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم، أسلم بعد الخندق، ينظر ابن كثير البداية والنهاية، ٣٠٢/٣.

(٣) الطبري، تاريخ ، ٣٣/٤(٣٩٦/٤) وينظر ابن الأثير م.ن: ٢٨٢/٢.

(٤) هندي، الحياة العسكرية ، ص٢٥٣، وينظر السلومي ،ديوان الجند، ص٣٦٩.

(٥) الطرسوسي، مرضي بن علي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة من الحروب، تحقيق كلود كاهن (بيروت ، ١٩٤٨م) ص٢٣.

(١) هندي ، الحياة العسكرية، ص ٢٣٠، وينظر السلومي ديوان الجند، ص٣٦٧.

بدر)[1]. وفي (معركة أحد)[2]. وفي (معركة ذات السلاسل)[3]. و(القادسية)[4].

٢- القلب: وهو الذي يكون (وسط الجيش ويشرف على جميع أجزائه ويكون صاحب الجيش هو قائد هذا الجزء)[5].

ففي معركة البويب (١٣هـ/٦٣٤م) أمر المثنى بن حارثة الشيباني أمراء المجنبتين بقوله: (إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه، إلزموا مصافكم، واغنوا عناء من يليكم)[6].

٣- الميمنة: وتكون على (اليمين وواجبها حماية الجناح الأيمن للجيش ويكون أكثرهم من الفرسان)[7]. فقد أرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى رؤساء القبائل في القادسية (أن أحملوا على القوم من ناحية الميمنة)[8].

٤- الميسرة: وهي التي (تكون عن يسار القلب وعملهم أن يثبتوا في أماكنهم ويمنعوا الأعداء من الدخول عليهم ولا يحمل منها إلاعند الضرورة)[9].

٥- الساقة: من أبرز مهامها : (تأمين الخدمات والوسائط المادية والطبية وجمع الغنائم)[1].

(١) الواقدي، المغازي، ٦٨/١، وينظر الطبري ، تاريخ ٢٧٠/٢.

(٢) الواقدي، م.ن، ١٩٩/١.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤٥/٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ، ٣٠٢/٢.

(٥) هندي، الحياة العسكرية، ٢٣٠، وينظر عمر، فاروق والحنابي، خالد، التعبئة والأساليب القتالية، موسوعة الجيش والسلاح، (بغداد ، ١٩٨٨م) ٢١٠/٤.

(٦) الطبري ، تاريخ، ٧٤/٤.

(٧) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٤١، وينظر السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ٣٩/٢.

(٨) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٢٢.

(٩) الهرثمي، م.ن ص٣٧، وينظر السلومي ، ديوان الجند، ص ٣٧، واللهيبي، م.ن ص ١٤٩.

(١) الواقدي، المغازي: ٢٢٥/١، وينظر بن الأثير، الكامل: ١٨٥/٢.

وكذلك يقع على عاتقها (حماية الجيش من الخلف) (١).

وقد استعمل نظام الخميس من قبل الرسول ﷺ في حربه مع اليهود في غزوة خيبر، عن أنس بن مالك رحمه الله: قال: (صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي، فلما بصروا بالنبيﷺ قالوا: محمد والخميس، قال النبيﷺ الله أكبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) (٢).

واستمر العمل بهذا النظام في العهد الراشدي كذلك فنجد أنهم يستعملون نظام الكراديس أو الكتائب لكنهم(يوزعون كل كردوس على هيئة نظام الخميس) (٣). كما في معركة اليرموك (٤).



---

(١) الواقدي، م.ن: ٢٢٣/١، وينظر ابن هشام ، السيرة ٢٦٤/٢.

(٢) الواقدي، م.ن: ٦٤٢/٢.

(٣) الواقدي، م.ن:٣٩٦/٣.

(٤) الواقدي، م.ن:٣٩٦/٣.

المبحث الثالث

آثار الجهاد ومقاصده

أولاً : نشر رواق العدل والرحمة بين الناس .

ثانياً :تحقيق الأمن والسلام .

ثالثاً : بناء الحضارة الإسلامية .

المبحث الثالث : آثار الجهاد ومقاصده

أولاً : نشر رواق العدل والرحمة بين الناس :

إن من ثمرات إقامة الجهاد هو إعزاز المسلمين وإذلال الكافرين، وتأهيل الأمة الإسلامية لقيادة البشرية وتحقيق خيرية هذه الأمة لإسعاد الإنسانية بنور الإسلام وعدله ودعوته إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعمار الأرض ونشر رواق العدل بين الناس ، لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[1].

قال القرطبي رحمه الله : (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح، ولحقهم أسم الذم وكان ذلك سبباً لهلاكهم)[2].

فلولا الجهاد في سبيل الله ما رجع رسول الله ﷺ إلى بلده مكة التي أوذي فيها هو وأصحابه وهاجروا منها مكرهين لإقامة دينهم، لولا الجهاد ما رجع إليها ﷺ منصوراً مظفراً مهاباً في جيش لجب من أولياء الله المجاهدين من المهاجرين والأنصار، فدخل ﷺ مكة وأقام فيها دين الله وعدل الإسلام ، وطهرها من الشرك والظلم، فقد ارتكبت قريش خطأ فادحاً وظلماً جائراً بحق (خزاعة) حليفة المسلمين، فاستنجد عمرو بن سالم الخزاعي برسول الله ﷺ يستنصره ، فقال الرسول: (نصرت يا عمرو بن سالم)[3]. ولولا الجهاد في سبيل الله ما كان زوال دولة الظلم في فارس ولا دولة العدوان في الشام ومصر

(١) سورة آل عمران، الآية/١١٠.

(٢) القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، ١٧٣/٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٨/٤ وينظر، الهيثمي ، مجمع الزوائد ١٦٢/٦.

وقد كان أهل الكفر والقهر يقسمون على عدم زوال ملكهم، ولكن الله أزال ملكهم بالجهاد في سبيل الله ، يذكر ابن كثير رحمه الله إحدى الحملات على الفرس: (وحمل هاشم بن عتبة على الفرس وهزمهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾[1]. إلى أن قال في تحرير المدائن: (ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة[2]، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا (المدائن) فزال الظلم والكفر وانتصر الحق والعدل وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة المجوس هي السفلى، فلما دخل سعد رضي الله عنه القصر الأبيض تلا قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾[3].

إلى أن قال : ثم إرسل السرايا في أثر كسرى يزدجرد فلحق بهم طائفة فقتلوهم واستلبوا منهم أموالاً عظيمة.. فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك والأراضي وتسلمها المسلمون وكسروا شوكتهم عنها وأخذوا بأمر الله صافية ضافية[4].

لقد زال عهد فيه يعبد الطواغيت ويستعبد الإنسان، وجاء عهد فيه يعبد الله العلي القدير وفيه ينصف الإنسان.

الحرب العادلة :

كان للإسلام السبق في إيجاد نظام شامل للحرب يتسم بالرحمة والعدل وحسن

(١) سورة إبراهيم، الآية/٤٤.

(٢) من ماء النهر الذي خاضوه بها فذللها الله لهم وكانوا يسيرون فيه كمايسيرون على وجه اليابسة نصراً من الله تعالى لهم — الباحث- .

(٣) سورة الدخان، الآيات/٢٥-٢٨.

(٤) ابن كثير البداية والنهاية،في عدة صفات، ٦٦، ٦١، ٧-٦٧.

المعاملة وهذا ثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية وأعمال الخلفاء من تقنين شامل للحرب منذ حوالي أربعة عشر قرناً، في حين أن القواعد المنظمة للحرب في القانون الدولي بدأت منذ ثلاثة قرون وأخذت من الشريعة الإسلامية وظلت لدى أوربا والغرب قواعد عرفية بحتة حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حيث بدأت الدول تدوينها في معاهدات أولها تصريح باريس البحري ١٨٥٦م ، ثم إتفاقية جنيف لمعاملة جرحى ومرضى الحرب عام ١٨٦٤م ثم تصريح سانت بطرسبرج بتحريم رصاص دمدم المتفجر ثم إتفاقيات الحرب البرية والبحرية من إتفاقيات مؤتمر لاهاي في عام ١٨٩٩م ، وعام ١٩٠٧م وإتفاقية واشنجتون في عام ١٩٢٢م عن حرب الغواصات والغازات ثم إتفاقيات جنيف الأربعة عام ١٩٤٩م الخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب وحماية الأشخاص المدنيين . ويلاحظ أنها لا تطبق إلا في حالة قيام الحرب بين دولتين موقعتين على المعاهدة أو الإتفاقية وإلا فلا رحمه ولا قواعد للحرب بل القتل والنهب والسلب للمحاربين والمدنيين غير المحاربين [١].

وكان العمل سارياً إلى عهد قريب على رد مخالفة قواعد الحرب بالمعاملة بالمثل فلو قامت حرب بين دولتين موقعتين على إتفاقيات تقضي تنظيم حالة الحرب وأخلت إحداهما فللأخرى أن تعاملها بالمثل أو تهدد بالمعاملة بالمثل فيما حرمه الله تعالى عليهم من المثلة أو قتل النساء وغير ذلك.

وبذلك لا تزال قواعد الإسلام أسمى بكثير من قواعد القانون الدولي [٢]. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [٣].

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٧٦.
(٢) علي منصور، علي، الشريعة الإسلامية، والقانون الدولي.
(٣) سورة المائدة، الآية/٨.

وصايا أمراء الجيوش الإسلامية :

جاء الإسلام بتنظيم دقيق للحروب ووضع قيوداً شرعية على مبدأ الحرب في الإسلام تعد مبادئ أساسية ينبغي العمل بها في مخلتف الأحوال ولا سيما الأمراء على الجهاد أي قواد الجيوش ، وأهمها الوفاء بالعهود والمواثيق، وتجريم الغدر والخيانة في الظاهر والخفاء، والنهي عن الغلول والمثلة، والنهي عن قتل الصبيان والشيوخ والنساء، واحترام الإنسانية وتكريم البشرية والدعوة إلى الإخاء والرحمة في الحرب والعدالة المطلقة [1].عملاً بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [2].

ومما تضمنته وصايا الرسول ﷺ للأمراء المكلفين بقيادة الجيوش والسرايا.

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته، بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم (دار الحرب) إلى المهاجرين (دار الإسلام)، فان أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم من الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك

(١) العيساوي ، محمود خلف جراد (دكتور) فقه السرايا، دار عمار (عمان ، ب ت) ص ٣٨.

(٢) سورة المتحنة، الآية/٨.

فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم... الحديث) [1].

وجاء في السير الكبير وشرحه للإمامين الشيباني والسرخسي رحمهما الله تحت عنوان ، (باب وصايا الأمراء)، قولهما: قال الشيباني [2].

روي حديث ابن بريدة عن أبيه برواية أبي حنيفة رحمه الله أن النبيﷺ كان إذا بعث جيشاً أو سرية، قال لهم: (اغزوا باسم الله): (قال السرخسي: وقد بدا محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله (بهذا الحديث، قال في السير الصغير [3]. وكان رسول اللهﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى صاحبهم بتقوى الله في خاصة نفسه، وأوصى من معه من المسلمين خيراً ثم قال: (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله... الحديث).

وحين أصر الصديق ابو بكر رضي الله عنه على إنفاذ جيش أسامة، بعد أن قال له عمر بن الخطاب [4]. رضي الله عنه(إن الأنصار أمروني أن أبلغك ، وأنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلا أقدم سناً من إسامة ، فوثب أبو بكر – وكان جالساً – فاخذ بلحية عمر فقال له:

(ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول اللهﷺ ، وتأمرني أن أنزعه؟

فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟

قال: أمضوا ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت في سببكم خليفة رسول الله) ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى أتاهم، فاشخصهم، وشيعهم، وهو ماش، وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة رضي الله عنه – يا خليفة رسول

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ، ج٣/ ص ١٣٥٦ الحديث /١٧٣١.

(٢) الشيباني، السير الكبير، ٣٨/١.

(٣) الشيباني ، السير الصغير ، ص٩٣.

(٤) الطبري، تاريخ ، ٢٢٦/٣.

الله، والله لتركبن أو لأنزلن! فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب: وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمئة حسنة تكتب له وسبعمئة درجة ترتفع له وترفع عنه سبعمئة خطيئة!

حتى إذا انتهى قال: إن رأيت أن تعينني بعمر، فافعل، فأذن له ثم قال: (أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: - لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا[1]. ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بعيراً إلا لمأكله وسوف تمرون بأناس قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً اندفعوا باسم الله أفناكم الله بالطعن والطاعون) [2].

وقال أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين وجهه لقتال أهل الردة[3].

(سر على بركة الله، فإذا دخلت أرض العدو، فكن بعيداً من الحملة ، فأني لا آمن عليك الجولة: واستظهر بالزاد، وسر بالإدلاء ، ولا تقاتل بمجروح، فإن بعضه ليس منه وأحترس من البييات، فان في العرب غرة، وقل من الكلام، فإنما لك ما وعي عنك، واقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سرائرهم، واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه).

(١) عقر النخلة، قطع رأسها وبذلك تموت خلافاً لبقية الأشجار، ينظر الجوهري ، الصحاح، ١٣٨/٢.

(٢) إن الصديق رضي الله عنه قالها مردداً قول الرسول (فناء أمتي بالطعن والطاعون) وإنما أراد مديح أمته لأنها لا تموت حتف أنفها، ولا على فراشها ولا مهزومة، ولا متخاذلة وإنما تموت وهي تطعن وتطعن ينظر القاسمي، الجهاد ، ص٣٢٨.

(٣) عبد ربه، العقد الفريد، ١٢٩/١.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول عند عقد الألوية[1].(بسم الله وبالله وعلى عون الله أمضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرماً،ولا امرأة، ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند حمة[2]. النهضات وفي شن الغارات)

وذكر الطبري [3].وابن هشام[4]. رحمهما الله: (إن نفراً من الانصار – الخزرج – أستاذنوا رسول اللهﷺ في قتل ابن أبي الحقيق، وهو بخيبر، فإذن لهم ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك رضي الله عنه ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة)

وذكر ابن هشام[5]. (أن رسول اللهﷺ مر يوم أوطاس بامرأة، وقد قتلها خالد بن الوليد – والناس متقصفون[6]. عليها – فقال ما هذا؟ فقالوا امرأة قتلها خالد بن الوليد : (فقال عليه الصلاة والسلام لبعض من معه: أدرك خالداً فقل له: أن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً) [7].

وجاء في العقد الفريد[8]. (كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهما، ومن معه من الأجناد: (أما بعد، فأني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب... وآمرك

(١) عبد ربه، م.ن، ١٢٨/١.
(٢) حمة النهضات: شدتها، ينظر الجوهري، الصحاح ، ٣٠٤/١.
(٣) الطبري، تاريخ، ٤٩٦/٢ وابن هشام، السيرة ٢٧٤/٢.
(٤) الطبري ، تاريخ٢/ ٤٩٦وابن هشام ، السيرة، ٢٧٤/٢.
(٥) ابن هشام ، م.ن ٤٥٧/٢–٤٥٨.
(٦) متقصفون: مزدحمون ، ينظر الجوهري ، الصحاح ، ٣١٤/٢.
(٧) العسيف: الأجير.
(٨) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٣٠/١ وما بعدها.

ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي ،منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نُنّصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا... وأعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا، فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفاراً المجوس واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم، اسأل الله ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم ، والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم، حامي الأنفس والكراع[1].... وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم، ويُرمُّون[2]. أسلحتهم وأمتعتهم... ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا يرزأ أحداً من أهلها شيئاً، فإن لهم حرمة وذمة، ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً... ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح.. والله ولي أمرك، ومن معك، وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان) [3]. انتهى.

ومن وصايا سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقواده فقد جاء في نهج البلاغة[4].ومن كتاب له كرم الله وجهه إلى بعض أمراء جيشه: (فإن عادوا إلى ظل الطاعة

(١) الكراع: الخيل، ينظر الجوهري ، الصحاح، ٣٨٧/٢.

(٢) يرمون: يصلحون ينظر الجوهري، الصحاح، ٥١٢/١.

(٣) ابن عبد ربه، المصدر نفسه.

(٤) نهج البلاغة، ص ٣٦٦.

فذاك الذي نحب، وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك واستغن بمن معك عمن تقاعس عنك، فإن المتكاره مغيبه خير من مشهده وقعوده أغنى من نهوضه).

وجاء في النهج أيضاً[١]. من وصية له رضي الله عنه وصى بها جيشاً: (فإذا أنزلتم لعدو، أو نزل بكم، فليكن معسكركم في قُبلْ [٢]. الأشراف[٣]. أو سفاح[٤]. الجبال أو أثناء[٥]. الأنهار، كما يكون لكم رداء[٦]. ودونكم مرداً[٧].... وأعلموا أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائهم،وإياكم والتفرق ...)

وجاء في عهده للأشتر النخعي: (فول من جنودك أنصحهم في نفسك الله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف)

وفي وصية لعبد الملك بن مروان لأمير سيره إلى أرض الروم فقال: (أنت تاجر الله لعباده، فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحاً تَجَر، وإلا تحفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة،وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك) [٨].

(١) نهج البلاغة، ص ٣٦٦.

(٢) قبل: قدام ، ينظر الجوهري ، الصحاح، ٢٧٤/٢.

(٣) الأشراف: جمع شرف (محركة) العلو والعالي : ينظر الجوهري ، الصحاح، ٦٦٠/١.

(٤) سفاح الجبال: أسافلها، ينظر الجوهري ، الصحاح، ٩٥٠/١.

(٥) الأثناء : منعطفات الأنهار ، ينظر الجوهري ، الصحاح، ١٢٨/١.

(٦) الردء: العون ، ينظر الجوهري، الصحاح، ٤٧٤/١.

(٧) المرد: مكان الرد والدفع.

(٨) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ، ١٣٢/١.

وجاء في كتاب الصلح الذي كتبه خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الحيرة ما نصه: (... وجعلت لهم (أي :لأهل الحيرة الذين عقد لهم الذمة) أيما شيخ، ضعف عن العمل، أوأصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، طرحت عنه جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ، ما أقام بدار الهجرة ، ودار الإسلام فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم...) [1]. وذكر الطبري رحمه الله الأمان الذي أعطي لسكان (أرمينيا) بالنص (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى (سراقة بن عمرو) عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (شهر براز) وسكان (أرمينية) والأرمن من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وملتهم ألا يضاروا ولا ينقضوا...) [2].

كما أعطى الأمان لأهل أذربيجان بنص الكتاب التالي:(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى (عتبة بن فرقد)عامل (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه أمير المؤمنين ، أهل أذربيجان... كلهّم الأمان على أنفسهم، وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم، ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن[3]. ليس في يديه شيء من الدنيا، ولا متعبد متخل ليس في يديه من الدنيا شيء ... لهم ذلك ولمن سكن معهم.... ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه) [4].

إن الحرب في الإسلام ليست حرباً للإفناء، وإنما هي لرد الاعتداء وتأمين الدعوة، والحرب الإسلامية ليست لإزالة العمران وتعويق أسباب الحياة... وشتان بين حروب

(١) أبو يوسف، كتاب الخراج ، ص ١٥٥–١٥٦ وينظر كحاله ، عمر رضا، سيف الله، خالد بن الوليد ، ص ٩٣.
(٢) الطبري، تاريخ، ١٥٦/٤–١٥٧.
(٣) الزمن: المريض مرضاً مزمناً، وذو العاهة، والضعيف ، ينظر الجوهري ، الصحاح، ٥٤٤/٤.
(٤) الطبري، تاريخ ، ١٥٥/٤.

أهل الإيمان وحروب أهل الطغيان، فعلى سبيل المثال: يروي المؤرخ الروماني بلوتارك أن القائد الروماني ماريوس عندما سار لغزو بلاد اليونان قال لأصحابه: (لا تدعوا على ظهرها إنساناً، حياً إلا قتلتموه، ولا زرعاً إلا أحرقتموه ليعرف الناس أنكم الرومان)[1].

ويقول غوستاف لوبون: (وساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام... فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما تفسر السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً، سواء كانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة، والإسلام... وجد من أشد الأديان تأثيراً في النفوس [2]. ولم ينتشر القرآن بالسيف إذن بل انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالمغول... والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب.

ثانياً : تحقيق الامن والسلام :

ثانياً: الأصل في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هو السلم، ويدعو الإسلام لقيام العلاقات الودية بين الطرفين حتى إذا تغير الوضع بأن بدا لغير المسلمين العمل ضد الإسلام كان على المسلمين أن يتحركوا لوقف هذا، وعلى هذا فالإسلام يدعو إلى السلم حتى إذا كان الاعتداء من الأعداء يكون الرد عليهم من نفس صنيعهم ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[3].وما دام الإسلام دعوة للناس جميعاً مهما اختلفت وتباعدت أقطارهم، وهو نعمة الله إليهم فمن حق البشر جميعاً أن تصل

---

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة، ص ٩٠.

(٢) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص ١٢٥-١٢٨.

(٣) سورة البقرة، من الآية/١٩٤.

إليهم نعمة ربهم – الإسلام- حتى يظفروا بالسعادة والأمن والسلام إذا ما اعتنقوا الإسلام[1]. لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2].
وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[3].

إذن فأهداف الدولة الإسلامية التي هي أهداف الإسلام ذاته لإنها قامت على أساس العقيدة والشريعة الإسلامية فلا تقف عند حدود توفير العيش الكريم لرعاياها، وتحقيق الأمن والطمأنينة لهم، ورد الاعتداء الخارجي عنهم، وإنما تذهب في أهدافها إلى أبعد من ذلك، فهي تهدف إلى إسعاد البشر كلهم بحمل الإسلام إليهم وعرضه عليهم، ودعوتهم إلى الدخول فيه واعتناق عقيدته، لأن الإسلام دعوة عالمية فهو دين الله الذي بعث به نبيه الكريم محمدﷺ إلى جميع البشر لقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

ووصول الإسلام إلى البشر وإطلاعهم عليه ونظرهم فيه، وبالتالي إمكان اعتناقهم عقيدته، لا يتم إلا بإزالة العوائق التي تمنع وصول نور الإسلام إليهم، وأكبر هذه العوائق وجود الدولة الكافرة التي تحجز نور الإسلام عن رعاياها، وتتسلط على رقابهم وتحكمهم بـ (دار الحرب) وإزالة هذه الكيانات الكافرة – الدول غير الإسلامية – لا يتم غالباً إلا بالقوة والقوة تكون بالدولة ، ولهذا أمر الإسلام بإقامة الدولة الإسلامية (دار الإسلام) فلا بد للحق من قوة تحميه وتزيل العوائق عن طريقه ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾[5].

---

(١) زيدان، عبد الكريم، المفصل، ٤/٤٠٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية/١٥٨.
(٣) سورة سبأ، الآية/٢٨.
(٤) سورة الأنبياء ، الآية/١٠٧.
(٥) الجصاص، أحكام القرآن ، ج٣، ص٧٠، سورة البقرة، الآية/١٩٣.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الأصل في العلاقة بين دار الإسلام وبين غيرها من دول الكفر هو السلم، بمعنى لا تبدأهم دار الإسلام بالقتال وإنما تعرض عليهم الإسلام إولاً، فإن أسلموا صاروا من رعايا دار الإسلام المسلمين وصارت بلادهم جزء من دار الإسلام. وإن رفضوا الإسلام عرض عليهم عقد الذمة ودفع الجزية، وتسليم السلطة لحكام المسلمين ويصيرون من رعايا الدولة الإسلامية وتصير بلادهم جزءاً من دار الإسلام وتطبق عليهم الشريعة الإسلامية ويبقون على دينهم دون إكراه عليهم بتغيير عقيدتهم ويكونوا بحماية المسلمين وذمتهم ويعيشوا في مجتمع المسلمين بسلام وأمان [1].

١ـ رعاية أهل الذمة وتحقيق الأمن لهم :

الذمة في اللغة: قال الجوهري: أهل الذمة أهل العقد وقال أبو عبيد الذمة: الأمان[2]. وتعني العهد والكفالة والضمان والأمان، ومنه أهل الذمة أي أهل العهد كما في القاموس المحيط[3].

أما الذمة في المفهوم الإصطلاحي: فهو إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة [4].أو هي عهد من الإمام أو من ينوب عنه لكافر بالأمن على نفسه وماله نظير التزامه الجزية ونفوذ أحكام الإسلام عليه [5].

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوي ج٢٨، ٣٥٤-٥١١ وينظر الشربيني، مغنى المحتاج، ج٤، ٢٠٩-٢١٠ وينظر ابن الهمام ، فتح القدير ، ج٤، ص ٢٨٣. وينظر الحصكفي، الدر المختار، ج٤، ص١٢٣. وينظر زيدان ،المفصل ، ج٤، ص٤١١.

(٢) الجوهري، الصحاح، ٤٤٣/١ مادة (ذمم) .

(٣) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٤) البهوتي، منصور بن يونس ادريس (ت ١٠٥١هـ) كشاف القناع على متن الإقناع، دار الفكر /١٩٨٢ ، ١١٦/٣ وينظر البهوتي، الروض المربع، مختصر المقنع، مكتبة الطالب الجامعي ، ب ت، ١٥/٢.

(٥) الموسوعة الفقهية، ١٢١/٨.

فلا يجوز أن يمنح الذمة سوى الإمام أو نائبه وذلك لأهمية هذا العقد، وحاجته إلى النظر إلى مصلحة المسلمين ، ولكونه مؤبداً ، على قول جمهور العلماء [1].

وأجاز البعض منهم لآحاد المسلمين إجراء عقد الذمة وذلك لأن عقد الذمة بدل عن الدخول في الإسلام، والدعوة إلى الإسلام وإدخال الناس فيه من حق – بل من واجب – كل مسلم فكذلك عقد الذمة ولأنه طريق لإدخال الناس في الإسلام [2]. وهذا الخلاف لا يغير من الأمر شيئاً.

كما ذكر جمهور العلماء شرطين لصحة عقد الذمة الأول: أن يلتزم أهلها ببذل الجزية كل عام، والثاني: أن ينقادوا للحكم الإسلامي والمقصود بذلك فيما يتعلق بالمعاملات والجنايات وغيرهما مما عدا العقائد والعبادات والأحوال الشخصية [3].

ويترتب على عقد الذمة بالنسبة للذمي نوعان من الآثار:

١- واجبات عليه يؤديها.

٢- حقوق تؤدى إليه أو تصان له.

أما واجبات الذمي فهي:

١- التزام دفع الجزية كل حول على وفق الشروط التي يتفق عليها معه ، وتؤخذ عن القادر على القتال من أهل الذمة ضريبة على رقابهم وقيل إنما تؤخذ جزاء على كفرهم أو بدلاً عن حمايتهم [4]. وهذا الأخير هو الأرجح ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن الجزية تسقط عمن شارك في الدفاع عن دار الإسلام فكأن مشاركته تحقيق لحماية

(١) الشربيني، مغني المحتاج ٢٤٢/٤، ابن قدامة،المغني ٣٢٧/٩ والبهوتي ، الروض المربع ١٦/٢.

(٢) ابن همام، شرح فتح القدير ، ٣٠٠/٤-٣٠١.

(٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ١١/٧ والشربيني، مغني المحتاج ٢٤٢/٤ ، وابن قدامة المغني ٣٢٣/٩.

(٤) القرطبي، نفسير، ١١٢/٨، الشربيني، مغني المحتاج ٢٤٢/٤ وابن قدامة المغني ٣١٩/٩ وابن القيم احكام أهل الذمة ٢٢/١ والميداني اللباب ، ١٤٨/٤.

نفسه[1]. واستدلوا لذلك ببعض الوقائع على ذلك في حياة الصحابة رضوان الله عليهم، فمثلاً جاء في كتاب سويد بن مقرن [2].قائد جيش المسلمين في بلاد فارس في زمن عمر بن الخطاب إلى ملك جورجان حيث جاء فيه (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جورجان أن لكم الذمة وعلينا المنعة... ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً عن جزائه) [3].

٢- إداء الخراج عن رقبة الأرض التي تجب فيها الخراج ودفع العشور إذا خرجوا في تجارتهم خارج حدود ما يقيمون به من البلاد بحسب ما يفرض عليهم فيها[4]. وذلك مقابل الزكاة في الزروع والعروض التجارية التي تؤخذ من المسلمين.

٣- أما الإلتزامات غير المالية فقد فصل الماوردي رحمه الله فعد ستة شروط يجب على من يعقد له الذمة إلتزامها فقال: ويشترط في عقد الجزية شرطان: مستحق ومستحب، أما المستحق فستة شروط:

أحدها: أن لا يذكر كتاب الله بطعن فيه ولا تحريف له.

والثاني: أن لا يذكروا رسول اللهﷺ بتكذيب له ولا أزدراء.

والثالث: أن لا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه.

والرابع: أن لا يصيبوا مسلمة بزنى ولا باسم النكاح.

والخامس: أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه، ولا يتعرضوا لماله ولا لدينه.

---

(١) زيدان، أحكام الذميين والمستأنفين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة ، ط٢ (١٤٠٨هـ) ص ١٢٩.

(٢) هو أخو النعمان بن مقرن المزني من قادة الفتح العربي الإسلامي في عهد عمر رضي الله عنه ينظر ابن حجر تهذيب التهذيب ، ٥٦٦/٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢٥٤/٥.

(٤) العبدري، محمد بن يوسف ابن أبي القاسم الشهير بالمداق (٨٩٧هـ) التاج والاكليل المختصر ط١، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ ، ٣٨١/٣ ، وينظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٦.

والسادس: أن لا يعينوا أهل الحرب ولا يَوّدوا أغنياءهم.

ثم قال: (فهذه الستة حقوق ملزمة، فتلزمهم بغير شرط، وإنما تشترط إشعاراً لهم وتأكيداً لتغليظ العهد عليهم، ويكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعهدهم [1].

أما ما يترتب لأهل الذمة من حقوق نتيجة لعقد الذمة ما يأتي:

١- عصمة دمائهم وأموالهم: فإذا دفع أهل الذمة ما عليهم من جزية وخراج وجب على المسلمين صيانة أموالهم ولا يجوز أن يؤخذ منهم شيئاً آخر، وتجب عليهم عصمة دمائهم من أي عدوان خارجي أو داخلي فيجب الدفاع عنهم وحمايتهم كالمسلمين [2]. لقولهﷺ : (فادعهم إلى الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم...) [3]. وقول سيدنا علي رضي الله عنه (إنما قبلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) [4]. .

٢- حرية التعبد والاعتقاد: فلا يجوز أن يكرهوا على الدخول في الإسلام لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [5]. وبهذا عمل الرسولﷺ والخلفاء من بعده، فقد كتب عمر رضي الله عنه لأهل القدس كتاباً كما بيننا سابقاً ومما جاء فيه (هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً، لأنفسهم ، وأموالهم،وكنائسهم ، وصلبانهم ، سقيمها وبريئها وسائر ملتهم وأن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم) [6].

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٥.

(٢) الكاساني، بدائع الصنائع، ١١١/٧ والشربيني، مغني المحتاج ٢٥٣/٤، والماوردي، الأحكام السلطانية ص ١٤٣، ورضا تفسير المنار ٢٨٩/١٠.

(٣) مسلم الصحيح بشرح النووي، ٥٧/١٢ رقم الحديث (١٧٣١).

(٤) الموسوعة الفقهية ١٢٧/٨.

(٥) البقرة، الآية/٢٥٦.

(٦) العبدري، التاج والإكليل، ٣٨٤/٣.

٣- حرية التعلم وإبداء الرأي: فلا يمنع الإسلام أهل الذمة من إقامة مدارس خاصة بهم في أماكن تجمعاتهم ليتعلموا فيها ما يرونه لأنفسهم وشؤون عبادتهم وعقيدتهم بل لشؤون دينهم ودنياهم. على أن يتقيدوا بالشروط الستة لعقد لذمة [١].

٤- حقهم في الاستفادة من مرافق الدولة وكفالة بيت المال: لحديث المصطفى ﷺ : (الناس شركاء في الماء والكلأ والنار) [٢]. وكذلك يرعى محتاج أهل الذمة من بيت مال المسلمين ، كما هو الحال بالنسبة للمسلم المحتاج ويدل على ذلك ما ورد أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، لقي ذمي عاجزاً يتسول الناس، فلما علم أن الحاجة والسن هما دفعاه إلى السؤال، أخذ بيده إلى منزله ، وأمر بشيء، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: أنظر هذا وضرباءه (أمثاله) فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم) [٣].بل كان رضي الله عنه يعطي أهل الذمة من صدقة النافلة، لقوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [٤].

٥- حقهم في التنقل في كافة أرجاء دار الإسلام عد الحرم والحجاز: ويسمح لهم بالخروج من دار الإسلام لتجارة ونحوها،ويمنع خروجهم من أجل اللحاق بدار الحرب على وجه التأبيد[٥].

٦- حرية العمل والوظيفة: فيحق للذمي في دار الإسلام أن يزاول العمل الذي يراه مناسباً لكسبه، من تجارة وزراعة وصناعة، بل يجوز له أن يتأجر بما لا يجوز للمسلم أن يتأجر به وأن يصنع ما يمنع المسلم من صناعته، وكذلك يجوز له أن يعمل موظفاً في

---

(١) زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ص ٧٦.

(٢) أبو عبيد، كتاب الأموال ، ص ٣٥٨ وينظر أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٢- ١٠٣.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص ١٢٦ ، وينظر، أبي عبيد، الأموال ص ٥٧.

(٤) سورة الإنسان، الآية٨.

(٥) زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين، ص ٧٨-٨٠.

التدريس أو طبيباً في مشفى أو في وظيفة لا تلحق ضرراً في دينهم بتوليه إياها ويجوز له أن يعمل مدرساً في مدارس المسلمين للمواد العلمية دون الإنسانية (كالدين والتاريخ والفلسفة والتربية) وكذلك يمنع الذمي من بعض ما يمنع منه المسلمون كالتعامل بالربا[1].

٢ـ رعاية المستأمنين :

الأمان لغة: يقول الجوهري ، الأمن والأمانة بمعنى قد أمنت فأنا آمن، وأمنت غيري، من الأمن والأمان، والأمن ضد الخوف واستأمن إليه أي دخل في أمان وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[2]. قال الأخفش: يريد الآمن وهو من الأمن[3].

وفي القاموس : الأمان من آمن بمعنى الأمانة وهي ضد الخيانة ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[4].

والاستئمان: طلب الأمان، واستأمن إليه دخل في أمانة، والمستأمن: الطالب للأمان والمستأمن من صار آمناً بعد أن أعطى الأمان [5].

اما اصطلاحاً: فقد عرفه الكاساني: بأنه (عقد يفيد ترك القتال مع الكفار فرداً أو جماعة مؤقتاً أو مؤبداً [6].

وأما الأمان بمعناه الضيق أو الخاص، فقد عرفه ابن عرفه بأنه: (رفع استباحة دم الحربي ورقه وماله حين قتاله أو العزم عليه مع استقراره تحت حكم الإسلام مدة ما) [7].

---

(١) الكاساني ، بدائع الصنائع، ١١٢/٧، وينظر ، ابن قدامة، المغني، ٣٣٨/٩ وينظر زيدان ، أحكام الذميين، ص ٩٤.

(٢) سورة التين، الآية/٣.

(٣) الجوهري، الصحاح، ٤٦/١-٤٧.

(٤) سورة إبراهيم، الآية/٣٥.

(٥) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١٥١٨ وينظر المصباح المنير ص ٢٣-٢٥ والمنجد، ص ٢٦.

(٦) الكاساني، بدائع الصنائع ١٠٧/٧٢.

(٧) السرخسي، المبسوط ٢٧٠/١٠ وينظر أبو يوسف الخراج ص٣٠٧، وحاشية ابن عابدين ٢١٤/٤ .

والمستأمن كالذمي في كثير من وجود التعامل معه في حقوقه وواجباته.. فله حرية العقيدة والعبادة والتنقل في دار الإسلام في المجال نفسه الذي ذكر للذميين إلا أن يرى ولي الأمر منع المستأمن من دخول أماكن معينة من دار الإسلام لمصلحة معينة وللمستأمن على الدولة الإسلامية حق الحماية من أي عدوان داخلي أو خارجي كما هو لأهل الذمة. [1].

ولقد كان نصارى القدس يعانون من ظلم الروم وعدم الأمن والاستقرار لكثرة المتاعب التي يواجهونها من الحكم الروماني للمدينة رغم كونهم على دينهم، وكان المسلمون يعظمون بيت المقدس (مسرى الرسول الأكرم محمدﷺ). فبعد انتصار المسلمين على الرومان في اليرموك وحررت أغلب مدن الشام وانهزم (ارطبون) [2]. الروم في ثمانين ألف من الجند وأوى إلى إيلياء (بيت المقدس) وكان ذلك سنة ١٥هـ (٦٣٦م) [3]. وتوجه المسلمون إلى بيت المقدس واصطدمت القوتان تواجه ارطبون الروم بارطبون العرب وصبر المسلمون على شدة المعركة، وأحس قائد الروم بأن لا أمل في صد الزحف الإسلامي فطلبوا الصلح على أن يحضر عمر رضي الله عنه ليتسلم المدينة بنفسه ويتعهد لسكانها بالحرية الدينية، فكتب عمرو إلى عمر رضي الله عنهما فحضر وكتب بنفسه كتاب الأمان[4]. وأشهد عليه قواد المسلمين كما كتب إلى سائر كور فلسطين كتاباً أورد الطبري صورته وكان تحرير بيت المقدس في سنة ١٦هـ، أو في أواخر سنة ١٥هـ (٦٣٥م) [5].

وبذلك عاش النصارى في أمن وأمان واستقرار وسلام في القدس بحماية المسلمين وبذمتهم وتحقق لهم حرية العبادة وبقاء كنائسهم ومقدساتهم خير لهم مما كانوا

---

(١)ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ٣٤٨/٤.

(٢) ذكر بتلر أن لفظ ارطبون أطلق على هذا القائد: The Arab conquest Egyptp. 215.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٤ ص٥٧، قال عمر رضي الله عنه: (قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب) أي عمرو بن العاص.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٤.

(٥) االطبري، تاريخ ، ج٤، ص ١٥٨-١٦٠.

يعانون من تسلط الروم وضرائبهم وغطرستهم وظلمهم فجاء عدل الإسلام وسماحته وتحقق لهم الأمان تنفيذا للعهد الذي قطعه لهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أمام البطريق صفر ونيوس وأبدي لهم رضي الله عنه تسامحاً عظيماً لأهل القدس مما أمنوا به على دينهم وأموالهم وعاداتهم ولم يفرض سوى جزية زهيدة عليهم وأبدي العرب تسامحاً مثل هذا تجاه المدن السورية الأخرى كلها ولم يلبث جميع سكانها أن رضوا بسيادة العرب واعتنق أكثر أولئك السكان الإسلام بدلاً من النصرانية وأقبلوا على تعلم اللغة العربية وظلت سوريا بلداً عربياً إسلامياً كما كانت في أوائل الفتح العربي[1].

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل الرعية إذا وفدت عليه في موسم الحج أو غير موسمه عن حال أمرائهم وسيرتهم فيهم.

فقد ذكر الطبري رحمه الله رواية: (كان الوفد إذا قدموا على عمر، سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً، فيقول : هل يعود مرضاكم؟ فيقولون نعم: فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون : نعم فيقول: كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا الخصلة منها: لا، عزله[2].

وكان رضي الله عنه لا يولي عاملاً إلا إذا كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار، واشترط عليه ألا يركب برذوناً (حماراً) ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس[3].

كما رسم عثمان رضي الله عنه السياسة يسير عليها في الأقاليم في هذه العبارة التي رواها الطبري رحمه الله في حوادث سنة ٢٤هـ فقد كتب إلى عماله: (أما بعد فإن الله أمر

(١) لوبون، حضارة العرب، ص ١٥١.

(٢) الطبري ، تاريخ، ج ص ٢٣٥.

(٣) الطبري، م.ن ج٥ ص ٢١.

الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة... إلا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين[1].

واشتهر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمروءة والوفاء والاحترام العهود والحرص على مال المسلمين [2].

وقد تحبب عمرو بن العاص إلى القبط في مصر وأطلق لهم حرية الدين وأقام العدل بينهم فتمتعوا بالهدوء والطمأنينة والأمن والسلام، فقد كان عمرو شخصية جمعت بين العدل والحلم والشجاعة وقد عرف بالحكمة البليغة أيضاً[3].

لقد اقتدى الحلفاء الراشدون بسماحة الر سول ﷺ وعدله وتحقق على أيديهم الأمن والرخاء والسلام في ربوع الدولة العربية الإسلامية، كما أتمر الولاة والعمال والقادة بأمر الخلفاء في تطبيق هذه الخلال وكان أي تفريط بحق الرعية مدعاة لعزل ذلك الوالي من موقعه لقول رسول الله ﷺ : (كل راع ومسؤول عن رعيته...) [4].

ثالثاً : بناء الحضارة الإسلامية :

١ـ التعريف بالحضارة والثقافة :

فالحضارة بمعنى **Civilisation (F) Civilization (E)**.

والحضارة ضد البدو وتقابل الهمجية والوحشية، وهي:

أ- مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني.

ب- جملة مظاهر الرقي العلمي ، والفني والأدبي التي تنتقل من جيل إلى جيل في

(١) الطبري، م.ن، ج٥ ص٤٤.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٩٠.

(٣) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ، ٢٧٢.

(٤) سبق تخريجه.

المجتمع أو مجتمعات متشابهة[1].

أما المفهوم الاصطلاحي للحضارة فإنها تعني الجانب التطبيقي من التراث الذي هو حصيلة التفاعل ما بين تطبيقاتها وما ينجم عن ذلك من اختراعات علمية ورقي في الميادين المختلفة[2].

وأن العلاقة وثيقة بين حضارة الأمة وثقافتها.

فالثقافة في المفهوم اللغوي مشتقة من الجذر (ثقف) أي ثَقُف الرجل ثَقْفَاً وثقافَة أي صار حاذقاً... فهو ثقف، وثقافة في المجمع اللغوي في القاهرة (بازاء) (E,F) Culture وهي كل ما فيه إستنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع وفرق بينها وبين الحضارة ، على أساس أن الأولى ذات طابع فردي وتنصب بخاصة على الجوانب الروحية في حين أن الحضارة ذات طابعه اجتماعي مادي غير أن الاستعمال المعاصر يسوي ين المصطلحين [3].

جاء الإسلام نظاماً شاملاً للحياة قد افتتح حقاً حضارة جديدة[4].

فالفكر الإسلامي له طابعه الجامع الكامل من القائم على النظرة العقلية ، والممارسة العلمية التي تختلف كل الإختلاف عن الفكر اليوناني القائم على التأمل النظري ويقف عنده، في حين ينطلق الفكر الإسلامي في مفهومه العلمي ومنهجه الحسي مستمداً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أساساً، ومن الدعوة الإسلامية طريقاً،

---

(١) الجوهري، الصحاح، ٢٧٣/١-٢٧٤.

(٢) محمد، فاضل زكي (دكتور) الفكر السياسي العربي الإسلامي ، ص ١٠ وبهامشه تعريف الثقافة إنها (مجموع ما لدينا من معارف في العلوم والفنون والآداب ... أما الحضارة فهي العمل بهذه المعارف والعيش طبقاً لها) ينظر محمود محمد، وحدة الثقافة العربية ص ١٨.

(٣) الجوهري، الصحاح، ١٥٨/١.

(٤) الجندي، أنور، الثقافة العربية ص ٢٦٠ نقلاً عن بحث لمحمد أسد عن الحضارة الإسلامية.

ومن الخطاب الصريح إلى النظر في الكون والتفكر والتدبر والاهتمام بالعلم ، وآية ذلك أن كلمة (علم) ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم أكثر من (٨٥٠) مرة[١].

وإن أول أمر استخدم في القرآن الكريم هو كلمة (إقرأ) وأن أول أداة ذكرت في كتاب الله هي (القلم) بقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[٢]. فالإسلام هو الذي أمر المسلمين باتباع المنهج العلمي ، وآيات القرآن الكريم التي تنطق بالحق هي التي تهديهم إلى التفكر بمخلوقات الله والإطلاع على ما في الكون من عجائب وظواهر وسنن وقوانين ونواميس ولم يقتصر هذا التفكر في مجال الطبيعة فقط بل وفي مجال الإنسان والمجتمع تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٣]. وقوله تعالى : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[٤]. ومئات الآيات للتفكر والتدبر ومن هنا انفتح المسلمون على العلوم والبحث العلمي وفق المنهج الحسي التجريبي في مختلف فروع المعرفة[٥].

لقد كان الجهاد عاملاً مساعداً على نشر الحضارة الإسلامية. وإن عقلانية الحضارة ليست عقلانية الحضارة الهيلينية وليست هي عقلانية مطلقة وإنما هي روحية بحسبان أن المعرفة الإسلاميةجامعة للروح والعقل معاً[٦].

(١)الجندي، أنور، المرجع نفسه ص ١٧٠.
(٢) سورة العلق، الآيات، من /١-٥.
(٣) سورة آل عمران الآية/١٩١.
(٤) سورة الذريات ، الآية/٢١.
(٥) الدكتور فؤاد الراوي :الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر العربي، ص١٦٦.
(٦) الجندي، الثقافة العربية، ص ٢٤٧.

ويقوم مفهوم الحضارة الإسلامية على أساس الفكر الإسلامي الذي يستمد مقوماته من القرآن الكريم، فأول مقومات الحضارة الإسلامية الجوهرية أنها تستمد من وحي رسالة سماوية تمدها بالقوة والتماسك وتربط بين عناصرها عقيدة التوحيد ، التي تقوم الموازنة بين الروح والمادة ، والعلم والدين والقلب والعقل والدنيا والآخرة، ويقوم نظامها السياسي على الشورى والمساواة واحترام حقوق الإنسان، وتقوم الأسرة في مجتمعها على المودة والرحمة، ويقوم اقتصادها على تبادل المنافع، واتخاذ المال وسيلة لا غاية، واحترام الملكية الفردية غير المستغلة أو المعطلة للصالح العام والتشريع القائم على أسس مرنة وخطوط عامة يتيح الفرصة للاجتهاد والتطور مع ظروف الأزمنة وعوامل البيئات.

وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والمجتمع والإنسانية وتربط هذا كله قيم هي ضوابط الحضارة الإسلامية ، وإطارها وقوامها خلوص النية، ونقاء الضمير والتمسك بقيم الحق والخير [1]. فهي باختصار شديد:

١- حضارة جامعة إنسانية لا حضارة الجنس السائد.

٢- حضارة وسطية تقوم على التوازن بين الروح والمادة.

٣- حضارة فكر مفتوح ومتطور تأخذ من غيرها وتترك وفقاً لقاعدتها الأساسية.

٤- حضارة لها أسس ومقومات تستمدها من القرآن الكريم أساسها التوحيد وقوامها العدل والحق والإخاء الإنساني.

وتتسم الحضارة الإسلامية بالإبداع والذاتية التي أقامت لها طابعاً مميزاً ومنهجاً خاصاً، هذه الذاتية المستمدة من جذور فكرها الإسلامي الذي أعطاها وقفة الصمود إزاء خطر جسيم تهدد اليهودية والنصرانية قبلها، ذلك خطر الفلسفة اليونانية الوثنية

(١) الجندي، الثقافة العربية، ص ٣٤٨.

الذي سيطر على اليهودية وابتلع النصرانية وإذا بهما في بوتقته، ولكنه عجز عن ذلك بالنسبة للحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي والثقافة العربية بعد صراع طويل شاق. فآيات القرآن الكريم صريحة في إعطاء الدور الرئيس للإنسان في هذا المجال وجعلته مدار الحركة الحضارية وأوكلت إليه مهمة البناء الحضاري والخلافة على هذه الأرض لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١).

(ويقوم الإنسان بهذا الدور التاريخي من خلال عقله المدرك في عالم الشهادة وشعوره وتأمله وطاقته الكثيرة التي زوده الله تعالى بها بصنع تاريخه على هذه الأرض بمعونة الله تعالى فبحركته من خلال حريته الملتزمة يتحرك التاريخ ويتطور الزمن) (٢).

وخلاصة القول فإن الحضارة الإسلامية تتميز بأنها:

١- ليست حضارة السادة دون العبيد.

٢- الاندماج في الشعوب لا السيادة عليها.

٣- الترابط بين الدين والعلم وبين المجتمع والأخلاق.

٤- قامت الحضارة الإسلامية على روح واحدة وأصل الأصول فيها فكرة التوحيد.

٥- تهذيب النفس أصل من أصول الحضارة الإسلامية وتقوم روح الإسلام على تحرير الإنسان من شهوات النفس ومن عبودية الناس ومن عبودية المادة وطغيانها.

٦- ولم يقف أثر الفكر الإسلامي – في البناء الحضاري – عند الجانب العلمي وحده الذي كان من أعظم ثماره (المنهج العلمي التجريبي) بل امتد إلى مختلف نظريات الفكر السياسي والاجتماعي (٣).

---

(١) سورة البقرة، /٣٠.

(٢) عبد الحميد، محسن (دكتور) المذهبية الإسلامية، ص٥٢.

(٣) الجندي، أنور، الثقافةالعربية، ص ٢٥٩ وما بعدها.

٧- والتاريخ يمثل في الفكر الإسلامي عنصراً هاماً من عناصر القوة والبناء الحضاري وقد حفل التاريخ الإسلامي بصفحات مشرقة ومواقف حافلة في مجالات أهمها:

أ- أعلاء كلمة الله في الآفاق.

ب- نشر رواق العدل والإحسان بين الناس.

ج- الجهاد والاستشهاد في سبيل الله وحماية الذمار والعقيدة.

ولقد أغنى ابن خلدون الفكر الإسلامي فهو من أوائل الذين اهتموا بالبناء الحضاري والتعليل الصحيح للتاريخ وقرر أن التاريخ ليس قصصاً فحسب بل هو وصف للبيئة الاجتماعية كلها ولما فيها من الأفكار والحركات والمظاهر والثقافة وغيرها وقال: (إن التاريخ صورة للحضارة كلها فيجب أن يتناول المؤرخ أوجه الحضارة كلها عند كتابة التاريخ من أجل ذلك وجب أن يكون المؤرخ ملماً إلماماً كافياً بعدد من العلوم والفنون حتى يستطيع فهم عوامل التاريخ وتدوين نتائج التاريخ على وجهها الصحيح ووصف الحضارة) (١).

إن التاريخ الحضاري — في القرآن الكريم — إذ يقوم الإنسان — خليفة الله في أرضه— كما يؤكد القرآن في أكثر من موضع، بإعمار الأرض بما ركب في ذاته من عقل وروح وإرادة وتكييف جسدي فذ، أو بما هيأه الله في الأرض وما حولها من إمكانيات التعامل الحيوي معها.

والاستمرار في أطرافها والتحاور المبدع الخلاق بينها وبين الإنسان الذي جعل بهذا التمهيد المزدوج لأداء مهمته الحضارية سيداً للعالمين وفضل على كثير من خلق الله تفضيلاً) (٢).

(١) ابن خلدون ،المقدمة ص ١٧٠ وما بعدها.

(٢) خليل، عماد الدين ، (دكتور) التفسير الإسلامي للتاريخ ، ط٤ (الموصل ، ١٩٨٦م) ص١٧٥.

إنه الامتحان والاختيار الرباني للإنسان الذي سخرت له كل القوى والمخلوقات من أن ينجح في دوره في إعمار الأرض وإقامة حكم الله فيها وبناء الحضارة التي تسعد البشرية ويدوم فيها العدل ويشيع فيها الرخاء والتسامح والأخوة.

(إن الإسلام يقوم نظام حضارته كله على الإيمان بالرسالة... وإن الإيمان حجر أساسي لنظام الأخلاق بكامله وهذا الحجر الأساس شي لا أساس له في الغرب) [1].

فحين فتح الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح (ت١٨هـ) رضي الله عنه الشام وأخذ الجزية من أَهلها الذين كانوا يومئذ ما يزالون على دينهم – نصارى – اشترطوا عليه أن يحميهم من الروم – وهم على دينهم – الذين كانوا يسومونهم الحيف والاضطهاد، وقبل أبو عبيدة الشرط، ولكن هرقل أعد جيشاً عظيماً لاسترداد الشام من المسلمين ، وبلغت الأنباء أبا عبيدة، فرد الجزية إلى الناس، وقال لهم: لقد سمعتم بتجهيز هرقل لنا وقد اشترطتم علينا أن نحميكم وإنا لا نقدر على ذلك، ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم ، ولم يكن أبو عبيدة (أمين الأمة) يصنع ذلك رجاء (مصلحة) بعيدة يقدرها ويضحي بالمصلحة القريبة! كلا ، إنما ينطلق من المبدأ الذي رباهم عليه الإسلام على يد الرسول محمدﷺ وهو الوفاء بالمواثيق) [2].

وهكذا علمهم الإسلام، وهكذا كان التاريخ الإسلامي مليئاً بالوقائع التي تنبئ عن أصالة هذه الأمة التي بنت حضارتها على العقيدة ونظام الأخلاق والعدل والوفاء بالعهود والمواثيق " ومن هنا نقول باطمئنان أن الإسلام هو الحضارة، وإن المجتمع المسلم هو المجتمع المتحضر أياً كان القدر الذي يشتمل عليه من الأشكال المادية والتنظيمية) [3].

(١) المودودي، أبو الأعلى، نحن والحضارة الغربية، دار الفكر، (دمشق ب ت) ص٢٧.
(٢) الطبري، تاريخ، ٥٩/٤ وما بعدها، وينظر ابن الأثير ، الكامل ، ٢٧١/٢.
(٣) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ١٠٢.

ولقد انفتح المسلمون على العلوم والبحث العلمي وفق المنهج الحسي التجريبي في مختلف أنواع المعارف وجوانب العمل التطبيقي ويشهد المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون بدور الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الإنسانية وتأثيرها على الغرب في إيقاظ النهضة والحضارة الأوربية الحديث ومما يقول:

(لم يلبث العرب... أن أدركوا أن التجربة والترصد خير من أفضل الكتب وعلى ما يبدو من ابتذال هذه الحقيقة جد علماء القرون في أروبا ألف سنة قبل أن يعلموها... وأن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريباً... ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه فالعرب قد نشروها كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب فكان لهم الأثر البالغ في أوربا من هذه الناحية... إن العرب وحدهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية عدة قرون... وإن التعليم في جامعاتنا لم يستغل عما نقل إلى لغاتنا من مؤلفات العرب إلا في الأزمنة الحاضرة... واقتصر على ذكر أهم أعمال العرب الرياضية بإيجاز، لما في بيانها مفصلاً من الدخول في الدقائق الفنية، وأقول إن العرب هم الذين أدخلوا المماس إلى علم المثلثات وأقاموا الجيوب، وتعمقوا في مباحث المخروطات ، وحولوا علم المثلثات الكرُيه بردهم حل المثلثات الأضلاع إلى بضع نظريات أساسية تكون قاعدة له: وأدت مدرسة بغداد الفلكية في زمن هارون الرشيد وابنه المأمون(٨١٤– ٨٣٣م) على الخصوص إلى إعمال مهمة وأدمجت مجموعة الأرصاد التي تم أمرها في المراصد ببغداد ودمشق في كتاب (الزيج المصحَّح) الذي ناسف على ضياعه، ومع ذلك يمكننا أن نعلم صحة الأرصاد التي اشتمل عليها هذا الكتاب من الدقة العظيمة التي عين بها انحراف سمت الشمس في ذلك الزمن (قبل أكثر من ألف عام) فقد كان الإنحراف كما حقق ٢٣ درجة و٣٣ دقيقة و ٥٢ ثانية أي ما يعادل الرقم الحاضر...

لذا نقول أن العرب هم الذين نشروا علم الفلك في العالم كله بالحقيقة... وكان العرب يعينون الزوايا بأرباع الدائرة والإسطرلاب ... ومن ينعم النظر في تركيبها يعلم أنها دالة على حذق كبير وأنه يصعب صنع ما هو أحسن منها في الوقت الحاضر) [١].

ويشيد لوبون بعطاء الحضارة العربية الإسلامية في مجال الكمياء والفيزياء والميكانيكا ونظرية الطبائع الأربعة التي هي أساس النظرية الذرية الحديثة واكتشاف الكثير من المركبات الكيمياوية نتيجة العمليات المختبرية التي قاموا بها كالتقطير والتصعيد والتذييب والتحويل وأشار إلى الاختراعات والإبداعات التي توصل إليها العلماء العرب كاختراعهم للبارود مثلاً بارود الأسلحة النارية.

وفي الطب كيف عرفوا الكثير من الأمراض كالجدري والحصبة استعملوا الأمصال في معالجة الأمراض ووصفوا تشريح الجسم الإنساني وصفاً دقيقاً وعرفوا العقاقير فسجل ابن البيطار (ت ١٤٦هـ) ١٤٠٠ عقاراً اكتشفها العرب وألف الزهراوي (ت ٤٢٧هـ) كتابه في الطب والجراحة في عشرين مجلداً والأطباء المسلمون هم الذين فتتوا الحصى في المثانة وسدوا الشرايين النازفة وعرفوا الكثير من الجذام وعدوى الطاعون واستعملوا المُرَقِدْ (المخدر) في العمليات الجراحية واكتشفوا الدورة الدموية ودودة الانكلستوما كما صحح الأطباء العرب آراء بقراط وجالينوس في التشريح ووظائف الأعضاء وقد ترجم كتاب ابن سينا (القانون في الطب) في خمس عشر طبعة إلى اللاتينية والإنجليزية وقد بحث العقاقير والأدوية في سبعمائة وستين نوعاً [٢]. والحديث هنا يطول ونكتفي بهذه المعلومات التي أوردها الغريب قبل القريب وفي الحضارة الإسلامية من العطاء ما تنوء بها المجلدات والمكتبات.

---

(١) لوبون، غوستاف، حضارة العرب ، من ص ٤٣٥-٤٦٣.

(٢) لوبون، م.ن ص ٤٨٨ وما بعدها تتصرف.

الاستنتاجات والدروس المستفادة من الباب الأول

ومنها:

أولاً: إن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدري الفكر الإسلامي الأساسيين، وهما الوثيقة التي تستقي منها العقيدة العسكرية الإسلامية وتنتهل من معينها مقوماتها وخصائصها ومميزاتها.

ثانياً: إن الجهاد في سبيل الله هو جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية وإن الله تعالى أكرم هذه الأمة بفرض الجهاد عليها لكي تكون كما أرادها الله أمة قوية عزيزة مهابة الجانب.

ثالثاً: تميزت فريضة الجهاد في العقيدة العسكرية الإسلامية بوضوح الهدف وهو إعلاء كلمة الله في الأرض ورد العدوان وحماية العقيدة وضمان حرية الدعوة الإسلامية.

رابعاً: إن العقيدة العسكرية في الإسلام ذات طابع سلمي دفاعي وغير عدواني، فلقد وضع الإسلام نظاماً شاملاً للحرب يتسم بالرحمة والعدل ويطبع العقيدة العسكرية التي تستقي منه بطابع سليم لأن الإسلام دين السلام، وتحتل فكرة السلام المقام الرئيس بين أهدافه ومقاصده العامة ، ثم إن الإسلام ينظر إلى الإنسانية عامة نظرية التكريم ويضع من القواعد والأصول والأحكام ما يصون لكلٍ كرامته الآدمية وحقوقه في الحياة في ظل وراف من العدل والرحمة ولا يجعل غير التقوى مقياساً يتفاضل به الناس. كما يأمر الإسلام بفض النزاعات بالطرق السلمية وبالتعاون بين المؤمنين على إقرار السلام والطمأنينة.

خامساً: والحرب في العقيدة العسكرية الإسلامية حرب عادلة وفاضلة فيها صيانة أرواح وأموال الابرياء والضعفاء وغير المقاتلين ومنع التخريب وحسن معاملة الأسرى

والتصرف معهم بالحسنى ومداواة الجرحى ومنع التمثيل بجثث القتلى وسماحة الإسلام مع المغلوب وإسقاط مبدأ (الويل للمغلوب) وتلبية دعوة السلم ووقف الحرب إذا جنح إليها الخصم ، الوفاء بتأمين المحارب إذا أعطي له الأمان.

سادساً: إن توحيد القيادة من أهم الأمور في العمليات العسكرية وأنه يجوز تعيين القواد البدائل كما حصل في معركة مؤتة عندما عين رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه قائداً للجيش ثم رتب من بعده القيادة إذا اشتشهد فجعل جعفراً قائداً للجيش ثم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه من بعده ثم أمر الجيش بعد ذلك باختيار من يخلف بن رواحة فكان سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه.

سابعاً: إن خطة الانسحاب المدبر بقصد حماية الجيش من مأزق قاتل تتوافق مع سياسة الحرب في العقيدة العسكرية الإسلامية كما حصل في معركة مؤتة إذا قام خالد رضي الله عنه بتدبير انسحاب ذكي لحماية جيش المسلمين من تهلكة محققة أمام قوات للعدو تفوق قوة المسلمين بأكثر من سبعين ضعفاً في العدد والعدة والإمداد والسوق، وقد امتدح رسول الله ﷺ تدبير القائد خالد رضي الله عنه، ووصف الجيش العائد إلى المدينة المنورة بالكرار رداً على من وصفهم بالفرار.

ثامناً: إستخدام وسائل جديدة في الدفاع والتحصين لم يعهدها العدو مفاجأته بهذه الوسائل مما كان لها بالغ الأثر في إضعاف معنوياته وتخذيل عزيمته فخطة حفر الخندق قلبت خطط الأحزاب رأساً على عقب واربكت العدو وطاش تفكيره وخاب تدبيره، وجاء التأييد الرباني للرسول ﷺ وجمع المجاهدين ليتوج خطة المسلمين وأخذهم بالأسباب والوسائل الرادعة للعدو فكان النصر للمؤمنين والهزيمة للمشركين.

تاسعاً: إن تغلغل العقيدة والإيمان في نفوس المجاهدين هو الدافع الذاتي للجهاد

في سبيل الله فضلاً عن كونه جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية التي تسمو على القرابة والنسب وعلى أي اعتبار فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن سلول رضي الله عنه يطلب من رسول الله ﷺ قتل أبيه عبد الله بن سلول رأس المنافقين عندما نال من رسول الله ﷺ وتجرأ عليه وتواطأ مع أعداء الإسلام ، والأمثلة كثيرة أن يتلاقى الأبن المسلم مع الأب المشرك بسيفهما أوبالعكس في المعركة.

عاشراً: ومن سياسة الحرب في الإسلام أوامر الرسول القائد ﷺ لجنده بالمكوث في أماكنهم وعليهم السكينة لا يتحركون ولا يتحدثون ولا يأتون بما يثير انتباه العدو لفاجأتهم بالنبل عندما يصلون مرمى النبال لإحداث المزيد من الإصابات والارتباك في صفوفه كما حصل في معركة خيبر وكذلك مفاجأة المشركين في فتح مكة.

أحد عشر: وكذلك من سياسة الحرب السرية التامة في التحركات لاحتلال المواقع المهمة ومن الأمثلة على ذلك عملية احتلال المسلمين لمواقع المياه في بدر في منتصف الليل حتى لا يشعر بهم العدو نزولاً على رأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه.

ثاني عشر: الشورى هامة في الميدان ووقت الحرب، فالقائد الحكيم هو الذي يستشر جنده وخبراءه ليعرف منهم الخطة السليمة الصحيحة التي تؤدي إلى تقليل الخسائر وتضمن الفوز في المعركة . وهو ما أمر به الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بقوله: (وشاورهم في الأمر)، ويصف المؤمنين بقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[1] .

ثالث عشر: أهمية القضاء على قوة العدو الاقتصادية لأن في القضاء عليها أو تضعيفها قضاء على القوة العسكرية أو تضعيفها، ولقد أدرك الرسول القائدﷺ ذلك واهتم في القضاء على تجارة وقوافل قريش، وكان ذلك سبباً في تصاعد قوة المسلمين وتردي قوة

(١) سورة الشورى، الآية/٣٨.

المشركين وكذلك فعل مع اليهود في أسواق المدينة المنورة.

رابع عشر : وتتميز العقيدة العسكرية في الإسلام بأنها عقيدة محكمة ، ثابتة ومتطورة، ثابتة في الأسس (كنظرية الردع) ومتطورة في الوسائل (اعتماد وسائل القتال المتطورة) .

خامس عشر : ومن آثار سياسة الحرب في الإسلام هو تحويل اتجاهات قريش والعديد من القبائل العربية من أشد الناس عداوة للإسلام إلى أحرص الناس على رفع راية الجهاد في سبيل الله.

سادس عشر: إن الردع هو أول نظرية لسياسة الحرب في العقيدة العسكرية في الإسلام. وتتميز بأنها ليست سياسة حرب بقدر ما هي سياسة تهديد بالطاقة الكامنة، أي الردع الذي يستهدف منع العدو من اتخاذ قرار بالحرب، بينما يستهدف الردع في العقيدة العسكرية الإسلامية إكراه الخصم على اتخاذ قرار بقبول الشروط التي تملى عليه.

سابع عشر: إن سياسة الردع في الإسلام تعد سياسة ردع دفاعي فهي تنسجم بداهة مع غاية الحرب في الإسلام ومقاصدها الدفاعية غير العدوانية على الرغم من أن سياسة الردع الإسلامية تملك القدرة الهجومية (القوة ورباط الخيل) التي تقنع العدو – حين يضع حساباته وتقديراته – بأنه سوف يكون هو الخاسر لو تحرك بعدوان وهذا ما يعطي لسياسة الردع (الدفاعي) قيمتها وفاعليتها.

ثامن عشر: تعد سياسة الردع الإسلامية أرقى منهج للتوفيق بين الغاية وهي (إعلاء كلمة الله ودفع العدوان) وبين الوسيلة وهي (الردع أي منع قيام الحرب وعدم اللجوء إليها إلا عند الاقتضاء) وبذلك يتحقق حقن الدماء والاقتصاد التام في القوى المادي والمعنوية لتحقيق الأهداف، وذلك هو مفتاح الاستراتيجية الحقة، والتي تحقق النصر لا حرب.

تاسع عشر: إن سياسة الردع تحقق الأمن والعزة للأمة الإسلامية لاحتفاظها بالقوة القادرة على الدفاع وردع العدوان وهذا السياسة تردع – بالإضافة إلى العدو الخارجي الظاهر – كل القوى المضادة المستترة التي تعمل ضد الأمة في الخفاء لقوله تعالى: (وآخرون من دونهم....)

عشرون: ومن المقارنة السريعة بين العقائد العسكرية من خلال غاية كل منها يتضح ما يلي:

١- إن الغاية العليا للعقيدة العسكرية الإسلامية تتميز وتسمو على غايات العقائد العسكرية الأخرى لأنها تهدف إلى إعلاء كلمة الله في الأرض ورد العدوان وحماية العقيدة وضمان حرية الدعوة الإسلامية ونشر رواق العدل وتحقيق المساواة بين الناس وبناء حضارة عربية إسلامية سعدت بها البشرية قرون طويلة.

٢- أما الغاية من العقيدة العسكرية اليهودية فإنها تهدف إلى الإبادة البشرية وإهلاك الحرث والنسل إرضاء لإله الحرب والجنود (يهوه) الذي هو إله اليهود الذي لا يعترفون بغيره لأنه المتعطش للدماء والهيمنة على شعوب الأرض الذي يعتبرهم (الجوييم) أي الحيوانات لخدمة الشعب اليهودي المختار؟! كما ورد في توراتهم المحرفة والتلمون الشيطاني الذي ألفه خبثاء بني صهيون وادعوا كذباً بأنه كتاب نزل من السماء وأن ما يجري حالياً على أرض فلسطين العربية المسلمة خير شاهد على همجية ودموية هذه العقيدة العسكرية المدمرة كما طالت هذه العقيدة المشبوحه العراق بعد الاحتلال.

٣- أما العقيدة العسكرية النصرانية فان العهد الجديد (الانجيل) يكاد يخلو من النصوص التي تشير إلى الحرب إلا نادراً وأن المسيحية جاءت بتحريم الحرب بتاتاً،

لكنهم وبعد مؤتمر (نيقية) الذي عقد سنة ٣٢٥م عقب اعتناق الرومان للمسيحية المحرفة وأصبحت الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية وانتقل إرث الرومان والإغريق العسكري إلى هذه الدولة المنتصرة وأصبحت الروح العدوانية والهيمنة واستعباد الشعوب إرضاء للطاغوت المتمثل بالقيصر وهرقل وإعلاء لمجد روما والقسطنطينية ولقد تأثرت العقيدة العسكرية النصرانية بالفكر اليهودي والعقيدة العسكرية اليهودية الدموية إضافة لما ورثته من العقيدة العسكرية الوثنية لدى الإغريق (اليونان) التي كانت تدمر وتسفك الدماء وتستعبد الشعوب من أجل أمجاد أثينا.

لقد اجتمعت كل هذه النزعات العدوانية في العقيدة العسكرية النصرانية وبرزت بشكل أكثر دموية وتدميراً وحقداً أسوداً في الحروب الصليبية التي دامت ما يقرب من قرنين من الزمان اكتسحت جيوشهم المتوحشة الشرق العربي الإسلامي وحضارته الزاهرة فحصدوا خضراءها ودنسوا مقدساتها وأبادوا الآلاف من أهلها بأمر من البابا (إيربان) الحاقد على الإسلام وأهله.

كما تجلت في أبشع صورها في الغزو الاستعماري الحديث للعالم الإسلامي، وما رافقها من دمار وتخريب حضاري وهيمنة وتمزيق لوحدة البلدان وإذلال لشعوبها، وتمكين لليهود والصهاينة من أرض المقدسات فلسطين بعد أن ظلت عصية عليهم طيلة عهود الحكم الإسلامي إلى أن سقطت آخر دولة كانت تحرم عليهم حتى السفر إليها.

كما برزت بشاعتها بشكل أكبر في الغزو الامريكي – البريطاني للعراق وتدمير حضارته وبنيته وانتهكت مقدساته وخلف هذا الغزو ملايين الشهداء والأيتام والأرامل والمعوقيين والمغيبين في السجون والمهجرين.

٤- أما العقيدة العسكرية الفارسية فهي كذلك من أسوأ العقائد العسكرية لأنها

تهدف إلى تمجيد الأكاسرة واستعباد الشعوب وبث العقائد الثنوية الشركية الهدامة في أوساط الشعوب المغلوبة وقد ذاق العرب قبل الإسلام مرارة التسلط الفارسي البغيض في العراق والخليج العربي واليمن إلى أن جاء الإسلام وتحررت أرض العرب من رجس المجوس وإلى الأبد.



الباب الثاني

الاستنفار للجهاد وعوامل النصر في الفكر الإسلامي

الفصل الأول

الاستنفار للجهاد والتحريض على القتال في سبيل الله

الفصل الثاني

عوامل النصر في المعركة

الفصل الثالث

الاستعداد النفسي لجيش المسلمين

الفصل الأول

الاستنفار للجهاد والتحريض على القتال في سبيل الله

المبحث الأول : الاستنفار في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

المبحث الثاني : وسائل التحريض على الجهاد .

المبحث الثالث : بواعث الجهاد وأهدافه .

المبحث الأول

الاستنفار في القرآن والسنة

أولاً : الاستنفار في القرآن الكريم .

ثانياً : الاستنفار في السنة النبوية .

ثالثاً : الاستنفاربين الكفاية والعين .

المبحث الأول : الاستنفار في القرآن والسنة

أولاً : الاستنفار في القرآن الكريم :

قال تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]

قال الرازي رحمه الله: إن كلمة (ٱنفِرُواْ) تدل على وجوب النفر لأن أصل النفر هو الخروج إلى مكان لأمر واجب [2].

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[3] .

وهذه الآية تدل على الوجوب المطابق للأصل في صيغة الأمر لأنه تعالى نص أن تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر ولو لم يكن الجهاد واجباً لما كان هذا التثاقل منكراً[4] . وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك ، والمعنى: ما لكم أيها المؤمنون إذا قيل لكم أخرجوا لجهاد أعداء الله تباطأتم وتثاقلتم، وملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه، أرضيتم بنعيم الدنيا ومتاعها الفاني بدل نعيم الآخرة وثوابها الباقي[5] . ثم توعدهم الله تعالى على ترك الجهاد ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ

---

(١) سورة التوبة، الآية/٤١.

(٢) الرازي، تفسير الكبير، ج٤ ص٤٣٢.

(٣) سورة التوبة،/٣٨.

(٤) الطبري، تفسير ٨٣/١٠ وينظر الرازي ، التفسير الكبير، ٤٣٣/٤.

(٥) الصابوني، صفوة التفاسير، ٥٣٥/١٠.

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

قال المفسرون : أي أن لا تخرجوا إلى الجهاد مع رسول الله يعذبكم الله عذاباً إليماً موجعاً، باستيلاء العدو عليكم في الدنيا، وبالنار المحرقة في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنه هو حبس المطر عنهم[2] .وقال الرازي: هو تنبيه على شدة الزجر من حيث أنه تعالى قادر لا يجوز عليه العجز، فإذا توعد بالعقاب فعل [3] .

لقد بدأ الخطر الذي يحيق بالدولة الإسلامية الفتية وبالدين يتصاعد، حيث أصبح الرومان والفرس ينسون ما بينهم من نزاعات تاريخية قديمة وثارات عميقة ليواجهوا هذا الدين الجديد، لقد أخذ الروم يتجمعون في الشمال وعمالهم من الغساسنة لينقضوا على هذا الدين[4] .

علم الرسول ﷺ بماله من عيون بأنباء تحشد الروم لحرب المسلمين فأمر عليه الصلاة والسلام أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وأن لا يتخلف منهم أحد وكان ذلك في شهر رجب سنة تسع للهجرة[5] .

وكان الناس في عسرة من أمرهم حيث اشتد الحر وأجدبت الأرض وطابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الخروج في الحال التي هي عليها. وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي

(١) سورة التوبة، الآية/٣٩.
(٢) الطبري، تفسير، ١٣١/١٠.
(٣) الرازي، تفسير ، ٦١/١٦.
(٤) سيد، قطب، في ظلال القرآن، ١٦١/١٠.
(٥) ابن هشام ، السيرة، ج٤ ص٢١٥.

يقصد إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه ﷺ بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو ليتأهب الناس بما يلزم وليعد للأمر عدته[1] .

١ـ إعلان النفير العام للحرب والامتحان الصعب :

ولما قرر رسول الله ﷺ الموقف أعلن في الصحابة أن يتجهزوا للقتال، وبعث إلى القبائل العربية. أما داخل المدينة فقط أعلن النفير، وقد سبق ذكره ما أنزل في القرآن الكريم بصدده ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2] .

فقد ذكر مجاهد رحمه الله أنها نزلت في غزوة تبوك حيث أمروا بالنفير حين جني التمر وطيب الثمار واشتهاء الظلال فشق عليهم المخرج[3] . وقد طالبهم القرآن الكريم بأن ينفروا شباناً وشيوخاً، أغنياء وفقراء بقوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾[4] .

قال ابن حجر رحمه الله : (ونظراً لبعد السفر وشدة العسرة وكثرة العدو، كشف رسول الله ﷺ عن وجهته للمسلمين وأنه يريد لقاء الروم، ليتأهب الناس بما يلزم، ويعدوا للأمر عدته وكان ﷺ قل ما يريد غزوة يغزوها إلا وري بغيرها حتى لا يصل الخبر إلى عدوه فيأخذوا أهبتهم) [5] .

وقد سارع المسلمون إلى الخروج في هذه الغزوة، فما أن سمعوا النبي ﷺ يدعوا إلى قتال الروم إلا وتسابقوا إلى امتثال أمره، فقاموا يتجهزون للقتال وأخذت القبائل والبطون تهبط إلى المدينة المنورة من كل حدب وصوب[6] .

(١) ابن هشام، م.ن ج٤ ص٢١٦.
(٢) التوبة الآية/٣٨.
(٣) الطبري، تفسير، ج١٠/١٣٣.
(٤) التوبة الآية/٤١.
(٥) البخاري، الصحيح، (فتح الباري ٨/١١٣).
(٦) العيساوي، محمود خلف جراد (دكتور) فقه الغزوات (رسالة دكتوراه) ص ٣٩٤.

وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله وأمر بالإقامة فيهم، قال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ وقال له الرسولﷺ (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) [١] .وبدت أراجيف المنافقين تقول: ما خلفه إلا استثقالاً له، وتخففاً منه فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي رضي الله عنه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول اللهﷺ وهو نازل بالجرف، فقال يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني، فقال كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك[٢] . فرجع علي رضي الله عنه إلى المدينة ومضى رسول اللهﷺ على سفر، ولم يؤثر علي رضي الله عنه الثمار والظلال بل آثر الحر والظمأ والجوع في سبيل الله، وهذا شأن الصادقين الذين تربوا في رحاب مدرسة الرسولﷺ هذا نموذج من الرعيل الأول – ونموذج آخر هو (أبو خيثمة) رضي الله عنه قال: (تخلفت عن رسول اللهﷺ بعد أن سار إلى تبوك ودخلت في يوم حار إلى أهلي فرأيت عريشاً قد رش بالماء ورأيت زوجتي فقلت ما هذا بإنصاف رسول الله ﷺ في السموم والحر وأنا في الظل والنعيم فقمت إلى ناضح لي وثمرات فخرجت، فلما طلعت على المعسكر فرآني الناس قال النبيﷺ: (كن أبا خيثمة فجئت ، فدعاني) [٣] .

٢ـ سورة التوبة تكشف عن المخلفين :

١- لقد حزن الفقراء من المؤمنين لأنهم لا يملكون نفقة الخروج إلى الجهاد فهذا عُلبة بن زيد أحد البكائين صلى من الليل وبكى، وقال: (اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغّبت ، ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإني أتصدق على كل مسلم بكل

(١) البخاري، الصحيح، ١٧/٥ ومواضع أخرى، وينظر مسلم، الصحيح، ١٢٠/٧-١٢١.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٤/ص٢٢١.
(٣) ابن حجر، فتح الباري، ١١٣/٨.

مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض) فأخبرني النبيﷺ أنه قد غفر له[1] .

٢- وبلغ الأمر بالضعفاء والعجزة ممن أقعدهم المرض إلى حد البكاء شوقاً للجهاد فاعذرهم الله تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾.

٣- الثلاثة الذين خلفوا: فقد تخلف عن غزوة تبوك ثلاثة من الصحابة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية والثلاثة من الأنصار والمعروفين بحسن إيمانهم. فقد شهد كعب بن مالك سائر الغزوات قبلها سوى بدر، كما شهد بيعة العقبة الثانية،إلا أنه سوف الاستعداد للغزو ولم يكن يعتزم التخلف عنه، ولكن غلبه التسويف والميل إلى الظلال والثمار حتى خرج الناس! ! وأما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فكلاهما قد شهدا بدراً.

٤- كما تخلف عنه بضعة وثمانون رجلاً[2] .آخرون ، وقد ذكر الواقدي أن هذا العدد كان من منافقي الأنصار.

٥- وإن المعذرين من الأعراب كانوا أيضاً اثنين وثمانين رجلاً من بني غفار وغيرهم.

٦- عبد الله بن أبي ومن أطاعه من قومه كانوا من غير المذكورين في الفقرات الثلاث— وكانوا عدداً كثيراً[3] . وكان من يتخلف يظن أن لا أحد يفطن لتخلفه لكثرة الجيش[4] .

ففي رواية عن كعب أنهم (يزيدون على عشر آلاف)[5] . وقال زيد بن ثابت أنهم كانوا ثلاثين ألفاً[6] .

(١) ابن حجر، الإصابة ٥٤٦/٤-٥٤٨.

(٢) البخاري، صحيح، (فتح الباري، ١١٤/٨) وينظر الطبري تفسير ٥٨/١١.

(٣) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ١١٤/٨) وينظر الطبري تفسر ٥٨/١١.

(٤) ابن حجر ، فتح الباري، ١١٩/٨.

(٥) مسلم، الصحيح، ١٢٢/٨

(٦) الواقدي، المغازي، ٩٩٦/٣ ويبدوان أغلب المؤرخين يميلون إلى أنهم ثلاثين ألفاً.

وما علموا أن الله سبحانه وتعالى سينزل بحقهم قرآناً وأن رسول الله ﷺ سيسأل عنهم. فقد تفقد وهو في طريقه إلى تبوك بعض من تخلف وسأل أبارهَمَ كلثوم بن حصين الغفاري عمن تخلف من بني غفار وأسلم(1) . كما سأل في تبوك عن كعب بن مالك(2) .

وقد بين الرسول ﷺ من هم المتخلفين المعذورين في الآية الكريمة ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾(3) .

وخص عليه الصلاة والسلام هؤلاء والمتخلفين المعذورين ممن حسنت نياتهم واستقامت طويتهم بقوله (أن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، قالوا: يا رسول الله،وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر) (4)

وقد حكى كعب بن مالك أنه لم يبق بالمدينة إلا المنافقون وأهل الأعذار من الضعفاء(5).

لقد عقبت سورة التوبة بتفصيل على موقف المتخلفين ، فأنكرت عليهم التخلف عن النفير العام حيث تحول الجهاد إلى فرض عين ، ثم أعلنت قبول توبتهم وأخذ صدقات أموالهم بعد اعترافهم بذنوبهم في التحلف عن الغزوة.

---

(1) ابن هشام، السيرة ١٧٢/٤-١٧٣.

(2) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ١١٤/٨).

(3) سورة التوبة ، الآيتين /٩١-٩٢، والطبري ، التفسير ٢١١/١٠.

(4) ابن حجر، فتح الباري، ١٢٦/٨.

(5) البخاري، الصحيح(فتح الباري، ١١٤/٨).

٣ـ سورة التوبة تفضح المنافقين :

عرت سورة التوبة: المنافقين وأنهم لا يؤمنون بقدر الله ويحبون الحياة ويرغبون عن الجهاد بالنفس خوفاً من الموت، وقد ينفقون المال كرهاً دون نية صالحة، ولهم جرأة على قول الباطل فهم يتهمون سواهم بالجبن، فإذا حوسبوا على أقوالهم تنصلوا منها وزعموا أنهم كانوا يمزحون!! وقد رفض القرآن عذرهم وأعلن كفرهم ونهى عن الاستغفار لهم والصلاة على أمواتهم،وتوعدهم بالبكاء طويلاً في جهنم مقابل ضحكهم في الدنيا الفانية ومنعهم من المشاركة في الجهاد مستقبلاً تبكيتاً لهم وتنقية لصف المؤمنين من أمثالهم وتمييزاً لهم عن المؤمنين لئلاً يشيعوا فيهم الضعف والخذلان [1].

لقد كشفت سورة التوبة الغطاء عن فتن المنافقين باعتبار خطرهم الداهم على الإسلام والمسلمين وفضحت أساليب نفاقهم وألوان فتنهم وتخذيلهم للمؤمنين. حتى لم تدع لهم ستراً إلا هتكته ولا دخيلة إلا كشفتها، وتركتهم بعد هذا الكشف والإيضاح تكاد تلمسهم أيدي المؤمنين، وقد استغرق الحديث عنهم معظم السورة بدءاً من تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾ وإلى قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] ولهذا سماها بعض الصحابة (الفاضحة) لأنها فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه سألت عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن سورة براءة فقال: تلك الفاضحة، ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى خفنا ألا تدع منهم أحداً) [3]وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: أنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت

(١) العمري، السيرة الصحيحة، ٥٣٣/٢.

(٢) سورة التوبة ، الآية/٤٢ — إلى الآية/١١٠

(٣) القرطبي، تفسير ٦١/٨

أحداً من المنافقين إلا نالت منه [1] وهذا هو السر في عدم وجود البسملة فيها قال ابن عباس رضي الله عنه: سألت علي بن أبي طالب لم لم يكتب في براءة ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال لأن ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أمان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان. قال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب في صدر هذه السورة البسملة لأن التسمية رحمه... وهذه نزلت بالمنافقين بالسيف قال بعض المفسرين إن لسورة التوبة أسماء عديدة فقد قال الزمخشري رحمه الله أن لهذه السورة عدة أسماء، هي:

(براءة، والتوبة، والمقشقشة، والمبعثرة، والمشردة، والمخزية، والفاضحة، والمثيرة، والحافرة، والمنكلة، والمدمدمة، وسورة العذاب) قال: لأنه فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أن تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين ، وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها، وتفضحهم وتنكل بهم ، وتشردهم ، وتخزيهم ، وتدمدم عليهم) [2]

وقال الإمام الفخر: لما وصف الله تعالى المؤمنين يكون بعضهم أولياء بعض ذكر بعده خمسة أمور بها يتميز المؤمن عن المنافق:

١- فالمنافق يأمر بالمنكر.

٢- وينهى عن المعروف.

٣- ولا يقوم إلى الصلاة إلا بكسل.

٤- ويبخل بالزكاة وسائر الوجبات.

٥- وإذا أمر بالمسارعة إلى الجهاد فإنه يتخلف ويثبط غيره.

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢٤١/٢

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٢٤١/٢.

والمؤمن بالضد منه:

١- فالمؤمن يأمر بالمعروف.

٢- وينهى عن المنكر.

٣- ويؤدي الصلاة على الوجه الأكمل.

٤- ويؤتي الزكاة.

٥- ويسارع إلى طاعة الله ورسوله ويلبي نداء الجهاد.

ولهذا قابل الله تعالى بين صفات المؤمنين، وصفات المنافقين كما قابل في الجزاء بين نار جهنم والجنة فكانت مقابلة لطيفة [١].

بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [٢].

٤ـ فرح المخلفون بالقعود عن الجهاد أبكاهم :

قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [٣].

أي فرح المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك بقعودهم بعد خروج الرسول ﷺ مخالفة له حين سار وأقاموا، وكرهوا الخروج إلى الجهاد إيثاراً للراحة وخوف إتلاف النفس والمال لما في قلوبهم من الكفر والنفاق.

---

(١) الرازي، تفسير الكبير، ١٣٠/١٦ بشيء من التصرف.

(٢) التوبة ، الآية /٧١.

(٣) سورة التوبة الآيتين ٨١، ٨٢.

﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ ﴾ أي قال بعضهم لبعض: لا تخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجلِّ الرغائب ، وأشرف المطالب، التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه، كما فرحوا بأقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله ﷺ وقالوا لإخوانهم تواصياً فيما بينهم بالشر والفساد لا تنفروا في الحر، فقد جمعوا ثلاث خصال من الكفر والضلال: الفرح بالقعود وكراهية الجهاد، ونهي الغير عن ذلك[1]. قال تعالى رداً عليهم ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ أي قل يا محمد: نار جهنم التي تصيرون إليها بتثاقلكم عن الجهاد أشد حراً مما تحذرون من الحر المعهود فإن حر الدنيا يزول ولا يبقى، وحر جهنم دائم لا يفتر، فما لكم لا تحذرون نار جهنم؟ قال الزمخشري: وهذا استجهال لهم، لأن من تصوَّن من مشقة ساعة، فوقع بذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل[2]. ﴿ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾ أي لو كانوا يفهمون لنفروا مع الرسول ﷺ في الحر ليتقوا به حر جهنم الذي هو اضعاف اضعاف هذا ولكنهم كالمستجير من الرمضاء بالنار. قال ابن عباس رضي الله عنه، الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا، فاذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبداً) [3].

ثانياً : الاستنفار في السنة النبوية :

حفلت السنة النبوية الشريفة بأحاديث عديدة تستنفر المؤمنين للجهاد في سبيل الله وحثت على بذل النفس والمال والغالي والنفيس من أجل إرضاء الله وإعلاء كلمته فقد

(١) أبو السعود، تفسير، ٢/٢٨٦.
(٢) الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٩٦.
(٣) ابن كثير، مختصر التفسير، ٢/١٦٠.

ضمت السنة النبوية ذخيرة غنية من الأحاديث التي تحث على الجهاد وتبين فضل الجهاد ومكانة المجاهدين فضلاً عن مكانة الشهيد في سبيل الله وترفع من قدره وتنوه بما أحاطهم به من حفاوة وتكريم، والتحذير من التخلف عن الجهاد أو التقاعس عند الاستنفار وسنختار من تلك السنة النبوية الطيبة الأحاديث التالية على سبيل المثال لا الحصر عملاً بقوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]. ومن هذه الأحاديث ما يأتي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)[2].

٢- ويحث النبي ﷺ على القتال ويقرر مكانة الجهاد في سبيل الله بالنسبة إلى غيره من الأعمال فيجعله على رأس تلك الأعمال بعد الإيمان بالله، وذلك فيما يرويه البخاري ومسلم (عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله...)[3].

يقول ابن حجر رحمه الله: (وفي الحديث إن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان)[4].

٣- كما بين النبي ﷺ أن القاعدين عن الجهاد من المؤمنين الصالحين مهما اجتهدوا في أعمال البر والتقوى في غير ميدان الجهاد فلن يلحقوا بركب المجاهدين... وذلك فيما يرويه البخاري ومسلم: (عن أبي هريرة رضي الله قال: قيل يا رسول الله! ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك

---

(١) سورة التوبة، ٤١.

(٢) البخاري، الصحيح، ٣/٢٠٠، وينظر مسلم الصحيح ، ٣/١٤٨٧.

(٣) البخاري، الصحيح – حديث رقم ٢٥١٨ (فتح الباري، ج٥/١٤٨) ومسلم الصحيح رقم ٨٤.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٥/١٤٩.

ويقول: لا تستطيعونه،ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم، القائم القانت، بآيات الله لا يفتر من صلاة، ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله) [1]. هذا لفظ (مسلم) رحمه الله.

وعند البخاري رحمه الله: (جاء رجل إلى رسول اللهﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد قال: لا أجده. قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات) [2].

٤- كما بينت السنة النبوية أن الجهاد في سبيل الله أمان من النار ونجاة من العذاب يوم القيامة وذلك فيما يرويه البخاري رحمه الله: (أن رسول الله ﷺ قال: ما أغبرتا قدماً عبد في سبيل الله فتمسه النار) [3].

جاء حديث في فتح الباري: (المتبادر عند الإطلاق من ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ..... وقال ابن المنير.... دل الحديث على أن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار سواء باشر قتالاً أو لا... وقوله (فتمسه النار) بالنصب والمعنى:أنَّ المس ينتفي بوجود الغبار المذكور، وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرُّف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسعه؟ وللحديث شواهد ،منها ما أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء مرفوعاً (من اغبرت قدماه في سبيل الله باعد الله منه النار مسيرة ألف عام للراكب المستعجل) [1].

---

(١) مسلم، الصحيح، رقم ١٨٧٨ (ج١٤٩٨/٣).

(٢) البخاري، الصحيح، رقم ٢٧٨٥ (فتح الباري، ج٤/٦) و(يستن: يمرح وينشط ويكتب للمجاهد حسنات).

(٣) البخاري الصحيح، الحديث رقم ٢٨١١ (فتح الباري، ٢٩/٦).

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٢٩/٢-٣٠.

٥- ومن بواعث الاستنفار أن من بركات الجهاد في سبيل الله أن العمل من أعماله ولو كان قليلاً يمحو عن صاحبه ما يمكن أن تكون قد حوت صحائفه من خطايا، وما يمكن أن يكون قد اقترف في حياته من ثغرات في السلوك ويفتح أمامه أبواب الجنة بشهادة رسول اللهﷺ:

عن ابن عائذ قال: خرج رسول اللهﷺ في جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول اللهﷺ إلى الناس فقال : هل رآه أحد منكم على عمل الإسلام؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليلة في سبيل الله!

فصلى عليه رسول اللهﷺ وحثا عليه التراب وقال أصحابك يظنون أنك من أهل النار ، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة...) [1].

وفي رواية: قال رسول اللهﷺ: (... يثني عليك الناس شراً وأثنى عليك خيراً، فقال عمر رضي الله عنه وما ذاك يا رسول الله! فقالﷺ: دعنا منك ابن الخطاب، من جاهد في سبيل الله وجبت له الجنة) [2].

٦- وقوله ﷺ: (من رمى بسهم في سبيل الله تعالى بلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة، ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار عضواً بعضو) [3].

٧- وقوله ﷺ: (إرموا من بلغ العدو بسهم رفعة الله به درجة، قال ابن النحام: يا رسول الله وما الدرجة قال: أما إنها ليست بعتبة أمك! ولكن ما بين الدرجتين مائة عام) [1].

---

(١) التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، تحقيق الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت، ١٩٨٥م) الحديث/٣٨٦٠ج ١١٣٤/٢.

(٢) المنذري، الترهيب، وقال: رواه الطبراني وإسناده لا بأس به (ج/١١٧).

(٣) الألباني، صحيح سنن النسائي، الحديث رقم ٢٩٤٥ج٦٥٩/٢.

(١) الألباني، صحيح سنن النسائي، الحديث رقم ٢٩٤٧ج٦٦٠/٢.

٨- وقولهﷺ: (لروحة في سبيل الله، أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيدٍ يعني سوطه، خير من الدنياوما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً [١].ولنصيفها [٢]. على راسها خير من الدنيا وما فيها) [٣].

٩- ومن تكريم الإسلام للمجاهد في سبيل الله أنه جعله أفضل الناس ، فقد جاء (عن أبي سعيد الخدري قال: سئل رسول اللهﷺ أي الناس أفضل؟ قال: رجل يجاهد في سبيل الله) [٤].

١٠- (وعن أبي هريرة عن النبيﷺ... طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه،إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع) [٥]. هذا غيض من فيض مما جاء في السنة في الحث على الجهاد والاستنفار له.

ثالثاً : الاستنفار بين الكفاية والعين :

ذكرنا في مباحث سابقة كيف تدرج القتال وبيّنا مراحله منذ كان الجهاد القتالي، ممنوعاً في بداية الدعوة لقوله تعالى: ﴿ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [١]. على الرغم مما لاقاه المسلمون من أصناف العذاب والتقتيل والتهجير، ثم كان بعد ذلك الإذن بالقتال

(١) ريحاً تعني عطراً، ينظر الجوهري، الصحاح، ٥١٨/١.

(٢) نصيفها أي خمارها ، الجوهري ، م.ن ٥٧٣/٢ .

(٣) البخاري الصحيح – رقم (٢٧٩٦) فتح الباري ج١٥/٣ . وينظر مسلم، الصحيح ، رقم (١٨٨٠)

(٤) الترمذي، السنن، رقم (١٣٥٧) ج١٣١/٢– ١٣٢ للألباني.

(٥) البخاري، الصحيح ، حديث رقم (٢٨٨٧) (فتح الباري (٨١/٦).

(١) سورة النساء، الآية/٧٧.

بقوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾[1]. ثم جاء بعد ذلك الأمر بقتال من يقاتل بقوله تعـالى: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[2]. ثم كان بعد ذلك الأمر بقتال المشركين كافة وقد استقر حكم الجهاد وعلى النحو التالي.

١- عامة العلماء على أن الجهاد فرض، والجمهور من السلف والخلـف علـى أنـه فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

٢- وذهب فريق من العلماء إنه فرض عين علـى كـل مسـلم لقولـه تعـالى ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3].وقولـــــه ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتهم فانفروا) [4].ذكـر ابـن حجـر رحمـه الله في (باب وجوب النفير) أي الخروج إلى قتال الكفـار واصـل الـنفير مفارقـة مكـان إلى مكان لأمر حرك ذلك (قوله وما يجب من الجهاد والنية) أي ويبـان القـدر الواجـب مـن الجهـاد ومشـروعية النيـة في ذلـك وللنـاس في ذلـك حـالان: أحـدهما في زمـن الـنبيﷺ والأخرى بعده.

فأما الأولى: فأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقاً.

ثم بعد أن شرع هل كان فرض عين أو كفاية؟ قولان مشهوران للعلماء قال الماوردي رحمه الله (كان عيناً على المهاجرين دون غيرهم ويؤيـده وجـوب الهجـرة قبـل الفـتح في حق كل من أسلم إلى المدينة المنورة لنصرة الإسلام). وقال السهيلي رحمه الله (كـان عينـاً

(١) سورة الحج من الآية/٣٩.

(٢) سورة البقرة، ١٩٠.

(٣) سورة التوبة، ٤١.

(٤) البخاري، الصحيح، ٢٠٠/٣ ومسلم الصحيح، ١٤٨٧/٣.

على الأنصار دون غيرهم ويؤيده مبايعتهم النبيﷺ ليلة العقبة على أن يؤوا رسول اللهﷺ وينصروه . فيخرج من قولهما أنه كان عيناً على الطائفتين كفاية في حق غيرهم [1].

ومع ذلك فليس في حق الطائفتين على التعميم بل في حق الأنصار إذا طرق المدينة طارق وفي حق المهاجرين إذا أريد قتال أحد من الكفار ابتداءً، ويؤيد هذا ما وقع في قصة بدر فيما ذكر ابن إسحاق فإنه كالصريح في ذلك وقيل كان عيناً في الغزو التي يخرج فيها النبي ﷺ دون غيرها. والتحقيق أنه كان عيناً على من عينه النبيﷺ في حقه ولو لم يخرج [2].

وأما الحال الثابتة: فهو فرض كفاية على المشهور إلا أن تدعو الحاجة إليه كأن يدهم العدو، ويتعين على من عينه الإمام، ويتأدى فرض الكفاية بفعله في السنة مرة عند الجمهور ومن جهتهم أن الجزية تجب بدلاً عنه ولا تجب في السنة أكثر من مرة اتفاقاً فليكن بدلها كذلك.

وقيل تجب كلما أمكن وهو قوي والذي يظهر أنه استمر على ما كان عليه في زمن النبيﷺ إلى أن تكاملت فتوح معظم البلاد وانتشر الإسلام في أقطار الأرض ثم صار إلى ما تقدم ذكره [3].

والتحقيق أيضاً أن جنس جهاد الكفر متعين على كل مسلم إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه، كما سبق ذكره.

وقوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1]. هذه الآية متأخرة عن التي بعدها والأمر فيها مقيد بما قبله، لأنه تعالى عاتب

(١) ابن حجر، فتح الباري، ٣٧٧/٦.
(٢) ابن حجر، المصدر نفسه، ٣٧٧/٦.
(٣) ابن حجر، م.ن ٣٧٨/٦.
(١) سورة التوبة، الآية/ ٤١.

المؤمنين الذين يتأخرون بعد الأمر بالنفير ثم عقب ذلك بأن قال ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

وكأنها قدمت آية الأمر على آية العتاب لعمومها وقد قال القرطبي رحمه الله في معنى الآية: (إن الناس أمروا جملة، أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت) [1].

وقوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [2].

فهو مفروض على كل مسلم،لقوله ﷺ: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق) [3].

أ ـ الجهاد الأصل فيه أنه فرض كفاية :

استدل الجمهور على أن الجهاد فرض كفاية وليس فرض عين بأدلة من الكتاب والسنة ومنها:

قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلاً وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [1].

فدلت الآية الكريمة على أن القاعدين وإن كانوا أقل مكانة من المجاهدين، غير

---

(١) القرطبي، تفسير ١٥٠/٨ وينظر ابن الجوزي ، زاد المسير ، ٤٤٣/٣-٤٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٣) مسلم الصحيح بشرح النووي، ٨٣/١٣ ، حديث رقم (١٩١٠).

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

آثمين وذلك أنهم وعدوا الحسنى ولا يوعد بها عاص حيث ذكر معصيته، يقول ابن مسعود الفراء في تفسيره: (وهي في فضل الجهاد والحث عليه – أي ليس المؤمنون القاعدون من المجاهدين من غير عذر والمؤمنون المجاهدون كسواء غير أولي الضرر فإنهم يساوون المجاهدين لأن العذر أقعدهم، لقوله ﷺ: (إن في المدينة لأقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه، قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر) [1].

وفضل الله المجاهد مع النية وأولي العذر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا فنزلوا عنهم درجة) [2]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنه تعالى لما شدد على المتخلفين قالوا: لا يتخلف منا أحد عن جيش أو سرية أبداً، فلما قدم الرسول الله ﷺ المدينة وأرسل السرايا إلى الكفار، نفر المسلمون جميعاً إلى الغزو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت هذه الآية [1]. ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ أي فإذا لم يكن نفير الجميع ولم يكن فيه مصلحة فهو نفر من جماعة كثيرة فئة قليلة ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ أي ليصحبوا فقهاء ويتكلفوا المشاق في طلب العلم. (لأن رسول الله ﷺ ، بعث إلى بني لحيان ليخرج من كل رجلين

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٢٦/٨.

(٢) البغوتي، معالم التنزيل، ج١ ص٥٨٠.

(٣) سورة التوبة، الآية /١٢٢.

(١) الرازي، التفسير الكبير، ٢٢٥/١٦.

رجل ثم قال للقاعد أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج) [1]. لقوله ﷺ: (من خلف غازياً فقد غزا) رواه مسلم[2].

وهو عند البخاري بلفظ: (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا) [3].

ولو كان فرض عين لخرج جميع الناس إليه، ولأدى ذلك إلى إفساد الأرض وترك إعمارها، وترك طلب المعاش، فيهلك بذلك المسلمون ويهزمون من حيث عملوا للنصر والتمكين لدين الله في الأرض[4].

وقد أجاب الجمهور على أدلة القائلين بأن الجهاد فرض عين:

بأن آية ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ ورواه أبو داود وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وربما كان معنى انفروا أي لما استنفرهم الرسول ﷺ يوم تبوك فصار النفير عاماً وواجباً على الكل لطلب الإمام ذلك[1].

ويؤيد ذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله : قوله ﷺ يوم فتح مكة (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) [2].

ومعنى كون الجهاد فرض كفاية أنه يجب أن يخرج عن الأمة إليه من يحقق

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ٢٦٦/١٩.
(٢) جزء من الحديث رواه مسلم، ينظر مسلم، الصحيح بشرح النووي ، ٦٠/١٣ حديث رقم /١٨٩٥).
(٣) البخاري، الصحيح مع فتح الباري، ١٣٦/٦ ، الحديث رقم /٢٨٤٣.
(٤) ابن تيميه، مجموع الفتاوي، ٢٦٦/١٩.
(١) ابن قدامة، المغني، ٢٦٦/٩، وينظر ابن الجوزي، تفسير زاد المسير ٤٤٣/٣.
(٢) سبق تخريجه.

قتالهم كفاية المسلمين في حرب عدوهم والتمكين لدين الله في الأرض[1].

ويقرر محمد الزحيلي أن (الفرض والواجب بمعنى واحد عند الجمهور) [2].ثم يعرف الواجب الكفائي فيقول: (والواجب الكفائي ، هو ما طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين ، لا من كل فرد بعينه فإذا قام بعض المكلفين فقد تأدى الواجب وسقط الإثم عن الباقين وسمي واجباً كفائياً لأن قيام بعض المكلفين به يكفي للوصول إلى مقصد الشارع، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورد السلام والجهاد واكتساب أنواع العلوم المختلفة وأنواع الصنائع وصلاة الجنازة... وغيرها).

أ ـ الحالات التي يتعين فيها الجهاد ويعلن النفير العام :

يقول محمد الزحيلي في تعريفه الواجب العيني:

(هو ما طلب الشارع فعله من كل فرد من أفراد المكلفين ، وسمي واجباً عينياً لأن خطاب الشارع يتوجه إلى كل مكلف آخذ به، لابد من أدائه من جميع المكلفين كالصلاة والزكاة والحج والوفاء واجتناب الخمر والميسر. (وحكمه أن كل ملتزم به وان ذمته مشغولة به حتى يؤديه بنفسه، فإذا به فله الأجر والثواب، وإن تركه فهو آثم وعليه العقاب.

(ويقصد الشارع من هذا الواجب أمرين: القيام بالواجب من جهة، والتزام كل فرد بعينه من جهه أخرى) ويعلق الزحيلي على الفقرة الأخيرة من كلامه في هامش كتابه فيقول: (وقد يكون الواجب العيني من فرد واحد بعينه، وذلك في حالات انقلاب الواجب الكفائي إلى واجب عيني، كطبيب واحد في بلد، وسباح واحد أمام الغريق وعالم

---

(١) التكروري، نواف هايل (دكتور) أحكام التعامل السياسي مع اليهود، دار الشهاب ، ط١(دمشق/، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠ م) ص ١٥٤.

(٢) الزحيلي، محمد مصطفى(دكتور) أصول الفقه الإسلامي، نشر جامعة دمشق (دمشق، ١٤٠١هـ – ١٩١٨م /١٤٠٢ هـ –١٩٨٢م) ص ٢٣٥.

واحد يصلح للقضاء وتتوفر فيه شروطه، فكل منهم يجب عليه بعينه القيام بالعمل وهذا واجب عيني عليه) [1].

ويتعين الجهاد عند العلماء في ثلاث حالات هي :

الحالة الأولى : يكون الجهاد فرض عين ويعلن النفير العام إذا داهم العدو بلاد المسلمين – والأعداء اليوم يهاجمون بلاد المسلمين في كل مكان – فعندئذ لامجال لحياة مدنية ولا لحياة بيتية فيجب الخروج على كل مسلم مكلف ذكر أو أنثى عبد أو حر... وتسقط حينها حقوق الولاية الخاصة، فلا حاجة لاستئذان الولي الذي يجب استئذانه في الأحوال العادية، لأن الخطر الداهم عام والاستئذان حق خاص وقد تعارضا، فيسقط الحق الخاص للصالح العام بل إن العام والخاص يكونان في مثل هذه الحال في خطر [2].

الحالة الثانية : إذا استنفر الإمام المسلمين – عندما يكون للمسلمين إمام كماقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [1].

وقوله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) [2]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وفيه وجوب تعيين الخروج في الغزو على من عينه الأمام) [3].

---

(١) الزحيلي، محمد مصطفى، أصول الفقه الإسلامي ، ص ٢٥٦.

(٢) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ٣٠٢/٤ والهداية ٤٢٦/٢ ومواهب الجليل ٣٥٠/٣.

(١) سورة التوبة، الآيتين /٣٨-٣٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري، الصحيح، رقم الحديث ، ٢٨٢٥ (فتح الباري ، ٣٧/٦) وينظر مسلم، الصحيح، ١٤٨٧/٣.

وقال الكاساني رحمه الله: (فإذا عم النفير لا يتحقق القيام بـه إلا بالكـل ، فبقـي فرضاً على الكل عيناً بمنزلة الصوم والصلاة) (1).

الحالة الثالثة : أن يلتقي الصفان صف المسلمين وصف الكافرين للقتال ويلتحم الجيشان فإنه يحرم على المسلم الفرار في هذه الحالة، وعندئذ لا يجوز لواحد من جيش المسلمين أن ينسحب ويصبح الجهاد في حق كل مسلم موجود في ساعة المعركة فرضاً عينياً فلا يجوز له النكوص حتى ولو كان من وراءه من المسلمين يستطيعون تحقيق الهدف لأن فتح مجال التراجع في مثل هذه الموقع – ولو كانت قوة المسلمين أضعاف قوة الكفار– سبيل إلى زعزعة الصف. لأنه من تولية الكفار الأدبار الذي نهى الله تعالى عنه وتوعد عليه بالغضب وجعله من كبائر الذنوب لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (2).



(1) الكاساني، بدائع الصنائع، ٤٣٠١/٩.

(2) سورة الأنفال، الآيتين ١٥–١٦.

المبحث الثاني

وسائل التحريض على الجهاد

أولاً : التحريض على الجهاد في القرآن الكريم .

ثانياً : التحريض على الجهاد في السنة النبوية .

ثالثاً : التحريض على الجهاد بالقدوة الحسنة للمتبوع .

المبحث الثاني : وسائل التحريض على الجهاد

أولاً : التحريض على الجهاد في القرآن الكريم :

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[2].وقوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله: (يأمر الله تعالى عبده، ورسوله محمداًﷺ بأن يباشر القتال بنفسه ومن نكل عنه فلا عليه منه ولهذا قال ﴿ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ ﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك والمعنى قاتل ورغبهم فيه عسى الله أن يكف حرب الذين كفروا لك بتحريضك إياهم على القتال تبعث هممهم على منازلة الأعداء ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله[4]. ومقاومتهم ومصابرتهم – والله أشد بأساً منهم وأشد تعذيباً منهم.

وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي...

---

(١) سورة الأنفال الآية/٦٥.

(٢) سورة الصف، الآيتان/١٠-١١.

(٣) سورة النساء،الآية/٨٤.

(٤) ابن كثير، تفسير، ج١/٤١٧-٤١٩ وينظر الخازن في تفسيره ، ج١/٥٦٤.

فخرج بسبعين راكباً إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلـوبـهم) [1].
ولهذه عدة أسماء[2]. فهي بدر الأولى وهي غزوة سفوان أو غزوة كـرز بـن جـابر الفهـري وكانت على رأس ثلاثة عشر شهراً.

وعن النبي ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا يا رسول الله: وما هن؟ قـال : (الشرك بالله، والسحر وقتـل الـنفس الـتي حـرم الله إلا بـالحق، وأكـل الربـا وأكـل مـال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) [3].

ولكن في الآية الكريمـة: (إذا لقيـتم الـذين كفـروا زحفـاً) استثناء حـالتين ، إذا فعلهما المجاهد المسلم لا تكونان محرمتين عليه، وإن كان ظاهرها أنه ولى عدوه ظهره:

الأولى : التحرف ، وهو أن ينتقل المجاهد من موقع إلى آخر احتيالاً علـى العـدو، وقد يدير عنه يوهمه أنه هارب ثم يكر عليه.

والثانية : التحيز إلى فئة ، وذلك أن يعلم المجاهدون أن لاطاقة لهم بقتال العدو إما لكثرته أو قوة عدته، فينحازون إلى طائفة من جيش المسلمين لمناصرتهم سواء كانت هذه الطائفة قريبة أم بعيدة فالتحيز بهذه النية ليس حراماً وهناك حالة أخرى ذكرت مفصلة في آية أخرى لا تكون أيضاً حراماً،وهي أن يكون العدو أكثر من ضعف المجاهدين المسلمين ، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن

---

(١) ابن حزم، جوامع السيرة، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات ج٢ ص٩ والتنبيه والإشراف ص ٢٠٢.

(٣) البخاري، الصحيح، رقم الحديث(٢٧٦٦) فتح الباري (٣٩٣/٥) ومسلم الصحيح (٩٢/١).

مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

قال المفسرون: يحرض الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران ويخبرهم بأنه كافيهم وناصرهم مؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم وترادفت إمداداتهم ولو قل عدد المؤمنين[2].

وللعلماء في هاتين الآيتين رأيان:

الرأي الأول: أن آية الضعف هذه ناسخة للأية التي قبلها، فقد كان الواجب على المسلم أن يقف أمام عشرة من أعدائه ولا يجوز له الفرار ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ ثم خفف الله عن المسلمين فأجازهم لهم أن يفروا من العدو إذا زاد عن ضعفهم فيقف العشرون أمام أربعين من العدو وجوباً، فإذا زاد عدو العدو عن أربعين فللمسلمين أن يفروا منهم كما هو ظاهر الآية الأخيرة وبعضهم لا يرى في الآيتين نسخاً وإنما هو تخفيف للحكم.

والرأي الثاني: أن العدد غير مقصود لذاته وإن المسلمين إذا وقفوا في الصف لقتال الكافرين فليس لهم حق في الفرار من الزحف مطلقاً واستدلوا بنهي الله سبحانه وتعالى عن أن يولي المسلمون أدبارهم عدوهم وحديث أبي هريرة رضي الله عنه آنف الذكر وفيه عد رسول الله ﷺ (التولي يوم الزحف) من الموبقات.

قالوا: وآخر الأية التي أدعى نسخها وهو قوله تعالى: ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ يدل على أن انتصار المؤمنين على الكافرين بسبب حسن قصدهم واعتمادهم

(١) سورة الأنفال، الآيتين /٦٥-٦٦.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج١/ص١٦٦/١٦٧ والقرطبي، تفسير ، ج٨ص ٤٢-٤٣ وابن كثير، تفسير ، ج٢/ص١١٦-١١٧.

على ربهم، لأنهم يقاتلون في سبيله راجين أن يرضوه جل في علاه بإعلاء كلمته ونيل الشهادة في سبيله، وهم بذا يقدمون الموت على الحياة، وهو معهم، بخلاف أعدائهم الكفرة. - مهما كثر عددهم - فليس عندهم فقه يجعلهم يثبتون في المعركة ثبات المؤمنين، والله تعالى في صف عبادة المؤمنين، فكثرة الكافرين لا تنفعهم وقد أثبتت الوقائع التاريخية انتصار العدد القليل من المؤمنين على العدد الكثير من عدوهم، وقد نص الله على ذلك في قوله ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

ومن ذلك ما حصل في معركة بدر حيث أن عدد جيش المشركين بلغ ألفاً[2]. وعدد جيش المسلمين ثلاثمائة وتسعة عشر جلاً فقط[3]. وكان عدد جيش المسلمين في معركة مؤتة ثلاثة آلاف مقاتل[4]. وكان عدد عدوهم من الروم وأنصارهم مائتي الف[5].

وكان عدد جيش طارق بن زياد رحمه الله في الأندلس ألفاً وسبعمائة مقاتل وعدد جيش النصارى سبعين ألفاً[6].

وحمل ابن حزم رحمه الله - كعادته على من أدعى النسخ في الآية أو أنه يفهم منها جواز الفرار من العدو المذكور، كما هو الرأي الأول فقال: (وأما الآية تعلق لهم فيها، لأنه ليس لهم فيها لا نص ولا دليل بإباحة الفرار من العدد المذكور، وإنما فيها أن الله تعالى علم أن فينا ضعفاً، وهذا حق إن فينا لضعفاً، ولا قوي إلا وفيه ضعف

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٤٩.

(٢) مسلم، الصحيح، بشرح النووي، ٨٤/١٢.

(٣) مسلم، الصحيح، بشرح النووي ، ٨٤/١٢ والبخاري الصحيح (فتح الباري ٢٩٠/٧-٢٩٢).

(٤) ابن هشام، السيرة، ٤٢٧/٣.

(٥) ابن هشام، السيرة، ٤٣٠/٣.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير) ، ٣٨١/٧.

بالإضافة إلى ما هو أقوى منه إلا الله تعالى وحده، فهو القوي الذي لا يضعف ولا يغلب، وفيها أن الله تعالى خفف عنا، فله الحمد وما زال تعالى ربنا رحيماً بنا يخفف عنا في جميع الأعمال التي ألزمنا ، وفيه أنه إن كان منا مائة صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منا ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، وهذا حق، وليس فيه أن المائة لا تغلب أكثر من مائتين ولا أقل أصلاً بل قد تغلب ثلثمائة ، وألفين وثلاثة آلاف، ولا أن الآلف لا يغلبون إلا الألفين فقط لا أكثر ولا أقل. ومن ادعى هذا في هذه الآية فقط أبطل إذا أدعى ما ليس فيها منه أثر ولاإشارة ولا نص ولا دليل[1]. بل لقد قال عز وجل : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[2].

ويقول ابن حزم رحمه الله:

(فظهر أن قولهم لا دليل عليه أصلاً. ونسالهم عن فارس بطل شاكي السلاح قوي لقي ثلاث من شيوخ اليهود الحربيين ، هرمى، مرضى، رجاله، أو على حمير أله أن يفر عنهم؟ لئن قالوا: نعم ليأتن بطامة بأياها الله والمؤمنون وكل ذي عقل وأن وإذا رأى المؤمنون وكل ذي وان قالوا: (لا ليتركن قولهم)[3]. قالوا: أنهم لاطاقة لهم بقتال الكافرين لكثرتهم، أو كثرة عدتهم ، فإن الله قد جعل لهم مخرجاً بواحدة من أمرين:

الأمر الأول: التحيز إلى فئة والأمر الثاني: التحرف للقتال، والتحرف، هو الانتقال من مكان إلى آخر يمكنهم فيه الثبات ولو إن ولوا العدو الأدبار في الظاهر، لأنهم يفعلون ذلك ليتمكنوا من الثبات والمصابرة والمغالبة، والتحيز إلى فئة يشمل رجوع

(١) ابن حزم، المحلى، ٧/٢٩٢-٢٩٣.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٤٩.

(٣) ابن حزم — المحلى ، ٧/٢٩٣.

المجاهدين إلى إمام المسلمين لطلب النجدة فلا يبقى عذر للمسلم أن يفر من عدوه بدون نية أحد هذين الأمرين [1].

وهذا الرآي قوي، وهو اللائق بعزة المسلم واستبساله واعتماده على ربه سبحانه وتعالى، وقد يشكل عليه كون الآية التي فيها التخفيف جعل عدد العدو المغلوب مائتين، وعدد المسلمين مائة بنسبة واحد من المسلمين إلى اثنين من الكافرين وهكذا ألف من المسلمين يقاتلوا ألفين من الكافرين ، والآية التي قبلها جعل مائة تقابل ألفاً، مما حمل بعض المفسرين وعلى رأسهم ابن جرير رحمه الله أن يقول بنسخ الآية الثانية الأولى [2]. وحمل بعض العلماء الآية الأولى ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ ﴾ على حال قوة المسلمين والآية التي تليها ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ ﴾ على حال ضعفهم، فهو تخفيف وليس بنسخ [3].

التحريض بتلاوة القرآن الكريم في الجهاد :

ويكون التحريض على الجهاد بتلاوة آيات القرآن الكريم بشأن الجهاد في سبيل الله بالنفس وبالمال وباللسان أمراً بهذا الجهاد، ونهياً عن تركه لما وعد الله تعالى به المجاهدين في سبيله من عظيم الثواب، ورفيع الدرجات ، والظفر بنعيم الجنات، وما توعد به الناكصين عن الجهاد من العذاب في الدنيا والآخرة، ومن هذا العذاب في الدنيا استيلاء الكفرة على ديار هؤلاء المتقاعسين عن الجهاد لقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ

(١) الكاساني، بدائع الصنائع(٤٣٠/٩)
(٢) القرطبي، تفسير جامع البيان عن أي القرآن ، ٤١/١٠.
(٣) الألوسي، روح المعاني، ٣١/١٠ وينظر سيد،قطب، في ظلال القرآن(١٥٥٠/١٠)

ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[1].

قال ابن العربي في تفسير هذه الآية(فالعذاب الأليم هو الذي في الدنيا باستيلاء العدو على من لا يستولي، وبالنار في الآخرة[2].

وفي تفسير الرازي: (والعذاب يحتمل أن يكون المراد منه عذاب الدنيا، وأن يكون المراد منه عذاب الآخرة، وقيل يشمل الآثنين) [3].

وكان للقراء دور بارز في حث المقاتلين على بذل ما في وسعهم ورفع معنوياتهم وتعبئتهم وتحريضهم للقتال قبل الدخول في المعركة وجعلهم مؤمنين بعدالة قضيتهم التي يحاربون من أجلها.

ولا ريب أن للقرآن الكريم تأثير في النفوس فهو يدفع المقاتلين إلى التضحية واقتحام الموت طالبين عدوهم ، فكانوا يقرؤون سورة الأنفال بين صفوف المقاتلة عملاً بالسنة التي سنها النبي ﷺ بعد معركة بدر [4].

وفي معركة اليرموك كان المقداد بن عمرو رضي الله عنه يتلو على المقاتلين سورة الأنفال [5].

وكان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أثره الملموس في إذكاء الروح القتالية عند

---

(١) سورة التوبة، الأيتان /٣٨-٣٩.

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن ، ج٢/ص٩٣٨.

(٣) الرازي، تفسير، ج١٦، ص٦١.

(٤) الطبري، تاريخ، ٣٩٧/٣.

(٥) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٦٧/١.

المسلمين فقد خرج على الناس يذكرهم يقول:

(يا أهل القرآن ومستحفظي الكتاب ، وأنصار الهدى، ثم قرأ عليهم).

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[1].

ثم خاطب الناس قائلاً: (فاستحوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم عز بغيره – وكان يمشي في الصفوف ويذكرهم....)[2].

وفي معركة القادسية يذكر الطبري[3]. رحمه الله: (لما صلى سعد رضي الله عنه الظهر أمر الغلام الذي إلزمه عمر رضي الله عنه اياه – وكان من القراء – أن يقرأ سورة الجهاد، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد ، فقرءت في كل كتيبة، فهشمت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها).

ولم يقتصر دور القراء على تلاوة القرآن فقط وإنما شاركوا بصورة فعلية في المعارك كما في تحرير أفريقية سنة ٣٢هـ عندما شارك القارئ الشهير سليمان بن يسار رضي الله عنه مع قائد الحملة معاوية بن خديج رضي الله عنه[4].

وكان للقراء دور مهم أيضاً في معركة صفين، فقد استخدم الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على مقدم الجيش زياد بن النضر وشريح بن هاني رضي الله عنهما[5].

كما برز القراء في ليلة الهرير بصفين وكان الخليفة علي رضي الله عنه يأمر كل كتيبة من القراء أن تقدم على التي تليها[6].

---

(١) سورة الفتح، الآية/٢٩.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣٦/١.

(٣) الطبري، تاريخ، ٥٣٦/٣.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص١٩٣.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٦٨.

(٦) المنقري، نصر بن مزاحم(ت ٢١٢هـ وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون مطبعة المدينة (القاهرة، ١٩٦٢م) ص٤٧٥.

ثانياً : التحريض على الجهاد في السنة النبوية :

وكذلك يكون التحريض على الجهاد بذكر أحاديث الرسولﷺ الآمرة بالجهاد والناهية عن التقاعس عنه، والمبينة عظيم أجر الجهاد والمجاهدين وإثم القاعدين المتقاعسين ، وهذه نماذج من الأحاديث التي تبين فضل القتال في سبيل الله وتحرض المؤمنين عليه:

١- أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه أن النبي ﷺ قال: (الروحة والغدوة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها) والغدوة من الغدو، وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة هي المرة الواحدة من الرواح ، وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها.

وقوله (في سبيل الله) أي في الجهاد وفي (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) البخاري ومسلم : (وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)[(1)].

٢- وأخرج البخاري رحمه الله في صحيحه أن النبيﷺ قال: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة). وفي رواية أخرى: (لما يرى من فضل الشهادة). قال ابن بطال: هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة قال: (وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب) [(2)].

٣- أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه حديثاً جاء فيه قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول اللهﷺ :(مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله) [(3)].

---

(١) البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري ج٢ ص١٤، وينظر عبد الباقي، محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان مطبعة عيسى الحلبي وشركاه (القاهرة، ب ت) ج٢ ص٢٠٢.

(٢) البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، ج٢ ص٣٢-٣٣.

(٣) البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، ج٢ ص٦.

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُهُ يدمي: اللون لون الدم والريح ريح المسك) [١].

٥- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض[٢].

٦- وعن أبي عبس عبد الرحمن بن جبر، رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار) [٣].

٧- وعن جابر رضي الله عنه قال، قال:أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟ قال عليه الصلاة والسلام. (في الجنة) فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قتل[٤].

٨- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من طلب الشهادة صادقاً أعطيها[٥].

٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما يجد الشهيدمن مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة) [٦].

١٠- وعن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (من قاتل في سبيل الله من رَجُلٍ مُسلمٍ فُواقَ ناقةٍ[٧]. وجبت له الجنة ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة[١].فإنها

(١) البخاري، الصحيح ، ١٥/٦و ٥٦٩/٩ ومسلم، الصحيح (١٨٧٦) والنسائي ٢٨/٦-٢٩.

(٢) البخاري، الصحيح، ١٠/٦، ٩.

(٣) البخاري، الصحيح، ٢٣/٦.

(٤) مسلم، الصحيح ، ١٨٩٩.

(٥) أعطيها: أي أعطي ثوابها.

(٦) الترمذي، السنن، ١٦٦٨ والنسائي، السنن ٣٦/٦.

(٧) فواق ناقة، بضم الفاء وتخفيف الواو آخره قاف، هو كناية عن قليل الجهاد. ينظر الجوهري، الصحاح ، ٢٦٦/٢.

(١) النكبة(بفتح النون وسكون الكاف) هي ما يصيب الأنسان، من الحوادث، والجمع نكبات، ينظر الجوهري، م.ن ٦٠٨/٢.

تجيء يوم القيامة كأغزر، ما كانت : لونها الزعفران وريحها كالمسك) [1].

١١- وعن عثمان رضي الله عنه سمعت رسول اللهﷺ يقول: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) [2].

١٢- وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال سمعت أبي ، رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول اللهﷺ (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف) فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى أأنت سمعت رسول اللهﷺ يقول هذا؟ قال: نعم ، فرجع إلى أصحابه، فقال: (أقرؤ عليكم السلام) ثم كسر جفن[3].سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل) [4].

١٣- وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة[5].فقال هذه في سبيل الله ، فقال رسول اللهﷺ:(لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة) [6].

١٤- وعن أبي حماد ويقال أبو سعاد ويقال أبو أسد: ويقال أبو عامر ويقال أبو عمرو ويقال أبو الأسود ويقال أبو عبس – عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺ وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي) [1].

---

(١) ابو داود، السنن، ٢٥٤١ والترمذي السنن، ١٦٥٧ والنسائي ٦/٢٥-٢٦.

(٢) الترمذي، السنن ١٦٦٧ ، والنسائي، ٤٠/٦.

(٣) جفن سيفه: (بفتح الجيم وسكون الفاء وبالنون ، أي غلافه) ينظر الجوهري ، الصحاح ، ١٩٦/١.

(٤) مسلم، الصحيح، ١٩٠٢والترمذي ، السنن، ١٦٥٩.

(٥) ناقة مخطومة، أي مجعول في رأسها الخطام، ينظر الجوهري ، الصحاح، ٣٥٧/١.

(٦) مسلم، الصحيح(١٨٩٢).

(١) مسلم، الصحيح(١٩١٧).

١٥- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال مر النبي ﷺ على نفر ينتضلون[١]. فقال: (إرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً) [٢].

١٦- وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عِدْل[٣]. محررة) [٤].

١٧- وعن أنس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: (اللهم أنت عضدي[٥].ونصيري ، بك أجول وبك أصول، وبك أقاتل) [٦].

١٨- وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: (اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم) [٧].

١٩- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (الخيل معقود في نواصيها[٨]. الخير إلى يوم القيامة) [٩].

٢٠- وعن أبي يحيى خريم بن فاتك رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ : (من أنفق نفقه في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف) [١].

---

(١) ينتضلون، أي: يترامون بالسهام للسبق. ينظر الجوهري، الصحاح، ٥٧٦/٢.

(٢) البخاري، الصحيح، ٢٩٥/٦، ٢٩٦.

(٣) فهو له عدل محررة (بكسر العين وسكون الدال المهملتين) المثل، والمحررة: الرقبة المعتقة، ينظر الجوهري، الصحاح، ٢٥٠/١.

(٤) أبو داود، السنن ٣٩٦٥ والترمذي ، ١٦٣٨ والنسائي ٢٧/٦.

(٥) أنت عضدي (بفتح العين وضم الضاد) أي نصيري فهو عطف تفسير. ينظر الجوهري، الصحاح، ١٢٤/٢.

(٦) أبو داود، السنن، ٢٦٣٢ والترمذي ٣٥٧٨.

(٧) أبو داود، السنن، ١٥٣٧.

(٨)النواصي، جمع ناصية وهي الشعر المسترسل على الجبهة.

(٩) البخاري، الصحيح، ٤٠/٦ ومسلم، الصحيح١٨١٧ والنسائي ، ٢٢١/٦-٢٢٢.

(١) الترمذي، السنن١٦٢٥ والحاكم ٣٤٥/٤.

ثالثاً : التحريض على الجهاد بالقدوة الحسنة للمتبوع :

وقد يكون التحريض بالقدوة الحسنة للمتبوع في قومه بأن يقوم بنفسه بالعمل بالمراد تحريض الناس عليه، فيحملهم ذلك على المسارعة إليه اقتداءً به واتباعاً له فقد ثبت في حفر الخندق – في معركة الخندق – أن النبي ﷺ شارك فيه ، فقد روى البخاري رحمه الله في (صحيحه) ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وأرى التراب شعر صدره[1]. قال ابن حجر رحمه الله (إن في مباشرته ﷺ الحفر بنفسه – حفر الخندق – تحريض للمسلمين على العمل ليتأسوا به في ذلك) [2].

فينبغي للإمام ولكل متبوع في قومه أو في الناس أو في جيش المسلمين أن يختلط بالناس ويسمعهم صوته ويذكر بمعاني الآخرة وبضرورة الجهاد، وأن يباشر بنفسه ما يقدر عليه من أعمال الجهاد أو مقدماته ومتطلباته) [3].

ومن التحريض المؤثر تحريض الإمام للمسلمين على الجهاد، ومنه القتال في سبيل الله فإن تحريض الإمام يبعث الحماس في النفوس، ويدفع الناس إلى العمل بمتطلبات الجهاد بخفة ونشاط، ويستحسن في التحريض على القتال أن يذكر الأمام المسلمين بنعيم الآخرة الذي يناله المجاهدون في سبيل الله، وأن العيش الرضي الذي ينبغي الحرص عليه هو نعيم الآخرة وإن الطريق إليه هو القتال في سبيل الله. وقد دل على هذا ما أخرجه البخاري رحمه الله في (صحيحه) عن أنس رضي الله عنه وجاء فيه: (خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم

(١) البخاري، الصحيح، بشرح فتح الباري ، ج٦ ص١٦٠.
(٢) البخاري، الصحيح، بشرح فتح الباري ، ج٦ ص٤٦.
(٣) زيدان، المفصل، ج٤ ص٥١١.

عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأىﷺ ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة فقالوا مجيبين نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً) [(١)]. وقال ابن النحاس (ت٨١٤هـ) [(٢)]. رحمه الله (ولم يزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم مستمرين في التحريض على الجهاد. وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من حرض أخاه على الجهاد كان له مثل أجره، والدليل على ذلك حديث رسول اللهﷺ. روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ قال : (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) [(٣)].

وقد حرض خالد بن الوليد رضي الله عنه على القتال في أجنادين وقال: (يا معشر الناس انصروا الله ينصركم. وقاتلوا في سبيل الله واحتسبوا أنفسكم في سبيل الله واصبروا على قتال أعدائكم . وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم ودينكم وليس لكم ملجأ تلجؤون إليه ومكمن تكمنون فيه. فاقرنوا المناكب وقدموا المضارب، ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ولتكن السهام مجتمعة إذا خرجت من أكباد القسي كأنها تخرج من كبد قوس واحد. فإنه إذا تلاحقت السهام رشقاً كالجراد لم يخل أن يكون فيها سهم صائب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون. وأعلموا أنكم لا تلقون عدواً مثل هذه الفئة حماتهم وأبطالهم وملوكهم) [(١)].

---

(١) البخاري، الصحيح بشرح فتح الباري، ج٢ ص٤٥-٤٦.

(٢) ابن النحاس، أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي، تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، هذبه وانتقاه، صلاح عبد الفتاح الخالدي دار النفائس، (الأردن، ١٤١٩ خ،/١٩٩٩م) ص٨٧-٨٨.

(٣) مسلم الصحيح، (١٨٩٣).

(١) شيخو، لويس / مجاني الأدب في حدائق العرب، ج٦، ص ٤٧ نقلاً عن الواقدي في فتوح الشام.

وفي معركة اليرموك خرج معاذ رضي الله عنه محرضاً الناس يقول: (يا أهل الدين ويا أنصار الهدى والحق إعلموا أن رحمة الله تعالى لا تنال إلا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمني وبغير عمل مرض. ولا يؤتي الله مغفرته الواسعة إلا الصالحين والصادقين فإنه قد اقسم أنه ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، واستحيوا رحمكم الله من الله تعالى أن يراكم الله منهزمين من عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم ملجأ من دونه) [1].

ولما بلغ طارق بن زياد رحمه الله دنو رذُرْيق قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه ومما قال: (أيها الناس أين الامفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر وأعلموا أنكم في هذه الجزيرة .. وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم... وإن انتهاز الفرصة فيه لمكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمر أنا عنه بنجوه ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس، أبداً بنفسي وأعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفة الألذ طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي. فما حظكم فيه بأوفر من حظي، وقد انتخبكم الوليد من عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ورضيكم للوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان) [2].

دور الشعراء والقصاص في التحريض على الجهاد :

لقد كان دور الشعراء لا يقل أهمية عن دور القراء، وعلى الرغم من إن الإسلام ينهى عن الفخر بشيء على نسق ما كان يحدث قبل البعثة النبوية المباركة، إلا أنه

(١) شيخو، لويس، مجاني الأدب في حدائق العرب ، ج٦، ص٤٧ نقلا عن الواقدي في فتوح الشام.

(٢) شيخو ، مجاني ، الأدب، ج٦/٤٩.

أباحه مع ذلك في الحرب بغية إيقاد الحماس في نفوس الرجال ولتقوية عزائمهم ، لقد امتاز العربي ببلاغة لسانه، فلجأت قريش إلى هذا السلاح المعنوي فكان لا بد للرسول اللهﷺ وهو يعرف أثر الشعر في النفوس يقابل السلاح بمثله[1].

فقد كان للرسول اللهﷺ ثلاثة شعراء هم (حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك)[2].

فكان لهم دور في رفع معنويات المقاتلة، فيقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (ما يمنع القوم الذين نصروا رسول اللهﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم)[3].

ففي معركة بدر الكبرى ، وقف الرسول اللهﷺ في مقدمة الجند وقال: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقام عمير بن الحمام أخو بني سلمة الأنصاري وبيده تمرات يأكل منهن فقال: (لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى مما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل وهو ينشد:

ركضاً إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد ... وكل زاد عرضه النفاذ
غير التقى والبر والرشاد[1]

وعندما (خرج الرسولﷺ من المدينة فسلك ثنية الوداع...فلما كان الرسولﷺ في مسيرة قال لعامر بن سنان إنزل يا ابن الأكواع فخذ لنا من هناتك (اراجيزك) فاقتحم

(١) اللهبي، التنظيمات العسكرية في عصر النبوه والخلافة الرشده، ص ٢٢٢.
(٢) الخزاعي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت٧٨٩هـ) تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ عن الحرف والصنائع والعمالات الشرعية(القاهرة، ١٩٨١(ص٢٢.
(٣) الخزاعي ، المصدر نفسه ص٢٢٢.
(١) ابن الزبير، عروة، (ت٩٤هـ) مغازي رسول اللهﷺ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ط١، (الرياض ، ١٤٠١هـ /١٩١٨م) ص ٦٤٠.

عامر من راحلته، ثم ارتجز برسول اللهﷺ وهو يقول:

اللــــهم لـــولا أنـــت مـــا اهتـــدينا	ولا تصـــــــــدقنا ولا صـــــــــلينا
فــــــألقين ســـــــكينة علينـــــــا	وثبـــــــت الأقـــــدام إن لاقينـــــا
إنـــــا إذا صــــــيح بنـــــا أتينـــــا	وبالصـــــياح عولـــــوا علينـــــا[1]

وهناك شعر حماسي يقال قبل الدخول في المبارزة للتأثير على نفسية الخصم.

فقد ذكر ابن كثير رحمه الله[2]. (أن رسول اللهﷺ عندما دعا علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وأعطاه الراية وأمره أن يأتي خيبر، خرج عليه مرحب (اليهودي) صاحب الحصن. فقال علي رضي الله عنه.

أنـــا الـــذي سمـــتني أمـــي حيـــدرة	كليـــث غابـــات شـــديد القســـورة

أكيـلـكـم بالـصـاع كـيـل الـسـنـدره

وفي غزوة مؤتة قاتل جعفر بن أبي طالب ﷺ وهو على فرس شقراء ثم عقرها فقاتل حتى قتل[3].وهو ينشد:

يــــا حبـــذا الجنـــة واقترابهـــا	طيبـــــة وبـــــارد شــــــرابها
والــــروم روم قـــد دنـــا عـــذابها	كــــــافرة بعيـــــدة أنســــــابها

وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عدد من الشعراء كانوا في جيشه في معركة القادسية ومنهم عمرو بن معد يكرب وقيس بن هبيرة وشرحبيل بن السمط رضي الله عنهم وقال لهم: (أنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وساريتهم فسيروا في الناس)[1].

(١) الواقدي، المغازي، ٦٣٨/٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٥٦/٣.

(٣) ابن هشام، السيرة، ٤٣٠/٣-٤٤٧ وينظر ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٢٢٠-٢٢٢.

(١)ابن هشام، م.ن ، ٣٧٢/٣، وينظر المقريزي، إمتاع الأسماع، ٣٤٥/١.

فذكروهم وحرضوهم على القتال، فساروا إليهم، وإثاروا في نفوسهم الحمية والنخوة.

وكانت الشاعرة الخنساء بنت عمرو تحرض أبناءها على الجهاد، فقد حضرت معركة القادسية، وكان معها أربعة من أبنائها، فحرضتهم على القتال، ورغبتهم في الجنة وحثتهم على الاستشهاد، فأبلوا في القتال، واستشهدوا جميعاً[1].

أما دور القصاص فلا يقل اهمية عن دور القراء والشعراء فكان واجبهم أيضاً تحريضهم على القتال واثارة حماسهم : (فيذكرونهم بأمجاد العرب والوقائع الماضية والغزوات السالفة، ومواقع الشجعان ومصارع الفرسان وما وعد الله للشهداء من الثواب والنعيم) [2].

وإن أبا سفيان بن حرب كان يقف على الكراديس في معركة اليرموك فيقول (الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام، اللهم إن هذا يوماً من إيامك أنزل نصرك على عبادك) [3].

كما (وقف سعيد بن زيد في جماعة من الجند في ميمنة الناس وأخذ بالقص عليهم)[4].

وفي معركة القادسية، وكان عاصم بن عمر ويذكر المسلمين في يوم أرماث انتصاراتهم الماضية ويوصيهم بالصبر وبدونه الهلاك) [1].

ويذكر ابن النحاس رحمه الله ويقول ومن القصص في التحريض على القتال ما حكاه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رحمه الله عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي رحمه الله أنه جلس في مسجد دمشق يحرض الناس على قتال التتار، الذين عاثوا في الأرض فساداً.

(١) ابن النحاس، تهذيب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، ص٨٨.

(٢) الطبري، تاريخ، ٥٣٣/٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ٣٩٧/٣ وينظر ابن الأثير، الكامل ، ٤٨/٢.

(٤) الأزدي، فتوح الشام، ص ٩٦.

(١) الطبري، تاريخ، ٥٣٢/٣.

قال سبط ابن الجوزي: إن الذين حضروا درسه كانوا حوالي ثلاثين ألفاً، وكان يوماً مشهوداً بدمشق، وكثير فيه التائبون الراغبون في الجهاد، وتبرعت فيه كثير من النساء بشعرهن ليكون لجاماً وعقالاً لخيل المجاهدين. وصنعوا من شعر النساء ثلاثمائة عقال لخيل المجاهدين ، وخرج الناس للجهاد من دمشق وتوجهوا جنوباً نحو (الكسوة) وانظم إليهم المتطوعون للجهاد في الكسوة (زملكا) وغيرها وتوجهت ألوف المجاهدين نحو الجولان ونزلت عقبة (افيق) من الجولان إلى غور الأردن ثم قطعوا الغور وتوجهوا نحو مدينة نابلس واجتمعنا بالملك المعظم في نابلس ورحب بنا وجلست في جامع نابلس أحرض الناس على الجهاد وخرج الآلاف من المجاهدين من مدينة نابلس وهاجموا البلاد التي يحتلها الفرنج وقتلوا منهم جماعة وأسروا جماعة وعادوا سالمين) [1].

وقد روي عن الإمام المجاهد عبد الواحد بن زيد البصري أنه عندما أغار الكافرون على ثغر من ثغور المسلمين ، ونفر الناس في البصرة للجهاد ووقف ابن زيد (رحمه الله) خطيباً يحض المسلمين على الجهاد ويندبهم للخروج لقتال المعتدين واستخدم في تحريضه الآيات والأحاديث وأورد الأشعار في وصف الحور العين وترغيب المسلمين في الجهاد والاستشهاد ليكرمهم الله بهن في الجنة، وكانت أم إبراهيم الهاشمية[1].من الحاضرات ، وتأثرت بما سمعت من صفات الحور العين ، فأتت ابن زيد وأخبرته أن ابنها إبراهيم لم يتزوج وإن أشراف ورؤساء أهل البصرة يتمنى كل منهم لو زوجه ابنته ولكنها تريد أن تزوجه جارية من الحور العين، فأعطت أم إبراهيم – وكانت غنية صالحة – ابن زيد عشرة آلاف دينار مهر الجارية الحورية التي تحدث عنها على أن

(١) ابن النحاس، م.ن، ص ٨٨ نقلاً عن الذهبي، سير إعلام النبلاء، ٢١٤/١ –٢١٥ بتصرف.

(١) ابن النحاس، م.ن، ص ٨٨–٩١.

يخرج إبنها إبراهيم معه للجهاد لعل الله يرزقه الشهادة فيتزوج تلك الحورية وبذلك يكون شفيعاً لأمه وأبيه يوم القيامة. قال لها ابن زيد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك فوزاً عظيماً، فنادت ولدها إبراهيم فوثب من وسط آلاف الناس الجالسين في مسجد البصرة وقال لها: لبيك يا أماه ، قالت له: هل رضيت بتلك الجارية الحورية زوجة لك على أن تخرج للجهاد وتبذل روحك لله وتنال الشهادة ، قال لها إبراهيم: نعم رضيت. فقال :اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي الحورية ببذل روحه في سبيلك... فتقبله مني يا أرحم الراحمين. وأحضرت العشرة آلاف دينار وطلبت من ابن زيد أن يجهز بها المجاهدين وابتاعت لابنها فرساً وسلاحاً للجهاد... وقدمت له كفناً وحنوطاً وقالت له: إياك أن يراك الله مقصراً في سبيله ثم ضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه وودعته. فكان في مقدمة المجاهدين وأبلى بلاء حسناً واستشهد في المعركة [1].

❁ ❁ ❁

(١)ابن النحاس، م.ن ،ص ٨٨–٩١.

المبحث الثالث
بواعث الجهاد وأهدافه

أولاً : إعلاء كلمة الله في الأرض .

ثانياً : دفع العدوان ونصرة المظلوم .

ثالثاً : تأمين حماية الدعوة الإسلامية وحرية العقيدة .

المبحث الثالث : بواعث الجهاد وأهدافه

أولاً : إعلاء كلمة الله في الأرض :

إن الغاية العليا للجهاد في سبيل الله هي إعلاء كلمة الله لتحقيق عبادته في الأرض، الغاية التي خلق جل في علاه الخلق من أجلها هي عبادته سبحانه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي العمل أحب إلى الله تعالى: قال(الصلاة على وقتها) قلت ثم أي؟ قال (بر الولدين) قلت ثم أي؟ قال (الجهاد في سبيل الله) [2].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال، قلت يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال: (الإيمان بالله، والجهاد في سبيله) [3].

والعبادة كما قال ابن تيمية رحمه الله: (هي أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) [4].

وهي الدين الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لمن استخلفه ومكنه في الأرض وبها يمنحه الأمن ويقيه الخوف كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

(١) سورة الذاريات، الآيات/٥٦-٥٨.

(٢) البخاري، الصحيح ٨/٢، ٧ ومسلم الصحيح، ٨٥.

(٣) البخاري، الصحيح، ١٠٥/٥ ومسلم الصحيح ٨٤.

(٤) ابن تيميه، أحمد بن عبد الحليم، (ت٧٢٨هـ) العبودية، المكتب الإسلامي ، (بيروت ، ب ت) ص ٣٨.

دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾(١).

وهي الهدى ودين الحق الذي بعث الله تعالى رسله عليهم السلام وأنزل كتبه للدعوة إليه وإظهاره على كل الأديان الباطلة في الأرض، فلا تتحقق عبادته سبحانه إلا بإظهار دينه وإعلاء كلمته بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٢).

وإعلاء كلمة الله لا تتحقق إلا بحنود آمنوا إلا بجنود بالله واتبعوا كتابه وجاهدوا في الله حق جهاده، لأن أعداء الله لا يألون جهداً في الصد عن دين الله والإعراض عنه ومعارضته، لذلك أمر الله عز وجل عبادة المؤمنين بقتال أعداء الله الكافرين حتى يكون الدين كله لله، فأهم أهداف الجهاد في سبيل الله هو إعلاء كلمة الله لقوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ

---

(١) سورة النور، الآية/٥٥.

(٢) سورة الفتح، الآية/٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية /١٩٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية/٣٩-٤٠.

نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1].

أن الله تعالى يقول ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وفي هذا قال ابن عمر رضي الله عنهما قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً وكان الرجل يفتن في دينه إما أن يقتلوه وإما أن يوثقوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ قال الضحاك رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه قال التوحيد الله ، وقوله ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾ أي بقتا لكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ أي وإن استمروا على خلافكم ومحاربتهم فاعلموا أن الله مولاكم سيدكم وناصركم على أعدائكم فنعم المولى ونعم النصير[2].

أما ما جاء في سورة التوبة: ويمضي السياق خطوة أخرى في حث المؤمنين على القتال ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[3].إن أهل الكتاب هؤلاء إلا يقفون عند الإنحراف عن دين الحق، وعبادة أرباب من دون الله . وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر – وفق المفهوم الصحيح للإيمان بالله واليوم الآخر – إنما هم كذلك يعلنون الحرب على دين

(١) سورة التوبة، الآيات من /٣١-٣٣.

(٢) العاني، تفيسر القرآن الكريم، ص ١٩٣.

(٣) سورة التوبة، الآيات من /٣٢-٣٣.

الحق، ويريدون إطفاء نور الله في الأرض المتمثل في هذا الدين، وفي الدعوة التي تنطلق به في الأرض، وفي المنهج الذي يصوغ على وفقه حياة البشر. ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِءُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ فهم محاربون لنور الله. سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن، أو بما يحرضون به أتباعهم وأشياعهم على حرب هذا الدين وأهله، والوقوف، سداً في وجهه – كما كان هو الواقع الذي تواجهه هذه النصوص وكما هو الواقع على التاريخ [1].

يريد الله أن تكون ملحمة لا غنيمة :

وعندما تحركت الرغبة عند المؤمنين أول الأمر في الفوز بأموال المشركين ردهم الله تعالى رداً جميلاً إلى الهدف الأسمى من الجهاد وهو إعلاء كلمته سبحانه بتحطيم السدود التي تقف ضد ذلك: السدود البشرية وسدود الأنظمة الكافرة فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [2].فالقضاء على رؤوس الفتنة وتحطيمهم هو الأصل لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [3].

وبالنسبة للآيتين من سورة الأنفال فالمعنى : أي يحبون أن الطائفة التي لا حد لها ولا قتال تكون لهم وهي العير، والله يريد أن يجمع بين الطائفة التي لها شوكة (سلاح) والقتال ليظفرهم بهم وينصرهم عليهم ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام ويجعله

(١) سيد،قطب، في ظلال القرآن، ص ١٨٠–١٨١.
(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٧، ٨.
(٣) سورة محمد، الآية /٤.

غالباً على الأديان وهو أعلم بعواقب الأمور وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم [١].

فالأمة قد تخطيء الطريق لكن نظرة القائد وقد جعله الله مصدر وحيه نظرة تتحقق فيها المصلحة الراجحة فلا بد للفرد من الطاعة والتسلم مهما أوتي من سعة النظر وعمق التفكير وإدراك الحقائق وفقه الحوادث.

لقد أراد الله – وله الفضل والمنة – أن تكون ملحمة لا غنيمة وأن تكون موقعة بين الحق والباطل وتتكسر شوكتهم وتعلو راية الإسلام وتعلو معها كلمة الله للعصبة المسلمة التي تعمل بمنهج الله وتنطلق به لتقرير ألوهية الله في الأرض وتحطيم الطواغيت وأراد الله تعالى أن يكون هذا التمكين عن استحقاق لا عن جزاف – تعالى الله عن الجزاف – وبالجهد والجهاد وبتكاليف الجهاد ومعاناتها في عالم الواقع وفي ميدان القتال [٢].

إن الله عز وجل أراد أن يجعل في قلوب المؤمنين أمراً رئيساً في قضية الإيمان والعقيدة وهو أن النصر من الله ليس منوطاً بعدد أو عدة وإن كان وسيلة من وسائله وإنما هو استفراغ الجهد في سبيل الله في الإيمان والتجود والإتصال بالله وانتظار النصر منه وحده (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

ولذا أصبحت بدر الكبرى بإرادة الله تعالى قصة مشهودة في التاريخ الإسلامي، مجردة من المغانم، قصة العقيدة وانتصارها، قصة بداية النور الذي بلغ البشرية فهداها وبلغ النفوس فاطمأنت وحققت العدل في واقع الحياة. وإلا فلو كانت العير (قافلة أبي سفيان) كما أراد المؤمنين أو بعضهم لكانت قصة لا تعدو أن تكون لها صورة مال أخذ من المشركين ورجع به المؤمنون إلى أهليهم وشتان بين الصورتين.

---

(١) القرطبي، تفسير، ج٧/ص٣٦٩، والزمخشري ، الكشاف ، ج٢ ص١٤٤، وابن كثير ج٢ ص٨٦.
(٢) العاني، داود، تفسير القرآن الكريم، ص ١٦١.

ونرجع إلى سورة محمد التي ابتدأت ابتداءاً عجيباً. بإعلان حرب سافرة على الكفار أعداء رسول الله ﷺ، الذين حاربوا الإسلام وكذبوا رسول الله ﷺ ووقفوا بوجه الدعوة الإسلامية ليصدوا الناس عن دين الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَـٰلَهُمۡ ﴾[1]. والمراد أعمالهم الصالحة كإطعام الطعام وصلة الأرحام وقرى الضيف قال الزمخشري رحمه الله. وحقيقة إضلال الأعمال جعلها ضالة ضائعة، ليس لها من يتقلبها ويثيب عليها كالضالة من الإبل، التي لا رب لها يحفظها ويعتني بإمرها، والمراد أعمالهم التي عملوها في كفرهم بما كانوا يسمونه (مكارم الأخلاق) من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف، وحفظ الحوار[2].

وجاء الأمر في الآية الرابعة صريحاً بقتال الكافرين وحصدهم بسيوف المجاهدين، لتطهير الأرض من رجسهم، حتى لا تبقى لهم شوكة ولا قوة ثم دعت إلى أسرهم بعد إكثار القتل فيهم والجراحات بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾.

قال المفسرون : وأصله فاضربوا الرقاب ضرباً ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه والمراد: أقتلوهم ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب في صفة القتل[3].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾[4]. أي حتى إذا هزمتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراحات ولم تبق لهم قوة للمقاومة فأسروهم وكفوا عن قتلهم، قال الزمخشري رحمه الله وفي هذه العبارة ﴿ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾. من الغلظة والشدة ما ليس

(١) سورة محمد، الآية/١.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٤/٢٥٠.

(٣) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٤٦.

(٤) سورة محمد ،الآية/٣.

في لفظ القتل، لما فيها من تصوير القتل بأشنع صورة ، ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى: (فاضربوا فوق واضربوا منهم كل بنان) ومعنى ﴿ أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾ أكثرتم قتلهم وأغلظتموهم ﴿ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ﴾ فأسروهم[1].

﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ أي ثم انتم مخيرون بعد أسرهم إما أن تمنوا عليهم وتطلقوا سراحهم بلا مقابل من مال، أو تأخذوا منهم مالاً فداء لأنفسهم، ولكن بعد أن تكونوا قد كسرتم شوكتهم وأعجزتموهم بكثرة القتل والجراح ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ أي حتى تنقضي الحرب وتنتهي بوضع آلاتها وأثقالها وتنتهي الحرب بين المسلمين والمناوئين لهم، وذلك بإعلاء كلمة الله وعزة الإسلام واندحار المشركين وانتهاء الفتنة في الأرض.

ونرجع إلى سورة الأنفال حيث أخبر الله تعالى أن شر ما دب على وجه الأرض هم الذين كفروا بقوله تعالى ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[2].

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ ﴾ أي تغلبهم وتظفر بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم أي نكل بهم: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ومعناه غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلاً ليخاف من سواهم من الأعداء... ويصيروا لهم عبرة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ وقال السدي، يقول لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك[3].

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢٥١/٤.

(٢) سورة الأنفال، الآيات /٥٥-٥٧.

(٣) العاني، تفسير القرآن الكريم، ص ٢٠١.

قد أوضح رسول ﷺ الهدف من الجهاد في كلمة جامعة شاملة نابذاً كل هدف لا يدخل في معناها ، كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للمذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ قال عليه الصلاة والسلام : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [(1)].

وعلى هذا الهدف جاهد المؤمنون وبه أجابوا من سألهم عما جاء بهم إلى البلدان المختلفة (سأل رستم قائد الفرس ربعي بن عامر رضي الله عنه: ما جاء بكم؟ فقال: إبتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبي قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله ، قال وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبي والظفر لمن بقى) [(2)]. وقال ابن تيمية رحمه الله: (والجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين لله فمقصوده إقامة دين الله) [(3)].

إعلاء كلمة الله معناه إقامة حكم الله في الأرض :

هذه هي الغاية العليا الشاملة للجهاد في سبيل: إعلاء كلمته في الأرض ومعنى إعلاء كلمته في الأرض أن يكون حكم الله هو الغالب وكلمته هي النافذة وأن يكون الناس كلهم أحراراً لا يذلون لأحد ولا يخضعون لأحد ولا يستعبدهم أحد ولا يصدهم عن عبادة الله أحد ولا يحول بينهم وبين الإصغاء إلى من يبلغ رسالته أحد ولا يمنعهم من

(1) البخاري، الصحيح، رقم ٢٨١٠ بشرح العسقلاني، فتح الباري، ٢٧/٦ ومسلم الصحيح ١٥١٢/٣.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٩/٧.
(3) ابن تيميه، الفتاوي، ١٧٠/١٥.

الإستجابة لدعوة الله أحد، وأن يتمتع الناس كلهم بعدل الإسلام فلا يتجبر عليهم ذو قوة ظالم يعتدي على أنفسم وأعراضهم وأموالهم وكل حقوقهم وحرماتهم وهذا لا يكون ولا يتحقق إلا إذا كان السلطان والقوة والحكم بيد أهلها المسلمين الذي يعتمدون كتاب الله وسنة رسول ﷺ وبهما يهدون الناس للتي هي أقوم ﴿ هَـٰذَا إِنَّ ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1]. وقولهﷺ (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي)[2].

وتكون إقامة حكم الله ونظام الإسلام في الأرض بتحكيم كتابه وسنة رسول اللهﷺ الذي لاُ يتم الإسلام إلا به بل لا إسلام بدونه، لأن الإسلام إيمان – أو عقيدة – وعبادة وشريعة، والشريعة هي الحكم بما أنزل الله، وللبشرية كلها الحق في أن تتمتع بحكم الله الذي يؤتي كل ذي حق حقه ولا ينقص منه شيئاً، وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم لخلقه كلهم بقوله تعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3]. وهو المهيمن على جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، إذ لم يبق كتاب منها سليماً من التحريف، ولا صالحاً للبشر – كما أوضحنا في الباب الأول – لقوله ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[4]. وقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[5]. وقد كان كل رسول يأمره الله أن يحكم بين قومه بكتابه الذي أنزل عليه ولما كانت رسالة النبي محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات وكتابة آخر الكتب وهو مبعوث إلى الخلق أجمعين

(١) سورة الإسراء، من الآية/٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الفرقان، الآية/١.

(٤) سورة النساء، من الآية/٤٦.

(٥) سورة المائدة، من الآية/١٣.

فإنه يجب الحكم بالقرآن بين الناس كلهم فقد خاطب الله تعالى نبيه آمراً إياه بالحكم بما أنـزل الله بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[1]. إلى أن قال: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[2]. إلى قوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[3].

وذكر سبحانه أنه أنزل هذا الكتاب على رسوله ﷺ ليحكم بين الناس بما أراه الله تعالى بقوله ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[4].

وأمر الله عباده المؤمنين – الذين شرفهم بانزال هذا الكتاب إليهم – أن يؤدوا الأمانات – وهي شاملة لكل الحقوق – إلى أهلها وأن يحكموا بين الناس بالعدل، وأن يردوا ما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله، وعجب سبحانه ممن يزعم الإيمان ويتحاكم إلى الطاغوت ويصد عن الحكم بما أنزل الله، ونفى جل في علاه الإيمان عمن لم يحكم كتاب الله وسنة رسولﷺ عن رض وتسليم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) سورة المائدة، من الآية/٤٨.
(٢) سورة المائدة، من الآية/٤٩.
(٣) سورة المائدة، من الآية /٥٠.
(٤) سورة النساء، الآية/١٠٥.
(٥) سورة النساء، الآية /٥٨.

ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾[1]. إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[2].

قال: الزمخشري رحمه الله: الخطاب عام لكل واحد في كل أمانة[3].وقال ابن كثير رحمه الله: يأمر تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغيرها[4]. ويأمركم أن تعدلوا بين الناس في أحكامكم، وما يزال الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضاً على المسلمين[5].

يقول الشافعي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾[6]. (فأعلم الله نبيه ﷺ: أن فرضاً عليه ، وعلى من قبله، والناس: إذا حكموا: أن يحكموا بالعدل[7]. والعدل : اتباع حكمه المنزل[8].

وقال: الشافعي[9]: في قوله عز وجل (ولا تتبع اهواءهم) .

(يحتمل : تساهلهم[10]. في أحكامهم ويحتمل: ما يهوون وأيهما كان فقد نهي

(١) سورة النساء، الآية/٥٨.

(٢) سورة النساء، الآية/٦٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٤٠٥/١.

(٤) ابن كثير، المختصر، ٤٠٥/١.

(٥) قطب، في ظلال القرآن، ٢٩٥/٣ (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله).

(٦) سورة النساء، /٥٨.

(٧) الشيباني، السنن الكبرى، ج١٠ ص ٨٦–٨٩ وينظر ابن حجر، فتح الباري (١٢١/١٣، ١١٨).

(٨) الشافعي، أحكام القران ، ١١٨/٢، ١١٧ ، والأم ج٥/٢٢٥، ج٧/٢٧.

(٩) الشافعي، أحكام القران، ١١٨/٢، ١١٧، والأم ج٥/٢٢٥، ج٧/٢٨.

(١٠) الشافعي، أحكام القران، ١١٨/٢، ١١٧، والأم ٢٢٥/٥، ج٧/٢٨.

عنه وأمر: أن يحكم بينهم: بما أنزل الله على نبيهﷺ.

وفي قولـــه تعـــالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾(1).

قال الشافعي : قال الحسن بن أبي الحسن: (لولا هذه الآية، لـرأين: أن الحكـام قد هلكوا، ولكن الله (تعالى) حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا: باجتهاد) ثم ذكر حـديث عمرو بن العاص وأبي هريرة رضي الله عنهمـا (إذا حكـم الحـاكم، فاجتهـد فأصـاب فلـه أجران: وإذا حكم،فاجتهد، فأخطأ: فلـه أجـر. قـال المزنـي : (أنـا أعـرف أن الشـافعي قال: لا يؤجر على الخطأ وإنما يؤجر : على قصد الصواب وهذا عندي هو الحق) (2).

ثانياً : دفع العدوان ونصرة المظلوم :

معنى العدوان: ففي المفهوم اللغوي يقول الجوهري : (العدوان هو الظلم الصراح، وقد عدا عليه، وتعدى عليه واعتدى كله بمعنى واحد) (3).

أما في المفهوم الإصطلاحي فقد عرف وهبة الزحيلي العدوان الموجب للجهاد بقوله (العدوان حالة إعتداء مباشر وغير مباشر على المسلمين أو أموالهم أو بلادهم بحيث يؤثر في استقلالهم أو اضطهادهم وفتنهم عن دينهم أو تهديدا منهم وسلامتهم ومصادرة حرية دعوتهم، أو حدوث ما يدل على سوء نيتهم بالنسبة للمسـلمين بحيـث يعتـبرون خطـراً محققاً، أو يتطلبون حذراً واحتياطاً) (4).

---

(1) سورة الأنبياء، ٧٨-٧٩.

(2) الشافعي، الأم ج٧ ص ٢٧٤-٢٧٥ والرسالة ص ٤٩٤ – ٤٩٨ – وينظر الشيباني، السنن الكبرى ج ص ١١٨-١١٩ وينظر مسلم، الصحيح ج١٢ ص ١٣-١٤ وينظر ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٣ ص١١٩-١٢٠و ٢٤٧-٢٤٨.

(3) الجوهري، الصحاح، ٩١/٢.

(4) الزحيلـي، وهبـة (دكتـور) آثـار الحـرب في الفقـه الإسـلامي – دراسـة مقارنـة – دار الفكـر ط٣، (دمشـق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٩١.

ومن هذا التعريف يفهم أن العدوان الـذي يجـب الجهـاد لدفعـه يتمثـل في النقـاط التالية:

١- الإعتـداء علـى أشـخاص المسـلمين أو أمـوالهم وأعراضـهم، مـن خـلال قتـل الأشخاص أو التعرض لهم أو سلب الأموال واغتصاب البلاد.

٢- منع الدعاة إلى الله عز وجل من نشر الدعوة الإسلامية والتبشير بالإسلام.

٣- فتنة المسلمين عن دينهم ومحاولة صدهم عن دينهم سواء أكان ذلك بالترغيـب أو الترهيب.

٤- التهيؤ لقتال المسلمين أو صدهم عن ديـنهم وذلـك بالبـدء بإعـداد الجيـوش أو وضع خطة لنشر الأفكار والعقائد الهدامة داخل بلاد المسلمين أو تجمعاتهم.

٥- تأليب الآخرين على قتال المسلمين أو إفسادهم أو إعداء الأعداء الذين يحاربون المسلمين وإمدادهم بأسباب القوة المادية والمعنوية، فأي بلـد يمـد بلـداً يحـارب السـلمين بالسلاح أو بالتشجيع أو بالعون المادي والمعنوي فإنه يعـد محاربـاً للمسـلمين والأصـل في علاقة المسلمين معه أنها علاقة حرب بسبب العدوان.

وهكذا فإن كل عدوان واقع أو متوقع من جهـة مـا مباشـر، بجيشـها وأفرادهـا، أم غير مباشر بإعانة أعداء آخرين أو تأليبهم ضد المسلمين يوجب إعـلان الجهـاد ضـد هـذه الجهـة اتفاقاً)[1].

والجهاد الواجب بالعدوان قد يكون واجباً عينياً وذلك إذا كـان العـدوان علـى بلـد من بلاد المسلمين ، وقد يكون واجباً كفائياً لو اعتدى الكفار على المسـلمين في بـلاد الكفـر

(١) مالك بن أنس، المدونة الكبرى، دار صادر، ط١، مطبعـة السـعادة (القـاهرة ، ١٩٩٣ م) ٣/٢ وينظـر الكاسـاني، البدائع ٩/٧ والمغزي ، مواهـب الجليـل ٣٤٩/٣ ، والشـربيني ، مغـني المحتـاج ٢٠٩/٤ وابـن العربـي ، أحكـام القرآن، ١٠٢/١ -١٠٣ والزحيلي ، أثار الحرب، ص٩٨.

ومنعوهم تبليغ الدعوة، فهذا عدوان اتفاقاً، ولكن الجهاد في هذه الحاله كفائي لا عيني فيجب أن يخرج من المسلمين لقتال الكفار من يتحقق بخروجهم منع الأذى وتحقيق النصر على الكفار وتأمين استمرارية الدعوة وانتشارها، لقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1].

إن هذه الآية حملت إذن الله تعالى لعبادة بالقتال.

قال ابن العربي رحمه الله: (أمر كل واحد أن يقاتل من قاتله... وذلك لأن المقصود أولاً كان أهل مكة، فتعينت البداية بهم وبكل من عرض دونهم أو عاونهم، فلما فتح الله مكة، كان القتال لمن يلي ممن كان يؤدي حتى تعم الدعوة وتبلغ الكلمة جميع الآفاق ...)[2].

(وقد فسر كثير من العلماء قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾ أي بقتل من لا يتأتى منه القتال كالنساء والأطفال...)[3].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[4].

وإن هذه نزلت لتزيل عن قلوب المسلمين الحرج من القتال في الأشهر الحرم وتبين أن عدوان الكفار في الأشهر الحرم مسقط لحرمه القتال لضرورة دفع العدوان)[5].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ

(١) سورة البقرة، ١٩٠.

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن، ١٠٢/١-١٠٣ وينظر القرطبي، تفسير ٣٤٧/٢-ورضا، تفسير المنار ٢٠٨/٢.

(٣) ابن العربي ، احكام القرآن، ١٠٢/١-١٠٣ وينظر القرطبي ، تفسير ٣٤٧/٢ – ورضا، تفسير المنار ٢٠٨/٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٤ والقرطبي، تفسير ٣٥٥/٢ وما بعدها.

(٥) القرطبي، ٣٥٥/٢ وينظر رضا في تفسير المنار ٢١٢/٢.

أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [1].

فقد دلت الآية على كون قتال المشركين على الوجه الذي يقاتلون المسلمين عليه.

وإن سيرة الرسول الله ﷺ مليئة بالحوادث التي تدل على إعلان الحرب رداً لعدوان المعتدين بل إن عامة غزواته ومعاركه ﷺ كانت من هذا القبيل. فمعركة بدر الكبرى كانت ضد كفار قريش المعتدين الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم واستولوا على أموالهم وبيوتهم [2].

وكذلك الأمر بالنسبة لمعركة أحد فهي رد لهجوم قريش، وإجلاء بني قينقاع كان بسبب عدوانهم على امرأة مسلمة [3].ثم قتل رجل من رجال المسلمين دافع عنها وقتل المعتدي عليها [4].

وإجلاء بني النضير كان بسبب محاولتهم الإعتداء على الرسول ﷺ وإلقاء صخرة عليه [5].وكذلك بني قريظة بسبب غدرهم ونقضهم للعهد وإعانتهم المشركين في حربهم ضد المسلمين [6].

واجب المسلمين في دفع العدوان :

الإسلام حق وأهله أهل حق، والكفر باطل وأهله أهل باطل، والكفار لا يفتؤون يصدون المسلمين عن دينهم ويؤذونهم ولو حاول المسلمون مهادنتهم ما هادنوا ما داموا

(١) سورة التوبة، الآية/٣٦.

(٢) البوطي، فقه السير ص ١٥٦–ص ١٧٣.

(٣) البوطي، فقه السير ص ١٥٦–ص١٧٣.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٥/٣.

(٥) ابن هشام،المصدر نفسه ١٠٨/٣.

(٦) ابن هشام ، المصدر نفسه ١٣٢/٣/٣ وما بعدها.

قادرين على الصد والعدوان والفتنة، والمسلمون – ودينهم دين حق – لا يجوز أن يكونوا مستضعفين لأهل الكفر، وإذا ما استضعفت طائفة منهم فإن الواجب على إخوانهم القادرين على استنقاذهم أن يهبوا لنجدتهم ويدفعوا عنهم العدوان وهذا العدوان أنواع منها:

النوع الأول من العدوان :

أن يعتدي الكفار على فئة مؤمنة مستضعفة في أرض الكفر – في حالة عدم تمكنها من الهجرة إلى بلاد تأمن فيها على دينها – فإن واجب المسلمين أن يعدوا العدة ويجاهدوا الكفار الذين اعتدوا على تلك الطائفة حتى ينقذوها من عدوان الكفرة، وعدوان الكافرين على المؤمنين تاريخي وقديم وهو كذلك مستمر وهدفهم من العدوان: الصد عن دين الله ورد المسلمين عن دينهم لقوله تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ﴾[2].

قال المفسرون: بشأن (سورة القصص) أنها سورة مكية نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان. نزلت تضع الموازين الحقيقة للقوى والقيم ، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون ، هي قيمة الإيمان فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله.

---

(١) سورة القصص ، الآية/٤.

(٢) سورة البقرة من الآية/٢١٧.

ومن ثم يقوم كيان السورة على قصة موسى وفرعون في البدء – الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان، قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر... وتحكي الآية(٤) منها أن فرعون قد علا في الأرض واتخذ أهلها شيعاً واستضعفهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم وهو حذر وقابض على أعناقهم[1]. أنه كان مفسداً في الأرض ومهلكاً للحرث والنسل ، كان ذلك إعلام للمسلمين المستضعفين في مكة أن هذه الحالة إنما هي كتلك وأن سنة الله نافذة في الظلم والظالمين في كل آن وكل حين.

أما الآية (٢١٧ من سورة البقرة) فإنها تكشف عن عمق الشر في نفوس أعداء الله ونزعتهم العدوانية في نيتهم وخطتهم ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾ وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر وعلى فتنة المسلمين عن دينهم، وبوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل. إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين ، ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين . إن الإسلام بذاته يغيضهم ويخيفهم، فهو من القوة بحيث يخشاه كل مبطل ويرهبه كل باغ ويكرهه كل مفسد. إنه حرب بذاته وبما فيه من حق ابلج ومن منهج قويم ومن نظام سليم ومن ثم لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون – ومن ثم يرصدون لاهله ليفتنوهم عنه، ويردوهم كفاراً في صورة الكفر الكثيرة . ذلك أنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم وعدوانهم ، وفي الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين وتتبع المنهج وتعيش بهذا النظام. وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته ، ولكن الهدف يظل ثابتاً... أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره وكلما

(١) قطب، في ظلال القرآن ، ٣٦/٢٠.

كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها... والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الإستسلام ، وينبهها إلى الخطر ، ويدعوها إلى الصبر على الكيد والصبر على الحرب وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر[(1)].

ثم إن الله جل في علاه أنكر على المسلمين عدم قتال المعتدين لاستنقاذ المستضعفين الذين ضاقت عليهم الأرض بسبب العدوان والفتنة وهم يصرخون داعين الله أن يخرجهم من مساكن الظلمة ويطلبون منه سبحانه النصر لقوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[(2)].

قال القرطبي رحمه الله. (قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ حض على الجهاد ويتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء، من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين أما بالقتال وإما بالأموال وذلك أوجب لكونها دون النفوس، إذ هي أهون منها)[(3)].

(١) سيد، قطب، في ظلال القرآن ، ١٥٨/٢–١٥٩.

(٢) سورة النساء، الآيتان/٧٤–٧٥.

(٣) القرطبي، جامع احكام القران، ٢٧٩/٥.

والمتأمل حالة المسلمين الآن يجد أنهم في حالة يرثى لها فكم من مسلم مستضعف من الرجال والولدان والنساء وهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً في جميع البلدان في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وهم ينادون إخوانهم المسلمين في الأرض يطلبون النصرة والإنقاذ ويرددون ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[1].

فلا يجدون أذناً صاغية ولا قلباً حانياً إلا من قلة من المسلمين تكاد تنقطع قلوبهم إشفاقاً على إخوانهم المستضعفين المستبعدين ولكنهم لا يقدرون على شيء، فأين يقع عمل المسلمين اليوم من فقههم النظري الذي (يوجب عليهم إذا سبيت مسلمة في المغرب أن يهبوا لاستنقاذها من المشرق وإذا سبيت مسلمة في المشرق أن يهبوا لاستنفاذها من المغرب)[2].

قال المفسرون : (جاهد الإسلام... ليدفع عن المؤمنين الفتنة التي كانوا يسأمونها وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم وقرر ذلك المبدأ العظيم، والفتنة أشد من القتل، فاعتبر الإعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها وفتنة أهلها أشد من الإعتداء على الحياة ذاتها، فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذه المبدأ العظيم. وإذا كان المؤمن مأذوناً في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه – وقد كان المسلمون يسامون الفتنة في عقيدتهم ويؤذون فيها مواطن من الأرض شتى، وقد شهدت الأندلس من بشاعة التعذيب الوحشي والتقتيل الجماعي لفتنة المسلمين عن دينهم.

---

(١) سورة النساء، من الآية /٧٥.

(٢) ابن عابدين، حاشية المختار، ١٢٦/٤، وينظر ابن الأثير، الكامل /٤٨٠/٦ بشأن المرأة الهاشمية التي صاحت وامعتصماه، فأغاثها بجيش قادهُ بنفسه وأدب ملك الروم والمعتدين.

كما شهد بيت المقدس وما حوله بشاعة الهجمات الصليبية التي لم موجهة إلا للعقيدة والإجهاز عليها والتي خاضها المسلمون في هذه المنطقة تحت لواء العقيدة وحدها فانتصروا وحموا هذه البقعة من مصير الأندلس الأليم، وما يزال المسلمون يسامون الفتنة في أرجاء المناطق الوثنية والصهيونية والصليبية واللادينية في أنحاء من الأرض شتى وما يزال الجهاد مفروضاً عليهم لرد هذه الفتنة وهذا العدوان إن كانوا حقاً مسلمين) [1].

النوع الثاني من العدوان :

إتفق العلماء سلفاً وخلفاً على أنه إذا اعتدى الكفار على جزء من بلاد المسلمين وجب قتال المعتدى حتى دحره عما اعتدى عليه. وكذلك إذا علم أن العدو ينوي الإعتداء على جزء من بلاد المسلمين أو يستعد لذلك فإنه يجب مباغتته وإعلان الحرب عليه في داره قبل خروجه إلى ديار المسلمين إن كان للمسلمين سبيل إلى ذلك ، ويكون الجهاد في مثل هذه الحال فرض عين على أهل البلاد والمقصود بالعدوان، يخرج منهم الرجل والمرأة وكل قادر على حمل السلاح واستخدامه ، فإن لم تتحقق بهم الكفاية فإن هذا الواجب العيني يتسع من كل الجهات المحيطة بالبلد المقصود حتى يخرج لمواجهة الأعداء من يكفي لرد عدوانهم ومنعهم من دخول بلاد المسلمين أو إخراجهم منها أن كانوا دخلوها، ولو اقتضى ذلك أن يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة في العالم. فيخرج الإبن دون إذن إبويه والمرأة دون إذن زوجها والعبد دون إذن سيده [2]. تنفيذاً لأمر الله بقتال من قاتلهم لقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ

(١) سيد، قطب، في ظلال القران، ٢٩٤/٣.

(٢) الدردير، شرح السير الكبير ١٩٩/١ وما بعدها والكاساني، البدائع ٩٨/٧ والدسوقي حاشية الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١٧٤/٢-١٧٥ ، ومالك ، المدونه ٣/٢ ومنح الجليل ١٤١/٣ -١٤٢-١٤٣ نهاية المحتاج ٥٥/٨-٥٦ ومغني المحتاج ٢١٩/٤ حاشية إعانة الطالبين ٢٢٤/٤-٢٢٥ المغني ١٩٦/٩ والفتاوى ١٨٥/٢٨.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1]. قال ابن قدامة رحمه الله: (ويتعين الجهاد في ثلاث مواضع...الثاني إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم)[2]. وقال أيضاً: (ومعناه أن النفير العام يعم جميع الناس ممن كان من أهل القتال حين الحاجة إلى نفيرهم لمجيء العدو إليهم)[3]. عملاً بالقاعدة (يحتمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام)[4].

النوع الثالث من العدوان :

وهو أن ينشر العدو الظلم بين رعاياه – ولو كانوا كفاراً– لأن الله سبحانه وتعالى حرم الظلم على نفسه وعلى عباده. فالعدل في الأرض واجب لكل الناس خاصاً بالمسلمين.

وهو من المعروف الذي كلف الله – جل في علاه – المسلمين القيام به والظلم محرم كذلك بين كل الناس، وليس تحريمه خاصاً بالمسلمين وهو من المنكر الذي كلف الله تعالى المسلمين دفعه وإنكاره.

وإذا ترك الظلم ببقعة من الأرض انتشر في غيرها بين الناس مسلمين وغير مسلمين ، لأن الظلم من الشهوات التي حفت بها النار، وذلك من الفتن التي تعم الظالم وغيره ولذلك قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[5].

قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ وقال أمر

(١) سورة البقرة، الآية/١٩٠.

(٢) ابن قدامة، المغني، ٩/١٩٧، ٩/٢١٣.

(٣) ابن قدامة، المغني، ٩/١٩٧، ٩/٢١٣.

(٤) الزرقا، شرح القواعد الفقهية ص١٩٧.

(٥) سورة الأنفال، الآية/٢٥.

الله تعالى المؤمنين أن لا يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم الله بالعذاب[1].

وفي صحيح البخاري والترمذي رحمهما الله عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . عن النبي ﷺ قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) [2]. ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال علماؤنا[3]. : فالفتنة إذا عمت هلك الكل وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم أن ينهوا عن السوء ولا يلبسوا إيمانهم بظلم. وروى البخاري رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم حشروا على أعمالهم) [4].

وإذا لم يدفع المسلمون الظلم عن المظلومين أثموا لأنهم مأمورون بالجهاد في الأرض لإحقاق الحق وإبطال الباطل ونشر العدل والقضاء على الظلم ولا فلاح لهم إلا بذلك وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما كانوا خير أمة أخرجت للناس إلا بذلك كما قال تبارك وتعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾[5]. نعم هذه الأمة حباها الله بهذه الخيرية بأمرها بالمعروف ونهيها عن السوء والمنكر وإنكارها الظلم ومحاربة الظالمين وهذا هو طريق

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٢ ص ١٥٢، وينظر ابن كثير، تفسير ج٧ ص ٣٩٢.

(٢) العاني، تفسير القرآن الكريم ، ص ١٧٨.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٩٢.

(٤) العاني، تفسير القرآن الكريم، ص ١٧٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

النجاة لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٣).

إن خيرية هذه الأمة لا تقف عند حدود المسلمين بل تطول الغير لتكف عنه الظلم فمن العدل كف الظلم عن المظلوم الكافر الذي يبغضه المسلم لكفره.

قال السرخسي رحمه الله (فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول: الواجب دعوتهم إلى الدين وقتال الممتنعين منهم من الإجابة لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٤).

وقد عقب الله تعالى على إذنه للمؤمنين بقتال الكافرين الذين ظلموهم وأخرجوهم من ديارهم عقب على ذلك بأنه – جل في علاه– لولا دفعه الناس بعضهم ببعض لقضى المفسدون على كل باب من أبواب التدين والتعبد الذي هو أساس دفع الظلم والعدوان لقوله تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(٥).إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية/٨٢.

(٣) سورة المائدة، الآية/٨.

(٤) السرخسي، المبسوط، ٢/١٠.

(٥) سورة الحج، الآية/٣٩.

وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]. ثم بين تعالى أن من استحق نصره يقيم في الأرض الدين الحق بعبادة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي منه دفع الظلم عن المظلوم وإن كان غير مسلم لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾[2].

ثالثاً: تأمين حماية الدعوة الإسلامية وحرية العقيدة:

ذهب بعض الكتاب المحدثين إلى أن الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية يتحقق في منع حملة الدعوة من تبليغ الإسلام. وهنا توجد مشروعية الجهاد لإزالة هذا الخطر المفروض على تبليغ الدعوة. أما إذا لم يفرض على حملة الدعوة أي حظر في تبليغها إلى الناس فلا وجود حينئذ لما يسمى بالوقوف في وجه الدعوة الإسلامية من قبل الكفار ، وبالتالي لا مسوغ لمشروعية الجهاد في هذه الحال.

كما ذهب آخرون من الكتاب المحدثين إلى أن الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية إنما يتحقق في رفض الخضوع للنظام الذي تحمله الدعوة الإسلامية وتريد فرضه على الناس في حياتهم ومجتمعهم إن آثروا الإحتفاظ بما هم عليه من عقائد وديانات إذ ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[3]. فإذا حدث ذلك الرفض وجدت مشروعية الجهاد، حتى ولو لم يكن أي حظر على حملة الدعوة من تبليغ ما كلفوا تبليغه إلى الناس. ونعرض هنا بعض ما قيل في هذين المعنيين في مسألتين:

---

(١) سورة الحج، الآية/٤٠.

(٢) سورة الحج الآية/٤١.

(٣) سورة البقرة، من الآية/٢٥٦.

المسألة الأولى : معنى الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية :

أ- وهذا بعض ما قيل في المعنى الأول: أي تفسير معنى الوقوف في وجه الدعوة بمنع حملتها من تبليغها أو تعذيب من آمن بها:

١- يقول عبد الوهاب خلاف[1].: (الأمة غير الإسلامية التي لم تبدأ المسلمين بعدوان ولم تعترض لدعاة الإسلام وتركتهم أحراراً يعرضون دينهم على من يشاؤون ويقيمون براهينهم بما يريدون لا تقاوم داعياً، ولا تفتن مدعواً أو لم ترسل إليها بعثة من الدعاة. فهذه لا يحل قتالها ولا قطع علاقتها السلمية، والأمان بينها وبين المسلمين ثابت لا ببذل (يعني الجزية) أو عقد، وإنما هو ثابت على أساس أن الأصل السلم ولم يطرأ ما يهدم هذ الأساس من عدوان على المسلمين ، أو على دعوتهم) ويستمر خلاف في بيان هذا الراي فيقول (الجهاد مشروع لحماية الدعوة الإسلامية ، ودفع العدوان على المسلمين ، فمن لم يجب الدعوة ، ولم يقاومها، ولم يبدأ المسلمين باعتداء لا يحل قتاله، ولا تبديل أمنه خوفاً... ولا يكون بين المسلمين وغيرهم حرب إلا بسبب طارئ من اعتداء أو مقاومة للدعوة أو إيذاء للدعاة أو المدعوين) [2].

٢- سيد سابق [3]: وهو من الكتاب الذين يفسرون معنى الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية بمنع حملة الدعوة من تبليغها أو تعذيب من آمن بها، وما إلى ذلك ويقول: (لا مسوغ لهذه الحرب في نظر الإسلام. إلا في حالتين :

الحالة الأولى — حالة الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن عند الإعتداء .

الحالة الثانية – حالة الدفاع عن الدعوة إلى الله إذا وقف أحد في سبيلها بتعذيب

---

(١) خلاف، عبد الوهاب، السياسة الشرعية، ص ٧٤.

(٢) خلاف، م.ن، ص ٧٥.

(٣) سابق، سيد، فقه السنة، ج٢/٦١١.

من آمن بها أو بصد من أراد الدخول فيها أو بمنع الداعي من تبليغها... ثم يقول – لهذه الحرب المشروعية غاية تنتهي إليها، وهي:

(منع فتنة المؤمنين والمؤمنات بترك إيذائهم وترك حرياتهم في عبادة الله ويقيموا دينه ، وهم آمنون على أنفسهم من كل عدوان) [1].

١- أما القاسمي، فلسان حاله يقول (متى أقبل دعاة الإسلام على بلد ليدعوا أهلها إلى دين الله... فإن فتح لها الباب... وأذن لهم بالدخول ، ونشر الدعوة فهذا غاية ما يبتغون. وبذلك فليفرح المؤمنون، فلا قتل ولا قتال. وكل الناس آمنون على دمائهم وأموالهم، وقد فتح المسلمون كثيراً من البلدان بهذه الصفة مما يسمى صلحاً... أما إذا نصبت لهم المدافع... ومنع الدعاة في حرية نشر دعوتهم وعن الإيصال بالناس في إبلاغهم دين الله الذي فيه سعادتهم، وسعادة البشر كلهم – فإنهم يعتبرون حينئذ بأنهم معتدون على الدين وعلى الخلق أجمعين... ثم يقول: إذا منعنا من الدعوة إلى دين الله الذي أوجب الله أن ينذر به ويبلغ جميع خلقه... فمتى هدد الدعاة أو قتلوا أو منعوا من البلد لنشر الدعوة، وتبليغ الهداية فإنهم بمنعهم لهم يعدون على الدين ، فعلينا أن نقاتلهم لحماية الدعوة، والدعاة لاللأكراه على الدين) [2].

هذا ما قيل في معنى (الوقوف في وجه الدعوة) الذي هو سبب الحرب المشروعة في الإسلام.

ب- أما المعنى الثاني للوقوف في وجه الدعوة:

فهو عدم تسليم السلطة للمسلمين في بلاد الكفار، من أجل حكم الناس والبلاد

(١) سابق، سيد، فقه السنة ج٦١٢/٢.

(٢) القاسمي، ظاهر، الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام ، ص١٨٤ نقلاً عن الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر بكتابة (مجموعة الجهاد المشروع في الإسلام)

بالإسلام بحيث تكون الحرب مشروعة في هذه الحال ، في سبيل تمكين المسلمين من ذلك. وهذا بعض ما قيل في هذا المعنى:

١- قول ناصر الدين الألباني. وهو: (اعلم أن الجهاد على قسمين:

الأول : فرض عين ، وهو صد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين والآخر: فرض كفاية... وهو الجهاد في سبيل نقل الدعوة الإسلامية إلى سائر حتى يحكمها الإسلام فمن استسلم من أهلها فبها ومن وقف في طريقها قوتل، حتى تكون كلمة الله هي العليا)[1].

٢- ومن أصحاب هذا الإتجاه أيضاً تقي الدين النبهاني الذي يقول: (الجهاد لا يكره الأفراد على اعتناق الإسلام، إنما يعني إخضاع الشعوب لحكم الإسلام، فيدعون إلى الإسلام، فمن أسلم من الأفراد فقد عصم دمه وماله، وحرم قتاله، لأنه استجاب للدعوة، ولو كان فرداً ومن لم يسلم أجبر على الخضوع لأحكام الإسلام والأقوال ، واستمر قتاله حتى يتم إخضاعه لأحكام الإسلام....)[2].

٣- ويعد عبد الكريم زيدان ممن ساروا في هذا الاتجاه لقوله: (الدول غير الإسلامية التي تقوم على غير الإسلام، وترفض أحكامه تعدها الدولة الإسلامية كيانات باطلة لا تستحق البقاء، لأن الباطل منكر وفساد. والمنكر يجب أن يزال. وزواله يكون ببنائها من جديد على أساس الإسلام بان يكون حكامها مسلمين ويكون قانونها هو القانون الإسلامي أي الشريعة الإسلامية. ويتم ذلك على اختيار ، بأن تعتنق الإسلام، وتطبق قانونه، أو تخضع لسلطان الدولة الإسلامية السياسي وقانونها الإسلامي. وعلامة ذلك التزامها بدفع الجزية فإن لم تختر هذا أو ذاك كان على الدولة الإسلامية أن تقاتلها

(١) الألباني، ناصر الدين، العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق ، ص ٤٩ النبهاني، تقي الدين، بحث (الجهاد) يبدأ من ص ١٢١ حتى ص ١٣٢.

(٢) من كتاب حسن، محمد علي (العلاقات الدولية في القرآن والسنة) ص ١٢٨.

حتى تخضعها لسلطاتها السياسي، وقانونها الإسلامي فتصير من دار الإسلام ومعنى ذلك كله. إن للدولة الإسلامية الحق في إخضاع الدولة غير الإسلامية لسلطانها السياسي، وقانونها الإسلامي يحق ولو بالقتال إذا رفضت هذا الخضوع باختيارها)(١).

كان هذا عرضاً لأقوال الفريقين في سبب الحرب المشروعية من أجل حمل الدعوة الإسلامية – فريق – يرى ما يفيد أن الدول غير الإسلامية إذا لم تمنع حملة الدعوة الإسلامية من دخول بلادها ولم تفرض أي ضغط أو عدوان لا على حملة الدعوة ولا على المستجيبين لها هي دول يحرم على الدولة الإسلامة أن تقاتلها بججة إخضاعها للنظام الإسلامي وإلحاقها بدار الإسلام لأنها لم يصدر منها عدوان ولا حتى وقوف في وجه الدعوة الإسلامية.

أما الدول غير الإسلامية التي تمنع حملة الدعوة الإسلامية من منحهم موافقة الدخول إلى بلادها أو التي تفرض الحظر على نشاطهم الإسلامي إن سمحت لهم بدخول أراضيها، أو التي تمارس أي ضغط أو عدوان عليهم أو على المستجيبين للدعوة – فهذه الدول التي تتخذ هذا الموقف من الدعوة الإسلامية وحملتها والمستجيبين لها هي دول يحق للدولة الإسلامية أن تقاتلها وتعلن الجهاد عليها(٢).

المسألة الثانية : أدلة الفريقين في المراد من الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية :

أ- أدلة القائلين بعدم مشروعية الحرب من أجل الدعوة الإسلامية إلا في حالة المنع من تبليغها أو العدوان عليها... وتتخلص بما يأتي:

١- الجهاد شرع في الإسلام للدفاع ضد الإعتداء.... عملاً بقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ

(١) زيدان، عبد الكريم (دكتور) مجموعة بحوث فقهية، ص ٥٣-٥٤.

(٢) هيكل، محمد خير (دكتور) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٧٤٧/١.

ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[1]. ومن الاعتداء على الدعوة المنع من إبلاغها للناس.

وفي هذا يستشهد عبد الله بن زيد بقول ظافر القاسمي: (إن الإسلام يسالم من يسالمه ولا يقاتل إلا من يقاتله أو يمنع نشر دعوته، ويقطع السبيل في منع إبلاغها للناس، فإنهم بمنع إبلاغها يعتبرون بأنهم معتدون على الدين وعلى الخلق أجمعين)[2].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

يوضح (السيد سابق) المراد بهذه الآية بقوله: (لهذه الحرب المشروعة غاية تنتهي إليها وهي منع فتنة المؤمنين والمؤمنات بترك إيذائهم، وترك حرياتهم ليمارسوا عبادة الله، ويقيموا دينه، وهم آمنون على أنفسهم من كل عدوان)[4].وإذا أريد تفسير هذه الآية على ضوء هذا المعنى بما يزيد من ربط الآية بمفهوم هذا الإتجاه فإننا نعرض ما قاله المفسرون وهو (وقاتلوا الكفار الذين يعذبون المؤمنين تعذيباً يستهدفون به فتنتهم عن دينهم وواصلوا ضدهم هذا القتال حتى يقلع الكفار عن ممارسة تلك الفتنة، وحتى يكون الدين لله، أي : حتى يوجد الدين أي توجد العبادة لله. بمعنى حتى يسمع بوجودها بلا فتنة تقع على المسلمين ، فإن انتهى الكفار عن تلك الفتنة والتعذيب ، وسمحوا بوجود الدين والعبادة بلا اضطهاد ولا ضغوط ، فلا عدوان إلا على الظالمين أي: من يعتدي على هؤلاء المنتهين عن الفتنة، والذين سمحوا بالدين من غير اضطهاد

(١) سورة البقرة، الآية /١٩٤.

(٢) آل محمود، عبد الله بن زيد، الجهاد مشروع في الإسلام، ص ٧ نقلاً عن القاسمي، الجهاد والحقوق الدولية ص ١٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية/١٩٣.

(٤)سيد، سابق ،فقه السنة، ٦١٤/٢.

لأهله– من يعتدي على هؤلاء رغم أنهم انتهوا عن الفتنة يكون هو الظالم الذي يستحق أن يسلط الله عليه العدوان ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أو يكون معنى الآية: فإن انتهى بعضهم عن فتنة المؤمنين وإيذائهم ، واستمر بعضهم فيها فقاتلوا هؤلاء الظالمين فقط. المصرين على فتنة المؤمنين أو ما يدور في فلك هذا المعنى) [1].يفهم من تفسير الآية عدم مشروعية القتال لمن يسمح بوجود الدين والعبادة بدون فتنة ولا اضطهاد مما يسنح بنشر الدعوة.

٣– دليل ثالث يأتي به أصحاب هذا الاتجاه وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾[2].

يقول سيد سابق معقباً على هذه الآية: (فهؤلاء القوم لم يقاتلوا قومهم، ولم يقاتلوا المسلمين ، واعتزلوا محاربة الفريقين وكان اعتزالهم حقيقياً يريدون به السلام فهؤلاء لا سبيل للمؤمنين عليهم) [3].

ويفهم من هذا الاستدلال بهذه الآية أن الكفار إذا سالموا المسلمين ولم يعتدوا عليهم بما يشمل السماح للدعوة الإسلامية، وعدم اعتراضها لأن عدم السماح للدعوة هو من جملة الإعتداء – كما سبق – إذا سالموا المسلمين على هذا النحو حرم قتالهم لقوله تعالى: ﴿ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ وهذا يفيد عدم مشروعية قتالهم من أجل إخضاعهم لحكم الإسلام.

٤– ودليل رابع يأتي به أصحاب هذه الإتجاه وهو الآية الكريمة:

---

(١) الطبري، تفسير ١١٤/٢، الجلالين، تفسير الجمل ، ١٧٤/١ والألوسي، التفسير الكبير ٧٦/٢.

(٢) سورة النساء ، الآية/٩٠.

(٣) سابق، سيد، فقه السنة، ٦١٥/٢.

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1]. ويقولون: إن قتال غير المقاتلين هو اعتداء ، والآية تنهى عنه.

يقول أحمد مصطفى المراغي في تفسيره: (يقاتلونكم: أي : يتوقع منهم قتالكم، ولا تعتدوا: أي : لا تبدؤوهم بالقتال)[2].

إن وجه الإستدلال بالآية على هذه المسألة واضح وهو يفيد عدم مشروعية بدء قتال الكفار لإخضاعهم للحكم الإسلامي. لأن ذلك اعتداء والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ .

٥- ودليل خامس يأتي به أصحاب هذا الاتجاه وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ ﴾[3].

يقول مصطفى زيد في تفسيره لسورة الأنفال : (الآية تعبر بوضوح عن جنوح الكفار للسلم بـ (أن) التي يعبر بها عن المشكوك في وقوعه أو الذي من شأنه أن لا يقع لتشعر بأنهم ليسوا أهلا لاختيار السلم لذاتها وأنه لا يؤمن أن يكون جنوحهم إليها كيداً أو خداعاً وتعطف على أمر الرسول بقبول الصلح أمر آخر بالتوكل على الله لتزيد احتمال خداعهم قوة ثم لتؤكد الأمر بقبول الصلح حتى مع قيام هذا الاحتمال القوي بأن الكفار يريدون خداع المؤمنين — إن المسلمين أولى من الكفار بالسلم فهل يترددون في قبول حين يعرضه الكفار عليهم)[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية /١٩٤.

(٢) المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ٨٨/٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية /٦١-٦٢.

(٤) زيد، مصطفى، (سورة الأنفال عرض وتفسير) ص ١٤٩.

أن وجه الإستدلال بهذه الآية على المسألة التي نحن بصددها هو : أن الدولة غير الإسلامية إذا مالوا إلى معاهدة السلام مع الدولة الإسلامية مع احتفاظ تلك الدول باستقلالها، وأنظمة حكمها –فإن المسلمين مكلفون بقبول الميل إلى السلام المعروض كما تدل عليه آية الأنفال التي نحن بصددها، وهذا يفيد عدم مشروعية قتال تلك الدول بهدف إخضاعها للحكم الإسلامي.

٦- ودليل سادس يستدل به أصحاب هذه الأتجاه هو – كما يقول : محمد رشيد رضا:

(إن حروب رسول الله ﷺ للكفار كانت كلها دفاعاً ليس فيها شيء من العدوان ... ثم يقول: إن قتال مشركي العرب، ونبذ عهودهم بعد فتح مكة كان جارياً على هذه القاعدة) ثم يقول: (وإنما اشتبه على الغافلين ، الأمر بما كان في بعض الغزوات والسرايا من بدء المسلمين بها ذاهلين عن حالة الحرب بينهم وبين المشركين باعتداء المشركين الأول واستمراره ، فالدفاع لا يشترط أن يكون في كل معركة، وكل حركة) [1].

ووجه الاستدلال بهذا الدليل أن النبي ﷺ انحصرت حروبه كلها في الدفاع وعلى هذا تنحصر الحرب المشروعية في الإسلام بحالة الدفاع وهذا يفيد عدم مشروعية قتال الكفار لإخضاعهم للحكم الإسلامي – ما داموا لم يمارسوا أي اعتداء على المسلمين أو دعوتهم .

كانت تلك هي أدلة أصحاب الإتجاه الأول الذي يقول بحصر مشروعية الجهاد في الإسلام بالدفاع ضد العدوان: ذلك العدوان الذي يشمل الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية بمعنى فرض الحظر على نشرها وأنه إذا لم يقف الكفار في وجه الدعوة بل سمحوا بنشرها في أراضيهم وبين رعاياهم فقتالهم في هذه الحال لإخضاعهم للحكم الإسلامي هو قتال غير مشروع.

---

(١) رضا، محمد رشيد، المحمدي، ص ٢٣٦-٢٣٧.

ب- أدلة الفريق الذي يقول بأن الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية لا يتمثل فقط بمنع نشر الدعوة الإسلامية سواء وقع الإعتداء على حملتها والمؤمنين بها أو لم يقع عليهم اعتداء. بل يتمثل أيضاً برفض أصحاب السلطة في الدول الأخرى في الإسلام: أو رفضهم تسليم السلطة إلى المسلمين من أجل حكمها بالإسلام . أو رفضهم تسليم السلطة إلى المسلمين من أجل حكمها بالإسلام ودمجها في الدولة الإسلامية.

فإذا وقفت السلطة في الدول الأخرى بقواتها أمام الدعوة الإسلامية في سبيل منع إخضاع البلاد للدولة الإسلامية، ونظامها.

فالجهاد في هذه الحال مشروع في الإسلام لتحقيق هذا الغرض بالقوة إن لم يجز تحقيقه بالرضا والصلح هذا وتتخلص أدلة هذا الاتجاه بما يلي:

١- النصوص المطلقة التي تقضي بقتال الكفار دون تقييد بكونهم معتدين ومنها:

أ- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾[1].

ب- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[2].

ج- وقول النبي ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله) [3].

٢- ويستدل أصحاب هذا الاتجاه بحديث (سليمان بن بريده) عن أبيه الذي جاء في صحيح مسلم وفيه مما يتصل بهذا الموضوع بعض الأحكام التي كان للنبي ﷺ ويلزم بها

(١) سورة التوبة، الآية/١٢٣.

(٢) سورة التوبة، الآية /٧٣.

(٣) البخاري، الصحيح، رقم (٢٥).

كل أمير يعينه على رأس سرية من السرايا يوجهه نحو العدو.... ومنها قوله : (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام [١]. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.. فإن أبوا فسلهم الجزية فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فان هم ابوا فاستعن بالله وقاتلهم) [٢].

٣- ويستدل أصحاب هذا الإتجاه أيضاً بآية الجزية ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَـٰغِرُونَ ﴾ [٣].

هذا ووجه الاستدلال بتلك النصوص كلها هو : أن المشرع قد كلف المسلمين فيها بقتال الكفار مطلقاً أي: ولو لم يكونوا معتدين، كما هي قضية إطلاق النصوص ، وكلفهم بالإستمرار في هذا القتال حتى يتحقق أحد أمرين إما دخولهم في الإسلام، وإما خضوعهم للحكم الإسلامي بما يعني جعلهم من أهل الذمة وإلحاق بلادهم بدار الإسلام.

٤- ويستدل أصحاب هذه الإتجاه أيضاً بأعمال الخلفاء الراشدين ويقول في ذلك. عبد الكريم زيدان: (وأعمال الخلفاء الراشدين تؤيد ما قلنا، وقاله الفقهاء، فإنهم فتحوا البلاد المجاورة وأبطلوا أنظمتها، ونفذوا فيها القانون الإسلامي، وأدخلوها في سلطان الدولة الإسلامية ، وصارت جزءاً منها ولم ينكر عليهم أحد مطلقاً، فيكون هذا المنهج مجمعاً عليه من قبل الجميع ، وهو أعظم إجماع قام على مسألة شرعية) [٤].

---

(١) مسلم ، الصحيح ١٣٥٧/٣ وينظر الشوكاني، نيل الأوطار ٢٤٤/٧.

(٢) مسلم، الصحيح حديث رقم ١٧٣١ وينظر أبو داود، السند برقم ٢٦١٢، ج٥٢/٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٩، وينظر الشافعي، الام، ٢٠٧/٤ (الصغار أن يجري عليهم حكم الإسلام).

(٤) زيدان، مجموعة بحوث فقهية، ص ٥٧.

هذا وقد اتفقت كلمة العلماء في الإسلام، على مشروعية إعلان الجهاد على جميع الكفار ابتداء[1]. أي ولو لم يصدر منهم اعتداء على المسلمين ، أو على الدعوة، وذلك من أجل إدخالهم تحت حكم الإسلام، اللهم إلا ما روي عن الإمام مالك من عدم مشروعية الجهاد ابتداء ضد الحبشة والترك فقط.

ومشروعية الجهاد ابتداءً فيما عداهم من الكفار ويقرر ذلك ابن رشد في كتابه (بداية المجتهد) فيقول : (فأما الذين يحاربون، فاتفقوا على أنهم جميع المشركين لقوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[2]. إلا ما روي عن مالك أنه قال : (لا يجوز ابتداء الحبشة بالحرب ولا الترك لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال : ذروا الحبشة ما وذرتكم) وقد سئل (مالك) عن صحة الأثر فلم يعترف بذلك، ولكن قال: لم يزل الناس يتحامون غزوهم) [3].

وحديث ترك قتال الحبشة والترك رواه أبو داود وغيره ونصه عند أبي داود هو (دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم) [4].



(١) ابن قدامة المغني، ٣٨٧/١٠ والشافعي، الأم ٢٣٨/٤، الكاساني ١٠٠/٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية /٣٩.

(٣) ابن رشد، بداية المجتهد (الهداية في تخريج أحاديث البداية ٦/٨-٩).

(٤) أبو داود، السنن، حديث رقم ٤٣٠٢، والطبراني في الأوسط والصغير رقم الحديث (٣٦٤) ج١٤٦/١.

الفصل الثاني

عوامل النصر في المعركة

المبحث الأول : الإعداد الروحي والمادي للمعركة .

المبحث الثاني : دور القيادة الناجحة في إحراز النصر .

المبحث الثالث : الصبر والثبات وعدم الفرار من الزحف .

المبحث الأول

الإعداد الروحي والمادي للمعركة

أولاً : الإعداد الروحي والمعنوي للمجاهدين .

ثانياً : الإعداد المادي للمعركة .

المبحث الأول : الإعداد الروحي والمادي للمعركة

أولاً : الإعداد الروحي والمعنوي للمجاهدين :

إن إعداد الجيش وتهيئة جنوده لا بد أن يتناول جانبيه الروحي ، والمادي، وإن الأولوية يجب أن تكون لإعداد المجاهدين روحياً ومعنوياً لأن تهذيب سلوك الجنود عن طريق غرس العقيدة السليمة هو أسلوب من أنجح الأساليب التربوية، وذلك ما للدين من سلطان على القلوب والنفوس وما له من تأثير كبير على المشاعر والأحاسيس ، ولا يكاد يداني سلطانه وتأثيره أي شيء ولذلك كان للدين والتربية الروحية الأثر البالغ على رفع معنويات الجند وتهيئهم نفسياً لخوض المعركة بثقة ويقين وثبات .

ويحكي لنا القرآن الكريم أحسن القصص لتكون منهجاً وعبرة يستفاد منها في التربية الروحية والمعنوية للمجاهدين لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]. هذا وإن تكرار القصة في القرآن الكريم وبأساليب مختلفة وبطرق تعبير متعددة عن المعنى الواحد لا تختلف إلا لنكت تفيد من فهمها فائدة لفظية أو معنوية)[3].

منهج الإعداد الروحي :

إن منهج التربية الروحية شامل متكامل يبدأ منذ خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام، وهيأه لمهمة الاستخلاف وأعلمه الطريق الذي يسلكه والمنهج الذي يعتمده في

(١) سورة يوسف ، الآية/٣، وينظر ابن تيمية ، مجموع الفتاوي / ج١٧ ، ص ٢٢ وزيدان ، المستفاد من قصص القرآن الكريم ، ٥/١.

(٢) سورة يوسف ، الآية /١١١.

(٣) رضا، تفسير المنار ج٨ ص ٣٤٦، ٣٤٣.

تقوية موقعه وتثبيت مركزه في معركته مع إبليس أول معركة بين الحق والباطل لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[1]. والتحذير من الغفلة ومن أساليب الشيطان في كيده للأنسان إيحاؤه له بالوعود والأماني الكاذبة ليصرفه عن الحق ويوقعه في الغفلة عن الله وعصيانه، قال تعالى حكاية عن عزم إبليس في إضلال بني آدم وقذف الأماني الباطلة في قلوبهم ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾[2].

ثم يخبر الله تعالى مخبراً عن واقع إبليس في سلوكه هذا مع بني آدم ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[3].

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُم ﴾ (أي لازين لهم الإستعجال باللذات الحاضرة والتسويف بالتوبة والعمل الصالح وأغرنهم بأنفسهم، وأمنيهم بطول الأعمار، وبلوغ الآمال ونحو ذلك من الأماني، وبقدر رغبته فيما يهواه)[4].

لقد حذرنا الله تعالى من الشيطان ومكائده ولا بد من الإئتمار بأمر الله في محاربة الشيطان والوقاية من هذا العدو الخبيث وذلك بالأخذ بالأسباب واعتماد وسائل الوقاية الشرعية من الشيطان الرجيم ومنها:

١- الإيمان بالله وحسن التوكل عليه والإستعاذة بالله من الشيطان في كل حين.

٢- ترك المعاصي والتمسك بالطاعات.

٣- الزهد في الدنيا وعدم الإغترار بها.

---

(١) سورة فاطر، الآية /٦.

(٢) سورة النساء، من الآية /١١٩.

(٣) سورة النساء، الآية /١٢٠.

(٤) القرطبي، جامع أحكام القرآن، ج٥ ص٣٨٩ وينظر ابن كثير في تفسيره، ج١ ص ٥٥٦ والقاسمي في تفسيره، ج٥ ص ٢٧٨٩ ورضا في تفسير المنار، ج٥ ص ٤٢٧.

٤- ضرورة وسائل الوقاية العامة للمجاهدين من مكائد الشيطان .

١ـ الإيمان العميق والعقيدة الراسخة :

إن المجاهد الذي يعتمر قلبه بالإيمان العميق والعقيدة الراسخة فإنه يتحلى بالصبر والثبات والمعنويات العالية. وتحكي لنا الروايات التاريخية صحة هذه الثوابت وكان للقيادات الناجحة دور في تثبيت هذه القواعد لأنه تعد من أسباب الإنتصار في المعارك. وفي هذا يقول الطبري رحمه الله: (أن رجلاً من المسلمين قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه – قبيل معركة اليرموك –: ما أكثر الروم وأقل المسلمين . فقال خالد قولته المشهورة: بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجنود بالنصر وتغلب بالخذلان[(١)].

فإذا (تعد الروح المعنوية العالية من أهم عوامل النصر في الحرب. إذ هي الباعث الرئيسي لإدارة القتال. وهي مستودع القوة والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها والتغلب عليها والتصميم على إحراز النصر على العدو مهما كانت التضحيات) [(٢)].

وقد ركزت العقيدة العسكرية في الإسلام على تربية المجاهدين وأكدت على صلاح النفس وبينت أن تغير أحوال الناس يكون تبعاً لتغير نفوسهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[(٣)].

فصاحب الخلق الحسن هو صاحب السجية والطبع الحسن ويعرف الغزالي رحمه الله الخلق : (عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهوله ويسر من غير حاجة فكر ورويه) [(٤)].

---

(١) الطبري، تاريخ، (معركة اليرموك) ج٢ ص٥٩٤.

(٢) محفوظ، المدخل إلى العقيدة، ص ٣٠١.

(٣) سورة الرعد، الآية/١١.

(٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٣ ص ٤٦.

ويعرف آخرون أخلاق: (بأنها مجموعة من المعاني المستقرة في النفس وفي ضوءها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه) [(١)].

هذا وأن تحلي المجاهد بحسن الخلق إنما يدل على عقيدة سليمة وإيمان عميق راسخ في القلب يصدقه العمل والتصرف والسلوك وإنه من الثابت أن الجيش الذي يقاتل عن عقيدة، ويدافع عن مبدأ أيا كان هذا المبدأ أو هذه العقيدة. يكون أكثر ثباتاً في المعركة من الجيش الذي لا عقيدة له ولا مبدأ، أو الذي يقاتل عن عصبية وهوى، أو يقاتل خوفاً من عقاب قادته أو من أجل الحصول على ترقية أو مرتبة أعلى من التي يحملها أو أي مطلب دنيوي.

يقول محمود شيت خطاب (رحمه الله) : (والمعروف أن الجندي لا يمكن أن يقاتل في الحرب قتالاً مستميتاً ويضحي بروحه مقبلاً غير مدبر، إلا إذا كان يؤمن إيماناً راسخاً بعقيدة تدفعة إلى التضحية والفداء وتجعله صابراً في البأساء والضراء وحين البأس، والجندي الذي يقاتل بغير إيمان راسخ بعقيدة لا يمكن أن يثبت في الميدان أبداً، وما يقال في الجندي يقال عن الجيش ويقال عن الأمة أيضاً.....) [(٢)].

إن عقيدة الإيمان بالله سبحانه وتعالى التي تحلى بها المسلمون في معاركهم الأولى كانت هي السلاح القوي في ثباتهم في مواجهة المشركين، وخوضهم معارك لا تكافؤ فيها من ناحية القوى المادية. ولقد تجلى أثر الإيمان بالله سبحانه وتعالى في ثبات المسلمين وإقدامهم على قتال العدو في كل معاركهم وجهادهم، فمثلاً معركة مؤتة – سبق ذكرها– كان عدد الجيش الإسلامي ثلاثة آلاف مقابل مائتي ألف من الروم وأعوانهم في أرض خبروها وفيها مددهم ومؤونتهم بينما الجيش الإسلامي خرج من قلب الصحراء

(١) زيدان، أصول الدعوة، ص ٧٥.

(٢) خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص ٩٠.

وقطع الفيافي والأقفار بظروف نقل صعبة وبمؤونة قليلة وتجهيز متواضع وهم منقطعون عن المدينة وعن مركز الامداد والتعزيز، فكان الموقف خطيراً في (معان) حيث أقاموا فيها ليلتين من الترقب والتفكير والتحسب أيكتبون لرسول الله ﷺ ويخبروه بعدد العدو ليمدهم بالرجال أو يكتفون بما عندهم ويتوكلوا على الله في مواجهة هذا العدو الغاشم.

وبينما هم في هذه الحيرة انبرى الإيمان وتألقت النفوس العظيمة لتحسم الموقف وتنهي حيرة الرجال. حيث قام عبد الله بن رواحة مشجعاً الناس وقال : (والله إن التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقابل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا، فانما هي إحدى الحسنيين إما الظهور وإما الشهادة، فقال الناس، قد والله صدق بن رواحة فمضى الناس....) [1].

ومن هنا فإن تربية الجند على عقيدة الإيمان بالله سبحانه وتعالى هي أولى مراتب الإعداد للنصر في المعركة، فإن الجندي أو القائد الذي يؤمن أن ما بعد القتل في ساحة المعركة خير من البقاء في الدنيا، بل يؤمن أن القتل في المعركة ما هو إلا منه من الله سبحانه وتعالى وهو اختيار واصطفاء رباني، لمن شاء من عباده ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [2].

إن هذا النوع من الجنود لا يفر من المعركة فرار الخوف من الموت لأن الموت مقصوده، وإن الجيش الذي يتكون من مثل هؤلاء المجاهدين فإنه الجيش المؤمن الذي يحمل وعداً من الله جل في علاه بالنصر لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3]. وإن الله يؤيد المؤمنين مؤكداً معيته لهم ونصره لهم، وأنه لا ينفع

(١) ابن هشام، السيرة، ٩/٤، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤٢/٤-٢٤٣.

(٢) سورة آل عمران ، من الآية /١٤٠.

(٣) سورة الروم ، الآية/٤٧.

الكافرين في مواجهة أولياء الله عدد ولا عدة لقوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

قال المفسرون: إن أبا جهل قال حين التقى القوم (يوم بدر) اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة فكان المستفتح.

وقال السدي: كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ يقول قد نصرت ما قلتم وهو محمدﷺ[2].

لقد اعتمدت القيادة الإسلامية على تنمية الروح المعنوية لدى المجاهدين وبصورة دائمة، بغرس الإيمان بالله والثقة بنصره وإن الله أعد للمجهاد مغفرة منه ورحمة وهيأ له جنات تجري من تحتها الأنهار، لهذا الأمر كان المجاهدون يتسابقون إلى ساحة الجهاد، لا يعبؤون بأهلهم إيثاراً للآخرة حتى أن الأب والابن يتسابقان على الخروج إلى القتال كل يريد الإستئثار بشرف الجهاد فهذا سعد بن خيثمة وأبوه يريدان الخروج فأمرهما الرسول اللهﷺ (أن يخرج أحدهما، فاستهما فخرج سهم سعد، فقال له أبوه: آثرني بها يا بني فقال سعد: يا أبت إنها الجنة. ولو كان غيرها آثرتك بها فخرج سعد مع النبي ﷺ فقتل ببدر ....)[3]. رضي الله عنه وعن أبيه.

٢ـ طاعة الله ورسوله :

(١) سورة الأنفال، الآية /١٩.

(٢) القرطبي، تفسير، ج٧ ص ٣٨٦ وينظر الزمخشري الكشاف، ج٢ ص١٥٠ وابن كثير، تفسير ج ص٩٤ .

(٣) ابن المبارك، عبد الله ، كتاب الجهاد، ص ٧٠-٧١ وينظر الواقدي ، المغازي ، ٢/١، ٢١٣/١٢.

وإن من أسباب النصر طاعة الله سبحانه وطاعة رسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

ولا بد من تحصين المجاهدين من تخويف الشيطان بما يلقيه من وسوسة في القلوب من وقوع الأذى بأبدانهم وأموالهم وعوائلهم إن هم قدموا إلى الجهاد. والوقاية من هذا النوع من التخويف تكون باستحضار واستيعاب وتذكر وفهم قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[2].

والحذر من استزلال الشيطان للوقوع في المعاصي والخطايا كما حصل لبعض المقاتلين في معركة أحد الذين فروا من المعركة وكان فرارهم باستزلال الشيطان لهم، لمعصيتهم أمر رسول الله ﷺ بالبقاء في المكان الذي عينه لهم فوق جبل (عينين) المقابل لجبل أحد لحماية المسلمين ولكن أكثرهم خالف هذا الأمر فتركوا مواقعهم في الجبل [3]. فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾[4].

إن مخالفة أمر الرسول ﷺ أدت إلى أن ينقلب النصر إلى هزيمة وتسببت هذه المعصية بكسر رباعية الرسول الأكرم محمدﷺ وإسالة دمه الشريف واستشهاد العديد من أبطال المجاهدين نتيجة لهذا التفريط بالواجب واقتراف معصية أمر الرسول ﷺ[5]. وكان عليهم الطاعة والثبات على أمر رسول اللهﷺ وهو القائد وهو القدوة الحسنة وكان

(١) سورة الأنفال ، الآية/٤٦.

(٢) سورة التوبة، الآية/٥١.

(٣) البخاري، الصحيح، (فتح الباري ، ١٦٢/٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية /١٥٥.

(٥) مسلم الصحيح ١٤٩/٢ وابن هشام السيرة، ٢٩/٣ والعسقلاني (فتح الباري ، ٣٦٥/٧).

عليهم أن يثبتوا في مواقعهم كثبات رسول اللهﷺ والمجاهدين الذي تلقوا غارة خيالة المشركين بعد انكشاف ظهورهم. لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة[1].

٣ـ الإكثار من ذكر الله والدعاء :

قال تعالى في بيان الأسباب التي على المسلمين اتخاذها في قتال أعدائهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]. وقوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[3].

قال المفسرون : إن رسول اللهﷺ انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قال فيها: (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) ثم قام النبي ﷺ وقال: (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب إهزمهم وانصرنا عليهم)[4]. فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم ولا يتنازعوا فيما بينهم فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم[5].

---

(١) الرازي تفسير ج٩ ص ٥١-٥٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية /٤٥.

(٣) سورة الأنفال ، الآية /٩.

(٤) البخاري، الصحيح، ٨٥/٦، ومسلم الصحيح، ١٧٤٢.

(٥) القرطبي، تفسير، ج٨ ص ٢٣-٢٤، والزمخشري، الكاشف ، ج٨ ص١٦١/١٦٢ وابن كثير، تفسير ، ج٢ ص ١١٠/١١١.

ولما كان يوم بدر استقبل نبي اللهﷺ القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه ويقول (اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض. فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فأتاه أبو بكر رضي الله فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[1].

٤ـ الشجاعة والفداء :

هذا نماذج يحكي لنا المؤرخون قصصهم وإقدامهم :

أ ـ شجاعة الناشئة :

يحدثنا الواقدي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول اللهﷺ يتوارى، فقلت له: مالك يا أخي؟ قال إني أخاف أن يراني رسول اللهﷺ ويستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج، لعل الله يرزقني الشهادة، قال فعرض على رسول اللهﷺ فاستصغره فقال: إرجع، فبكى عمير، فأجازه رسول اللهﷺ قال: فكان سعد يقول: كنت أعقد له حمائل سيفه من صغره فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة.

وكان أول من فتح باب القتال يوم اليرموك (١٣هـ /٦٣٤هـ) في جيش السلاسل غلام من الأزد فقال لأبي عبيدة رضي الله عنه : (أيها الأمير إني أردت أن أشفي قلبي وأجاهد عدوي وعدو الإسلام وأبذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي أرزق الشهادة فهل تأذن لي في ذلك وأن كان لك حاجة إلى رسول اللهﷺ فأخبرني بها، فبكى أبو عبيدة

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٥٨.

وقال: أقرئ رسول الله عني السلام وأخبره أنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم دفع الغلام الأزدي جواده وحمل يريد الحرب فقتل أربعة من الروم ثم قتلوه) (١).

ب ـ شجاعة الشباب :

لقد عد المجاهدون الشهادة راحة وتقرباً إلى الله فعندما رفع قوم من المودعين أيديهم يدعون الله تعالى وبحضور الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يحفظ المجاهدين المتوجهين إلى بلاد الشام وأن يرجعوا لهم بالسلامة فرفع أحد المجاهدين صوته قائلاً:

(يا خليفة رسول الله، ما كنت أحب أن يدعوا لي بالسلامة، فإني خائف ان يرزقني الله عز وجل السلامة ولا أحظى الشهادة...) (٢).

وهذا هشام بن عتبة بن أبي وقاص عندما فقدت عينه بمعركة اليرموك يفتخر بفقد إحدى حبيبتيه في سبيل الله وكيف لا وإن (العين التي تفقأ في سبيل الله لا تمسها النار) (٣).

واستشهد حنظلة بن أبي عامر (غسيل الملائكة) رضي الله عنه وهو جنب، وكان عروساً ليلة أحد فسمع النداء بالخروج فعجل بالخروج ولم يغتسل فقال رسول الله ﷺ: (إن صاحبكم لتغسله الملائكة)(٤).

جـ ـ شجاعة الرجال :

لقد بلغت الروح المعنوية مداها عندما قابل بعض الرجال المجاهدين عدوهم بدون

(١) الواقدي، فتوح الشام، ١٣٩/١.
(٢) ابن أعثم، الفتوح، ١١٨/١.
(٣) ابن أعثم، الفتوح، ١٦٩/٢.
(٤) الحاكم، المستدرك ٢٠٤/٣.

دروع فكان (عباس بن عبادة بن فضلة رضي الله عنه يرفع صوته في أحد ويقول: يا معشر المسلمين الله ونبيكم هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم ووعدكم النصر فما صبرتم، ثـم نـزع مغفره عن رأسه وخلع درعه فقـال لخارجـة بـن زيـد رضـي الله عنـه هـل لـك في درعـي ومغفري؟

قال خارجة: لا أنا أريد الذي تريد فخالطوا القوم جميعاً وعباس يقول: ما عذرنا عند ربنا أن أصيب رسول الله ومناعين تطرف؟

يقول خارجة: لا عذر لنا عند زبنا ولا حجة)) [1]. وهذا أنس بن النضر رضي الله عنه خاض المعركة كالإعصار يوم انكشف المسلمون في أحـد لا يـأتي إلى عـدو الإراده ولم يسقط شهيداً إلا بعد إن ضرجته بضع وثمانون ضربة بالسيف أو طعنـة بـالرمح أو رميـة بسهم.... فما عرفه أحد إلا أخته ببنان أصبعه) [2].

وهـذا أبـو دجانـة رضـي الله عنـه عنـدما حوصـر المرتـدون مـع مسـيلمة الكـذاب في(الحديقة) قال : (ويحكم يا معشر الأنصار أحملوني حملة وألقوني إلـيهم فحمـل أبـو دجانة على ترس بعض الأنصار ثم رفع بالرماح حتـى ألقـي في جـوف الحديقـة، قـال : فوقع أبو دجانة في الحديقة ووثب كالليث وهو يرتجز ويقول:

أنا سماك أبو دجانة لست بذي ذل ولا مهانه
ولا جبان القلب ذو استكانه لا خير في قوم بدين خانه[3]

وكان ذلك سبباً للنصر على المرتدين وقتل مسيلمة الكذاب وانتهاء الفتنة.

(١) الوافدي، المغازي ٢٥٨/١.
(٢) الطبري، تاريخ ١٧/٢ وينظر مسلم ، الصحيح، ١٥٥/٢.
(٣) الواقدي، كتاب الردة ونبذه من فتوح العراق، هذيه محمد حميد الله، ط١، المؤسسة العالمية (باريس، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م) ص ٧٤.

د ـ شجاعة الشيوخ وأهل العذر :

فهذا عمرو بن الجموح رضي الله عنه شيخ الأنصار وكان أعرج، قال لبنيه حين خرج النبي ﷺ إلى بدر أخرجوني ... فذكر للنبيﷺ عرجه وحاله فأذن له في المقام ، فلما كان يوحد أحد خرج الناس، فقال لبنيه أخرجوني فقالوا: هل رخص لك بذلك رسول اللهﷺ ... فلم يستسلم وإنما أصر على الخروج هذه المرة: فقال : (هيهات منعتموني الجنة ببدر وتمنعونها بأحد، وخرج فأبلى بلاء حسناً وقاتل حتى قتل) [(١)].

هـ ـ شجاعة النساء :

إن دور النساء في معارك المسلمين على مر التاريخ كبير وله شواهد ونعرض نموذجاً أصيلاً حصل في معركة أحد على عهد النبوة. فقد خرجت بعض النسوة مع جيش المسلمين إلى أحد منهن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها التي اقتحمت المعركة دفاعاً عن رسول اللهﷺ حتى جرحت جراحاً كثيراً[(٢)].

وفي حروب الردة أقسمت أم عمارة أن تشارك في محاربة مسيلمة الكذاب الذي قتل ابنها ومثل به، وفعلاً اشتركت كمقاتلة إضافة لعملها في مواساة الجرحى وتضميد جراحهم، وفي هذه المعركة (اليمامة) قطعت يدها، ورجعت إلى المدينة بساعد واحد، وقد عالجت نفسها بأن غمستها بالدهن المغلي) [(٣)].

ثانياً : الإعداد المادي للمعركة :

أمر الله تعالى المؤمنين المجاهدين بأن يأخذوا بكل أسباب القوة والإعداد الكامل للجهاد وتهيئة كل الوسائل المادية للمعركة بقوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن

---

(١) ابن المبارك ، كتاب الجهاد، ص ٦٩-٧٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٣٢/٣ وينظر الواقدي، المغازي، ٢٦٨/١.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ص ٩٨.، وينظر ابن عبد البر، الدرر، ص ١٥٧.

قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1].

فالإستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد، والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخص (رباط الخيل) لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم القرآن أول مرة... ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – لذا أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان الإستطاعة لقوله ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم ﴾ أي مهما أمكنكم ﴿ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[2].

إن هذه الأمة انتدبها الله عز وجل لإعلاء كلمة الله في الأرض وتبليغ دعوته وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهي بهذا الإعتبار خير الأمم لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ومن هذا الواجب الذي كلفت به الأمة المسلمة وجب عليها إعداد نفسها للقتال ومن رباط الخيل لغرض القيام بالمهمة على أفضل وجه[3].ومن أسباب القوة التي حث سبحانه عبادة الأخذ بها لإعداد السلاح وتصنيع احتياجات الحرب من عدة وجميع متطلباتها ومن نعم الله تعالى على الإنسان أن سخر له ما في الأرض والسماء

---

(١) سورة الأنفال ، الآية /٦٠.

(٢) القرطبي، جامع القرآن ج٨ ص٣٢/٣١ والزمخشري، الكشاف، ص ١٦٥ وابن كثير ج٢ ص١١٤-١١٥. سيد قطب، في ظلال القرآن ، مج٤، ج١٠/ص٤٣.

(٣) خطاب ، بين العقيدة والقيادة، ص ١٠٢.

طيعة بيده ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (1).

سميت السورة (سورة الحديد) لذكر الحديد فيها، وهو قوة الإنسان في السلم والحرب... فمن الحديد تصنع الدروع والسيوف والرماح والتروس والدبابات وغيرها من معدات الحرب. (ومنافع للناس) أي فيه منافع كثيرة للناس كسكك الحراثة والجسور وفيه تشاد العمائر والعدد وغير ذلك وما من صناعة إلا والحديد آله فيها.

وقال أبو حيان: وعبر تعالى عن إيجاده بالإنزال كما قال: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ (2). لأن الأوامر وجميع القضايا والأحكام لما كانت تلقى من السماء جعل الكل نزولاً منها، وأراد بالحديد جنسه من المعادن قال الجمهور (3). ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ عطف على محذوف مقدر أي وأنزلنا الحديد ليقاتل به المؤمنون أعداءهم ويجاهدوا لإعلاء كلمة الله، وليعلم الله من ينصر دينه ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الأسلحة مؤمناً بالغيب ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينصرونه ولا يبصرونه (4). ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي قادر على الانتقام من أعدائه بنفسه، عزيز أي غالب لا يغلب فهو غني بقدرته عن كل أحد. وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا الثواب (5). وقال ابن كثير رحمه الله: معنى

(1) سورة الحديد، الآية /25.

(2) سورة الزمر،6.

(3) أبو حيان، البحر المحيط، 226/8.

(4) الجلالين، تفسير 174/4.

(5) البيضاوي ، تفسير ، 456/3.

الآية أن جعل الحديد رادعاً لمن أبي الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه [1].

ومن هذا المنطلق عمل المسلمون على الإعداد المادي للجيش الإسلامي بعد أن تم إعدادهم روحياً، فأعدوا تنظيمات وإجراءات عملية للأمور العسكرية والتعبئة للحرب والتدريب وتهيئة السلاح والمعدات والأمور الإدارية والخدمية وإمعان الدقة والحذر في إعلان الحرب والدعوة إلى الجهاد واعتماد مبدأ الكتمان وكلمة السر وغيرها من مستلزمات الإعداد المادي وتهيئة كافة العوامل المؤدية إلى كسب المعرفة والأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى إحراز النصر. والأمة مدعوة لأن يكون سلاحها من أرقى الأسلحة وأقواها لتمنع نفسها العدوان فالأمة مكلفة أن تكون أقوى من غيرها من الأمم الكافرة وأن هذه الاعتبار ينسحب على أفراد الأمة كذلك . فقد فضل رسول الله ﷺ المؤمن القوى على المؤمن الضعيف لأن الأمة لاتؤتى إلا من قبل الضعفاء غير المستعدين لمواجهة الصعاب وللتضحية بكل غال ونفيس ، فقال عليه الصلاة والسلام: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير) [2].

وإن إعداد القوة العسكرية المادية يحتاج إلى إنفاق وبذل يتم به هذه الإعداد ولذلك جاء الأمر بالإنفاق في الآية في أوجب الحق فيها الإعداد لأن (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) [3].

ويقول عبد الكريم زيدان: وليكن معلوماً أن الإيمان وحده لا يغني عن عوامل النصر المادية مثل عدد القتال وعدد المقاتلين وغيرها من وسائل القتال ومستلزماته .. لأن الإسلام دين واقعي لا يغفل عما في العوامل المادية من قوة وهو يقرر ما للإيمان من قوة

(١) ابن كثير، مختصر التفسير، ٤٥٥/٣.
(٢) مسلم، الصحيح، بشرح النووي، ٣٢٩/١٦ حديث رقم ٢٦٦٤ .
(٣) السمعاني، قواطع الأدلة، تحقيق، دهيتو، هامش رقم (١).

ومن سببية في النصر.. وليكن معلوماً أن القوة المادية ومنها كثرة أهل الحق وأهل الباطل تأثيراً في النفوس، نفوس المؤمنين والكافرين على حد سواء، ومن هذا التأثير الإحساس بزيادة القوة لدى الفريق الذي يرى أنه أكثر قوة مادية من الفريق، الآخر،فيتصرف ضد خصمه في ضوء هذا الأحساس والشعور، كأن يرى المؤمنون الكافرين أقل عدداً منهم، مما يجرئهم على قتال الكفار والهجوم عليهم بعزم وثبات وصبر وثقة بالنصر، ومثل كثرة المقاتلين وقلتهم فيما يورثانه من إحساس بزيادة أو قلة بالقوة، سائر القوى المادية الأخرى كنوع السلاح وكثرته.... [1].

١ـ التنظيمات الإدارية للجيش :

المقصود بتلك التنظيمات هو إيجاد هيئات متعددة في الجيش يشرف كل منها على نوع من الأعمال والنشاطات المتصلة بتكوينه وتشكيلاته، واحتياجاته، وما يقوم به من مهمات.

إلى غير ذلك مما له صلة بالجيش مما يحتاج إلى تنظيم، وتنفيذ هذه الهيئات ذلك الإشراف على أعمالها ونشاطاتها عن طريق إدارات متعددة تتفرع عنها، يعهد إلى كل منها بعمل من الأعمال التي يحتاج إليها الجيش ليكون مهيأ لخوض الصراع العسكري مع العدو في أي وقت، بأمل الفوز في ذلك الصراع، تحقيقاً للأغراض المنوطة به. فقد أحس الرسولﷺ منذ غزوة غزاها إلى جنود يحمون الدعوة المباركة ويردون عنها كيد المعتدين وكان عليه الصلاة والسلام يؤثر أن يصحبه في المعركة من أقبل على القتال راغباً غير متباطئ ولا متثاقل، فكان عليه الصلاة والسلام يقول لصحابته إذا ذكروه دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك أراحكم الله منه [2].

(١) زيدان، السنن الإلهية، في الأمم والجماعات والأفراد، في الشريعة الإسلامية، ص ٥٥-٥٧.
(٢) الطبري، تاريخ ١٤٥/٣.

وكان النبي ﷺ يُعنى بالقيام بكل المهام المتعلقة بالجيش بصفته قائداً للجيش الإسلامي ولقد عني كذلك بعدد من الإدارات ، وأولاها أهمية خاصة، وأبرزها: إدارة التخطيط والتنظيم وإدارة الشورى ، وإدارة التوجيه المعنوي، وإدارة الإستطلاع، والعمليات والتدريب والتسليح ثم أن هناك إدارة التموين والإمداد والغنائم والأمور الطبية – ولقد كانت هذه الإدارات تقوم بمهامها بما يقتضيه الواجب الجهادي ولم يكن لها هياكل محددة كما نراها اليوم ولم تكن مفصولة عن غيرها... ولم تكن متمركزة في مكان معين، إنما كانت ضمن الجيش تنتقل معه وتتمركز معه، ولهذا كانت أسنان الجيش أقوى من ذيله وعناصره الإدارية (١). فقد كان الجيش هو أداة الجهاد وقد ازداد اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجيش وأوجد ديوان الجند والعطاء وهو نوع من التنظيم للجيش الإسلامي في ناحية منه وأقره الصحابة على ذلك (٢).

٢ـ تكوين الجيش الإسلامي وتطويره :

كان الجيش الإسلامي على عهد رسول الله ﷺ يجري على الأسلوب الذي كان يجري العرب قبل الإسلام من حيث استدعائه إلى القتال كلما دعت الحاجة إلى استدعائه ولهذا لم تكن له معسكرات مخصصة لإقامته بصورة دائمة، وما كان أفراده ينقطعون عن أعمالهم التي يزاولونها من أجل الكسب والعيش، بل كان المقاتلون يعيشون مع أهاليهم في منازلهم ويتعاطون الأعمال التي هي مصدر كسبهم من تجارات وصناعات وخدمات وزراعة فإذا دعوا إلى القتال تركوا كل شيء وتحشدوا في مكان ما خارج البلد الذي

(١) وتر، محمد ظاهر، الإدارة العسكرية في حروب الرسول ﷺ ص١٠٧/١٠٨.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٩٩–٢٠٠ وينظر ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب، ص ٤٣–٤٤، والكناني عبد الحي، الترتيب الإدارية ، ج١/٢٢٥ والطنطاوي، علي ، سيرة عمر بن الخطاب ، وحسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية ص ١٧٩ ، وحسن ، حسين ، النظم الإسلامية، ص ٤٤٩.

يقطنون. مكونين بذلك جيشاً يسير تحت ألوية قادتهم لمواجهة العدو... فإذا انتهى القتال عاد كل إلى منزله وأهله وعمله. كان هذا الأسلوب في تدبير أمر الجيش والقتال كافياً بالنظر إلى عصر النبوة[1].ولكن حين انساح المسلمون المقاتلون بعد عهد النبي ﷺ فيما وراء الجزيرة العربية وحرروا البلاد التي كانت تحت أيدي ملوك الفرس والروم، وضموها إلى دار الإسلام ولم يعد مثل ذلك الأسلوب في تدبير أمر الجيش والقتال مؤدياً للغرض المطلوب.

إن تاريخ الجيش الإسلامي الأول جيش المهاجرين والأنصار وأصحاب النبي ﷺ ذلك الذي كان النواه الأولى للفتح الإسلامي العظيم في عهد الراشدين أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما يتلخص بأربعة أدوار، تدرج بها هذا الجيش من الضعف إلى القوة ومن الدفاع إلى الهجوم، فأصبح قوة كبيرة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد يعمل تحت قيادة واحدة.

الدور الأول : هو دور التحشيد من بعثته ﷺ سنة(٦١٠م) إلى هجرته إلى المدينة سنة (٦٢٢م) واستقراره هناك. وفي هذا الدور اقتصر الرسول القائد على الجهاد بالدعوة يبشر وينذر ويجاهد لنشر الإسلام. ثم حشدهم في المدينة بالهجرة إليها[2].

الدور الثاني : هو دور الدفاع عن العقيدة من بدء إرسال الرسول ﷺ سراياه وقواته للقتال إلى انسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد غزوة الخندق[3].وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء.

(١) هيكل ، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٩٨٩/٢-٩٩٠.

(٢) ابن حجر ،فتح الباري، ٢٣٤/٧، وينظر خطاب الفاروق القائد، ص ٢٠.

(٣) حصل ذلك في شوال من السنة الخامسة للهجرة، ينظر الواقدي ، المغازي ٤٤٠/٢ وابن كثير، البداية والنهاية/٩٤/٤ وفي البخاري، الصحيح،٤٤/٥ السنة الرابعة ولا اختلاف لأنه يعد التاريخ من المحرم.

الدور الثالث : هو دور الهجوم، من بعد غزوة الخندق إلى غزوة حنين في شوال من السنة الثامنة للهجرة[1].

وبهذا الدور انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية كلها ، وأصبح المسلمون قوة ذات اعبتار وأثر في البلاد العربية فاستطاعوا سحق كل قوة تعرضت للإسلام.

الدور الرابع : وهو دور التكامل من بعد غزوة حنين إلى أن التحق الرسول الأكرم رضي الله عنه بالرفيق الأعلى. فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور فشملت شبه الجزيرة العربية، فكانت غزوة (تبوك) [2].إيذاناً بمولد الدولة الإسلامية[3]. في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) حيث ظهرت قوة المسلمين .

وفي السنة الحادية عشر للهجرة (٦٣٢م) أعد النبيﷺ جيشاً بقيادة اسامة بن زيد[4] . لمهاجمة الروم غير أن وفاته وإنتقاله إلى الرفيق الأعلى في ربيع الأول من تلك السنة (كانون ٦٣٢م) [5].أوقف تحرك ذلك الجيش ، فترك لخلفائه خطة واضحة المعالم.

فماذا عمل أبو بكر خليفة رسول اللهﷺ لقد عمل الصديق رضي الله عنه على تحقيق خطة الرسولﷺ والأهداف التي رسم خطوطها الأولية. فقد أنفذ جيش أسامة رغم الأخطار التي استجدت وهي (فتنة الردة) وقام جيش إسامه بما رسم له من دور في ردع الروم وعاد إلى المدينة فاستخلفه أبو بكر رضي الله عنه على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهورهم، ثم خرج فيمن كان معه وناشده المسلمون ليقيم فأتى

---

(١) ابن هشام، السيرة ٤٣٧/٢ البيهقي، السنن ١٥١/٣ وابن حجر، فتح الباري ٥٦٢/٢.

(٢) وقعت في رجب من صيف عام تسع للهجرة، ينظر إلى ابن حجر، فتح الباري ، ٨٤/٨.

(٣) خطاب الرسول القائد ، ص ٩.

(٤) ابن هشام، السيرة ٣٢٨/٤ وينظر ابن حجر، فتح الباري ١٥٢/٨.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ١٢٩/٨.

وقال: (لأواسينكم بنفسي!) وسار إلى (ذي حسى) [1].

و(ذي القَصَّة) [2].حتى نزل بـ (الإبرَق) [3].فقاتل من به فهزم الله المشركين ، وأقام أبو بكر رضي الله بـ (الإبـرق) أياماً وغلـب علـى بـني ذبيـان وبلادهـم وحماهـا لـدواب المسلمين وصدقاتهم ، وعقد أبو بكر رضي الله عنه أحد عشر لواء لقتال المرتدين. ففصلت الأمراء من (ذي القَصَّة) ولحق بكل أمير جنده، وعهـد إلى كـل أمـير، وكتـب إلى جميـع المرتدين نسخة واحـدة يـأمرهم بمراجعـة الإسـلام ويحـذرهم[4].بهـذه الخطـة السـوقية البارعـة الـتي حـرك أبـو بكـر رضـي الله عنـه بموجبهـا قـوات المسـلمين علـى الخطـوط الداخلية... وبهذه الخطـة الدقيقـة اسـتطاع الصـديق رضـي الله عنـه القضـاء علـى فتنـة المرتدين،فلم تحل سنة اثنتي عشرة هجرية (٦٣٣م) أي بعد عام من وفاة الرسـول ﷺ إلا وكانت طلائع الجيوش الإسلامية تهدد ملك كسرى في العراق وملك قيصـر في أرض الشـام ويهاجم جيوش الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية في عقر دارهما[5].

لقد قابل أبو بكر رضي الله عنه فتنـة الـردة بـأحزم مـا تقابـل بـه مـن بـدايتها إلى نهايتهـا، فبادرهـا بـالحزم مـن صـحيتها الأولى وتعقبهـا بـالحزم... حتـى ثابـت إلى قرارها[6].

---

(١) وردت (حسأ) لدى الحموي ياقوت، معجم البلدان (من ديار عبس وذبيان)، ٢٧٥/٣.

(٢) ذي القصة، موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً وهـو طريـق الربـذه، ينظـر الحمـوي، معجـم البلـدان، ١١٤/٧.

(٣) الأبرق، هو أبرق الربذه، ينظر الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ٧٧/١.

(٤) الطبري، تاريخ ٤٨٠/٢ وينظر ابن الأثير، الكامل، ١٣٢/٢.

(٥) خطاب ، الفارق القائد، ص١٤٩.

(٦) خطاب، عبقرية الصديق، ص ١٤٩.

أ ـ شروط المجاهدين في الجيش الإسلامي :

١- الإسلام [١]. لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾[٢]. لغرض الدفاع عن بلاد الإسلام عن عقيدة راسخة وإيمان صادق وإخلاص لله. والله تعالى لا يحب إلا الصادقين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[٣].

٢- البلوغ[٤] . وذلك لأن البلوغ شرط من شروط التكليف لقوله ﷺ : (ورفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل) [٥] . وفي التعليل لاشتراط العقل في التكليف للجهاد[٦] . يقول ابن قدامة رحمه الله (المجنون لا يتأتى منه الجهاد)[٧] .

٣- الحرية [٨]. ودليل هذا الشرط : ما روي أن النبي ﷺ كان يبايع الحر على الإسلام والجهاد ويبايع العبد على الإسلام دون الجهاد. وفي التعليل لهذا الشرط فيقول الشربيني رحمه الله : ...(لقوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١]. ولا

(١) ابن عابدين ، حاشيةابن عابدين ٣٣٩/٣ ، الشربيني، مغني المحتاج: ٢١٦/٤ ، وابن قدامة المغنى ٣٦٦/١٠ والمقدسي الشرح الكبير ٣٦٦/١٠ وابن حزم ، المحلى ٢٩١/٧.

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٦٥.

(٣) سورة الصف، الآية ٤.

(٤) الكاساني، بدائع الصنائع ٩٨/٧ ، ابن قدامة ، المغني ٣٦٦/١٠ والشيرازي، المهذب ٢٢٨/٢ .

(٥) أبو داود، السنن، وقم ٤٤٠٣ ج١٩٨/٤.

(٦) الشربيني، مغنى المحتاج ٢١٦/٤ وابن قدامة، المغني ٣٦٦/١٠ والشربيني المهذب، ٢٢٨/٢.

(٧) ابن قدامة، المغني، ٣٦٦/١٠.

(٨) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ، ٣٤٠/٤، الدردير ، الشرح الكبير ١٧٤/٢.

(١) سورة التوبة، الآية ٤١.

مال للعبد، ولا نفس يملكها فلم يشمله الخطاب، حتى ولو أمره سيد لم يلزمه...) [(١)].

ولكن ابن عابدين قال بوجوب الجهاد على العبد بإذن المالك بحجة أن منع وجوب الجهاد عليه إنما هو لحق السيد فإذا أذن انتفى المانع[(٢)].

٤- الذكورة[(٣)]. جاء في صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال: جهادكن الحج) [(٤)].

ولكن لهن الحق في التطوع للجهاد. وفي هذا يقول ابن حجر رحمه الله : (قال ابن بطال: دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله (جهادكن الحج) أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ، وإنما لم يكن عليهن واجباً لما فيه مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال) [(٥)].

وفي هذا يقول محمود شيت خطاب: (ولا يقتصر التجنيد على الرجال البالغين بل يشمل النساء البالغات أيضاً فقد استصحب الرسولﷺ النساء في غزواته .. بالإقتراع، ولا يعترض أحد على اشتراك النساء في الحرب على عهد الراشدين والأمويين فلما جاء العباسيون ظهر بعض الفقهاء... فأضافوا إلى شروط الخدمة العسكرية شرطاً خامساً وهو (الذكورة) فحرموا الجيش من عنصر فعال يزيد في عدده ومعنوياته) [(٦)].

٥- الطاعة والمبايعة على الموت: إن المؤمن الصادق، ولا سيما جندي الجهاد في سبيل الله — لا بد أن تتأصل الطاعة في نفسه مثل الإيمان فالطاعة دليل الإيمان ولا يمكن

(١) الشربيني، مغني المحتاج، ٢١٧/٤.

(٢) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ، ٣٤٠/٣.

(٣) الكاساني، بدائع الصنائع ٩٨/٧ ، الدردير، الشرح الكبير ١٧٤/٢ وابن قدامة المعني ٣٦٦/١٠.

(٤) البخاري، الصحيح، رقم (٢٨٧٥) فتح الباري ٧٥/٦.

(٥) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٧٦/٦.

(٦) خطاب، الرسول القائد ، ص ٣٠-٣١.

ابداً – أن يوجد جيش لأي أمة يحقق لها أهدافها إذا لم تتوافر في أفراده الطاعة ولقد حض الله تعالى عباده المؤمنين على الطاعة وأمرهم بها لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾[1]. وبين سبحانه أن المتصف بطاعة الله ورسوله له منزلة عالية رفيعة إذ يكون في ركب من أنعم الله عليهم ووفقهم لطاعته ورضوانه من أئمة الخير لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2].

ولقد حرص الرسول ﷺ على تربية أمته على طاعة أمرائها بعده إلى يوم القيامة ما دام ذلك في إطار طاعة الله وجعل ﷺ طاعة أميره من طاعته ومعصية أميره من معصيته حتى لا يقول قائل : إنما الطاعة لرسولهﷺ فإذا مات فلا طاعة لسواه، كما فعل أهل الردة ونحوهم. وصدق رسول ﷺ إذ يقول: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني)[3].

والجندي المسلم أكثر شجاعة من غيره فانه يطلب الموت ليلقى الله شهيداً، أو ينتصر على عدوه فترتفع راية الإسلام.

ولقد كان المجاهدون يبايعون رسول اللهﷺ على الموت كما قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه عندما سأله يزيد بن أبي عبيد رضي الله عنه قال: قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول اللهﷺ يوم الحديبية: قال (على الموت)[1]. وكانوا رضي الله

(١) سورة النساء، الآية /٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية /٦٩.

(٣) البخاري، الصحيح رقم ٧١٣٧، فتح الباري ١١/١٣ وينظر مسلم، الصحيح ١٤٦٦/٣.

(١) البخاري، الصحيح، كتاب المغازي باب ١٥٢ حديث ٦٤٤.

عنهم يوفون ببيعتهم فلم يترددوا في اقتحام العقبات مهما كانت أهوالها.

وهذا سلمة بن الأكوع نفسه يحكي لنا قصة الشجاعة والإقدام على الموت:

فيقول: (خرجت قبل أن يؤذن بالأولى وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد قال فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: (أخذت لقاح رسول الله ﷺ قلت من أخذها قال غطفان قال: فصرحت ثلاث صرخات: يا صباحاه قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً وأقول: أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع وارتجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين برده قال: وجائني النبي ﷺ والناس فقلت: يا نبي الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش فابعث إليهم الساعة فقال: (يا ابن الأكوع ملكت فاسجح) قال : ثم رجعنا ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة) [(1)].

واستمروا بالمبايعة على الموت بعد وفاة النبي ﷺ قال ابن كثير رحمه الله: (قال عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يوم اليرموك قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى من يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور رضي الله عنهما في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم) [(2)].

(1) البخاري، الصحيح، رقم : ٤١٩٤، فتح الباري ٤٦٠/٧ ومسلم الصحيح١٤٣٢/٣.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/٧.

ب ـ الصفات التي يتحلى بها الجيش الإسلامي :

إستعرضنا أخلاق المجاهدين جند الجيش الإسلامي وصفاتهم الفردية، أما السمات العامة والصفات التي يتحلى بها الجيش الإسلامي بأجمعه ليصير كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وتشمل هذه الصفات المشتركة:

١ـ الصفة الأولى : الأخوة الإسلامية :

فالأخوة الإسلامية هي أخوة الإيمان في الله وهي أقوى من أي رابطة، فلا رابطة أقوى من العقيدة ولا عقيدة أقوى من الإسلام. لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1]. فهي من نعم الله على المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[2]. وقد أمر الرسول ﷺ أمته بتحقيق هذه الأخوة ومقتضاها ونهاهم عن كل ما يعكر صفوها ففي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: قال (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)[3].

وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ترى المؤمنين في تراحمهم وتؤادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)[4].

---

(١) سورة الحجرات، من الآية/١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية /١٠٣.

(٣) البخاري، الصحيح، رقم ٦٠٦٥ ، فتح الباري ٤٨١/١٠ ومسلم، الصحيح ١٩٨٣/٤.

(٤) البخاري، الصحيح رقم ٦٠١١، فتح الباري ٤٣٨/١٠ ومسلم، الصحيح ٢٠٠٠/٤.

ولقد آخى رسول اللهﷺ بين المهاجرين والأنصار عندما هاجر إلى المدينة فربط بين المهاجرين والأنصار بذلك الإخاء الفريد والحب في الله وبذلك ضربوا أروع الأمثال في بناء الجيش الإسلامي والمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية. ولقد سجل القرآن الكريم الإخاء والحب الصادق في الله. بقوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]. وهكذا كان المجاهدون بعد وفاة الرسول ﷺ يؤثر بعضهم بعضاً في وقت يصعب فيه الإيثار على النفس كما ذكر عن ابن أبي الجهم بن حذيفة العدوي قال: (انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعي شنة من ماء وإناء، فقلت إن كان به رمق سقيته من الماء ومسحت به وجهه فإذا أنا به ينشغ[2]. فقلت أسقيك فأشار أن نعم فإذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص فاتيته فقلت أسقيك فسمع آخر يقول آه فأشار هشام أن انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فإذا قد مات ثم أتيت ابن عمي فإذا

(١) سورة الحشر، الآيات/٨، ٩، ١٠.

(٢) النشع، الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشي عند الموت،ينظر الجوهري ،الصحاح، ٢/٥٧٠.

هو قد مات) [1].

رضي الله عنهم اجمعين ، أنهم جند الله مجاهدي الجيش الإسلامي كانوا بحق اخوة في الله يشد بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى. إن هذا التعاون والتساند والتناصر والإيثار كان من عوامل النصر.

٢ـ الصفة الثانية : التواصي بالحق والصبر :

إن من صفات جند الله المنصورين هو التواصي بالحق بالصبر والتناصح والتغافر والتواصي بالخير وبهذه الصفات استحقوا الخير ومدحهم الله جل في علاه بقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2].

وأقسم رب العزة بالعصر إن الإنسان على خطر عظيم وخسران مبين إن هوتنكب طريق الشيطان وتجنب أمر التواصي بالحق والصبر لقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾[3].

قال المفسرون : أقسم الله تعالى بالعصر وهو الزمان الذي ينتهي فيه عمر الإنسان، وما فيه من أصناف العجائب والعبر والدالة على قدرة الله تعالى وحكمته، على إن الإنسان في خسارة ونقصان، إلا من اتصف بالأوصاف الأربعة وهي (الإيمان) و (العمل الصالح) و (التواصي بالحق) و (الإعتصام بالصبر) وهي أسس الفضيلة وأساس الدين ، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو لم ينزل الله سوى هذه السورة لكفت الناس،

(١) ابن المبارك، عبدالله ، الجهاد ص ٩٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية/١١٠.

(٣) سورة العصر، الآيات/١-٣.

وقال ابن عباس رضي الله عنه العصر هو الدهر أقسم الله تعالى به لاشتماله على أصناف العجائب وقال قتادة رحمه الله العصر هو آخر ساعات النهار، أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة الباهرة والعظمة البالغة) [1]. وقال القرطبي رحمه الله: أقسم الله عز وجل بالعصر – وهو الدهر – لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع، وقيل : هو قسم بصلاة العصر لأنها أفضل الصلوات [2]. وقال صاحب الظلال: (أما التواصي بالحق والتواصي بالصبر فتبرز في خلالهما الأمة المسلمة أو الجماعة المسلمة ذات الكيان الخاص والرابطة المميزة والوجهه الموحدة للجماعة التي تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها والتي تعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه من الإيمان والعمل الصالح فتتواصى فيما بينها بما يعينها على النهوض بالأمانة الكبرى. فمن خلال لفظ التواصي ومعناه تبرز صورة الأمة والجماعة المتضامنة، الأمة الخيرة الواعية القيمة في الأرض على الحق والعدل والخير وهي أعلى وأنصح صورة للأمة المختارة وهكذا يريد الإسلام أمة الإسلام هكذا يريدها أمة خير قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير... وهكذا الدين هو الحق لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكاملة متضامنة على هذا المثال.

والتواصي بالصبر كذلك ضرورة فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ولا بد من الصبر في الجهاد وعند اللقاء [3]. وهذه صفات جند الله وجيش الإسلام.

---

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط ، ٥٠٩/٨.

(٢) القرطبي، جامع أحكام القرآن، ١٧٩/٢٠.

(٣) سيد، قطب، في ظلال القرآن، ٣٩٦٧/٣٠.

٣ـ الصفة الثالثة : نصرة الحق والثبات عليه :

ومن الصفات التي يجب أن يتصف بها جند الله مجتمعين (نصرة الحق وإحقاقه والقتال عليه حتى يلقوا ربهم سبحانه وتعالى وهذه الصفة هي ثمرة كل الصفات الحميدة التي يتصف بها القائد والجند أجمعين: لقوله ﷺ: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك) [(١)]. وفي رواية مسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة) وفي حديث جابر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة). [(٢)] وبهذه الصفة – مع الصفات الأخرى للمجاهدين في سبيل الله – تتميز الطائفة المنصورة على سواها من الطوائف التي تدعى كل منها أنها هي الطائفة المنصورة فهي الميزان الذي توزن به الجماعات والدول والطوائف لا بد أن تقاتل على الحق وتنصره ولابد أن تكون ذات فقه في الدين قائمة بالحق في نفسها داعية إليه غيرها تقاتل عليه من ناوأه إلى يوم القيامة. وأي جماعة تفقد هاتين الصفتين :

الفقه في الدين، ونصر الحق أو أحداهما فليست أهلاً لأن تكون هي الطائفة المنصورة [(٣)].

٣ـ عناصر الجيش الإسلامي :

لقد دأب الخلفاء الراشدون على انتهاج الطريق الذي سلكه سيد المرسلين ﷺ في تكوين الجيش وتقويته وتعزيزه وكان عناصر الجيش الأول هم المهاجرين والأنصار وفي

---

(١) البخاري، الصحيح، رقم ٣٦٤١، فتح الباري ٦٣١/٦.

(٢) مسلم، الصحيح، ١٥٢٤/٣.

(٣) القادري الجهاد في سبيل الله، ٩٥/٢.

هذا يقول الواقدي رحمه الله: (أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة لحمزه بن عبد المطلب رضي الله عنه بعثه في ثلاثين راكباً شطرين خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار) (1). ولو أن ابن هشام رحمه الله قال: (بأن الثلاثين رجل كلهم من المهاجرين . ولم يكن للأنصار دور فيها) (2).

ومهما يكن من الأمر فإن للمهاجرين والأنصار دور مهم في تكوين نواة الجيش الإسلامي وتطوره ولهم الدور الأكبر في الإنتصارات الأولى وتأسيس الدولة الإسلامية ففي معركة بدر الكبرى (٢هـ) كان عدد المسلمين (ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن الأوس واحد ستون رجلاً ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً) (3).

وازداد هذا العدد في معركة أحد في سنة (٣هـ) (حتى بلغ سبعمائة مقاتل) (4). وتضاعف عدد المجاهدين حتى بلغ الجيش الإسلامي (ثلاثة آلاف مقاتل أرسلهم رسول الله ﷺ في السنة الثامنة للهجرة إلى مؤتة) (5). وفي نفس السنة تزايد عدد المسلمين أضعاف مضاعفة فبلغ عدد الجيش الإسلامي (عند فتح مكة عشرة آلاف مقاتل) (6).

وفي غزوة حنين (بلغ تعداد جيش الرسول ﷺ إثنى عشر ألفاً) (7). وهو أقصى عدد

(1) الواقدي، المغازي، ٩/١.

(2) ابن هشام، السيرة، ٥٩٥/١.

(3) ابن سعد الطبقات، ١٦٦/٢.

(4) ابن هشام، السيرة ٧٠/٣.

(5) الواقدي، المغازي، ٧٥٦/٢.

(6) الواقدي، المصدر نفسه، ٨١٥/٢، وينظر ابن جماعة، بدر الدين، تجنيد الأجناد، مخطوطة في دار صدام للمخطوطات ، ص ١٢.

(7) ابن هشام، السيرة ٦٨/٤.

خرج معه منذ الهجرة وحتى فتح مكة. وبعد ستة أشهر من حصار الطائف كانت غـزوة تبوك وهي آخر غزوات الرسولﷺ ناهزت أعداد المجاهدين (ثلاثـين ألفـا) [١]. وفي عهـد الراشدين رضي الله عنه اتبعوا نفس السياسة التي كان يسير عليها رسول اللهﷺ وأضـافوا بعض التطورات ما رأوه لازمـاً بعـد توسـع حركـة التحريـر والفتوحـات، واسـتمر هـذا التطور في العصور اللاحقة.

٤ـ عمر الفاروق رضي الله عنه يعد الأمة المقاتلة ويقيم الحصون :

لقد أصبح أمر تنظيم الجيش أمراً مهمـاً وقـد أصـاب هـذا التنظـيم حظـاً فقـد كـان الرسول ﷺ يؤمر الرجل على القوم وفيهم مـن هـو خـير منـه، لأنـه أيقـظ عينـاً وأبصـر بالحرب [٢]. وقد تأسى الصديق رضي الله عنه برسول اللهﷺ في ندب الناس إلى القتال وظل يستنفر الراغب ولا يكره المتخلفين ولم يلزم أحداً بالقتـال إلا مـن رغـب فيـه ومـن ثبـت إسلامه ولم يرتد فقد كتب إلى خالد بن الوليد وعياض بن غنم رضي الله عنهما في عمليـات تحرير العراق (وأذنا لمن شاء الرجوع ولاتستفتحا بمكاره) [٣].

وتولى الخليفة الفاروق عمر رضي الله عنه أمر الدولة الإسـلامية سـنة ١٣ هجريـة وظهر تطور جديد في عملية التجنيد نتيجة لاتساع عمليـات الفـتح والتحريـر وأصـبحت الحاجة إلى المجاهدين من الأمـور المهمـة. ونتيجـة لتعـدد جبهـات القتـال (العـراق ، الشام، مصر) فأصبحت الحاجة ملحة إلى أن يكـون (التجنيـد إلزاميـاً، فقـد نظـر أمـير المؤمنين عمر رضي الله عنه نظرة جديدة إلى نظام التجنيد فيها حزم وشدة ، وأمر عمالـه

(١) ابن سعد، الطبقات، ١٦٦/٢.
(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١.
(٣) الطبري، تاريخ ، ٢٤٦/٣-٢٤٧.

على الأقاليم بإحضار كل فارس ذي نجدة أو رأي أو سلاح. وفي هذا يروي الطبري رحمه الله: (لا تدعوا أحداً إلا وجهتموه إلي والعجل العجل) [1].

ثم أخذت عملية التجنيد في عهد عمر رضي الله عنه شكلها العملي بعد إنشاء ديوان الجند سنة (٢٠هـ) حيث أصبحت دواوين الجند في الأمصار الإسلامية مركزاً لتجنيد المجاهدين بواسطة السجلات التي تحوي أسماءهم وأنسابهم ومقدار الأعطيات ولما كان القتال ملزماً لما ثبت أسمه في ديوان فإن العقاب كان ينتظر كل من تخلف عنه حيث تنزع عمامته (العمائم تيجان العرب) ويقام في الناس ويشهر به) [2].

وبذلك كان جيش المسلمين في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه جيشاً ضخماً من الخيالة مستعداً في كل لحظة لمواجهة الطوارئ وجعل في كل مصر من الأمصار قوة احتياطية تشكل جيشاً ثابتاً مستعد لحماية دول الإسلام وفي هذا يقول الطبري رحمه الله (اتخذ عمر رضي الله عنه في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين وعدة ، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فارس وكان في كل مصر من الأمصار كما في الكوفة) [3].

ولعل كل هذه الإجراءات تنسجم مع المبدأ الذي سارت عليه الدولة منذ تأسيسها وهو (مبدأ الأمة المقاتلة) فلم تكن الدولة تتهاون مع أي بادرة تدل على التقاعس أو التثاقل في الإنخراط في الجيش لا سيما الغالبية من العرب المسجلين في ديوان العطاء [4].

(وقد استمر تجنيد المقاتلين في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه يسير على

---

(١) الطبري ، م.ن ٤٧٨/٣-٤٧٩ وينظر الصالح صبحي (دكتور) النظم الإسلامية ص ٤٨٨، وينظر ، الجبوري، نهاد عباس، المنهج النبوي في بناء الجيش معنوياً ومادياً ص ٢٠١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ١٥٨/٤.

(٣) الطبري ، التاريخ، ١٩٦/٤.

(٤) عمر فاروق، (الدكتور) وآخرون، النظم الإسلامية، ص ١٤٥.

الأسس التي وضعها عمر رضي الله عنه فقد كتب بعد توليه الخلافة سنة٢٣هـ إلى أمراء الأجناد أن لايغيروا شيئاً من الإجراءات التي وضعها الخليفة عمر رضي الله عنه) [١].
وإن هذه الإجراءات هي امتداد للنواة التي وضعها الرسول ﷺ وسار عليه أبو بكر رضي الله عنه ثم تطورت وأخذت شكلها الذي صار عليه الجيش الإسلامي على عهد عمر رضي الله عنه، حيث اصبح الجيش مؤسسة شبه متكاملة، المقاتلين مفرغين من أجل حماية المسلمين وبلادهم . يقول عمر رضي الله عنه وهو يعلن عن السياسة التي عزم على تنفيذها فيما يتصل بالأراضي التي دخلت في حوزة المسلمين ، وتوظيف إنتاجها للغرض المذكور ما نصه (... قد رأيت أن أحبس الأرضين (بعلوجها) [٢].وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها فيئاً للمسلمين – المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم، أرأيتم هذه الثغور؟ لا بد لها من رجال يلازمونها! أرأيتم هذه المدن العظام، كالشام، والجزيرة ، والكوفة، والبصرة،ومصر؟ لا بد من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم... إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال، وتجري عليهم ما يتقوون به– رجع أهل الكفر إلى مدنهم) [٣].

٥ـ التدريب :

يعد التدريب من مستلزمات الإعداد للمعركة وعامل من عوامل النصر لأن تقوية أجسام المجاهدين وتدريبهم على استعمال صنوف السلاح وفنون القتال والمنازلة ورفع معنوياتهم كل ذلك هي من قبيل الأخذ بالأسباب والإعداد المادي للقتال لقوله تعالى:

---

(١) الطبري، التاريخ ، ٢٤٥/٤.
(٢) العلج: الواحد من كفار العجم، والجمع علوج..) الجوهري ، الصحاح ١٤٦/٢.
(٣) أبو يوسف الخراج ص٢٧.

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1].

يقول المفسرون: أعدوا لقتال أعدائكم جميع أنواع القوة المادية والمعنوية قال الشهاب: وإنما ذكر القوة هنا لأنه لم يكن لهم في بدر استعداد تام، فنبهوا على أن النصر من غير استعداد لا يتأتى في كل زمان[2]. ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ أي التي تربط في سبيل الله ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ أي تخيفون بتلك القوة الكفار أعداء الله وأعدائكم ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ أي ترهبون به آخرين غيرهم قال ابن زيد، هم المنافقون، وقال مجاهد: هم اليهود من بني قريظة والأول اصح لقوله تعالى ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ أي لا تعلمون ما هم عليه من النفاق ولكن الله يعلمهم ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي وما تنفقوا في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات ﴿ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ أي تعطون جزاءه وافياً كاملاً يوم القيامة ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ لا تنقصون من ذلك الأجر شيئاً[3].

فالإستعداد بما في الوسع والإستطاعة فريضة تصاحب فريضة الجهاد والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها (بما في ذلك التدريبات المختلفة) ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالاً، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل،

(١) سورة الأنفال، الآية٦٠.

(٢) القاسمي، محاسن التأويل ٨ ص ٣٠٢٤.

(٣) الصابوني، صفوة التفاسير ٥١١/١٠.

فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله) [١].

ويعد التدريب من أهم عناصر كفاءة المقاتلين. لأنه يعطي للمجاهد مهارة قتالية وكذلك إزالة حاجز الخوف من الموت عند لقاء العدو وتشتمل التدريبات على :

أ ـ التدريب على تقوية الأبدان والعقول :

إهتم رسول الله ﷺ بالمقاتلين من حيث اتباع القواعد الصحة العامة ورياضة الأجسام وترويضها لتكوين البنية القوية للمجاهد في جسمه ونفسه وعقله إضافة لقوة الإيمان والعقيدة التي تناولناها في الفقرة السابقة. قال رسول الله ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز [٢].

ولقد شجع رسول الله ﷺ كل ما يقوي جسم المؤمن ومنها ممارسة السعي على الأقدام، وهي تمارين تعطي البدن قابلية على الحركة وخفة ونشاطاً [٣]. فقد سابق (عليه الصلاة والسلام) سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي يسبق لا على الرجلين [٤].

وحث على السباحة والرمي [٥]. لقوله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً) [٦].

وقد عرف عن النبي ﷺ أنه صارع (ركانة بن عبد يزيد وهو أقوى وأصلب رجل في

(١) سيد، قطب، في ظلال القرآن، ٤٤/١٠.

(٢) مسلم الصحيح، ٢٦٦٤.

(٣) الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر (ت ٧٠٩هـ) ، آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق (القاهرة، ١٣٩٥هـ) ص ١٢٩.

(٤) مسلم الصحيح، ١٤٣٩/٤.

(٥) ابن جماعة، مستند الأجناد، ص ٥٤.

(٦) البخاري، الصحيح ٢٩٥-٢٩٦.

جزيرة العرب، وقد صرعه مرتين أو ثلاثة قبل إسلامه). يقول ابن إسحاق[1]. (رحمه الله): (إن ركانة قال للنبي ﷺ يا ابن أخي – بلغني عنك شيء فإن صرعتني علمت أنك صادق، فصرعه رسول الله ﷺ وأخذ منه إحدى غنيماته إلا أنه أرجعها له فكان ذلك سبب إسلامه).

وقد كتب الخليفة عمر رضي الله عنه إلى أهل الشام أن يعلموا أولادهم السباحة والرمي[2].

ب ـ التدريب على ركوب الخيل والترامي من فوقها :

كان رسول الله ﷺ يحث الصحابة على التدريب على ركوب الخيل والتسابق والترامي من فوقها وامتدح الخيل بقوله ﷺ: (الخيل معقودة في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم)[3]. وكان عليه الصلاة والسلام يحضر السباق بين الخيل المسرجة والعراة ويجلس في الملأ العام، ويفرح للسابق وراكبه[4].ويشمل السباق أيضاً ترامي الفرسان من فوقها[5].

فقد سابق أبو عبيدة رضي الله عنه شاباً في معركة اليرموك في الخيل فسبقه[6].

جـ ـ التدريب على صنوف الأسلحة :

إهتم رسول الله ﷺ بتدريب الرعيل الأول من الصحابة لإعدادهم كمجاهدين وحرص أن يتعلم كل منهم استعمال أصناف السلاح والتدريب على فن القتال بها وتعلم وسائل الدفاع والهجوم. فقد أرسل رسول الله ﷺ عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة رضي

(١) ابن إسحاق ، السير والمغازي ، ص ٢٧٦.
(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ١٦٨/٢.
(٣) البخاري، الصحيح، ٤٠/٦ ومسلم، الصحيح، ١٧٨٣، والترمذي ، السنن ، ١٦٩٤ والنسائي ٢٢١/٦.
(٤) البخاري، الصحيح ، ١٤٦/١٢ وينظر مسلم، الصحيح، ١٤٩١/٣، وابن القيم، الفروسية ص ٣.
(٥) الحسن بن عبد الله، أثار الأول، ص ١٥٩، وينظر ابن القيم الفروسية،ص١٢.
(٦) ابن حنبل، المسند، ٢٠٤/١ .

الله عنهما إلى منطقة جرش [1].لتعلم الصناعات الحربية مثل المنجنيق [2].

وحث الرسول ﷺ على التدريب على الرماية بالقوس والسهم والطعن بالرمح والحربة والضرب بالسيف واهتم عليه الصلاة والسلام بتدريب المسلمين على الرماية فقال: (من علم الرمي، ثم تركه فليس منا أو فقد عصى) [3].

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: (وأعدول لهم ما استطعتم من قوة – ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي ألا أن القوة الرمي) [4].

وعن عمر بن عبس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة) [5].

لذا فقد التزم المسلمون بالتدريب ولم يبرحوا ساحاتها حتى في آخر أعمارهم خوفاً من الإثم [6].وقد وصى أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه بقوله : (إذا لقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به السهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف) [7].

وحث الخليفة عمر رضي الله عنه جنده في تعلم الرماية، ويروى أنه عنف قوم عندما مر عليهم وشاهدهم يسيئون الرمي فقالوا له: إنا قوم متعلمون) [8].

(١) جرش، مدينة كانت في شرق جبل السواد من أرض البلقاء، الحموي، ياقوت، معجم البلدان ١٢٦/٢.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٤٧٨/٢، وينظر ابن حزم ، جوامع السرة، ص ١٩١.

(٣) مسلم، الصحيح، ١٩١٩.

(٤) مسلم، الصحيح، ١٩١٧.

(٥) فهو له عدل محرر (بكسر العين وسكون الدال المهملتين) المثل والمحرز: الرقبة المعتقة.

(٦) ابن القيم، الفروسية، ص ١٥.

(٧) ابن جيش، عبد الرحمن بن محمود (ت٥٨٤هـ) الغزوات، تحقيق أحمد غنيم ط١ (الكويت /١٩٨٣) ص ٤٦. وينظر محفوظ / المدخل إلى العقيدة ، ص ٢٢٠.

(٨) الحموي،ياقوت ، معجم البلدان، ٦٧/١.

٦ـ السلاح :

إهتم العرب قبل الإسلام بأنواع الأسلحة واحتلت حيزاً كبيراً في دواوينهم وقصائدهم [١]. وخاصة السيف [٢].والرمح والخنجر والجراب والقسي، والمقلاع [٣].

وكانت تجارة الأسلحة رائجة وكانت رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام تأتي بها إلى مكة ويثرب عن طريق التجار. فكانت هذه الأسلحة تورد من الشام أو اليمن أو الهند وبعض منها يصنعها الذين يتقنون حرفتها [٤]. وكانت تباع في أسواق العرب الدائمة والموسمية . كما استخدم العرب المنجنيق وكان أول من استخدامه جذيمة الأبرش [٥]. وكذلك الدبابة وأول عن استخدامها عبد الله بن جعدة [٦].

فلما جاء الإسلام زاد الإهتمام بالسلاح وتم تطوير أنواعه وغدا السلاح جزءاً لا يتجزأ من العسكرية الإسلامية عقيدة وتاريخياً وكانت هذه العقيدة عصب النصر في المعارك لذا أهتم المسلمون باقتناء أنواع الأسلحة وحسنوها ويمكن عرض أمثلة على هذه الأسلحة التي استخدمها الجيش الإسلامي ومنها:

---

(١) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤ هـ)، الحماسة، تحقيق لويس شيخو، دار الكتاب العربية) (بيروت ، ١٣٧٨هـ /١٩٧٥م) ص٤٢.

(٢) الطوسوسي، تبصره أرباب اللباب ، ص ١١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١٧٩/١ وينظر الطوسوسي، تبصرة أرباب الألباب ص ٦-١٥.

(٤) أبو عبيد، السلاح، تحقيق حاتم الضامن، مجلة المورد (مجلد ١٢، عدد ٤(بغدا /١٩٨٣م) ص ٢٣٠ وينظر الآلوسي ، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، مطبعة الرحمانية(مصر ، ١٩٢٤م) ٦٥/٢.

(٥) السهيلي، الروض الأنف: تفسير السيرة النبوية لأبن هشام، ١٦٤/٤.

(٦) الطرسوسي، م.ن ص ١٦.

أ ـ الأسلحة الهجومية الخفيفة ـ وهي من الأسلحة الفردية مثل :

١ـ السيف :

الذي يعد من أهم الأسلحة الهجومية في ميدان القتال وهو من أحب السلاح عند العرب وأكثرها مدعاة للفخر.

والسيف لغة عند الجوهري[١].جمعة أسياف وسيوف، ورجل سيفان أي طويل ممشوق ضامر البطن وامرأة سيفانة.

وسافه بسيفه: ضربه بالسيف ، ورجل سائف: أي ذو سيف وسياف: أي صاحب سيف والجمع سيافة، والمسيف الذي عليه السيف والمسايفة المجالدة، وتسايفوا تضاربوا بالسيف.

وللسيف أسماء كثيرة ومنها (حسام) و (صلت) و (ذو الحدين). وللسيف أنواع عديدة مثل (اليماني) و (المشرفي) و (المهند) و(السليماني). و (السيف مشتق من قولهم ساف ماله – أي هلك ، فلما كان السيف سبباً للهلاك سمي سيفاً) [٢].

وللسيف فضائل كثيرة فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (من تلقد سيفاً في سبيل الله، قلده الله يوم القيامة وشاحين في الجنة لا تقوم بهما الدنيا وما فيها من يوم خلقها الله إلى يوم يفنيها، وأن الله تعالى ليباهي ملائكته بسيف الغازي، ورمحه وسلاحه ، وإذا باهى الله تعالى ملائكته بعبد من عبيده لم يعذبه بعد ذلك) [٣].

(١) الجوهري، الصحاح، ٦٣٦/١-٦٣٧.

(٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين (ت٣٢١هـ) ، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون (منشورات مكتبة المثنى) (بغداد ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩) ٥٣١/٢.

(٣) الهندي ، علي بن حسام الدين المتقي (القرن العاشر الهجري) منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الله بعثني بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له...) [1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله تعالى العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) [2].

ومن السيوف المشهورة في التاريخ الإسلامي (سيف ذو الفقار) فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن رسول الله ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر) [3].

وهذا سيف رسول الله ﷺ يخطبه الأبطال ويشهره أحد الشجعان بعد أن تعهد لرسول الله ﷺ أن يأخذه بحقه هذا أبو دجانة رضي الله عنه بعد أن سأل: وما حقه يا رسول الله؟ فإجابه: أن تضرب به أعداء الله تعالى حتى ينحني... فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله. ففلق هام المشركين) [4].

وكان سيدنا علي رضي الله عنه يقول: (السيف أغنى عدداً وأكثر ولداً) [5].

(طبع على هامش مسند ابن حنبل) دار صادر (بيروت، ب ت) ٢٩٠/٢.

(١) الشيباني، السير الكبير، ١٦/١ وينظر البخاري ، الصحيح: ٢٣٠/٣.

(٢) البخاري ،صحيح، ٢٠٨/٣، وينظر أبو داود، السنن، ٤٢/٣.

(٣) ابن ماجة، الصحيح، ١٣١/٢.

(٤) الواقدين المغازي، ٢٥٩/١.

(٥) ابن قتيبة ، عيون الأخبار : ١٢٩/١،

٢ـ القوس والسهم :

أ ـ القوس :

عود من شجر جبلي صلب يحنى طرفاه بقوة وتشد فيها وتر من الجلد الذي يكـون له عنق البعير.

والقوس في لغة العرب حسبما يقول الجوهري[١]. القوس يذكر ويؤنـث فمـن أنـث قال في تصغيرها (قُوَيسَة)، ومن ذكر، قال قويس وفي المثل (هو من خير قويس سـهماً). والجمع قسي واقواسٌ وقياسٌ[٢]. وربما سموا الذراع قوساً. ويقال رجل متقوس قوسـه أي معه قوسه والمِقوَسُ بالكسر: وعاء القَوْس.

وعرف مجمع اللغة العربية في القـاهرة: القـوس جمعـه أقـواس (F) Bow (E) Are آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام.

والقوس : (نوع من السلاح ترمي به السهام والنبال)[٣].واتخذ العـرب القـوس: (من شجر الضال[٤]. والنبع[٥]. والشوحط[٦].والسدر وغيرها)[٧]. وأجود القسي (ما أكثـر فوقها وقل خشبها، وصح لجامها واشتد جفافها وثقل وزنها وقوى حبلها)[٨].

(١) الجوهري، الصحاح، ٣٥٣/٢.
(٢) الأصمعي، السلاح، ص ٨٨.
(٣) الأزهري، فقه النغمة، ص ٢٣٤.
(٤) الضال: هو السدر البري الجبلي، ابن منظور لسان العرب: ٥٦٢/٢.
(٥) النبع: من أشجار الجبال، طويل أصفر العود ثقيلة في السير وإذا تقادم أحمر ينظر: ابن منظور ، لسـان العـرب: ٥٦٩/٣.
(٦) الشوحط: ضرب من النبع، الحموي ياقوت،معجم البلدان : ٣٦٩/٣.
(٧) الأصمعي، السلاح، ص ٩٢، وينظر الآلوسي ، بلوغ الإرب، ٣٥٥/٣.
(٨) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ص ١٦٠.

وللقسي أنواع: اشتهرت بها بلاد العرب ومن أهمها:

١- الحجازية: (وهي تصنع من عود النبع أو الشوحط يحنى طرفاه وليس لها سيقان ولا مقابض) [١].

٢- الشريجية: وهي (تتكون من قضيبان، وهي أجود القسي) [٢].

٣- الواسطية: وهي (تصنع من أربعة أشياء: الخشب والعقب والقرن والغرا ولها سيتان ومقبض وسميت واسطية لتوسطها من القسي الحجازية والفارسية وليست نسبة إلى واسط، فإنها كانت قبل بناء واسط وتسميها العرب منفصلة لانفصال أجزائها قبل التركيب) [٣].

٤- الماسخية: قد سميت كذلك (نسبة إلى رجل من أزد السراة اسمه ماسخة وهو أول من عمل القسي من العرب) [٤].

٥- العصفورية: وهي (منسوبة إلى رجل يدعى عصفور وتعد من أجود أنواع القسي [٥].

وكان لرسول الله ﷺ أربعة أقواس: (قوس نبع تدعى الصفراء، وقوس معقبة تدعى الروحاء، وقوس شوحط تدعى البيضاء الكتوم) [٦].

ورأى النبي ﷺ مع رجل قوساً فارسية: فقال: (ألقها فإنها ملعونة ولكن عليكم

(١) ابن القيم الجوزية ، الفروسية، ص ١٠٢ وينظر النويري، نهاية الإرب ٢٢٨/٦.

(٢) ابن القيم الجوزية، م.ن ص ١٠٢، ١٠٣.

(٣) ابن القيم الجوزية ، م.ن ص ١٠٢، ١٠٣.

(٤) ابن سيدة، المخصص ، ٣٧/٦.

(٥) الآلوسي، بلوغ الإرب ٦٥/٢.

(٦) ابن حنبل ، المسند: ١٤٤٥/٤، الطبري، تاريخ ١٧٧/٣ وابن القيم ، الفروسيةص ١٠٤.

بالقسي العربية وبرماح القنا فيها يؤيد الله الدين ويمكن الله لكم في الأرض) [1].

وذكرت القوس عند النبي ﷺ فقال : (ما سبقها سلاح قط إلى خير) [2].يعني أنه أقوى آلات الجهاد[3]. وقد شجع الخلفاء الراشدون على استعمال القسي والتدرب عليه فيقول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(ائتزروا، وانتعلوا، واحتفوا، وارموا الأغراض، وألقوا الركب، وانزوا على الخيل نزواً وعليكم بالمعدية ودعوا التنعم وزي العجم، ولن تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم القسي) [4].

ب ـ السهم :

السهم في المفهوم اللغوي: فالسهم والنبل والنشاب أسماء لشيء واحد. ويقول الجوهري السهم واحد السهام والسهم النصيب: والجمع السهام، وفي لسان العرب النشاب من عود رفيع من شجر كالنبع أو الشوحط في طول الذراع[5].

والسهم اصطلاحاً هو (سلاح فتاك يرمى به عن بعد، سواء في ميدان مكشوف أو من وراء الأسوار والحصون) [6].

وللسهم أسماء عديدة ومنها:

١- الأهزع : فهو (من أجود السهام ولذا فإن الرامي يبقيه في كنانته إلى الوقت العصيب) [7].

---

(١) ابن القيم، الفروسية، ص ١٠١.

(٢) ابن القيم، م.ن ، ص ١٤-١٥.

(٣) الشيباني، شرح السير الكبير ١١٢/٢.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١٢١/١ وابن القيم ، الفروسية، ص ٩.

(٥) الجوهري، الصحاح، ٦٢٣/١، ابن منظور ، لسان العرب ، ٦٤٢/١١.

(٦) فون، كريمر، الشرق تحت الخلافة، ترجمة بخش (كلكتا، ١٩٢٠م) ص٣٣.

(٧) العسكري، التخليص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق عزت حسن (دمشق ، ١٩٦٩م) ٥٣٦/٢.

٢- المقشم: (سهم عريض النصل) [(١)].

٣- المحراس : (سهم طويل الفذذ) [(٢)].

٣ـ الرمح :

الرمح لغة: قال الجوهري ، الرمح جمعه رماح وأرماح، ورمحه فهو رامح: طعنه بالرمح والرماح: الذي يتخذ الرمح وصنعته الرماحة. وفي لسان العرب: السهم يسمى (بالقنا أو المتن: وهو جسم الرمح كله) [(٣)].

والرمح عبارة عن (عود طويل يكون من شجر صلب من خشب القنا الزان أو الشوحط ويكون طوله حسب رغبة الفارس) [(٤)].

ويتكون أيضاً من (السنان : وهو الجزء الأعلى من الرمح وهو عبارة عن رأس حديدي مدبب الطرف حاد الجانبين يركب على المتن) [(٥)].

وذكره ابن سيدة[(٦)].(أنه كان يتخذ أولاً من قرون البقر الوحشي) ومن أجزائه الأخرى (الزج وهو حديدة تركب في أسفل الرمح مدببة) [(٧)]. ويطعن بها في المعركة عند الحاجة [(٨)].

وقد ورد ذكر الرمح في القرآن الكريم بصيغة الجمع بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾[(١)].

---

(١) العسكري، م.ن ، ٥٣٧/٢.

(٢) العسكري، م،ن ٥٣٧/٢.

(٣) الجوهري، الصحاح، ٥٠٨/١ وينظر بن منظور، لسان العرب ، ١٧٨/٣.

(٤) النويري، نهاية الإرب : ٢١٤/٦، والطرسوسي، تبصرة أرباب ص ١١-١٢.

(٥) الطرسوسي، تبصرة، ص ١١.

(٦) ابن سيدة، المخصص ، ٣٤/٦.

(٧) ابن سيدة، م.ن ٣٠/٦.

(٨) عون، الفن الحربي، ص ١٤٣، وينظر اللهيبي، التنظيمات العسكرية ، ١٨١.

(١) سورة المائدة، الآية ٩٤.

ويأخذ الجندي هذا العود (فينحته ويسويه، ثم يفرض فيه فروضاً – حزوزاً – دائرية، ليركب فيها الريش ويشده عليها بالجلد المتين أو يلصقه بالغراء ويربطه ثم يركب في قمته نصلاً من حديد مدبب له سنتان في عكس اتجاهه، تجعلان صعب الإخراج إذا نشب في الجسم)[1].

وحث النبي ﷺ المسلمين على أن يتدربوا على الرماية بقوله : (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا أن القوة الرمي)[2].

ويقول عليه الصلاة والسلام: (من ترك الرمي بعد ما علمه رغبة منه فإنها نعمة كفرها)[3].

ويقول ابن القيم رحمه الله[4].إنما فسر النبي ﷺ القوة بالرمي (لأن منفعة الرمي ونكايته في العدو فوق منفعة سائر آلات الحرب، وإن الرامي ليتحاماه الفرسان وترعد منه أبطال الرجال ... حتى أن الألف منهم ليفزعون من رام واحد ولا يكادون يفزعون من ضارب السيف الواحد".

وفي هذا يقول الرسول ﷺ: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحد لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف امري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)[1].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كانت بيد رسول الله ﷺ قوس عربية

(١) أبو عبيد، السلاح ص ٢٣٥ وينظر: ابن سيدة المخصص ، ٥٦/٦ ، الطبري تاريخ ١٠٢/٣

(٢) الشيباني، شرح السير الكبير : ١١٢/١٤، الواقدي ، المغازي، البخاري، الصحيح ١٦٤/١٢.

(٣) أبو داود، السنن، ١٣/٣، الترمذي: السنن، ٦/٣.

(٤) ابن القيم، الفروسية، ص ١٦.

(١) ابن القيم الجوزية، الفروسية، ص ١٨.

فرأى رجلاً بيده قوس فارسية فقال: ما هذه؟ ...ألقها وعليك بهذه وأشباهها ورماح القنا فانهما يزيد الله بهما في الدين ويمكن لكم في البلاد) [1].

وحضي الرمح مكانة لدى العرب فكانوا(يعتنون به ويفضلون القناة الصماء على الجوفاء لصلابتها وغنائها في المعارك فيوالون دهنها بالزيت لتحافظ على مرونتها ولدونتها) [2].

وقد شاعت في عصر النبوة والخلافة الراشدة أنواع الرماح منها:

١- الخطي: : (وهو منسوب إلى أرض يقال لها الخط وهي جزيرة في البحرين)[3].

٢- الرديني : ينسب إلى امرأة يقال لها ردينة تباع عندها الرماح) [4].

٣- السمهرية: (منسوب إلى رجل يقال له سمهر) [5].

٤- اليزنية: (منسوب إلى ذي يزن الحميري وكان ملكاً يجمع السلاح) [6].

ب ـ الأسلحة الدفاعية الفردية :

وهي من الأسلحة الفردية التي تستخدم في القتال لحماية المقاتل من ضربات السيوف أو طعنات الرماح، أو تسديد القوس [1].

ومن هذه الأسلحة:

الدرع :

(١) ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن(القرن الثامن الهجري) حلية الفرسان وشعار الشجعان تحقيق : محمد عبد الغني حسن، دار المعارف (القاهرة ، ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) ص ٢٠١.

(٢) النويري، نهاية الإرب، ٢٢١/٦.

(٣) الشمشاطي، محاسن الأنوار ، ص ٢٥، وينظر، الحموي ، ياقوت معجم البلدان، ٣٧٨/٢.

(٤) أبو عبيد،السلاح، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٥) أبو عبيد، السلاح، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٦) الشمشاطي ، محاسن الأنوار، ص ٢٥.

(١) الطبري، تاريخ، ١٧٧/٣.

يقول الجوهري : (درع الحديد مؤنثة، والجمع القليل ادرع وأدراع فإذا كثرت فهي الدروع: وادرع الرجل: لبس الدرع، وتدرع ، أي لبس الدرع، ورجل دارع أي عليه درع) [1].

وفي لسان العرب الدرع هو (لبوس الحديد، تذكر وتؤنث) [2].

أي (القميص الذي يصنع من الحديد أو الزرد ، وشكلها ضيق، وتكون لها أكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذراع) [3].

والدروع نوعان :

الأول ـ الدرع السابغة :

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ ﴾ [4]. وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ ﴾ [5]. والدرع السابغة (أي الواسطة) [1]. تكون (فضفاضة تغطي البدن بأكمامها الطويلة حتى الأنامل، وقد تجر الدروع السابغة على الأرض من طولها) [2]. ويذكر ابن سعد[3].أنه كانت درع للرسول ﷺ

(١) الجوهري، الصحاح، ٣٩٨/١.
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٨١/٨.
(٣) ابن سعد، الطبقات: ٨١/١ وينظر زكي ، السلاح ، ص ٢٦.
(٤) سورة سبأ، الآية ١٠-١١.
(٥) سورة النحل ، الآية ٨١.
(١) الأصمعي، السلاح، ص ١٠٤.
(٢) ابن سيدة، المخصص : ٧٢/٦ وينظر النويري، نهاية الإرب ، ٣٤٢/٦.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ٤٨٨/١.

من هذه الصنف وقد لبس رسول اللهﷺ يوم أحد (درعين) [1].وحزم وسطها من أدم [2]. وذلك فعل خالد بن الوليد في معركة (اليرموك) [3].

الثاني ـ الدرع البتراء :

وهي (درع قصير بلا أكمام ولا تبلغ أسفل الركبة ويسمى أيضاً (الشليل) [4]. وتكون قليلة الحماية لصاحبها ، لما ورد في سبب مقتل الصحابي (سعد بن معاذ) رضي الله عنه أن درعه يوم الخندق (لم تكن سابغة قد خرجت ذراعه كلها منها فرمى بسهم قطع منه الأكحل فمات به) [5].

لقد كانت المدينة المنورة المشهورة بصناعة الدروع ، وقد أصاب الرسول ﷺ من هذه الدروع : (واحدة يقال لها: السعدية، ودرع ثانية يقال لها فضة، كما كانت له درع ثالثة يقال لها: ذات الفضول) [6].

وهناك العديد من الدروع المنسوبة أسماؤها كالآتي:

١- السلوقية: (منسوبة إلى سلوق وهي قرية باليمن) [1].

٢- الحطمية: (تنسب إلى محارب بطن بن عبد القيس كانوا يعملون الدروع) [2].

٣- التبعية: (وهي منسوبة إلى تبع) [3].

---

(١) ابن سعد،الطبقات: ٤٦/٢، أبو داود، السنن، ٣٠/٢.

(٢) ابن سيد الناس ، عيون الأثر: ٨/٢ المقريزي ، إمتاع الأسماع: ١١٧/١.

(٣) الطبري، تاريخ، ١٢٤/٥.

(٤) ابن منظور ، لسان العرب: ١٠٠٠/٢، عون، الفن الحربي /ص١٧٩.

(٥) ابن هشام، السيرة: ١٣٥/٣، الطبري: ٤٩/٣.

(٦) ابن سعد الطبقات، ١٧٨/١ الطبري، تاريخ، ١٧٧/٣ ، ابن الأثير، الكامل ٣١٦/٢.

(١) الأصمعي، السلاح، ص ١٠٥.

(٢) أبو عبيد، السلاح، ص ٢٣٩.

(٣) الأصمعي ، السلاح، ص ١٠٥-١٠٦.

٤- الداودية: (منسوبة إلى نبي الله دواد عليه الصلاة والسلام لأنه أول من عمل الدروع) [١].

أجزاء الدروع:

١- المغفر: (زرد ينسج من الدروع على قدر رأس يلبس تحت القلنسوة) [٢].كان ينتفع به المقاتل كي لا يصاب وجهه بأذى فلا يظهر منه إلا العينان.

يذكر الزهري [٣]. رحمه الله أن (كعب بن مالك قال: عرفت عينيه (اي رسول الله) في معركة أحد تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول اللهﷺ فأشار إلي أن أنصت، فلما عرف المسلمون رسول الله نهضوا به ونهض معهم إلى الشعب.

ويذكر ابن سيد الناس [٤]. رحمه الله أن (ابن قمئة المشرك جرح وجنة النبي ﷺ فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته، فانتزعها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بثنيته، وعض عليهما).

٢- البيضة: وهي الخوذة وتكون من الحديد، وتلبس على الرأس أثناء القتال لحماية الرأس والوجه من ضربات الأسلحة الهجومية [١].والبيضة تكون (مستديرة باستدارة الرأس لها مقدم يسمى — القوس — ولها مؤخر من الرزد المتصل بها، ليطرحه الرجل على ظهره) [٢]. ولقد لبسها رسول اللهﷺ في معركة أحد، وفي هذا يقول ابن عبد

---

(١) الأصمعي، السلاح، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) الأصمعي، السلاح، ص ١٠٩، وابن منظور، لسان العرب ، ٢٦/٥.

(٣) الزهري، محمد بن مسلم(ت ١٢٤هـ) المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، ط١، دار الفكر (بيروت ١٩٨٠م) ص ٧٧.

(٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٤١٨/١.

(١) القلقشندي، ، صبح الأعشى، ١٢/٤ بتصرف، اللهيبي، التنظيمات العسكرية، ص ١٩٥.

(٢) ابن سيد، المخصص، ٧٠/٦.

البر: (وجرح رسول اللهﷺ في وجهه وكسرت رباعيته [1].اليمنى السفلى بحجر وهشمت البيضة...).

٣- الترس: من أدوات القتال الدفاعية التي كانت شائعة عند العرب (وتصنع من الحديد ومن الخشب الجيد، ومن الجلود المكسوة بالدهون والأصباغ يقي به المقاتل نفسه من الضرب والرمي) [2]. وله أنواع منها المستطيل والمستدير والمقبب.

جـ ـ الأسلحة الجماعية الثقيلة ـ وهي كذلك أنواع نذكر منها :

١ـ المنجنيق :

يعد من أعظم الأسلحة التي استخدمت في المعارك التي تدور رحاها في أماكن حصينة، واستخدم هذا النوع من السلاح لإحداث الثغرات في الحصون والأسوار كي يستطيع منها الجيش النفاذ إلى الداخل هذا فضلاً عن استخدامها في إنهاك العدو داخل أسواره وذلك بقذف الحجارة [3].

وقد قدرت المسافة التي يندفع فيها المقذوف إلى مسافة قد تصل أربعمائة متر تقريباً [1].

وقد وصف القلقشندي – المنجنيق بقوله: (إنها آلة من خشب له دفتان قائمتان، بينها سهم طويل، رأسه ثقيل، وذنبه خفيف ، تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله إلى الأعلى، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة

(١) ابن عبد البر، الدرر، ص ١٣٦ وينظر الذهبي ، تاريخ الإسلام، ٨٢/١.

(٢) ابن سيدة، المخصص، ٧٥/٦.

(٣) الحسن بن عبد الله، أثار الأول، ص ١٩٢، وابن منكلي، التدابير السلطانية، ص ٣٤٧، واللهيبي، التنظيمات العسكرية ص ٢٠٠.

(١) الزرد كاش، ابن ارتبغا (ت٨٦٧هـ) ، الأنيق في المجانيق، تحقيق أحسان هندي، نشر جامعة حلب (دمشق ، ١٩٨٥م) ص ٢٣.

فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئاً إلا أهلكه) [1].

وهناك إشارات واضحة في معرفة العرب بسلاح المنجنيق وتصنيعه،فيذكر ابن هشام رحمه الله: (لم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، لأنهما كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور) [2]. وقد سبق الذكر أن رسول الله ﷺ قد أرسلهما إلى هناك لهذا الغرض ويذكر البلاذري أيضاً أن الرسول ﷺ استخدام المنجنيق في حصار الطائف، حينما حاصرهم في حصنهم (فنصبه عليهم ورماهم به) [3]. وقد ازداد استعمال المنجنيق في عهد الخلافة الراشدة وكان له دور كبير في تحرير العراق والشام ومصر وخاصة في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه فقد أمر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن ينصب المنجنيق على أهل تستر فنصبها [4]. وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه : (حاصر مدينة دمشق نحو سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والترامي والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة) [1].

واستخدم القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المجانيق في (فتح مدينة بهر سير [2].عشرين منجنيقاً في ضرب المدينة ودام الحصار مدة شهرين) [3].

وفي جبهة مصر فقد (نصب عمرو بن العاص المنجنيق على الإسكندرية حتى أجبرها على الإستسلام) [4].

---

(١) القلقسندي، صبح الأعشى ، ١٤٤/٢.

(٢) ابن هشام، السيرة ٤٧٨/٢ وينظر ابن حزم، جوامع السيرة، ص ١٩١.

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٦٧، الخزاعي ، تخريج الدلالات السمعية، ص ٤٨٩.

(٤) الشيباني، شرح السير الكبير: ١٤٦٨/٤.

(١) الطبري، تاريخ، ٤٣٨/٣ وينظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥١٥/١.

(٢) بهر سير، من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، ينظر الحموي ياقوت، معجم البلدان، ٥١٢/١

(٣) الطبري ، تاريخ ، ١٦٨/٤ وينظر ابن الأثير ، الكامل، ٢١٥/٢.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٤٣.

أنواع المجانيق :

أ ـ **العرادة** : وهي آلة حربية(استعملها المسلمون في رمي الحجارة والسهام، وهي أصغر حجماً من المنجنيق)[1].واستخدمت أيضاً (في حصار مدينة بلنجر. [2].سنة (٣٢هـ) عندما تحصن فيها القوقازيون والترك) [3].

ب ـ **المقلاعي** : وهو الذي يرمى به الحجر. وهو يعمل حسب مبدأ المقلاع (إن الذراع الذي يحمل الكفة والقذيفة يمكنه أن يدور عدة دورات كاملة قبل أن يقذف القذيفة التي يحملها) [4].

٢ـ الدبابة :

يقول الجوهري: (هي آلة تتخذ للحرب وهدم الحصون... وفي حديث عمر رضي الله عنه قال : كيف تصنعون بالحصون قال: نتخذ دبابات يدخل فيها الرجال).

وفي لسان العرب هي: (آله تتخذ من الخشب الثخين المتلزز وتغلق باللبود أو الجلود المنقعة في الخل لدفع النار، وتركب على عجل مستدير وتحرك وتجر، وربما جعلت برجاً من الخشب ودبره فيها هذا التدبير ، وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر)[1].

واستخدمت الدبابة لأول مرة في حصار الطائف في اليوم الذي يسمى – يوم الشدخة– (حيث دخل نفر من أصحاب رسول اللهﷺ تحت الدبابة وهي من جلد البقر، ثم زحفوا بها إلى جدار الحصن ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك محماة بالنار

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٤٧٩/٤.

(٢) بلنجر، مدينة ببلاد الخزر ، ينظر الحموي ياقوت، معجم البلدان ٤٨٩/١.

(٣) الطبري – تاريخ ٣٠٤/٤.

(٤) الحسن بن عبد الله، آثار الأول ص ١١٤ وينظر السامرائي، المنجنيق من الأسلحة القديمة عند العرب، ص ١٠٣.

(١) الجوهري، الصحاح ، ٣٨٥/١ ، وابن منظور، لسان العرب ، ٣٥٦/١، ٢٧٢/٧.

فخرقت الدبابة فخرجوا من تحتها...) [1]. وقد استخدمت في عهد الخلافة الراشدة في الحروب الواقعة مع الفرس في عهد عمر رضي الله عنه [2]. وفي حروب الشام (عدا فتح دمشق) فقد ذكر ابن كثير رحمه الله: (نزل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهما على بقية أبواب البلد ونصبوا المجانيق والدبابات وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة) [3].

٣ـ سلم الحصار :

تعد السلالم من آلات الحصار الثقيلة (وتكون من الخشب العريض وعالية وتوضع على الأسوار ويتسلقها الجند ويعبروا إلى داخل الحصون) [4].

وهناك نوع آخر (عبارة عن حبل متين في رأسه كلاب يرمى على السور ثم يصعد الجند بواسطته السلم حتى يصلوا على السور) [1]. وقد استعمله خالد بن الوليد في حصار دمشق [2].



(١) الواقدي، المغازي، ٩٢٧/٣، ابن هشام ، السيرة ، ٧٨/٢، ابن سعد، الطبقات، ١١٤/٢، وينظر ابن الأثير ، الكامل ، ٢٦٦/٢ والذهبي ، تاريخ الإسلام، ٤٩٣/١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٥٠٩/٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠/٧.

(٤) الحسن بن عبد الله، آثار الآول، ص ١٩٣.

(١) الطبري، تاريخ، ٤٩٣/٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠/٧-٢١ بتصرف.

المبحث الثاني

دور القيادة الناجحة في إحراز النصر

أولاً : صفات القائد وشروط القيادة .

ثانياً : واجبات القائد وحقوقه .

المبحث الثاني : دور القيادة الناجحة في إحراز النصر

أولاً : صفات القائد وشروط القيادة :

القيادة: هي الأمرة أو الأمارة، والأمارة هي الولاية: يقال فلان أمر وأمر عليه، إذا كان والياً وقد كان سوقه أي أنه مجرب. والأمير: يقال قد أمر فلان وأمر أيضاً بالضم أي صار أميراً والتأمير: تولية الأمارة، يقال هو أمير مؤمر [(١)].

وفي القاموس: الإمرة: هي الولاية بكسر الهمزة يقال: أمر على القوم يأمر ... فهو أمير والجمع الأمراء [(٢)].

أما في المفهوم الإصطلاحي فهي : (الأعمال التي يضطلع بها القائد في قيادة الجنود) [(٣)]. وبمعنى أعم هي (فن التأثير في الأفراد وتوجيههم نحو هدف معين يضمن طاعتهم، واحترامهم وولائهم وتعاونهم) [(٤)].

والقيادة هي العقل المدبر للمعركة والروح المسيطر عليها وعلى (سلامة إدراكها وصدق معرفتها وحصافة رأيها وإحكام خططها وحسن أدائها) [(٥)].

وهي بذلك تتوقف عليها مسؤولية نجاح المعركة، لأنه مهما توفرت شروط النصر من الإستعدادات القتالية وإدارة وتنظيم الجند والإعداد الجيد، ..(فقد يضيع ذلك كله إذا لم يتوفر فيها القائد الكفوء) [(٦)].

---

(١) الجوهري، الصحاح ، ٤٤/١.

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ٣٦٥/١، وينظر المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت ٧٧٥هـ) المصباح المنير ، المكتبة العلمية (بيروت، ب ت) ٢٢/١.

(٣) خطاب، بين العقيدة القيادة، دار الفكر (بيروت، ١٩٧٣م) ص ٣٤.

(٤) محفوظ، المدخل إلى العقيدة العسكرية، ص٢٥٧.

(٥) أحمد نار، القتال في الإسلام، طبعة المكتبة الإسلامية، (حمص ، ١٣٨٨هـ) ص ٩١.

(٦) الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي، ص ٢٠٧ ، واللهيبي، التنظيمات العسكرية ، ص ٦٧.

أ ـ الصفات القيادية للرسول محمد ﷺ :

تحلى الرسول الأكرم محمدﷺ بكل السجايا والصفات القيادية والشمائل والخصال الحميد وكمال وحسن الخلق وحنكة التدبير وحسن الأداء والتقدير فهو القدوة الحسنة لكل من تقلد الإمارة بحق وهو الأسوه الكريمة لكل من تصدر وقاد الجيوش وهو المثل الأعلى لكل من اعتلى قيادة الأمة وإدراتها العليا في الدولة وقد أثنى الله تبارك وتعالى بقوله ﴿ لَّقَد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]. ولقد كان قرآنا يمشي على الأرض قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (كان خلقه القرآن) [٣]. فإذا كان رب العزة يثني عليه ويصفه بأحسن الأوصاف فإن وصف البشر وثناءهم يتقاصر دون وصف الله تبارك وتعالى له فقد أثنى عليه الصحابة المقربون ووصفه علماء الأمة بخير الأوصاف وامتدحه العدو قبل الصديق والبعيد قبل القريب ونكتفي بمثل واحد هو شهادة عالم غربي هو (ميشيل هارت) عندما استقرأ التاريخ القديم والتاريخ الوسيط والتاريخ الحديث وقلَّبَ تراجم الرجال جيداً ليختار مئة شخصية عالمية مؤثرة في تاريخ البشرية واختار محمداًﷺ على رأس النخبة المختارة وفي هذا يقول هارت: (إن اختياري محمداً لتصدر قائمة الأشخاص المئة الأكثر تأثيراً قد تفاجئ بعض القراء وربما البعض الآخر يتساءل ويتعجب ولكن كاف هو الرجل الوحيد بالتاريخ الذي يمنح بامتياز على الصعيدين الديني والدنيوي) [٤]. ويستمر بالثناء

---

(١) سورة الأحزاب، الآية /٢١.

(٢) سورة القلم، الآية/٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٦٤/١.

(٤) هارت ، ميشيل كتاب الأشخاص المئة العالين المنزلة والأكثر تأثيراً في التاريخ ، الترجمة العربية، الناشر هارت (نيويورك ١٩٧٨م) عدة صفحات.

والإطراء على حسن قيادته أمته وبناء حضارة سعدت بها الإنسانية.. ألخ.

فحري بكل من يمتحن بتقليد الإمارة أو قيادة الجيش أن يقتدي بهذا النبي القائد العظيمﷺ.

ب ـ الشروط اللازمة في القيادة الناجحة :

لقد كان الخلفاء الراشدون أحق الناس باتباع سنة رسول اللهﷺ والإقتداء به لأنهم تربوا على هديه وتعلموا في مدرسته وكانت الإمارة وقيادة الجيش من أثقل المسؤوليات التي كان الصحابة رضوان الله عليهم يتهيبون منها ولا يحرصون على قبولها مخافة عدم إعطائها حقها. ولأن شروطها لا تتوفر إلا بمن يتصف ببعض المؤهلات القيادية ومنها:

١ـ تقوى الله وحسن الخلق :

ينبغي على القائد أن يتحلى بحسن الخلق وأن يكون ورعاً يخشى الله في سره وعلانيته لأن التقوى شعار المؤمنين المجاهدين وحسن الخلق مفتاح النصر والغلبة على أعداء الله من الكفار والمنافقين. لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وكان عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدون من بعده يوصون قائد الجند (بتقوى الله في السر والعلانية في خاصة نفسه ومن معه من المسلمين...)[2].

وعلى قائد الجيش (أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره، والإستعانة به، والتوكل عليه، والفزع إليه ومسألته التأييد والنصر والسلامة والظفر وأن يعلم أن ذلك إنما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيف شاء..)[3]. لذا فان تقوى

(١) سورة الروم، من الآية/٤٧.

(٢) الشيباني، محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ) شرح السير الكبير، ٦٣/١ وينظر الطبري، تاريخ ٢٥١/٣، وينظر ابن الأزرق أبي عبد الله بن الأزرق ، (ت ٨٦٩هـ) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق على النشار (بغداد، ١٩٧٨م) ٦٢/٢.

(٣) الهرثمي، مختصر سياسة الحرب ، ص ١٥.

الله وحسن الخلق تعد من أسباب الرفعة والظفر لقوله ﷺ: (أن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل) [1].

٢ـ الخبرة بشؤون الحرب والقدرة على اتخاذ القرار :

ينبغي على من يتلقد قيادة الجيش أن يكون من ذوي الخبرة والكفاءة وملماً بأمور الحرب وفنون القتال وعنده الأهلية والقدرة على اتخاذ القرار في الوقت المناسب . لذا كان رسول اللهﷺ يقول: (أني لأؤمر الرجل القوم وفيهم من هو خير منه، لأنه أيقظ عيناً ،وأبصر بالحروب) [2].

واقتدى الصديق رضي الله عنه بالرسول عليه الصلاة والسلام: فولى خالد بن الوليد رضي الله عنه على أبي عبيدة رضي الله عنه وهو يعلم أنه أفضل منه إسلاماً، لأنه أدرك أن لخالد فطنة في الحرب ليست لأبي عبيدة) [3].

وقد طبق الفاروق عمر رضي الله عنه هذا المبدأ وكتب إلى عماله أن : (لا تستعملوا البراء بن مالك [4].على جيش من جيوش المسلمين، فانه هلكة من الهلك، يقدم بهم) [5]. (فنهي عمر عن تأميره لجرأته فانه كان يقتحم المهالك ولا يبالي بها) [6].رغم أنه (كان شجاعاً في الحرب له نكاية) [7].

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ٣٣٠/٦.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ١٠٥/١.

(٣) الأزدي، محمد بن عبد الله، (ت ١٦٨هـ) فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر (القاهر، ١٩٧٠) ص ٨٦.

(٤) البراء مالك: أخو أنس ابن مالك الأنصاري ، أحد الأبطال الأفراد الذي يضرب به المثل، شهد أحداً وما بعدها واستشهد بتستر ، ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧٩/٢

(٥) الشيباني، شرح السير الكبير ٦١/١ وابن سعد، الطبقات، ١٦/٧.

(٦) ا الشيباني، شرح السير الكبير ٦١/١ وابن سعد، الطبقات، ١٦/٧

(٧) ابن سعد، الطبقات، ١٦/٧.

كما ينبغي أن تكون للقائد القدرة على اتخاذ القرار الصائب في الوقت المطلوب ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام خير قدوة في هذا الأمر ففي معركة أحد اتخذ القرار الصائب بنقل القيادة إلى بطن الجبل وإقامة دفاع عنها[1]. – بعد أن تغير حال المعركة أثر نزول الرماة من الجبل – ومن القرارات الصائبة التي اتخذها رسول الله ﷺ ويقتدي بها قراره السريع – رغم تعب الجند في معركة أحد وكثرة جراحهم – باللحاق بالعدو فأرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في اثرهم وأمره أن يعرف اتجاهم وقال له: (إن رأيتم ركبوا الخيل وساقوا الأبل فإنهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده لأن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم....) [2]. وما أن سمع العدو بمقدمة حتى فر من وجهه.

واستطاع الرسول القائد ﷺ بعد أن رجع من غزوة الأحزاب أن يتخذ قراره الصائب (بالأنقضاض على بني قريظة، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، حتى نزلوا على حكمه...) [3].

٣ـ الفراسة والحذر وعدم التسرع :

يقول الجوهري في المفهوم اللغوي للفراسة: بالكسر الأسم من قولك تفرست فيه خيراً، وهو يتفرس، أي يتثبت وينظر، تقول منه: رجل فارس النظر، وفي الحديث (اتقوا فراسة المؤمن) [4].

والفراسة اصطلاحاً هي: (النظر الثاقب الذي يستجلي الغامض ويستنبط الخفايا، وكان ضرب من الحقيقة والوصول إليها) [1]. أي استشراف آفاق المستقبل مؤيداً بالوحي

(١) الواقدي، المغازي، ٢٩٥/١.

(٢) ابن هشام، السير، ٩٤/٣، ابن كثير السيرة النبوية، ٩٧/٣.

(٣) الواقدي، المغازي، ٤٩٨/٢.

(٤) الجوهري، الصحاح، ٢٣٢/٢.

(١) ابن سيدة ، المخصص، ٢٥/١٣ وينظر كارليل، توماس، محمد رسول الهدى والرحمة وشريعته الخالدة، ترجمة، محمد السباعي، المكتبة الأهلية(بيروت، ب ت) ص ٢٩.

وهي (أرقى درجات استعمال العقل) [1].

ولقد كان رسول اللهﷺ (يتحلى بمزية سبق النظر في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية) [2].

كما يشترط باختيار قائد الجيش أن يتمتع بصفات حية وذهنية إضافة للحدس والفراسة أن يكون متيقظاً حذراً يحسن انتهاز الفرص يفكر بهدوء ولايتسرع ويجيد اغتنام أنسب الأوقات لانجاح مهمته من (انتهاز الفرصة وإلى كيفية القتال والكف عنه) [3].

فقد استشار الصديق رضي الله عنه الناس لحرب الفرس وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس – وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم – فلما كان اليوم الرابع– عاد فندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود رضي الله عنه[4].

ثم سعد بن عبيد[5].رضي الله عنه أو سليط بن قيس[6]. رضي الله عنه . أمرا باعبيد على الجيش وقال عمر رضي الله عنه: (أنه لم ينبغي أن أؤمر سليطاً إلا سرعته إلى الحرب ، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان ، والله لولا سرعته لأمرته، ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث...) [1].

---

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة ، ص ٢٨٧.

(٢) خطاب الرسول القائد، ٣٠٥.

(٣) خطاب، الفاروق، القائد ، ص ٣٠٥.

(٤) أبو عبيد بن مسعود أسلم في عهد النبي ﷺ واستعمله عمر رضي الله عنه على جيش كثيف إلى العراق، الذهبي، الخلفاء ص ٥٧.

(٥) سعد بن عبيد ابن النعمان الأنصاري، استشهد في القادسية، شهد بدراً وغيرها، الذهبي، تاريخ ص ٦٢.

(٦) سليط بن قيس، من رجال بني عدي بن النجار ، أخوال الرسول ﷺ شارك في حروب تحرير العراق، ينظر بن كثير ، البداية والنهاية، ٢٦/٧.

(١) الدينوري، أحمد بن داود، (ت٢٨٢ هـ) الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، د، . جمال الدين الشيال (بغداد ، ١٩٥٩م) ص ١١٣، وينظر الطبري تاريخ ، ١٦١/٤ وابن كثير البداية والنهاية، ٢٦/٧.

٤ـ الجرأة والشجاعة :

غرس الإسلام روح الجرأة والشجاعة والإقدام لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾[١]. فالشجاعة إذا هي من شروط اختيار قائد الجيش ، ولقد حفظت لنا كتب السيرة عشرات الحوادث والأمثلة الكثيرة عن شجاعة الرسول القائدﷺ وفي مختلف المواقف الخطيرة التي واجهها سواء منها (ما يتصل باتخاذ القرار الصحيح أو إدارة المعركة) [٢].

وسبق أن ذكرنا أن الرسول القائد عليه الصلاة والسلام قاد بنفسه ثمان وعشرين غزوة [٣]. وكان يشترك في القتال بنفسه[٤]. وفي هذا يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق، أتقينا برسول اللهﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول اللهﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان أشد الناس بأساً) [٥].

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرقى من رسول اللهﷺ) [١].

وكان الخلفاء الراشدون يقتفوا أثار رسول اللهﷺ ويقتدون به في الجرأه بالحق ولنصره الإسلام وإنهم يختارون لإمرة الجيوش الشجعان الرماة. فحين وجه عمر بن الخطاب رضي

---

(١) سورة الأنفال، الآية/١٥.

(٢) الملاح، هاشم، القيادة عند العرب، موسوعة، الجيش والسلاح (بغداد ، ١٩٨٨م) ٢٣٠/٤.

(٣) ابن هشام، السيرةق٥٩١/١ وما بعدها، وينظر ابن سعد ، الطبقات، ٥٢/٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ٢٦٧/٢.

(٥) الطبري، تاريخ ، ٢٧٠/٢، وينظر ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد طبع عيسى البابي حلبي ، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ٤٢٥/٢.

(١) الترمذي، شمائل النبي، ص٢٠٣.

الله عنه سعد ابن أبي وقاص إلى العراق أميراً قال عنه (أنه رجل شجاع رام) [1].

وتبرز شجاعة القائد خالد بن الوليد في معركة الولجة [2]. حين بارز رجلاً من أهل فارس يعدل ألف رجل فقتله [3].

ولقد كان خالد بن الوليد رضي الله عنه: (مثلاً .. رائعاً في الشجاعة والأقدام لرجاله في كل معاركة، لذلك كان رجاله يقاتلون تحت رايته يحتذون حذوه، فيصنعون في ميدان القتال البطولات...) [4].

وكان لعمرو بن العاص رضي الله عنه هيبة في نفوس الروم، حتى أن أهل مصر سألوا الخليفة عثمان رضي الله عنه أن يقر عمراً في عمله حتى يفرغ من قتال الروم فاستجاب لهم بعد أن تمكن منهم والحق الهزيمة بهم [5].

٥ـ الصبر وتحمل متاعب الجهاد :

أمر الله تعالى عبادة المؤمنين المجاهدين بالصبر والمصابرة واحتمال الأذى بكل أنواعه بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [1].

وعندما بعث رسول اللهﷺ عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال: (لأبعثن عليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش) [2].

---

(١) البلاذري، فتوح، ص ٢٥٥ ،المسعودي، مروج الذهب، ٣١٠/٢.

(٢) الولجة: موضع مما يلي البر بارض كسكر وهي بين البصرة والكوفة، الحموي ياقوت، معجم البلدان ٢٥٢/٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ٣٥٤/٣.

(٤) خطاب، خالد بن الوليد، دار الفكر، (بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ص ٢٠٩.

(٥) البلاذري، فتوح، ص ٢٢١.

(١) سورة آل عمران، الآية/٢٠٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق٦٠١/١ وينظر بن كثير، البداية والنهاية، ٢٤٨/٣ ، وابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ٨٤/٢.

ووصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عندما ولاه على جيش العراق قائلاً له(... أنك ستقدم على أمر شديد، فالصبر الصبر على ما أصابك، ونابك تجمع لك خشية الله.. في طاعته واجتناب معصيته...) [1].

ثانياً : واجبات القائد وحقوقه :

أ ـ واجبات القائد :

من أهم الواجبات التي يجب على قائد الجيش القيام بها:

١ـ مراعاة حقوق الله جل في علاه بين الجند :

فعلى القائد (أن يأخذ جيشه بما أوجبه الله تعالى من حقوقه وأمر به من حدوده حتى لا يكون بينهم تجوز في الدين ولا تحيف في حق، فإن من جاهد عن الدين كان أحق الناس بالتزام أحكامه والفصل بين حلاله وحرامه لقولهﷺ: أنهوا جيوشكم عن الفساد فإنه ما فسد جيش قط إلا قذف في قلوبهم الرعب... وقال أبو الدرداء رضي الله عنه أيها الناس اعملوا صالحاً قبل الغزوة فإنما تقاتلون باعمالكم) [2].

٢ـ إذكاء روح الجهاد في قلوب جنده وتقوية نفوسهم :

ويتوجب على القائد (أن يقوي نفوس جنده بما يشعرهم من الظفر ويخيل إليهم من أسباب النصر ليقل العدو أعينهم فيكون عليه أجرأ وبالجرأة يتسهل الظفر) [1]. لقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [2].

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦/٧ ينظر، خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة ، ط٢، دار الفكر (بيروت، ١٩٧٣) ص٢٠٦.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٤٤، وينظر أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٤٥.

(١) الماوردي، م.ن ، ص ٤٣، وينظر أبو يعلى الفراء، م.ن ص٤٤.

(٢) سورة الأنفال ، الآية٤٣.

ولقد حرض الرسول ﷺ أصحابه يوم بدر[١].

وحرض عبد الله بن رواحة رضي الله عنه جنده يوم مؤتة... [٢].

وصاح عمرو بن معد يكرب في قومه الذين انكشفوا أمام الروم في معركة اليرموك (يا آل زبيد تفرون من أعداء وتفزعون من شرب كأس الردى أترضون لأنفسكم بالعار والهزيمة .. فلما سمعت زبيد رجعوا إلى القتال وشدوا على العدو....) [٣].

٣ـ العناية بجنده والرفق بهم :

ومن واجبات القائد (أن يتفقد جنده بما يعود نفعه عليهم، وأن يستزيد محسنهم بالتكرمة وأن يقدم قبل الإساءة إلى مسيئهم بالمعذرة وأن يستعتب مقسرهم بحسن الأدب غاية الإصلاح، غير مغتنم للزلة ولا معترض للعثرة ولا مستريح إلى كشف غامض العورة، فإنه لا يصلح – الجند- إلا بعض التغابي عن الزلة وأن يأسر قلوبهم بطيب الكلام، وإعطاء الحق وحسن النظر....) [٤].

ويجب على القائد أيضاً(أن يترفق بهم في السير الذي يقدر عليه أضعفهم ، وتحفظ به قوة أقواهم، ولا يجد السير فيهلك الضعيف ويستفرغ جلد القوي) [١]. لقوله ﷺ: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى وشر السير الحقحقة) [٢]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (المضعف أمير الرفقة) يريد أن من

---

(١) الطبري، تاريخ، ٢٨١/٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٧٧/٦.

(٣) الواقدي، فتوح الشام، ١٢٧/١، وينظر الأزدي، فتوح الشام، ص ٩٦.

(٤) الهرثمي، مختصر سياسة الحرب، ص ١٦–١٧، وينظر ألما وردي، تسهيل وتعجيل الظفر، تحقيق محي هلال السزحان وحسن الساعاني مكتبة الحرم المكي (مكة المكرمة، ب ت) ص ١٧٣.

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٤٣ وينظر أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانيةص ٣٩.

(٢) ابن حنبل، المسند ، ١٩٨/٣–١٩٩.

ضعفت دابته كان على القوم أن يسيروا بسيره) [1].

ولقد كان عليه الصلاة والسلام المثل ألا على للأمراء والقادة في رعاية الجند والرفق بهم وحسن معاملتهم فقد كان (اثناء سير الجيش يتقدم مرة ويتأخر عنه أخرى، لينظر في أمورهم فيساعد المتأخر ، ويردف الراجل ويعفي الضعيف) [2].

وكان الصديق رضي الله عنه يوصي أمراء الجيوش بمثل ذلك كما وصى به خالد بن الوليد رضي الله عنه قائلاً: (وأرفق بالمسلمين في سيرهم، ومنازلهم وتفقدهم ولا تعمل بعض الناس عن بعض في المسير ولا في الارتحال من مكان....) [3].

كما أوصى الفاروق رضي الله عنه بن أبي وقاص رضي الله عنه (وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تسير بهم سيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل الرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم...) [4].

٤ـ التعرف على أخبار العدو :

كان رسول الله ﷺ حريصاً كل الحرص على التعرف على أخبار عدوه وجمع المعلومات عنه فقد (بعث الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه أثناء حملة أحد – إلى المشركين ليقدر له عددهم وأن لا يخبر بخبرهم أحداً من المسلين، إلا أن ترى في القوم قلة، فلما رجع إليه وأخبره... أن عددهم ثلاثة آلاف ، وذكر عدتهم واستعداداتهم ، أخبره الرسول ﷺ أن لا يذكر من شأنهم حرفاً) [1].

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية،ص٤٣ وينظر النويري، نهاية الإرب ، ١٥٢/٦.
(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٤٣ وينظر النويري، نهاية الإرب ، ١٥٢/٦.
(٣) الطبري، تاريخ، ٢٢٧/١، ابن جيش، الغزوات ، ص ٤٢.
(٤) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ٦٢/٢.
(١) الواقدي، المغازي ، ٢٠٧/١ وينظر ابن سعد، الطبقات، ٣٧/٢.

وفي هذا يقول الماوردي رحمه الله: (أن يعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها ويتصفح أحواله حتى يخبرها فيسلم من مكره ويلتمس الغرة في الهجوم عليه) [(١)].

وقد (أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه ثلاثة نفر من جماعته ليأتوه بخبر طليحة بن خويلد الأسدي) [(٢)].

(وعندما فتح معاوية قبرص ٢٨هـ/٦٤٨م ، واشترط المسلمون عليهم مع أداء الإشارة والنصيحة وإنذار المسلمين بسير الروم إليهم) [(٣)].

٥ـ أن يشاور ذوي الرأي :

وعلى قائد الجيش (أن يشاور ذوي الرأي فيما أعضل ويرجع إلى أهل الحزم فيما أشكل ليأمن الخطأ ويسلم من الزلل فيكون من الظفر أقرب [(٤)]. لقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [(٥)]. يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (ما رأيت أحداً قط أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله) [(٦)].

ولقد استشار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصحاب الرسول الله ﷺ حول المسير إلى العراق قائلاً: (أحضروني الرأي فإني سائر إلى العراق فاجتمعوا جميعاً على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم ويرميهم بالجنود لأن في ذلك إغاظة للعدو) [(١)].

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٤٣، وأبو يعلى الفراء، الأحكام، ص ٤٤.

(٢) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ١١/١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٠.

(٤) الماوردي، الحكام السلطانية، ص ٤٣، وأبو يعلى الفراء، الأحكام، ص ٤٥.

(٥) سورة آل عمران ، من الآية/١٥٩.

(٦) الترمذي ،السنن، ٢١٤/٤، وينظر البيهقي، السنن، ١٠٦/١.

(١) البلاذري ، فتوح، ص ٢٥٥، والطبري تاريخ ٨٤/٤ قدامة ابن جعفر ، الخراج ٣٧١ والمسعودي ، مروج الذهب، ١٣٨/٢.

واستشار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصحاب رسول اللهﷺ حول المسير إلى العراق فأبى إلا مباشرة القتال بنفسه...) [1].

٦ـ العدل والمساواة بين المجاهدين :

أمر الله تعالى بالعدل والإحسان، فالمساواة بين الجند تزيل التنازع والاختلاف ويقضي على الأحقاد والضغائن وكان من دعوة الرسول ﷺ العدل والمساواة والتحذير من الظلم فقد قال: (اتقوا دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) [2].

وكان رسول اللهﷺ لا يميز نفسه عن الآخرين فكان يتناوب على الركوب في المسير من بدر فقد كان معهم فرسان وسبعون بعيراً وعددهم ٣١٤رجلاً (وكان الرجلان والثلاثة والأربعة يتعاقبان على البعير الواحد فكان معه علي بن أبي طالب ومرثد [3].) [4].

٧ـ إعداد ما يحتاج إليه الجيش من زاد وذخيرة :

وإن من واجبات قائد الجيش أيضاً: (أن يوفر لهم الزاد (والذخير) تفرق عليهم وقت الحاجة حتى تسكن نفوسهم إلى مادة يستغنون عن طلبها، ليكونوا على الحرب أوفر وعلى منازلة العدو أقدر) [1].

٨ـ ترتيب الجيش في مصاف الحرب :

وعلى القائد أن يقوم (بترتيب الجيش في مصاف الحرب والتعويل في كل جهة على من يراه كفؤا لها ويتفقد الصفوف من الخلل فيها ويراعي كل جهة يميل العدو عليها بمدد يكون عونا لها) [2].

---

(١) الطبري ، تاريخ، ٢٣٦/٥.

(٢) النووي، رياض الصالحين ، ص ٨٨.

(٣) مؤثد: هو مرثد ابن أبي مرثد شهد بدراً وهو أحد شهداء الرجيع، ينظر: ابن هشام، السيرة، ، ٦٣/١.

(٤) الواقدي، المغازي ٤٤٩/٢.

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٤٣، أبو يعلى الفراء،الأحكام السلطانية ص٣٩.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٥٣.

ويكون الترتيب متكاملاً بحيث (لا يسير ولا ينزل إلا على تعبئة جيدة)[1]. ولقد (سار خالد بن الوليد رضي الله عنه بمن معه من الجند حتى نزل وهو على تعبئة)[2].

كما عليه الاهتمام بقوة الفرسان باعتبارها عنصراً هاماً في قوة الجيش وإحدى عوامل النصر في المعركة، وعلى القائد أن يتفقد خيولهم وأن يكون عالماً بالخيل وأنواعها وعليه إخراج ما هو غير صالح للقتال أو المسير ولا يدخل في خيل الجهاد ضخماً كبيراً ولا ضرعاً صغيراً ولا حطماً كسيراً، ولا أعجف هزيلاً، وكما يجب أن يتفقد ظهور الامتطاء والركوب فيخرج منها ما لا يقدر على المسير ويمنع من حمل زيادة على طاقتها)[3].لقوله ﷺ: (ارتبطوا الخيل فان ظهورها لكم عز وبطونها لكم كنز)[4].

ب ـ حقوق القائد :

إن حقوق القائد مقررة في القرآن الكريم على أنها حقوق الرسول القائد ﷺ لذا يستوجب الإشارة إلى ذلك وعليه فإن الحقوق قسمين :

القسم الأول :

حقوق خاصة بالرسول عليه الصلاة والسلام بصفته الشخصية ولا تنتقل إلى غيره من بعده.

القسم الثاني :

حقوق عامة وهي المقررة له بصفته الإمامية، وتنتقل إلى الإمام من بعده وهذه هي التي نحن بصددها ونذكر منها:

---

(١) الهرثمي، مختصر سياسة الحرب، ص ٢٥، وينظر السلومي، ديوان الجند ص ٢٨٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤٥/٦.

(٣) ابن منكلي، التدابير السلطانية في سياسة الصناعة الحربية ص١٦٤.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية ص٤٤.

١ـ حق الطاعة :

فللقائد حق الطاعة المطلقة المبصرة لقوله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[١].

وقوله ﷺ: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يـأمر بمعصـية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) [٢].

٢ـ حق الولاية المؤيدة بالبيعة :

وللقائـد حـق الولايـة المؤيـدة بالبيعـة العامـة لقولـه تعـالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾[٣].

وفي حديث يعلى بن منبه (فقلت يا رسول الله بايع أبي على الهجـرة قـال: بـايع على الجهاد) [٤].

٣ـ حق الرجوع إليه والرضى بحكمه :

وهـذا حـق ثالـث لقائـد الجـيش علـى جنـده بـأن يرجعـوا إليـه في كـل أمـر ويحكمـوه والنـزول عنـد قـراره في كـل حـال عمـلاً بقولـه تعـالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[١].

(١) سورة النساء، الآية /٥٩.
(٢) البخاري، الصحيح، ١٠٩/١٣، مسلم، الصحيح، ١٨٣٩ وابو داود، السنن ١٧٠٧ والنسائي ، السنن، ١٦٠/٧.
(٣) سورة الأحزاب ، من الآية ٦.
(٤) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٣٠/١.
(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

٤ـ استئذانه بأي عمل يقدم عليه الجندي :

فعلى الجنود أن لا يقدموا على عمل أو يقضوا بأمر قبل إذن قائدهم ورأيه فيه لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

٥ـ إلا يكتم عنه سراً :

ومن حق القائد أن يطلع على خفايا الأمور وظاهرها ليكون على بينة من أمره ولا يكون اتخاذ القرارات صائبة إذا كانت بعض الأمور خافية عليه ومطلع عليها بعض جنوده وعلى الجندي أن لا يكتم عن قائده أمراً أو يحتفظ عنه سراً يهم العدو أو أي أمر من أمور الجيش والجنود وخاصة ما يتعلق منها بالمعركة أو أي عامل يساعد على الظفر بالعدو أو تجنب جيش المسلمين المخاطر ، لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]. يقول القرطبي رحمه الله(الخيانة الغدر وإخفاء الشيء، والأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، وسميت أمانة لأنها يؤمن معها من منع الحق مأخوذ من الآمن)[1].

٦ـ التأدب مع القائد :

إن الإسلام يعلم أبنائه حسن الخلق وأدب الحديث والمخاطبة، والجندي في ساحة المعركة أو في الطريق إليها أو في العودة منها عليه أن يتأدب مع قائده ولا يناديه من بعيد أو يقطع عليه خلوته أو وقت راحته تأدباً واحتراماً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) سورة الحجرات، الآية١.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٧.

(١) القرطبي، جامع أحكام القرآن ، ج٧ ص ٣٩٥، والزمخشري، ج٢ ص١٥٣.

يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[1].

وألا يخاطبه كما يخاطب العامة من غيرمبالاة أو يرفع صوته عنده إجلالاً وتهيباً لقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾[3].

٧ـ للقائد حق الاستشارة لمن يشاء :

وله حق استشارة من يشاء دون تقييد، وله وحده حق الأمر بالعمل عند العزم والتوكل بعد أن يستقر الرأي ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]. بهذا النص الجازم ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الإمارة والحكم – حتى ومحمد رسول الله ﷺ هو الذي يتولاه لقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها مريرة، ففي معركة أحد رأت مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة مجتمعين بها وتحمست مجموعة أخرى فرأت الخروج للقاء المشركين وكان من جراء هذا الاختلاف ذلك الخلل في وحدة الصف إذ عاد (رأس النفاق) عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش والعدو على الأبواب[2].

(١) سورة الحجرات، الآية/٤.
(٢) سورة النور، الآية /٦٣.
(٣) سورة الحجرات، الآية ٢.
(١) سورة آل عمران، الآية /١٥٩.
(٢) سيد، قطب، في ظلال القرآن ، ١١٢/٤–١١٣.

المبحث الثالث

الصبر والثبات وعدم الفرار من الزحف

أولاً : الصبر والثبات عند اللقاء في القرآن الكريم .

ثانياً : الصبر والثبات عند اللقاء في السنة النبوية .

ثالثاً : فضل الرباط في سبيل الله .

المبحث الثالث : الصبر والثبات وعدم الفرار من الزحف

أولاً : الصبر والثبات عند اللقاء في القرآن الكريم :

عندما نقرأ القرآن الكريم بإمعان وتدبر ونستقرأ آيات الجهاد التي تحث على الصبر والثبات عند اللقاء وفقاً لترتيب نزولها نجد أن:

١ـ سورة البقرة (رقمها في ترتيب النزول ٧٨) :

وفيها آيات تتعلق بالجهاد والصبر على ما فيه وأول ما يصافح عيني القارئ وعقله الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١]. أي أن الله تعالى مع الصابرين بالنصر والمعونة والحفظ والتأييد)[٢].

وتأتي البشارة في الآية التي تأتي بعدها بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[٣].

هذه هي الشهاد في سبيل الله وهذه هي أول آية يتعرف فيها قاري المصحف إلى آخر مراحل الجهاد في الدنيا وهي الشهادة[٤]. وأن الشهيد حي يرزق وتأتي بعدها الآية التي فيها الامتحان الصعب تلك الآية التي تقرر أن الله جل في علاه سيختبرنا بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات، ثم يعقب هذا الترويع بمآسي الجهاد بتبشير الصابرين. ذلك بأن هؤلاء الصابرين يوفون أجرهم بغير حساب وكأن المفهوم المخالف للآية أن الذين يخونهم الصبر، لن ينالوا جزاء الذين صبروا لقوله

(١) سورة البقرة، الآية:١٥٣.

(٢) الصابوني، صفوة التفاسير ، ١٠٦/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

(٤) القاسمي، الجهاد والحقوق، ص ٥٧،

تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1]. ثم بين سبحانه تعريف الصابرين بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[2]. أي استرجعوا وأقروا بأنهم عبيد لله يفعل بهم ما يشاء ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[3]. وهم المهتدون إلى طريق السعادة.

ونرى في الآية (١٧٧) تعريفاً كاملاً للبر ونرى أن الله جل في علاه قد نفى في مطلع الآية أن يكون البر هو في أن نولي وجوهنا قبل المشرق والمغرب ذلك أمر لا بد منه ولكنه ليس كل البر الذي يريده الله ورسوله... فالوفاء بالعهود والصبر في الباساء والضراء وحين البأس وأن جاءت ألفاظاً عامة، إلا أنها أشد ما تكون التصاقاً بشؤون الجهاد والصبر عند اللقاء. لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[4].فمن يصبر ويثبت حين البأس يمنحه رب العزة صفة الصادقين المتقين.

ويضرب الله تعالى الأمثال للرسولﷺ وللمجاهدين معه أن من قبلهم امتحنوا بالصبر والثبات عند الشدائد والمحن والمصائب والنوائب بأن يصل بهم الحال أن يقول الرسول والمؤمنون معه متى نصر الله؟

وهذه غاية الغايات في تصوير شدة المحنة، فإذا كان الرسل – مع علو كعبهم في

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية : ١٥٦.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٧.
(٤) سورة البقرة، الآية /١٧٧.

الصبر والثبات – قد عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضيق والعنت وطول انتظار النصر لكن الله جل في علاه وهو بهم أعلم وبهم أرحم إنما يريد التمحيص لعباده المقربين ثم يأتيهم النصر والبشارة لقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(1).

ويقرر بعد ذلك رب العالمين أن القتال كره على الناس ولكنه مكتوب عليهم أي فرض عليهم قتال الكفار، إنها عملية تقوية نفوس المؤمنين وتعويدهم على الصبر والثبات في القتال وهو شاق ومكروه على نفوسهم لما فيه من بذل المال وخطر هلاك النفس لكن قد يكون في هذا المكروه كل النفع والخير ففيه الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(2).

ثم يضرب للمجاهدين مثلاً آخر هو درس في التطبيق العلمي للصبر والثبات في المعركة، ويحدث الله تعالى على لسان الذين يظنون أنهم ملاقوه بأنهم قالوا: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(3). ثم لما يحين اللقاء وقد قوي عودهم وثبت إيمانهم وزاد يقينهم وقد أخذوا بكل الأسباب بأنهم أطاعوا قائدهم وصبروا على العطش وطردوا الخوف من نفوسهم وثبتوا في ساحة الوغى واستعدوا للقتال حينئذاك رفعوا أكفهم بالدعاء واستغاثوا بالله تعالى أن يزيدهم ثباتاً وأن يصبرهم أكثر

(1) سورة البقرة، من الآية/٢١٤.
(2) سورة البقرة، الآية/٢١٦.
(3) سورة البقرة، من الآية /٢٤٩.

عند اللقاء وأن يعينهم على عدوهم وأن يحقق لهم النصر والظفر. لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1]. فاستجاب لهم ربهم ونصرهم على عدوهم ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[2]. وهنا يقرر رب العالمين القاعدة الأزلية التي عرفتها كل المجتمعات في التاريخ القديم والحديث ، إنها السنة الإلهية في التدافع بين القوى لمنع الفساد في الأرض وهذا هو فضل الله على الناس ولو أن كثير منهم لا يعلمون. ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3]. أي لولا أن يدفع الله شر الأشرار بجهاد الأخيار لفسدت الحياة لأن الشر إن غلب كان الخراب والدمار ولكن فضل الله سابق فهو جل في علاه ذو فضل على البشر حيث لم يمكن للشر من الإستعلاء، وهذه دروس ليس للتسلية ولا لمجرد كونها قصصاً من القرآن وإنما هي عبر وآيات قصها رب العزة على نبيه محمدﷺ لتكون للرسول القائد وجند المؤمنين زاداً ومعيناً في الصبر والثبات وتأكيداً أنه ﷺ مكلف بما كلف به المرسلين من قبله وأنه من المرسلين ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[4].

٢ـ سورة الأنفال (ورقمها في ترتيب النزل ٨٨) :

وفي هذه السورة التي نزلت في أعقاب معركة بدر الكبرى فاتحة المعارك في تاريخ الإسلام المجيد وبداية النصر لجند الرحمن حتى سماها بعض الصحابة رضوان الله

(١) سورة البقرة، الآية/٢٥٠.

(٢) سورة البقرة، من الآية /٢٥١.

(٣) سورة البقرة، من الآية/٢٥١.

(٤) سورة البقرة، من الآية/٢٥٢.

عليهم (سورة بدر) لأنها تناولت أحداث هذه المعركة بإسهاب ورسمت الخطة التفصيلية للقتال، وبينت ما ينبغي أن يكون عليه المجاهد المسلم من البطولة والثبات. وفي أثناء سرد أحداث (بدر) جاءت النداءات الإلهية للمؤمنين عدة مرات بوصف الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ كحافز لهم على الصبر والثبات في مجاهدتهم لأعداء الله وأن النصر الذي حازوا عليه كان بسبب الإيمان لا بكثرة السلاح والرجال.

أما النداء الأول: فقد جاء فيه التحذير من الفرار عند الزحف بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾[1]. يتوعد الله سبحانه وتعالى الذين يفرون من الزحف بالطرد من رحمته والعذاب بالنار عند التقارب والدنو من العدو إلا من كانت له مكيدة للعدو ليريه أنه قد خاف منه ويتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه في ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2].إلا من فر من هاهنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فيجوز له ذلك حتى ولو كان في سرية ففر إلى أميره أو الأمام الأعظم دخل في هذه الرخصة[3]. فإذا انحاز إلى جماعة المسلمين يستنجد بهم[4].أو من باب (الحرب خدعة) فهذا يجوز.

يرشد الله تعالى المؤمنين المجاهدين إلى سبيل النصر في مبارزة الأعداء أي إذا لقوا جماعة من الكفرة أن يثبتوا لقتالهم ولا ينهزموا. بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

(١) سورة الأنفال، الآية /١٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية/١٦.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج ص ١٤٨-١٤٩، وينظر ابن كثير، تفسير، ج٢ ص٩٢.

(٤) الصابوني، صفوة التفاسير، ٤٩٧/٩.

إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]. وأن يكثروا من ذكر الله تعالى بألسنتهم ليستمطروا نصره وعونه ويفوزوا بالظفر على الكافرين. وذكرهم بما يؤهلهم للنصر وهو طاعة الله رسوله وعدم الأختلاف فيما بينهم لأن ذلك سبباً للضعف والهزيمة والخذلان. لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]. أي وأصبروا على شدائد الحرب وأهوالها فإن الله مع الصابرين بالنصر والعون. وحذرهم من أن يكونوا ككفار قريش حين خرجوا لبدر عتواً وتكبراً وطلباً للفخر والثناء ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[3]. والآية تشير إلى قول ابي جهل: (والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنشرب فيها الخمور وننحر الجزور ،وتعزف علينا القيان – المغنيات – وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا ابداً، قال الطبري رحمه الله فسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا[4].وناحت عليهم النوائح مكان القيان. لقد كان إيمان المجاهدين الصادق وثباتهم في المعركة سبباً في تحقيق النصر في معركة بدر الكبرى رغم قلتهم تجاه العدو الكثير العدد والعدة وخاطب الله تعالى نبيه الكريمﷺ بأن يحث المسلمون على الجهاد وأن يصبروا عند اللقاء ووعدهم بالنصر الذي ينشدون بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

(١) سورة الأنفال، الآية /٤٥.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٦.
(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٧.
(٤) الطبري، تفسير، ٥٧٨/١٣.

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[1]. قال أبو السعود: هذا وعد كريم منه تعالى بغلبة كل جماعة من المؤمنين على عشرة من أمثالهم [2].

٣ـ سورة آل عمران (رقمها في ترتيب النزول (٨٩) :

وفيها العديد من الآيات تتعلق بالجهاد وسنعرض لبعضها بما يتوافق مع موضوع بحثنا في الصبر والثبات وعدم الفرار من الزحف ففي معركة أحد يذكر الله تعالى نبيهﷺ أن يا محمد حين خرجت من عند أهلك لتنزل المؤمنين أماكنهم لقتال عدوهم وكادت طائفتان من جيش المسلمين أن تجبنا وتضعفا وهمتا بالرجوع وهما (بنو حارثة) وذلك حين خرج رسول اللهﷺلأحد بألف من أصحابه فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة الآف [3].

انخذل (عبد الله بن أبي سلول) بثلثمائة من المنافقين معترضاً على قرار الرسول ﷺ بالخروج من المدينة بقوله (أطاعهم وعصاني) [4].فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ إِذ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[6] ويذكر الله تعالى نبيه ﷺ في هذه السورة أن انسحاب عبد الله بن أبي بن سلول بالمنافقين إنما هو تنقية لصف المؤمنين وتمييز لهم فلا يبقى فيهم من يرجف ويخذل. لقوله تعالى: ﴿ مَّا

(١) سورة الأنفال، الآية/٦٥.

(٢) أبو السعود، تفسير، ٢٤٧/٢.

(٣) ابن هشام، السيرة ،٨/٣-١٢ وينظر الطبري، تاريخ ، ٥٠٤/٣.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٨/٣-١٢ وينظر الطبري، تاريخ ، ٥٠٤/٣.

(٥) سورة أل عمران، الآية/١٢١.

(٦) سورة آل عمران، الآية /١٢٢.

كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[2].

ثم ذكرهم تعالى بانصر يوم بدر لتقوى قلوبهم ويتسلوا عما أصابهم في أحد. ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3]. واختتم بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4].

٤ـ سورة الأحزاب (ورقمها في ترتيب النزول ٩٠) :

نزلت هذه السورة تتحدث عن غزوتي الخندق وقريظة. وصورت غزوة الخندق التي تسمى (غزوة الأحزاب) تصويراً دقيقاً بتأليب قوى البغي والشر على المؤمنين وكشفت خفايا المنافقين، وحذرت من طرقهم في الكيد والتخذيل والتثبيط، وأطالت الحديث عنهم في بدء السورة وفي ختمها حتى لهم تُبق لهم ستراً ولم تخف لهم مكراً وذكرت المؤمنين بنعمة الله العظمى عليهم في رد كيدا عدائهم بإرسال الملائكة والريح كما تحدثت عن غزوة بني قريظة ونقض اليهود عهودهم مع رسول الله ﷺ وحذرت من التخاذل أو أن يولوا الأدبار.

(١) سورة آل عمران ، الآية /١٧٩.
(٢) سورة آل عمران ، الآيتين ، ١٦٦– ١٦٧.
(٣) سورة آل عمران ، الآية/١٢٣.
(٤) سورة آل عمران ، الآية/٢٠٠.

ورغم كل تخذيل المنافقين وإرجافهم وظروف المجاعة وشدة البرد فقد مضى المسلمون في تنفيذ مهامهم وإكمال خطة الدفاع عن المدينة، فلما أنجز الخندق وضع الرسول ﷺ النساء والأطفال في حصن فارع[1]. وهو أقوى حصون المسلمين وهو لبني حارثة[2]. وأخذ بالأسباب المستطاعة ورتب جيشه فأسند ظهرهم إلى جبل سلع، داخل المدينة[3].ووجوههم إلى الخندق الذي يفصل بينهم وبين المشركين الذين نزلوا رومه بين الجرف والغابة ونقمى[4]. وكان تفوق المشركين العددي كبيراً فقد بلغوا عشرة آلاف مقاتل[5]. أما جيش المسلمين فقد ذكر ابن إسحق أنهم ثلاثة آلاف مقاتل[6]، وجزم ابن جزم بأنهم تسعمائة مقاتل فقط[7].وهو رأى ضعيف ونعود إلى سورة الأحزاب لتحكي لنا الموقف، وتصور لنا الحالة الصعبة التي كان عليها المسلمين في رباطهم وثباتهم وترقبهم وما يكتنف هذا الوضع من دس وتخذيل من المنافقين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٌ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[8].

وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

(١) مسلم ، الصحيح، ١٨٧٩/٤، رواه الطبراني، الهيثمي، مجمع الزوائد ١٣٣/٦ ، والطبري تاريخ ٥٧٠/٢.
(٢) مسلم، الصحيح، ١٨٧٩/٤ رواه الطبراني، الهيثمي، مجمع الزاوائد ١٣٣/٦، والطبري ، تاريخ ٥٧٠/٢.
(٣) ابن هشام، السيرة، ٢٢٠/٢.وينظر الفيروز،ابادي المغانم المطابة ص١٣٤.
(٤) الطبري، تفسير ١٢٩/٢١–١٣٠.
(٥) سيرة ابن هشام، ٢١٥/٢ وابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٣٩٣/٧.
(٦) سيرة ابن هشام/٢/٢٢٠.
(٧) ابن حزم، جوامع السير، ١٨٧.
(٨) سورة الأحزاب، الآية/٩.

وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1].

قال المفسرون واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال (متعب بن قشير) يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب إلى الغائط[2]. لكن نصر الله جاء،فأرسل الكافرين ريحاً شديدة وجنوداً من الملائكة لم يروها وكانوا قرابة ألف،لقد كانت ريحاً عاصفاً في ليلة شديدة البرد والظلمة فقلعت بيوتهم وكفأت قدورهم وصارت تلقي الرجل على الأرض وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل — بل ألقت في قلوبهم الرعب[3]. والله مطلع على ما يعمل المؤمنون من حفر الخندق والصبر والثبات على معاونة النبي ﷺ في ذلك الوقت. قال الحسن البصري رحمه الله ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم ينصرون[4]. وبدت البغضاء من أفواه المنافقين وما تكن قلوبهم أعظم فقد صرحوا بوقاحة وجرأة على الله ورسوله بقولهم ما وعدنا الله ورسوله إلى غروراً[5]. قال الصاوي: والقائل هو (متعب بن قشير). سيء الذكر. وجاءت آية أخرى لتفضح المنافقين لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولاً ﴾[6]. قال قتادة: لما غاب المنافقون عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن[7].وكذبوا وتوعدهم الله

(١) سورة الأحزاب، الآيات من ١٠،١٢.

(٢) أبو السعود، تفسير ٣٠٤/٤.

(٣) الصاوي، على الجلالين، ٣٧١/٣.

(٤) القرطبي، تفسير ، ١٤٥/١٤.

(٥) أبو حيان، البحر الميحط، ٢١٧/٧.

(٦) سورة الأحزاب، الآية/١٥.

(٧) القرطبي، تفسير، ١٥٠/١٤.

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

٥ـ سورة النساء (ورقمها في ترتيب النزول ٩٢) :

استتبعث هذه السورة أمر الجهاد مع حملة ضخمة على المنافقين، فهم نابتة السوء وجرثومة الشر التي ينبغي الحذر منها، وقد تحدثت السورة الكريمة عن مكائدهم وخطرهم كما نبهت إلى خطر اليهود.

وفي السورة حث على الجهاد والصبر والثبات في سوح القتال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[2].أي أخرجوا إلى الجهاد جماعات متفرقين سرية بعد سرية أو أخرجوا في الجيش الكثيف فخيرهم الله تعالى في الخروج إلى الجهاد متفرقين أو مجتمعين [3]. ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾[4].أي ليتثاقلن ويتخلفن علن الجهاد ، والمراد بهم المنافقون ﴿ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ أي قتل وهزيمة، قال ذلك المنافق قد تفضل الله علي إذ لم أشهد الحرب معهم فاقتل ضمن من قتلوا: ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[5]. أي ولئن أصابكم أيها المؤمنون نصر وظفر وغنيمة ليقولن هذا المنافق قول نادم متحسر كأن لم يكن بينكم وبينه معرفة وصداقة ياليتني

(١) سورة الأحزاب، الآية/١٦.

(٢) سورة النساء، الآية/٧١.

(٣) الصابوني، صفوة التفاسير، ٢٨٩/٥.

(٤) سورة النساء، الآية/٧٢.

(٥) سورة النساء، الآية/٧٣.

كنت معهم في الغزو لأنال وافراً من الغنيمة [1].

ولما ذم الله تعالى المبطئين عن القتال في سبيل الله رغب المؤمنين فيه بقوله: ﴿ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [2].وينهي ذكر الجهاد في هذه السورة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ ﴾ [3].قال القرطبي رحمه الله: نزلت في معركة أحد حيث أمر عليه الصلاة والسلام الخروج في آثار المشركين وكان بالمسلمون جراحات وأن لا يخرج إلا من حضر أحد[4].

٦ـ سورة محمد ﷺ (**ورقمها في ترتيب النزول ٩٥**) :

ابتدأت هذه السورة الكريمة بإعلان الحرب على الكافرين أعداء الله ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [5].

ثم أمرت المؤمنين بقاتل الكافرين وحصدهم بسيوف المجاهدين لتطهير الأرض من رجسهم حتى لا تبقى لهم شوكة ولا قوة لقولة تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ ﴾ [6].

ثم بينت طريق العزة والنصر ووضعت الشروط لنصرة الله لعبادة المؤمنين بقوله

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، ٢٨٩/٥، عبد الله ، عبد القهار داود، تفيسر القرآن الكريم، ص ٧٨.

(٢) سورة النساء، /٧٤. وينظر الخازن ،تفسير ج١ ص٥٥٨ وابن كثير، تفسير ٤١٢/١.

(٣) سورة النساء، الآية/١٠٤.

(٤) القرطبي، تفسير ٣٧٤/٥.

(٥) سورة محمد، الآية/١.

(٦) سورة محمد ، من الآية/٤.

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1].

وتحدثت السورة بإسهاب عن صفات المنافقين، باعتبارهم الخطر الداهم على الإسلام والمسلمين، فكشف عن مساوئهم ومخازيهم ليحذر الناس مكرهم وخبثهم ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ۝ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡ ﴾[2]. قال الكلبي: لم يتكلم بعد نزولها عند النبي ﷺ منافق إلا عرفه[3]. ثم يأتي الأمتحان لاختبار درجة صبر المجاهدين وثباتهم ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾[4].

قال في التسهيل: المراد بقوله (حتى نعلم) أي نعلمه علماً ظاهراً في الوجود تقوم به الحجة عليكم... وكان الفضيل بن عياض رحمه الله إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: اللهم لا تبتلينا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا[5]. وختمت السورة بدعوة المؤمنين إلى سلوك طريق العزة والنصر بالجهاد في سبيل الله والصبر والثبات عند اللقاء وعدم الوهن والضعف أمام قوى الشر والبغي.

ثانياً : الصبر والثبات عند اللقاء في السنة والنبوية :

إن السنة النبوية الصحيحة متممة للقرآن الكريم ومفسرة له ولا بد لأي باحث من أن يتخذها كتاباً له وإماماً. فقد عاش رسول الله ﷺ في المدينة المنورة منذ أن وطئتها قدماه

(١) سورة محمد، الآية/٧.
(٢) سورة محمد، الآيتان/١٩–٣٠.
(٣) القرطبي، تفسير، ٢٥٣/١٦،
(٤) سورة محمد،الآية/٣١.
(٥) تفسير، التسهيل لعلوم التنزيل، ٥٠/٤.

إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، في مجتمع عسكري لا بل في مجتمع حربي فهو إما في حالة حرب فعلية وإما في حالة حرب مرتقبة وإما في حالة استعداد لحرب، لم تخل حياتهﷺ وصحابته رضوان الله عليهم في المدينة من مفاجآت داخلية متعبة وكثيراً ما صرفته عن جهود كان بذلها في حروب خارجية أجدى وأنفع كالذي كان مع بني قريظة وغيرهم من يهود بني النضير وقينقاع ثم لا يمر يوم إلى ويكون فيه للرسول الكريمﷺ أمر ذو بال في شوؤن السلم أو الحرب.

وإذا كانت السنة النبوية المطهرة تعني كلام الرسول وفعله وإقراره لما يقع في حضرته وصفتهﷺ فإن الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين وتابعيهم بإحسان قد وعوا وحفظوا ما سمعوا إلى أن أذن الله تعالى بتدوين هذه السنة حيث بدأ التدوين أيام الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وانتهى أو كاد في أواخر القرن الثاني للهجرة وأوائل القرن الثالث، ولا يكاد الباحث يفتح كتاباً من كتب الحديث إلا وجد فيه باباً أو كتاباً للمغازي أو للسير أو للجهاد، أو لما شابه هذه المواضيع ولا يمكن نحيط بها في صفحات من كتاب أو بحث أو رسالة علمية لكن سنقتطف بعض شذرات هذه السنة المطهرة بما يوافق عنوان البحث وما يتعلق بالمرابطة والصبر والثبات وعدم الفرار من الزحف ، ومنها قولهﷺ:

١- رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) [1].

٢- وقوله ﷺ: (كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر) [1].

---

(١) الترمذي، السنن، ١٦٦٧، والنسائي، السنن، ٤٠/٦.

(١) أبو داود، السنن (٢٥٠٠)، والترمذي، السنن، (١٦٢١).

٣- وقولهﷺ: (تضمَّنَ الله (تعالى) لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي، فهو ضامن على أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزلة الذي خرج منه بما نال من أجر، أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم، لونه لون دم، وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية[1]. تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة. فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزوا في سبيل الله، فأقتل ثم أغزو، فاقتل ، ثم أغزو، فاقتل) [2].

٤- وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال(أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا لله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) ثم قال (اللهم منزل الكتاب[3]. ومجري السحاب وهازم الأحزاب[4].أهزمهم وانصرنا عليهم) [5].

٥- وعن أبي عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) [1].

٦- وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ (لا

(١) السرية: القطعة من الجيش يبلغ أقصاها اربعمائة تبعث إلى العدو ، ينظر النووي، رياض الصالحين، ص ٣٩٠.

(٢) البخاري، الصحيح، ١٥٤/٦ ومسلم الصحيح، (١٨٧٦).

(٣) منزل الكتاب ، أي القرآن.

(٤) وهازم الأحزاب، أي: في غزوة الخندق.

(٥) البخاري، الصحيح، ٨٥/٦ ومسلم الصحيح، (١٧٤٢).

(١) الترمذي، السنن (١٦٣٩).

تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا) [(١)]. متفق عليه.

ذكر ابن حجر في شرح هذا الحديث قال ابن بطال: حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يئول إليه الأمر وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقد قال الصديق رضي الله عنه لأن أعافي فاشكر أحب إلي من أن أبتلى فاصبر. وقال غيره: إنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صور الإعجاب والإتكال على النفوس والوثوق بالقوة وقلة الاهتمام بالعدو، وكل ذلك يباين الإحتياط والأخذ بالحزم. وقيل يحمل النهي على ما إذا وقع الشك في المصلحة أو حصول الضرر وإلا فالقتال فضيلة وطاعة. ويؤيد الأول تعقب النهي بقوله(وسلوا الله العافية).

وأخرج سعيد بن منصور من طريق يحيى بن كثير مرسلاً (لا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لاتدرون عسى أن تبتلوا بهم) وقال ابن دقيق العيد: لماذا كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي التمني لذلك ولما فيه لو دفع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة[(٢)].

ثالثاً: فضل الرباط في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ ﴾[(١)]. وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[(٢)].

(١) البخاري، الصحيح، ٨٥/٦، وينظر مسلم، الصحيح، ١٧٤٢.
(٢)ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٤٩٦/٦-٤٩٧.
(١)سورة التوبة، الآية/٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية/٢٠٠.

قال الطبري رحمه الله في تفسيره: (أمروا أن يصابروا الكفار حتى يمل دينهم، وقال محمد بن كعب القرظي في الآية: رابطوا عدوي وعدوكم، حتى يترك دينه لدينكم)[1].

وقال الأزهري في (تهذيب اللغة) عن الرباط في قوله تعالى(وَرَابِطُوا) قولان:

أحدهما: أقيموا على جهاد عدوكم بالحرب وارتباط الخيل.

والثاني: المحافظة على الأعمال الصالحة والمداومة عليها.

وفي هذا روى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى: يا رسول الله: قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط)[2]. فقد جعل رسول الله ﷺ هذه الأعمال الصالحة مثل مرابطة الخيل لجهاد أعداء الله.

ونقل القرطبي رحمه الله عن المفسر ابن عطية رحمه الله قوله: القول الصحيح هو أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل: ثم سُمّى كل ملازم لأي ثغر من ثغور المسلمين مرابطاً سواء كان فارساً أو راجلاً)[3].

وقال ابن قتيبة رحمه الله المرابطة، فعالية تدل على المشاركة وذلك بأن يرابط المسلمون خيولهم، ويرابط الكافرون خيولهم، في ثغر من الثغور كل يعد العدة لقتال خصمه. ولذلك سميت الإقامة في الثغر رباطاً ونقل ابن رشد رحمه الله في كتابه (المقدمات) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: فرض الله الجهاد لسفك دماء

(١) الطبري، تفسير ، ٥٢/٧.
(٢) مسلم، الصحيح، برقم ٢٥١.
(٣) القرطبي، تفسير، ٣٢٣/٤.

المشركين وفرض الرباط لحقن دماء المسلمين وحقن دماء المسلمين أحب إلي من سفك دماء المشركين) [1].

وروى البخاري رحمه الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) [2].

وروى الطبراني رحمه الله عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ (رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر، وغدي عليه وريح برزقة من الجنة ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله عز وجل) [3].

وروى أحمد عن أبي إمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: مرابط في سبيل الله، ومن عمل عملاً أجري له مثل ما عمل، ورجل تصدق بصدقة فاجرُها له ما جرت، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له) [4].

وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه ما من رجل تخرج روحه إلا رأى منزله قبل أن تخرج روحه، إلا المرابط، فأنه يجري عليه أجرها ما كان هناك رباط فقد روى ابن ماجة رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر) [1].

(١) ابن رشد، المقدمات، ٢٧٥/١.
(٢) مسلم، الصحيح، برقم ١٦٣١.
(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد: ٢٩٠/٥.
(٤) مسلم، الصحيح، برقم١٦٣١.
(١) ابن ماجة، السنن، ٩٢٤/٢.

وروى ابن ماجة وعبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: (من مات مرابطاً مات شهيداً ووقي فتان، القبر، وغدي عليه وريح برزقه من الجنة وجرى له عمله) [1].

وفي هذا يقول ابن النحاس الدمشقي رحمه الله: (والمرابط إنما رابط توقعاً للشهادة، وتعرضاً وطلباً لها، وقد حرص عليها، وبذل نفسه لها، ولكنه لم يستشهد في الميدان، فلا غرابة في أن يبعثه الله يوم القيامة شهيداً ويعطيه أجر الشهادة) [2].

وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول اللهﷺ عن أجر الرباط، فقال: (من ربط ليلة حارساً من وراء المسلمين ، كان له أجر من خلفه ممن صام وصلى) [3].

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه كل حسنة من حسنات المرابط تعدل جميع حسنات العابدين: وأن الله ليختار خيار أمة محمدﷺ للرباط، كما يختار شرار أمة محمدﷺ للسلطان[4]. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: رباط ليلة إلى جانب البحر، من وراء عورة المسلمين أحب ألي من أن أوافق ليلة القدر في أحد المسجدين الحرام أو مسجد رسول اللهﷺ ورباط ثلاثة أيام عدل السنة، وتمام الرباط أربعون ليلة[1].



(١) ابن ماجة، السنن، ٥١٦/١

(٢) ابن النحاس الدمشقي، أحمد إبراهيم (استشهد٨١٤هـ) مشارع الأشواق إلى . مصارع العشاق في فضائل الجهاد، تهذيب صلاح عبد الفتاح الخالدي (دكتور) دار النفائس، ط١ (عمان، ١٩٩٩) ص ١٤٣.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٨٩/٥.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٨٩/٥.

(١) عبد الرزاق، المصنف ، ٢٨١/٥.

الفصل الثالث

الاستعداد النفسي لجيش المسلمين

المبحث الأول : إظهار الخفر والخيلاء في الحرب .

المبحث الثاني : تحصين المجاهدين ضد التجسس ومكائد العدو .

المبحث الثالث : الحرب النفسية والخديعة في الحرب .

المبحث الأول

إظهار الفخر واليخلاء في الحرب

أولاً : إباحة الفخر أثناء المعركة .

ثانياً : إباحة الخيلاء في حالة الحرب .

المبحث الأول : إظهار الفخر والخيلاء في الحرب

أولاً : إباحة الفخر وأثناء المعركة :

١ـ الفخر لغة :

قال الجوهري رحمه الله: الفَخْرُ.... الإفتخار.... وتفاخر القوم.

وجاء في المصباح المنير: (فخر به فخراً... وافتخرت...والاسم: الفخار وهو المباهاة بالمكارم، والمناقب من حسب ونسب، وغير ذلك، أما في المتكلم او في آبائه".

وفي القاموس المحيط: الفخر... التمدح بالخصال... فهو فاخر ... وفخور) [١].

٢ـ والفخر اصطلاحاً :

جاء في التعريفات للجرجاني رحمه الله أن: (الفخر : التطاول على الناس بتعداد المناقب) [٢].

ومن هنا يتضح أن الفخر هو أن يصدر عن الإنسان ما يدل على المباهاة بما يتمتع به من أصل ينتسب إليه، أو خصال يتصف بها هو، أو من ينتمي إليهم. هذا هو المراد بالفخر.

٣ـ التهيؤ النفسي للمجاهدين في المعركة :

مهما بلغت قوة الجيش في عدده وعتاده فإن هذه القوة لا تضمن النصر إلا إذا كان أفراد الجيش يتمتعون بروح معنوية عالية وعلى أتم الإستعداد النفسي لخوض المعركة وأن هذا الإستعداد النفسي لجيش المسلمين لا يتم إلا إذا اتخذت الأسباب اللازمة لذلك ابتداءً من قائد الجيش إلى أمراء الكراديس والمجاهدين والاستعانة بحفظة القرآن

(١) الجوهري، الصحاح، ٢٢٧/٢، المصباح المنير، ص١٧٦، والقاموس المحيط، ١١٢/٢ وينظر ابن الأثير، النهاية ٣٨١/١.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص٢١٢.

والقراء والخطباء والشعراء كل يأخذ دوره في تحقيق الإستعداد النفسي للجيش الإسلامي وتهيؤ المجاهدين للمعركة.

٤ـ إباحة التفاخر اثناء المعركة :

وذلك للتأثير على معنويات العدو وإدخال الرعب إلى نفوسهم وخلخلة صفوفهم.

ففي غزوة الخندق (الأحزاب) وبالرغم من الجو البارد والمجاعة التي اصابت المدينة في ذلك الوقت[١].كان طعام الجيش قليلاً من الشعير مخلوطاً بدهن سنخ (متغير الرائحة لقدمه) فيطبخ ويأكلونه رغم طعمه الكريه ورائحته المنتنة لفرط الجوع[٢].

وأحياناً لا يجدون إلا التمر[٣].وقد يلبثون ثلاثة أيام لا يذوقون طعاماً[٤].

ولكن حرارة الإيمان طغت على أثر البرد والجوع القارصين، فكان المسلمون يعملون بقوة ويحملون التراب على أكتافهم، وفيهم من كان لا يخدم نفسه من التجار والزعماء، وقد تساووا جميعاً في الحفر وحمل الأتربة وهم في غاية الحماس يرددون الأهازيج وأناشيد الفخر ممزوجاً باستعلاء الإيمان، والرسول القائدﷺ رائدهم وقدوتهم يحفر معهم وينقل التراب حتى اغبرت بطنه ووارى التراب جلده، وقد شد على بطنه حجراً لفرط الجوع[٥].وكان الصحابة يلجؤون أليه إذا عرضت لهم الصخرة الكبيرة فيأخذ المعول ويفتت الصخرة[٦].

وكان عليه الصلاة والسلام يشجعهم وينشد لهم: (اللهم لا خير إلا خير الآخرة

---

(١) البخاري، الصحيح، ٤٥/٥ وابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ٣٩٥/٧.

(٢) ابن حجر، العسقلاني، فتح الباري، ٣٩٢/٧-٣٩٣.

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية، ٩٩/٤.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، ٣٩٥/٧.

(٥) البخاري، الصحيح، ٤٧/٥، مسلم، الصحيح، ١٤٣٠/٣، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٣٩٥/٧.

(٦) البخاري، الصحيح، (فتح الباري ،٣٩٥/٧).

فبارك في الأنصار والمهاجرة)[1].

وكان عليه الصلاة والسلام يردد معهم الأهازيج مشاركة لهم وتواضعاً يقول:

اللــــهم لـــولا أنـــت مـــا أهتـــدينا ولا تصـــــــــدقنا ولا صـــــــــلينا

فـــــأنزلن ســــــكينة علينــــــا وثبــــــت الأقــــــدام إن لاقينـــــا

إن الألى قـــــد بغـــــوا علينـــــا وإن أرادوا فتنــــــــة أبينـــــــا

وكان عليه الصلاة والسلام يمد صوته بآخرها[2].

وكان المجاهدون يقولون وهم يحفرون وينقلون التراب.

نحـــن الـــذين بـــايعوا محمـــداً علـــى الجهـــاد مـــا بقينـــا ابـــداً

وكان لمشاركته عليه الصلاة والسلام بصورة فعليه أثر كبير في الروح التي سادت الموقع وقد تمكن المسلمون من إنجاز الخندق في ستة أيام فقط[3]. وبذلك نفذوا خطة التهيؤء المادي والنفسي للمعركة قبل وصول الأحزاب.

وأورد ابن إسحاق في السيرة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بارز يوم الخندق عمرو بن عبدود. وذلك أن عمرو بن عبدود خرج ونادى: من يبارز، فقام علي رضي الله عنه وهو مقنع في الحديد فقال: أنا له يا رسول الله، قال له النبيﷺ إنه عمرو أجلس! فنادى عمرو المسلمين: إلا رجل يبارزني... أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟

فقال علي رضي الله عنه أنا له يا رسول الله ، فقال له أجلس ! فنادى عمرو في المرة الثالثة وقال.... هل من مبارز... وكذلك إني لم أزل متسرعاً قبل الهزامز (وكأنه جاءت به منيته ليلقى حتفه على يد أحد أبطال الإسلام).

---

(١) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ٣٩٥/٧).

(٢) البخاري، الصحيح، ٤٧/٥ وابن حجر العسقلاني ، فتح الباري، ٣٩٩/٧.

(٣) السمهودي، علي بن عبد الله بن شهاب الدين (ت١٠١١هـ) وفاء الوفاء ، مطبعة الآداب (مصر ، ١٣٢٦هـ) ١٢٠٨/٤.

فقال علي رضي الله عنه : أنا له يا رسول الله! فقال عليه الصلاة والسلام : إنه عمرو! فقال علي: وإن كان عمراً! فأذن له ﷺ[1].

فمشى إليه علي رضي الله عنه يحدوه استعلاء الإيمان وثقته بتأييد الله تعالى له ودعاء الرسول ﷺ وإخوانه المجاهدين، وبدأ علي رضي الله عنه عمرو بن عبدود وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عقد الهزائز

قال: عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب! قال: عمرو: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أريق دمك! فقال علي: ولكني والله لا أكره أن أريق دمك! فغضب ونزل ، وسل سيفه كأنه شعلة نار، وأقبل نحو علي رضي الله عنه مغضباً واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في الدرقة، ففقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي رضي الله عنه على حبل عائقه، فسقط، وثار العجاج، وسمع رسول اللهﷺ التكبير، فعرف أن علياً رضي الله عنه [2]. وكان عمرو هذا من شجعان قريش فلما قتل، تحمس المسلمون وارتفعت روحهم المعنوية وارتجت قلوب المشركين واهتزت معنوياتهم، وكان عمرو مع بعض المشركين اقتحموا الخندق وذكر ابن إسحق خمسة منهم، وأن الزبير رضي الله عنه قتل نوفل المخزومي وأن الثلاثة فروا إلى

(١) ابن النحاس، مشارع الأشواق، ،ص ٢٠٧.
(٢) ابن النحاس، م،ن ص٢٠٨.

معسكرهم [١].وكفى الله المؤمنين شرهم وانهزم الأحزاب بعد أن إنهارت معنوياتهم لطول الحصار ولهبوب العواصف الشديدة الباردة فقد نصر المسلمين بريح الصبا[٢].

وفي غزوة حنين كان النبي ﷺ يقول بفخر (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) [٣].

وفي الكلام عن قول (سلمة بن الأكوع) رضي الله عنه في غزوة ذي قرد: (خذها وأنا ابن الأكوع) [٤].

وفي الكلام على قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مبارزته (مرحب اليهودي) في غزوة خبير (أنا الذي سمتني أمي حيدره) [٥].

وفي معركة اليرموك كان المقداد بن عمرو رضي الله عنه يتلو على المقاتلين سورة الأنفال[٦]. وكانت اياتها تحث على الإقدام والبذل والتضحية وفيها المدد الرباني والنصر من عند الله ففيها إحياء النفوس وإعلاء الهمم وفيها تخذيل المشركين وكسر معنوياتهم وقذف الرعب في قلوبهم.

وكان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أثره الكبير في إذكاء الروح القتالية لدى المجاهدين ورفع معنوياتهم وتهيئة نفوسهم للحرب، فقد خرج على الناس يذكرهم... وكان يمشي في الصفوف ويذكرهم[٧].وهو يقرأ عليهم بثقة وإيمان: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[٨].

(١) ابن هشام، السيرة، ٢٢٤/٢، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦٨/٢، الطبري، تاريخ ٤٨/٣.

(٢)البخاري، الصحيح، ٤٧/٥، ومسلم، الصحيح، ٦١٧/٢.

(٣) البخاري، الصحيح، رقم (٣٠٤١) فتح الباري، ١٦٤/٦ ومسلم، الصحيح، رقم ١٧٧٦ ج١٤٠٠/٣.

(٤) البخاري، الصحيح، رقم (٣٠٤٢) فتح الباري، ١٦٤/٦، ومسلم، الصحيح، رقم ١٨٠٧ ج١٤٣٦/٣.

(٥) مسلم، الصحيح، رقم (١٨٠٧) ج١٤٤١/٣(حيدر أسم للأسد) ينظر ابن كثير البداية والنهاية ٤٥٦/٣.

(٦) ابن الجوزي، صفة الصفوة: ١٦٧/١.

(٧) ابن عساكر تاريخ دمشق، ٥٣٦/١.

(٨) سورة الفتح، الآية/٢٩.

وقد كان رسول اللهﷺ يأمر حسان بن ثابت رضي الله عنه فيمتدح الرسولﷺ ويفاخر به ويرفع معنويات المجاهدين ، وفي هذا يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ما يمنع القوم الذي نصروا رسول اللهﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم) [(١)].

وهذا أبو سفيان بن حرب كان يقف على الكراديس في معركة اليرموك فيقول: (الله الله إنكم ذادة العرب، وأنصار الإسلام، اللهم إن هذا يوماً من أيامك أنزل نصرك على عبادك) [(٢)].

ويذكر الواقدي قصة أبي دجانة وهو متقلد سيف النبي ﷺ ويمشي بين صفوف المجاهدين بفخر واعتزاز لسان حاله يقول سأعطي هذا السيف حقه وأقر به عين رسول اللهﷺ وأدخل السرور إلى قلبه وقلوب المجاهدين وقد عاهد على أن يعطيه حقه فقال: أنا آحذه بحقه يا رسول اللهﷺ ففلق هام المشركين[(٣)]. وأنجز وعده.

وعلى هذا فالفخر بما قدم الإنسان من بطولات في نصرة الإسلام ودحر العدو قد أقر النبي ﷺ هذا الفخر، فقد جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء علي رضي الله عنه بسيفه يوم أحد وقد انحنى فقال لفاطمة: هاكي السيف حميداً فإنها شفتني: فقال رسول اللهﷺ:لئن كنت قد أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف،وأبو دجانة وعاصم بن ثابت الأفلح، والحارث بن الصِّمَّه، وهذا حديث صحيح على شرط البخاري وله شاهد، صحيح في المغازي.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما رجع رسول اللهﷺ أعطى فاطمة ابنته عليها السلام سيفه، فقال: يا بنيَّة! اغسلي عن هذا الدم. فأعطاها (علي) رضي الله عنه، سيفه

---

(١) الخزاعي، الدلالات السمعية ص ٢٢٢.

(٢) الطبري، تاريخ ٣٩٧/٣ وينظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٠٨/٦ وابن الأثير، الكامل ٤٨/٢.

(٣) الواقدي، المغازي، ٢٥٩/١.

فقال: وهذا فاغسلي عند دمه! فو الله لقد صدقني اليوم القتال فقال رسول اللهﷺ :لئن كنت صدقت القتال اليوم، لقد صدق معك القتال اليوم: سهل بن حنيف وسماك بن خرشه،أبو دجانة قال ابن اسحق: وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين ناول (فاطمة) عليها السلام، السيف:

أفاطم! هاك السيف غير ذميم   فلست برعديد ولا بلئيم

لعمري، لقد أعذرت في نصر أحمد   ومرضاة رب بالعباد رحيم) [1]

وجاء في شرح النووي على صحيح مسلم (فإن قيل: كيف قال النبي ﷺ: أنا ابن عبد المطلب ، فانتسب إلى جده دون أبيه، وافتخر بذلك، مع أن الإفتخار في حق اكثر الناس من (عمل العرب في الإسلام) فالجواب أنه ﷺ كانت شهرته بجده أكثر، لأن أباه عبد الله توفي شاباً في حياة أبيه عبد المطلب... — ثم قال- : وفي هذا دليل على جواز قول الإنسان في الحرب: أنا فلان وأنا ابن فلان ومثله قول (سلمة) أنا ابن الأكوع وقول (علي) رضي الله عنه: أنا الذي سمتني أمي حيدرة. وأشباه ذلك! وقد صرح بجوازه علماء السلف... قالوا: إنما يكره قول ذلك على وجه الافتحار كفعل (العرب قبل الإسلام) والله أعلم).

وفي التعليق على رجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يبارز (مرحبا) اليهودي، قال النووي (وأعلم أن في هذا الحديث [2]. أنواعاً من العلم منها.... جواز الثناء على من فعل جميلاً، واستحباب ذلك[3].إذا ترتب عليه مصلحة ... واستجباب

(١) مسلم، الصحيح بشرح النووي، ٧/٤٠٥-٤٠٦.

(٢) مسلم، الصحيح رقم ١٨٠٧ (أي حديث مسلم غزوة ذي قرد وغزوة خيبر الذي رواه (سلمة بن الأكوع).

(٣) أي قوله ﷺ لـ(سلمة) في الحديث الذي نحن بصدده: (كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة) مسلم، الصحيح، ١٤٣٩/٣.

الرجز في الحرب ، وجواز قول الرامي، والطاعن، والضارب: خذها وأنا فلان، أو ابن فلان) [(١)].

وجاء في فتح الباري: (قوله باب من قال: خذها، وأنا ابن فلان: هي كلمة تقال عند التمدح: قال ابن المنير: موقعها من الأحكام أنها خارجة عن الإفتخار المنهي عنه لاقتضاء الحال ذلك: قلت من جواز الإختيال: ... في الحرب دون غيرها) [(٢)].

وجاء فتح الباري أيضاً، في التعليق على حديث : أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) [(٣)]. قال : (وفيه الإنتساب إلى الآباء، ولو ماتوا قبل الإسلام والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب) [(٤)].

ومما تقدم يتضح أن قول الأنساب مثلاً في الأحوال العادية: أنا فلان بن فلان في غير مجال التعريف بنفسه لمن يجهله، أو نحو ذلك وإنما هو في معرض الإشادة بالنفس، والتنويه، بالأصل الذي ينتهي إليه- هذا القول لهذا الغرض هو من باب الفخر بالنفس ، وبالأصل الذي لا يحمد فاعله.. ولكن مثل هذا الإشادة وهذا التنويه- هو أمر جائز في الحرب لما فيه من ترويع للعدو وإخافته والتأثير على معنوياته وهو نوع من الحرب النفسية ولا سيما إذا كان المجاهد الذي يُرَدَّدْ اسمه على مسامع العدو في حلبة المعارك قد أقترن في أذهانهم بسجل حافل بالبطولات والأمجاد.

وعلى هذا الأساس يجوز توجيه الخطاب إلى العدو في حالة الحرب لأبطال الإسلام- ما تهدر به صدورهم — وتزأر به أفواههم من خطاب التهديد والوعيد وقصائد

(١) مسلم، الصحيح بشرح النووي، ٤٦٢/٧-٤٣٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٦٤/٦.

(٣) سبق تخريجه، البخاري، الصحيح، (٣٠٤٢) ومسلم الصحيح، (١٧٧٦).

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، ٣٢/٨.

الفخر والحماسة، وأن اشتملت على التنويه بالنسب والإشادة بالنفس[1]. وتعداد ما لكل واحد من هؤلاء الأبطال من مآثر في الجهاد ومفاخر عسكرية... وذلك بقصد قذف الرهبة في قلوب العدو، ونشر الرعب بين صفوفهم[2].

وجاء في سنن داود عن ابن الحنظلية ، قال: (بعث رسول الله ﷺ سرية فقدمت فجاء رجل منهم فجلس في المجلس الذي يجلس فيه رسول الله ﷺ فقال لرجل إلى جنبه: لو رأيتنا حين التقينا نحن والعدو، فحمل فلان فطعن فقال : خدها، وأنا الغلام الغفاري، كيف ترى في قوله؟ قال: ماأراه إلا قد بطل أجرهُ! فسمع بذلك آخر فقال: ما أرى بذلك بأساً فتنازعا، حتى سمع رسول الله ﷺ: (فقال: سبحان الله! ! لا بأس أن يؤجر ويحمد) [3].

هذا وحديث آخر لا يستحسن هذه الإشادة بالنسب في حالة الحرب – وهو ما جاء في سنن ابن ماجة (عن أبو عقبة وكان مولى لأهل فارس: قال شهدت مع النبي ﷺ يوم أحد فضربت رجلاً من المشركين فقلت خذها مني، وأنا الغلام الفارسي فبلغت النبي ﷺ فقال: ألا قلت خذها مني وأنا الغلام الأنصاري) [4].

وهذا الحديث ضعفه بعض المحدثين[5]. وعلى فرض صحته ليس في الحديث يدل

---

(١) الشيباني، السير الكبير، ١٤٧٠/٤ وقال: (لا بأس بالتكني عندالحرب والإنتماء وإنشاد الشعر، ما لم يكن في ذلك غضب من بعض المسلمين، بان يهجو بعضهم بعضاً أو يفخر بعضهم على بعض).

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٤٦٣/٧.

(٣) أبو داود، السنن، رقم (٤٠٨٩) ج٨٢/٤–٨٣ وقد تجاوزه الألباني في كتابه (صحيح سنن أبي داود) ج٧٧٠/٢ ، وعلى كل حال، ففي الأحاديث السابقة الصحيحة التي تدل على جواز مثل هذا القول في الحرب ما يغني عن هذا الحديث وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: (وإسناده حسن، وحسنه النووي في الرياض) ينظر، ابن الأثير الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٥٨٨/٢.

(٤) ابن ماجة، السنن، رقم (٧٨٤) ج٩٣١/٢.

(٥) لم يذكر الألباني، هذا الحديث في كتابه (صحيح سنن ابن ماجه) بل ذكره في كتابه (ضعيف سنن ابن ماجة: رقم (٦١٤) ص ٢٢٦.

على الزجر عما قال (أبو عقبة)... وإنما هو الحث على ما هو أفضل في هذا المقام مما يدل على نصرة الرسولﷺ.

ثانياً : إباحة الخيلاء في حالة الحرب :

١ـ الخيلاء لغة :

قال الجوهري : (الخُيلاء الكبر تقول منه إختال فهو ذو خيلاء وذو خال وذو مخيلة أي ذكر كبر) [١].

وفي المصباح المنير (يقال :اختال الرجل ، وبه خيلاء ، وهو الكبر والاعجاب) [٢].

وفي القاموس المحيط: (الأخيل والخيلاء ، والخيلُ، والخليةُ والمخيلة: الكبر) [٣].

وهذا ما جاء في المفهوم اللغوي للخيلاء.

٢ـ الخيلاء اصطلاحاً :

يقول الإمام النووي في هذا الصدد:

قال العلماء : الخيَلاء – بالمد– والمخيلة – والبصر والكبرُ والزهو [٤].

والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام) [٥].

وقال الإمام الذهبي في معرض الحديث عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [٦].

(١) الجوهري، الصحاح، ٣٨١/١.
(٢) المصباح المنير، ص ٧١.
(٣) الفيروز ابادي ، القاموس المحيط، ٣٨٣/٣.
(٤) الجوهري، الصحاح، ٥٥٠/١.
(٥) مسلم، الصحيح، بشرح النووي، ٣٩٧/٨.
(٦) سورة لقمان، الآية /١٨.

قال: (أي لا تُمِلْ للناس مُعْرضاً، مستكبراً والمرح التبختر) [1].

وقال القرطبي: (ولا تمش في الأرض مرحاً: أي متبختراً، متكبراً) [2].

وقال في موضع آخر: (في هذا ضرب من التوعد والمختال: ذو الخيلاء أي الكبر) [3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: (بينما رجل [4]. يتبخر يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل [5].فيها إلى يوم القيامة) [6].

وفي المستدرك على الصحيحين : جاء: (أن عكرمة بن خالد بن سعيد بن العاص المخزومي رضي الله عنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال: يا أبا عبد الرحمن: إنا بنو المغيرة قوم فينا نخوة [7].فهل سمعت رسول اللهﷺ يقول في ذلك شيئاً؟ فقال عبد الله بن عمر :سمعت رسول اللهﷺ يقول: ما من رجل يتعاظم في نفسه، ويختال في مشيته إلا لقي الله وهو عليه غضبان) [8].وهذا ما قيل في حكم الخيلاء، وما إليها في الحالات العامة.

---

(١) الذهبي، الكبائر وتبيين المحارم: ص ٧٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٧٠/١٤.

(٣) القرطبي، م.ن ١٩٢/٥.

(٤) في رواية مسلم، الصحيح: (إن رجلاً ممن كان قبلكم يتبختر في حلة...) ج١٦٥٤/٣.

(٥) (يتجلجل: يتحرك وينزل مضطرباً) مسلم، الصحيح بشرح النووي: ٣٩٩/٨.

(٦) مسلم، الصحيح: رقم (٢٠٨٨) ج١٦٥٤/٣ : هذا لفظ مسلم، وروى بنحوه البخاري :الصحيح رقم (٥٧٩٠) فتح الباري ، ٢٥٨/١٠.

(٧) النخوة: الكبر والعظمة، يقال انتخى فلان علينا أي افتخر وتعظم.

(٨) الحاكم، المستدرك: ج٦٠/١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،وقال الذهبي: على شرط المسلم، . أقول: ورواه أحمد في مسنده: جـ١١٨/٢ هذا،وبسبب هذه الخصلة في آل المغيرة – أشار (عمر بن الخطاب) على (أبي بكر) بعزل (خالد بن سعيد بن العاص) رضي الله عنهما جميعاً) عن قيادة أحد الجيوش التي وجهها إلى الشام، قائلاً: (إنه رجل فخور، يحمل أمره على المغالبة والتعصب: فعزله أبو بكر رضي الله عنه ينظر : الطنطاوي ، سيرة عمر بن الخطاب ص ٤٩٥.

٣ـ إباحة الخيلاء في حالة الحرب :

يقول القرطبي رحمه الله في تفسير: (قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[١]. هذا نهي عن الخيلاء ، وأمر بالتواضع... وقد يكون التكبير، وما في معناه محموداً ، وذلك على أعداء الله والظلمة) [٢].

وجاء في تفسير الآلوسي رحمه الله ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي فخراً، وكبراً، ثم الإختيال في المشي كبيرة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة، وهذا فيما عدا بين الصفين أما بينهما فهو مباح لخبر صح فيه) [٣]. هذا وفي قول (الآلوسي) عن الفخر: ما نصه: (لطف الله بإباحة اختيال المجاهدين بين الصفين وإباحة الفخر بنحو المال لمقصد حسن) [٤].

وفي هذا يقول ابن حجر رحمه الله في المناسبة نفسها: (وفيه: جواز الإنتساب إلى الآباء ، ولو ماتوا (قبل الإسلام) والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب، دون غيره) [٥].

هذا وفي منتقى الأخبار، وشرحه نيل الأوطار، تحت عنوان (استحباب الخيلاء في الحرب) — ورد الحديث التالي:

(عن جابر بن عتيك أن النبي ﷺ قال: إن من الغيرة ما يحب الله ، ومن الغيرة ما يبغض الله، وإن من الخيلاء ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله. فأما الغيرة التي يحبها

(١) سورة الإسراء، من الآية٣٧.
(٢) القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ٢٦٠/١٠–٢٦١.
(٣) الآلوسي، روح المعاني، ٧٥/١٥.
(٤) الآلوسي، م.ن، ٩/٢١.
(٥) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٣٢/٨.

الله فالغيرة في الريبة وأما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة[١].

والخيلاء التي يُحب الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال، واختياله عند الصدقة، والخيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل في الفخر[٢]. والبغي [٣].[٤].

يقول الشوكاني (رحمه الله) : (إختيال الرجل بنفسه عند القتال من الخيلاء الذي يحبه الله لما في ذلك من الترهيب لأعداد الله والتنشيط لأوليائه ، ومنه قوله ﷺ لأبي دجانه لما رآه يختال عند القتال: (إن هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن) . وكذلك الإختيال عند الصدقة فإنه ربما كان من أسباب الإستكثار منها والرغوب فيها) [٥].

هذا وما أشار إليه (الشوكاني) من إختيال أبي دجانه رضي الله عنه عند القتال — ورد في سيرة ابن هشام[٦]. على النحو التالي: (قام رسول اللهﷺ من يأخذ هذا السيف بحقه[٧]. فقام إليه رجال ، فامسكه عنهم، حتى قام إليه (أبو دجانه) سماك بن خرشة، أخو بني ساعدة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني.

---

(١) الشوكاني، نيل ، الأوطار ، ٢٥٧/٧–٢٥٨.

(٢) نحو أن يذكر ما له من الحسب والنسب وكثرة المال والجاه، والشجاعة والكرم، لمجرد الإفتخار، ثم يحصل منه الإختيال عند ذلك ، فإن هذا الإختيال مما يبغضه الله تعالى، لأن الأفتخار في الأصل مذموم والأختيال مذموم فينضم قبيح إلى قبيح، نيل الأوطار ٢٥٨/٧.

(٣) (نحو أن يذكر الرجل أنه قتل فلاناً، وأخذ ماله ظلماً، أو يصدر منه الإختيال حال البغي على مال الرجل أو نفسه، وأن هذا يبغضه الله، لأن فيه إنضمام قبيح إلى قبيح) نيل الإوطار ٢٥٨/٧.

(٤) الحديث ورد في عدد من كتب السنة: منها سنن البيهقي ، ج٩/١٥٦ وسنن أبي داود رقم (٢٦٥٩) ج٣/٦٨ قال عنه الألباني: (حسن) في كتابه (صحيح سنن أبي داود) رقم (٢٣١٦) ج٢/٥٠٥.

(٥) الشوكاني، نيل الأوطار ، ج٧/٢٥٨.

(٦) ابن هشام، (الروض الانف : ١٥٠/٣) وينظر كنز العمال، حيث أورد نص الحديث، برقم (١٠٦٨٥) ج٤/٣١٧.

(٧) مسلم، الصحيح، رقم (٢٤٧٠) ج٤/١٩١٧، فقد ور النص (أن رسول اللهﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل منهم يقول: أنا أناقال من يأخذه بحقه؟ قال فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشه، أبو دجانه أنا أخذه، بحقه قال: فأخذه ففلق به هام المشركين).

قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت . وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها – علم الناس أنه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفين قال ابن إسحق، فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن) [1].

هذا ويدخل في باب الخيلاء العسكرية بصفتها نوعاً من الحرب النفسية الموجهة ضد العدو – يدخل في هذا الباب ما كان يفعله النبي ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعي التابعين باحسان ومن بعدهم من الإهتمام بأسلحتهم ، وآلاتهم الحربية إذ يكسونها بالحلي الفضية أو يعلقون تلك الحلي عليها، وكأنها عرائس تجلى لأقرانها وتزين للاحتفال بأعراسها... وما أعراسها إلا حلبات القتال، وميادين الحرب حيث تعانق الأقران، وتفعل فعلها فوق الأعناق والرؤوس . (فعن أنس رضي الله عنه قال: كان نعل[2]. سيف رسول الله ﷺ من فضة وقبيعة[3]. سيفه فضة وما بين ذلك حلق فضة) [4].

وعن الأوزاعي [5]. (رحمه الله) قال: (عن أبي أمامة: قال لقد فتح الفتوح قوم...

---

(١) ابن هشام م.ن، ١٥٠/٣.

(٢) نعل السيف: هي التي تكون في أسفل القراب (غمد السيف) شرح السيوطي وحاشية السندي على سنن النسائي: ٢١٩/٨.

(٣) قبيعة السيف: كسيفنة، ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد... شرح السيوطي وحاشية السندي على سنن النسائي ، ٢١٩/٨.

(٤) النسائي، السنن: ٢١٩/٨، وقال الألباني: (صحيح) ينظر: (صحيح سنن النسائي للألباني رقم (٤٩٦٧) ج١٠٨٧/٣. وبنجوه (في سنن أبي دواد رقم (٢٥٨٣) ج٤٣/٣ وسنن الترمذي رقم (١٦٩١) ج٢٠١/٤.

(٥) الأوزاعي ، عبد الرحمن بن عمر بن محمد الدمشقي (ت ١٥٧) فقيه الشام ولد ببغداد وأقام بدمشق ينظر ابن كثير، البداية والنهاية : ١١٩/١٠

كانت حلية سيوفهم .. العلابي [1]. والآونك والحديد) [2].

أما عن طريقة حمل السيوف فقد جرت العادة بتعليقه في أكتافهم، فورد عن أنس بن مالك قال: (كان النبيﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عربي وفي عنقه السيف) [3].

وقال الزرقاني[4].: (في غزوة أحد تقلد الرسول ﷺ سيفه أي جعل علاقته على كتفه الإيمن هو تحت إبطه الإيسر).



(١) العلابي، وهي الجلود الخام ليست بمدبوغة، وينظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ١١٩/٦.

(٢) البخاري، الصحيح رقم (٢٩٠٩) فتح الباري جـ/٩٥ ، وجاء في الفتح أيضاً (الآنك) هو الرصاص... وفي هذا الحديث إن تحلية السيوف وغيرها من آلات الحرب بغير الذهب والفضة أولى. وأجاب من أباحها: بأن تحلية السيوف بالذهب والفضة إنما شرع لإرهاب العدو!وكان لأصحاب رسول اللهﷺ عن ذلك غنية لشدتهم في أنفسهم وقوتهم في إيمانهم، ينظر فتح الباري: ح٩٦/٦.

(٣) زكي، عبد الرحمن، السلاح في الإسلام، (القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٣٣، وينظر شلاش محمد حسن، الأسلحة الخفيفة عبر العصور، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٦م) ص ٧٩.

(٤) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) الرسائل، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، ١٩٦٤) ٥٢/١.

المبحث الثاني

تحصين المجاهدين ضد التجسس ومكائد العدو

أولاً : التدابير الأمنية في عهد النبوة .

ثانياً : اتقاء خطر العيون ومكافحة التجسس .

المبحث الثاني : تحصين المجاهدين ضد التجسس ومكائد العدو

أولاً : التدابير الأمنية في عهد النبوة :

١- المفهوم اللغوي للأمن :

جاء في (العين) في كلمة (أمن) ضد الخوف والفعل منه أمن يأمن وأماناً، والمأمن موضع الأمن[(١)].

ويقول الجوهري في الصحاح : (الأمن) ضد الخوف، وآمن، الأمان بمعنى أمنت فأنا آمن وأمنت غيري، من الأمن والأمان[(٢)].

ولدى الراغب الأصبهاني: أصل الأمن طمأنينة وزوال الخوف[(٣)].

وفي مختار الصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط، كلمة (أمن) ضد الخوف [(٤)]. بمعنى اطمأن ولم يخف، لأن الطمأنينة من آثار الإيمان فيها، فيطمئن القلب وتسكن النفس لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[(٥)].

بل إن الإيمان مصدر من مصادر الأمن مباشرة، لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[(٦)].

---

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل ابن أحمد (ت١٧٠هـ) كتاب العين (بغداد، ١٩٨٥) ٣٨٨/٨.

(٢) الجوهري، الصحاح في العلوم، ٤٦/١-٤٧.

(٣) الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد (ت٥٠٣هـ) ، المفردات في غريب القرآن (بيروت، ب ت) ص ٢٥.

(٤) الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القاهر (ت٦٦٦هـ) مختار الصحاح، (بيروت، ١٩٨٠) مادة (أمن) ط٢٦، وابن منظور ، لسان العرب ، ١٤٠/١ والفيروزي آبادي، القاموس الميحط ١٩٧/٤.

(٥) سورة الرعد، الآية٢٨.

(٦) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

وقد جاء في القرآن الكريم أن زوال الأمن يعني الخوف. بقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(1). والمراد بلباس الجوع، والخوف ما يظهر على الإنسان من الهزال ، وشحوب اللون وسوء الحال(2).هذا وإن مفهوم الأمن يعني عدم الخوف.

٢ـ المفهوم الإصطلاحي للأمن :

الأمن في الإسلام من النعم الجليلة التي يمنحها الله جل في علاه لعبادة لقوله تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾(3).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(4). وكذلك يقول عز وجل ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾(5).

وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾(6).

وقال الرسول ﷺ بشأن الأمن: (إذا أصبح أحدكم آمنا في سربه، معافى في بدنه،

(١) سورة النحل، الآية ١١٢.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ١٢٩/٢.

(٣) سورة قريش كلها.

(٤) سورة القصص، من الآية ٧٥.

(٥) سورة سبأ ، الآية ١٨.

(٦) سورة النحل، من الآية ١١٢.

عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدينا بحذا فيرها) [1]. وقال: (إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا) [2].

ويقول الماوردي (رحمه الله) : (أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنشر فيه الهمم، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة وقد قال بعض الحكماء: (الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش) لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن مصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم، وانتظام جملتهم) [3].

ومن خلال الوقوف على المفهوم الإصطلاحي للأمن ومغزاه نجد أن الأمن أكثر بعداً من مجرد تلبية الحاجة إلى الطعام، والدواء[4].

وذلك لأن الإسلام يحبب الحياة للناس، وهو لذلك يحررهم من الخوف، ويرسم الطريقة المثلى لتعيش الإنسانية متجهة إلى غاياتها من الرقي والتقدم، وهي مظللة بظلال الأمن الوارفة، فلفظ الإسلام مأخوذ من السلام، وكلاهما يلتقيان في توفير الطمأنينة ، والأمن والسكنية ، وتحيته السلام التي تؤلف القلوب، وتقوى الصلات، وتدلل على دين الأمان[5].

والسلام تحية أهل الجنة[6]. لقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ ﴾ [7].

(١) ابن ماجة، السنن، ١٣٨٧/٢.

(٢) السيد سابق، فقه السنة ٦/٣.

(٣) الماوردي، ادب الدنيا والدين، ص ١٤٤.

(٤) دراز، محمد عبد الله (دكتور) دراسات إسلامية، (بيروت ، ١٣٩٤هـ) ص٥٧.

(٥) سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، (القاهرة، ١٩٦٣م) ٥/٣.

(٦) ابن حنبل، المسند، ٤١٧/٥.

(٧) سورة الأحزاب، من الآية ٤٤.

وقوله تعالى : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾[1].

وهذا يعني أن للأمن مفهوماً شمولياً في الإسلام وحيث حددت الشريعة الإسلامية في مقاصدها الأمور الضرورية التي لاتقوم الحياة إلا بها وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال[2].وأن مهمة الأمن هي صيانه دين الإنسان، وعقله ونفسه، وماله وعرضه وإذا ما تحقق الأمن الشامل فإن نعمة كبرى تحل على الفرد، والمجتمع على عكس الخوف والرعب اللذين إذا ما حلا على الإنسان أصاباه بأشد البلاء والمصائب[3]. لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[4].

٣ـ التدابير الأمنية خلال المرحلة السرية للدعوة الإسلامية :

أ ـ مفهوم السر والكتمان :

إن مفهوم السر والكتمان في الدعوى الإسلامية يشمل سرية الدعوة نفسها وسرية ممارسة ما أتت به هذه الدعوة من شعائر وإجراءات تنظيمية واحترازته، أي جعل الذين يدخلون في الإسلام جماعة واحدة منفصلة عن المجتمع غير المسلم ويميز هذه الجماعة العقيدة والقيم والنظام التي يصدر من القيادة الموجهة لهذه الجماعة والمتمثلة بالنبي الأكرم محمدﷺ.

---

(١) سورة يونس، من الآية/١٠.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ١٩/٤.

(٣) حماني، الشيخ، أحمد، دور الأمن والتربية في تكوين الجيل المسلم(الرياض، ١٤٠٧هـ) ٤٠/٢.

(٤) سورة النور، الآية ٥٥.

ب ـ أمثلة من التدابير الأمنية خلال هذه المرحلة :

يحدد ابن إسحاق والواقدي هذه المرحلة بثلاث سنين [1].

بدأت في مكة وكانت الدعوة مقتصرة على من يأنس به من الأقارب والأصحاب ولا يجهز على الملأ بالدعوة إلى الدين الجديد من عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأوثان وذلك تحاشياً من مفاجأة قريش بما يخالف وثنيتها وقد كانت من شدة التعصب لها بمكان، وكان من يدخلون في الإسلام يدخلون سراً ويجتمعون بالنبي ﷺ سراً من أجل تعليمهم الدين الجديد وما يتنزل به الوحي من السماء على قلب رسول الله ﷺ كما كانوا يمارسون عبادتهم في السر في بيوتهم إذا خلت، أوفي شعاب مكة بعيداً عن عيون الرقباء، ومما يدل على التدابير الأمنية واعتماد السرية في الدعوة الإسلامية في طورها الأول، هو ما ذكره المحدثون والمؤرخون ولنأخذ مثل على ذلك هو أمر إسلام أبا ذو الغفاري رضي الله عنه فقد كان يرى نفسه ربع الإسلام[2]. وهذا يتعارض مع كلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه وتعبيره إجابه عن سؤال عمن أسلم يومئذ بقوله (فلقد رأيتني إذ ذاك ربع الإسلام)[3]. إنما هو بحسب ما بدا له، لأن الرسول ﷺ كان يكتم أسماء من أسلم لضمان سلامتهم من الأذى ، وإلا فقد كان عدد المسلمين أكثر من ذلك في المرحلة التي أظهرت فيها قريش جرأتها على الإسلام وأذاها للمسلمين كما يدل قول الرسول ﷺ : ألا ترى حالي وحال الناس، وكان من إجراءاته الأمنية عليه الصلاة في هذه المرحلة أنه كان يأمر من يسلم في مكة المكرمة من غير قريش باللحوق بقومه وعدم البقاء في مكة خوفاً عليه من قريش أولاً، ولأن بقاءه في مكة لا يجلب للدعوة نفعاً ثانياً، ولعدم وجود من يحميه

(١) ابن هشام، السيرة، ٢٦٢/١، وينظر ابن سعد، الطبقات، ١٩٩/١.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير ١٥٥/٢، والحاكم: المستدرك ، الذهبي ، ميزان الاعتدال ٨٧/٤.

(٣) أحمد، المسند، ١١٢/٤، ابن سعد، الطبقات ٢١٥/٤ والطبري، تاريخ ٣١٥/٢.

ثالثاً، كما أمر عمر بن عبسه السلمي وأبا ذوي الغفاري والطفيل بن عمرو الدوسي[1]. رضي الله عنهم.

ومن إجراءاته عليه الصلاة والسلام وتدابيره الأحترازية منعه المسلمين من الرد على أذى المشركين بما يماثله، وأمره لهم بكف الأيدي والصبر والابتعاد عن المجابهة مع مافيهم من نخوة وما تحمله نفوسهم من إباء ورجولة ومنهم رجال لا يصبرون على ضيم أمثال حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وطلحة [2]. رضي الله عنهم أجمعين وكان أمر رسول الله ﷺ تنفيذاً لأمر الله جل في علاه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[3].

ومن تدابير الرسول ﷺ الأمنية أيضاً اختفاؤه واصحابه في دار الأرقم بن أبي الأوقم وعدم ظهورهم للناس مجتمعين ، وعندما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلب الظهور قال له: إنا قليل وقد رأيت ما لا قينا [4]. وقال له: يا عمر استره ،قال فقلت: والذي بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك [5].

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر المسلمين بالتفرق في شعاب مكة لأداء الصلاة عندما يحين وقتها، كي لا يكشف المشركون أمرهم فيعذبونهم[6]. وتلك إجراءات أمنية أيضاً لا بد منها في تلك المرحلة لحماية المسلمين الأوائل.

(١) مسلم، الصحيح، ٥٦٩/١ وينظر ابن كثير، السيرة النبوية، ٢١٧/١-٢٢١.
(٢) سيد،قطب، في ظلال القرآن، ٢٦٦/١ وينظر العاني، أساليب الدعوة، ص ١٥.
(٣) سورة النساء من الآية٧٧.
(٤) ابن إسحاق، السير المغازي ص ١٨٣ وابن سعد الطبقات ، ٢٤٢/٣، ابن هشام ٣٤٤/١ ا وابن كثير البداية والنهاية، ٣٠/٣، وابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٢٨/١.
(٥) ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب ، ٢٨١/١، الطبري، تاريخ، ٢١٦/٢.
(٦) ابن هشام، السيرة ٢٨١/١، الطبري، تاريه، ٢١٦/٢.

٤ـ التدابير الأمنية خلال مرحلة الدعوة العلنية :

إنقضت مرحلة الدعوة السرية بنزول الآية ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [١].

بعد أن أقام عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين يدعوا إلى الله مستخفياً ثم نزل عليه ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [٢]. فأعلن ﷺ بالدعوة .. واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى إذن الله لهم بالهجرتين) [٣].

وقد أمر الرسول اللهﷺ أتباعه بالتزام الحيطة والحذر والتخفي... إلى أن يقضي الله أمره....) [٤]. ويبدو أن مرحلة الظهور والإعلان لم يكن دفعة واحدة وإن كان قد بلغ مداه حين أعلن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إسلامه. ولم يمنع ما اتخذه الرسول ﷺ من تدابير أمنية لتخليص المستضعفين من إخوانه المسلمين من وطأة التعذيب والاضطهاد، وشجع أصحابه الأغنياء من أمثال أبي بكر رضي الله عنه على شرائهم من ماليكهم المشركين، من أجل عتقهم[٥]. فقد بلغ التعذيب بالمسلمين حد الموت، حين قتل أبو جهل سمية رضي الله عنه التي أغلظت له اقول بعد استشهاد زوجها ياسر رضي الله عنه من التعذيب[٦].

فلما لم يجد ذلك نفعاً، اضطر رسول اللهﷺ إلى أن يتخذ خطوة أمنية تكفل للمسلمين سلامتهم، ولو لبعض الوقت، وتجنبهم شرور المشركين، فأمرهم، عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى الحبشة: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده

(١) سورة الشعراء، من الآية/٢١٤.
(٢) سورة الحجر، من الآية/٩٤.
(٣) اي الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة، ينظر ابن القيم زاد المعاد ٨٦/١، وابن هشام(الروض الآنف، ٢٨٥/١)
(٤) خليل، عماد الدين، دراسة في السيرة ص ٦٢-٦٣.
(٥) ابن هشام، السيرة،/ ٣١٨/١-٣١٩.
(٦) ابن هشم، السيرة، ٣٤٣/١.

أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه) [١].

لم يكف المشركون أذاهم عن المسلمين حتى بعد هجرة الكثيرين منهم إلى الحبشة إذ تابعوا المسلمين في ملاذهم الآمن (الحبشة) وبعثوا برسلهم يحملون الهدايا إلى النجاشي لكي يعيد المهاجرين منهم إليهم ولا سيما أن بعض الكهنة الأحباش كانوا قد أيدوا الطلب، غير أن النجاشي الذي سمع المناظرة بين الطرفين .. رفض تسليمهم [٢]. فكان ذلك مدعاة لأن يشدد زعماء قريش من المشركين عداءهم للرسول ﷺ فأجمعوا على قتله عليه الصلاة والسلام فكتبوا صحيفة بأن لا يناكحوا بني هاشم، ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم ، وعلقوها في داخل الكعبة وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب سنة سبعة للبعثة فانحاز بنو عبد المطلب مع بني هاشم سوى أبي لهب الذي وقف ضدهم، حيث قطعوا عنهم الميرة، والمادة ثلاث سنوات حتى بلغهم الجهد [٣]. وفقد خلالها الرسول ﷺ عمه أبا طالب وزوجته خديجة رضي الله عنها وكانت سنة الأحزان والشدائد حيث زاد اضطهاد قريش بعد أن خذله عمه أبو لهب الذي حل محل أبي طالب. واشتد على المسلمين البلاء والجهد والجوع فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من قريش على ما حدث وأجمعوا على نقض الصحيفة، وقد أعلمهم الرسول ﷺ بأنه لم يبق فيها سوى كلمات الشرك والظلم [٤]. وهكذا انتهت المقاطعة.

وبعد رحلة الطائف الأليمة وقع حادث الإسراء والمعراج فكان مواساة لرسول

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٣٢١/١، اليعقوبي ، تاريخ ٢٣/٢ ، وابن كثير ، تفسير ٢٩٦/٢.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٢٥٦/١، ٢٥٨، ٢٦٠.

(٣) ابن هشام، السيرة، ٣٧٥/١، وابن سعد الطبقات ، ٢٠٨/١-٢٠٩.

(٤) ذكر ابن هشام أنهم وجدوا الأرضة قد اكلت جميع ما في الصحيفة إلا اسم الله تعالى، وقال ابن اسحاق وموسى بن عقبة وعروة عكس ذلك أن الأرضة لم تدع أسماً لله تعالى إلا أكلته وبقي ما فيها من الظلم والقطيعة، ابن حجر العسقلاني فتح الباري ١٩٢/٧.

اللهﷺ وقد أرخ الزهري رحمه الله ذلك قبل خروجه إلى المدينة بسنة [1]. وحادث الإسراء والمعراج ثابت بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [2].

٥ـ المدينة ملاذ المسلمين الآمن :

أمر الرسول اللهﷺ المسلمين بالهجرة إلى يثرب متفرقين وبشكل سري [3]. من أجل تأمين سلامتهم بقوله: (إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا، وداراً تأمنون بها) [4].

كما أمرهم أن يسلكوا طرقاً غير معروفة لغرض الوصول إلى يثرب من أجل تأمين السرية اللازمة لهذه المهمة الخالدة[5].

الأمر الذي دفع رؤساء قريش إلى الإجتماع، في دار الندوة للتشاور فيما يصنعون من أمر النبي ﷺ الذي لم يهاجر بعد، حيث قرروا التخلص منه بقتله عليه الصلاة والسلام قبل أن يلتحق بأصحابه فيصبحوا ذووا شأن[6]: حسب رأيهم، فأوحى الله سحبانه وتعالى بذلك للنبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [7]. ثم

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ٣٥٤/٢ والذهبي، تاريخ الإسلام ١٤١/١ وابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠٧/٣.

(٢) سورة الإسراء الآية/١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ٢٢٦/١، الديار بكري ، الشيخ حسين بن محمد بن الحسن(ت ٨٤٢هـ) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفسي (بيروت، ب ت) ٣٢٠/١.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ١١١/٢.

(٥) خطاب، الرسول الله القائد، (بغداد، ١٩٦٠م) ص ٦٩ باشميل، محمد أحمد غزوة بدر، (بيروت، ١٩٧٤م) ص ٦٥-٦٦.

(٦) الطبري، تاريخ، ٢٤٢/٢-٢٤٣ الديار بكري، تاريخ الخميس ، ٣٢١/١.

(٧) سورة الأنفال، الآية /٣٠.

تأذن سبحانه وتعالى له بالهجرة لذلك ترك علياً بن أبي طالب رضي الله عنه في فراشه واصطحب عليه الصلاة والسلام أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى غار في جبل ثور بأسفل مكة حيث مكثا فيه ثلاثة أيام ينتظرون انجلاء الموقف. وفي ذلك من الإعتبارات الأمنية مايشكل تدابير غاية في الاحتراز والسرية [1].

٦- التدابير الأمنية في طريق الهجرة :

تشكل في هذه الهجرة المباركة إلى المدينة المنورة أول جهاز أمني منظم في الإسلام. قوامه ستة أشخاص. بقياد الرسول ﷺ وهم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وعبد الله بن أبي بكر وابنته أسماء رضي الله عنهم وراعي الغنم عامر بن فهيرة والدليل الذي استأجره أبو بكر رضي الله عنه ليهديهم إلى طريق يثرب، عبد الله بن أريقط الليثي [2]. وهو من بني الديل وهو من بني عدي بن عدي – هادياً خريتاً [3]. وهو على دين الكفار فدفعا غليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث [4]. وتشير رواية صحيحة أخرى إلى أن رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه (ركبا فانطلقا حتى أتيا الغار وهو بثور) [5].

ولقد أرخ الزهري لهجرة المصطفى ﷺ : قال الزهري رحمه الله(مكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقية ذي الحجة ، والمحرم وصفر ثم إن مشركي قريش اجتمعوا) يعني

---

(١) الأحبابي، طه عباس أحمد، رسالة دكتوراه بعنوان (الأمن العسكري في صدر الإسلام) إلى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا (غير منشورة) ص١١١.

(٢) ابن سعد ، الطبقات، ٢٢٩/١ وعبد الله بن أرقد في الطبري، تاريخ ٢٤٦/٢.

(٣) قال الزهري، والخريت الماهر بالهداية، ينظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري، ٢٣٨/٧ وقد سماه ابن إسحاق (عبد الله بن أرقط).

(٤) البخاري، الصحيح، (فتح الباري ٢٣١/٧–٢٣٢).

(٥) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ٣٨٩/٧).

على قتله – وقال : الحاكم : وقد أذن الله تعالى لرسولهﷺ بالهجرة إلى المدينة، وكان يتردد على بيت أبي بكر كل يوم صباح ومساء لا يكاد يدع ذلك [1].فلما أذن له: الهجرة جاءهم وقت الظهر لأن الناس تأوي إلى بيوتها للقيلولة فراراً من الحر، وتقنعه يفيد شعوره بالخطر من حوله فقد اعتزمت قريش قتله، ولا بد أنها ستعمد إلى رصد تحركه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [2].

وثمة رواية حسنة تفيد أن رسول اللهﷺ انطلق إلى الغار من بيته، حيث حاصره المشركون يريدون قتله فلبس علي رضي الله عنه ثوبه ونام مكانه واخترق رسول اللهﷺ حصار المشركين دون أن يروه، بعد أن أوصى علياً بأن يخبر أبا بكر أن يلحق به، فجاء أبو بكر وعلي نائم،وأبو بكر رضي الله عنه يحسب أنه نبي اللهﷺ قال فقال: يا نبي الله فقال له علي: إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون. فادركه قال فانطلق ابو بكر رضي الله عنه فدخل معه الغار. قال وجعل علي يرمى بالحجار ة، كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور ، قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح [3]. ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم ! كان صاحبك نرميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك [4].

لقد كان غار ثور قد تحدد منطلقاً للهجرة وضرب الموعد مع الدليل في ذلك المكان وكان خروج المصطفى والصديق إلى الغار ليلاً [5].

(١) البخاري، الصحيح (فتح الباري٧/٢٣٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية/٣٠.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف ١٤/٤٨٨-٤٨٩، أحمد، المسند١/٨٤ والنسائي:الخصائص ١٣٤-١٣٥ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٣/٣٠٢ ، والبوصيري ،إتحاف المهرة الخيرة، ٩٣.

(٤) أحمد، المسند ٥/٢٦-٢٧، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/١١٩-١٢٠ ابن حجر، التقريب٦٢٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ١/٢٢٧.

لقد حمل أبو بكر رضي الله عنه ثروته ليضعها تحت تصرف الرسول الله ﷺ وقد ذكرت أسماء ابنته أنها خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم [1].وقد كان عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما العين الذي كلف بمهمة رصد المشركين وتحركاتهم ولا سيما خصصوا مكافأة لم يدل على النبي ﷺ [2].

وأما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فقد كانت أول مسلمة تقوم بمهمة أمنية في تاريخ الإسلام، إذ كانت تساعد أخاها عبد الله في تزويد النبي ﷺ بما يحاك ضده من مؤامرات المشركين.

ولا سيما عندما يتعذر عليه الوصول إلى الغار بسبب تكثيف المراقبة من قبل المشركين فضلاً عن دورها في نقل الماء والطعام على رغم من بعد الغار وضرورة المسير عبر طرق ومسالك غير مطروقة من أجل تمويه الطريق خشية أن يقتفي أثرها أحد [3]. وكان دور الصحابي عامر بن فهيرة الرعي على مقربة من الغار لمراقبة الطريق ومحو الآثار وتوفير الحليب [4].

لقد أرخت إحدى الروايات خروج النبي ﷺ من الغار في ليلة الإثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول، وأدركتهما القيلولة ظهر يوم الثلاثاء بقديد [5].

لقد مضى الإثنان في الطريق إلى المدينة وهما يحسان برصد المشركين لهما قال أبو بكر رضي الله عنه (أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلاً) [6].

(١) الحاكم، المستدرك ٥/٣ وابن هاشم ٤٨٨/١.

(٢) الطبري، تاريخ ٢٤٧/٢.

(٣) الديار بكري، تاريخ الخميس ٥/٣، وابن هشام ٣٣٠/١.

(٤) ابن هشام، السيرة ١٣٠/٢، وابن سعد، الطبقات، ٢٢٩/١، وابن كثير، البداية والنهاية ١٠٤/٣.

(٥) ابن سعد الطبقات، ٢٣٢/١ البخاري، التاريخ الكبير، مطبعة دار المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن، ١، ٨٤/٢/١٢٦٢.

(٦) البخاري، الصحيح، فتح الباري ٢٥٥/٧.

ثم قال أبو بكر رضي الله عنه (أسرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهير، وخلال الطريق فلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكاناً ينام فيه النبي ﷺ في ظلها ثم بسطت عليه فروة، ثم قلت(نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك فنام) ثم حكى أبو بكر رضي الله عنه خبر مرور راع بهما فطلب منه لبناً، وصادف استيقاظ الرسول ﷺ فشرب ثم قال: (لم يأن للرحيل) قلت بلى قال: فارتحلنا بعد ما زالت الشمس ويروي الصحابي قيس بن النعمان السكوني قصة نزولهما عند أبي معبد ونصها: (ولما انطلق رسول اللهﷺ وأبو بكر يستخفيان نزلا بأبي معبد فقال ما لنا شاة وأن شاءنا لحوامل فما بقي لنا لبن، فقال رسول اللهﷺ: احسبه فما تلك الشاة؟ فأتي بها فدعا رسول اللهﷺ بالبركة عليها، ثم حلب عساً فسقاه، ثم شربوا فقال أنت الذي يزعم قريش أنك صابيء؟ قال: إنهم ليقولون .قال : أشهد أن ما جئت به حق ثم قال: أتبعك قال: لاحتى تسمع أنا قد ظهرنا فاتبعه بعد) وهذا الخبر فيه معجزة حسية للرسول ﷺ شاهدها أبو معبد فأسلم) [1]. وأمره أن يكتم إسلامه.

أما قصة سراقة وما كان فيها من المخاطر ومن التأييد الرباني للرسول اللهﷺ وحفظه له، يقول الصديق رضي الله عنه : (فارتحلنا بعدها زالت الشمس، واتبعنا سراقة بن مالك ونحن في جلد في الأرض) [2].

ولندع سراقة نفسه يحكي القصة: فقد ذكر رواية صحيحة أنه اقترب من الإثنين حتى سمع قراءة رسول اللهﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الإلتفات ، كما

(١) ابن حجر العسقلاني، الإصابة٥/٥٠٦.
(٢) مسلم، الصحيح، ٢١٠٣/٤.

ذكر أنه عرض عليهما الزاد والمتاع فلم يأخذا منه شيئاً ، وأن وصيته كانت : أخف عنا) [1].

وتذكر رواية صحيحة أنه صار آخر النهار مسلمة للنبي ﷺ بعد أن كان جاهداً عليه أوله . وأن الرسول اللهﷺ هو الذي دعا عليه فصرع الفرس [2].

ومن الإحترازات الأمنية التي اتخذها الرسول عليه الصلاة والسلام والصديق رضي الله عنه أنه قد احتاط الإثنان في الكلام مع الناس الذين يقابلوهم في الطريق، فإذا سئل ابو بكر عن رسول الله قال: هذا رجل يهديني السبيل، ، فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير[3].

وقد صح أن الدليل أخذ بهم طريق السواحل. وفصَّل ابن إسحاق وصف الطريق الذي سلكوه فقال: فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما اسفل مكة، ... وقال ابن هشام، ثم هبط بهما العرج[4]. وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم، فحمل رسول اللهﷺ رجل من أسلم أوس بن حجر على جمل له يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلام يقال له مسعود بن هنيدة ثم خرج بهما دليلهما من العرج... ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل[5].

---

(١) البخاري، الصحيح، (فتح الباري ٢٣٨/٧-٢٣٩).

(٢) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ٢٤٩/٧-٢٥٠)

(٣) البخاري، الصحيح، (فتح الباري ، ٢٤٩/٧-٢٥٠)

(٤) العرج: بفتح العين وسكون الراء، عقبة بين مكة والمدينة على جارة الحاج، الحازمي أبو بكر محمد بن موسى (٥٨٤هـ) كتاب ما اتفق لفظه وافترق في الأماكن والبلدان ، ص ٢٧٤(مخطوطة رقم ٥٣ في مركز أحياء التراث العلمي العربي) — بغداد.

(٥) الحاكم، المستدرك، ٨/٣، وابن حجر ، فتح الباري ، ٢٣٨/٧.

٧ـ التدابير الأمنية في المدينة المنورة :

بعد وصول الرسول اللهﷺ إلى المدينة بفضل الله ثم بأخذه بالأسباب واعتماد الخطة التي تم ذكرها وما فيها من تدابير أمنية دقيقة ومحكمة أدت إلى وصوله عليه الصلاة والسلام مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه إلى المدينة المنورة سالماً في ربيع الأول الموافق لأيلول من عام ٦٢٢[1]. ومن هنا كان مبتدأ التاريخ الإسلامي لكنهم أخروا ذلك من ربيع الأول إلى المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم، وكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ التاريخ الإسلامي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

وأنشأ عليه الصلاة والسلام دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة وأصبحت للمسلمين شوكة وقوة وازداد شعور المسلمين ، بالمسؤولية وأصبح كل واحد منهم سواء أكان من المهاجرين أوالأنصار مهتماً بأمن وسلامة هذه الدولة الوليدة يتحسسون الأخبار وتحركات المشركين واليهود والفرس والروم وكانوا يبلغون كلما يدور من أخبار يمكن أن تمس أمن الدولة العربية الإسلامية الفتية[3].

واختار رسول اللهﷺ الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليكون أميناً لسره وأصبح يتلقى الأوامر منه مباشرة فلا يبوح لسواه بأية معلومات يطلع عليها[4]. في

(١) الطبري، تاريخ ٢٥٥/٢ وينظر بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٢٦٨/٧.

(٣) الهرفي، محمد سلامة (دكتور) المخابرات ص٣٦.

(٤) ابن عبد البر، أبو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٢هـ) الإستيعاب في معرفة الأصحاب طبعة (القاهرة ، ب ت) ص ٣٤٣ وينظر باشميل ، محمد أحمد معركة احد(بيروت ، ١٩٨٣م) ص ١٤٢ هامش ١١٤.

وقت لم يكن يعلم فيه أحد من المسلمين بخبره، خشية أن يتحاشاه المنافقون[١].فيبوء عمله المؤتمن عليه بالفشل .

ويعد زيد بن ثابت رضي الله عنه رجل الأمن الثاني بعد ابن اليمان رضي الله عنه بالنسبة للرسول ﷺ، إذا كان يكتب ، ويقرأ له بعدة لغات[٢]. حيث تعلم الفارسية من رسول كسرى ، والرومانية من حاجب الرسول ﷺ والحبشية، والقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام[٣].

ولذلك كان يطلع على ما يصل الرسول ﷺ، أو ما يرسله بهذه اللغات ، من أخبار[٤]. وقد أمر الرسول ﷺ بتعليم اليهودية حيث قال: (إني لا آمن يهودياً على كتابي) [٥].

فحذقها بسرعة مدهشة للغرض نفسه[٦].وكان قيس بن سعد بن عبادة من النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، مكان صاحب الشرطة من الأمير[٧].كما تشير الروايات التاريخية أنه كان للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه دوراً كبيراً منذ بداية الدعوة الإسلامية وحضوره الإجتماع السري مع وفد يثرب في بيعة العقبة الأخيرة على الرغم من كونه على دين قومه آنذاك فقد قام بتزيد النبي ﷺ بمعلومات مهمة عن نوايا قريش وتحركاتها ضد المسلمين ولذلك لما ستأذن من الرسول ﷺ الهجرة إلى يثرب سراً نصحه

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة ٣٩١/١ وينظر ابن عبد البر، الاستيعاب ص ٣٥٠.

(٢) الهرفي، سلامة محمد، المخابرات ص٣٤.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٤٤/٤.

(٤) محفوظ، المدخل إلى العقيدة ، ١٥٤ وينظر ، دراج، أحمد السيد (دكتور) ، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، (مكة المكرمة، ١٤٠١هـ) ص ١٤ وينظر الكتاني ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدراية ، (بيروت ، ب ت) ٢٠٢/١.

(٥) أبو داود، السنن ٣١٨/٣ وينظر الذهبي، تذكرة الحفاظ ، ٣١/١، ٦٩٧/٢–٦٩٨.

(٦) الطبري، تاريخ، ٤٢/٣.

(٧) ابن عبد البر، الإستيعاب ، ٣/ ٢١٨ ، وينظر ابن حجر العسقلاني الإصابة ، ٣٧٩/٣.

ﷺ بالبقاء في مكة لأن في ذلك نفع كبير للمسلمين ، وقال له: (إن مقامك في مكة خير... ياعم لا ترم منزولك أنت وبنوك... حتى آتيك فإن لي فيكم حاجة) [1].

٨ـ أمثلة على التدابير الأمنية في السرايا والغزوات :

لقد كانت الأجراءات الأمنية في السرايا والمعارك التي حدثت بعد قيام الدولة الإسلامية أكثر حنكة وأدق تدبيراً وأحسن أداء منها في فترة الدعوة الإسلامية في العهد المكي وذلك لأن إمكانيات الدولة أكبر من إمكانيات الجماعة وأن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ونظراً لسعة هذا الموضوع لذا سنقتطف نموذج من الإجراءات الأمنية التي أمر بها الرسول ﷺ عندا كان يبعث السرايا والبعوث ويقود المعارك والغزوات ، ومنها:

١- يرى الواقدي أنه في سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار [2].بعد تسعة أشهر من الهجرة ولأجل المباغتة فقد كانت المجموعة (تكمن النهار وتسير ليلاً) [3].

٢- وكانت سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى موضع نخلة قرب مكة سنة ٢هـ [4]. قد تحققت فيها السرية التامة لما اتخذه رسول الله ﷺ من احتزازات أمنية وأخفى الهدف من هذه الحملة حتى على السرية وقائدها[5].وكانوا ثمانية من المهاجرين[6]. فقد أعطاه رسول الله ﷺ كتاباً مختوماً طلب منه أن لا يرى ما فيه إلا بعد

---

(١) ابن كثير، تفسير، ٣١٢/٢، الديار بكري، تاريخ الخميس ، ١٦٥/١ وينظر الكتابي الحكومة، ٣٦٣/١ والهرفي، الخابرات ص ٤٧. نقلاً عن الأحبابي، الأمن العسكري في صدر الإسلام ، ص ١٩.

(٢) الخرار: بفتح الخاء وتشديد الراء الأولى موضع من ناحية الحجاز ويقال قرب الجحفة وفي حديث السرايا قال ابن اسحاق: وبعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص مع ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرار من ارض الحجاز ثم رجع ولم يلق كيداً، ينظر الحازمي، الأماكن والبلدان ، (مخطوطة) ص ١٥٥.

(٣) الواقدي، المغازي، ١١/١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١٠/٢.

(٥) الدليمي، فاضل حمادي ، الإستخبارات ص ١٠٩.

(٦) وقيل اثنا عشر مهاجراً ، وينظر ابن سعد ، الطبقات ، ١٠/٢.

مسيرة يومين[١].

فلما فتحه قرأ فيه: (سر حتى تأتي بطن نخلة، على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك وأمض أمري، فيمن تبعك فترصد بها عير قريش، وتعلم لنا من أخبارهم) [٢].

٣- التدابير الأمنية في معركة بدر الكبرى: لقد كان رسول الله ﷺ كتوماً لسره حريصاً على تربية الصحابة رضوان الله عليهم على حفظ السر ولقد حثهم بقوله: (إستعينوا على قضاء حوائجكم: بالكتمان فان كل ذي نعمه محسود) [٣].وحذرهم من التحدث بكل كلام يصل إلى مسامعهم بقوله : (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع)[٤]. وقال مؤدباً ومعلماً (رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم) [٥].

وكان عليه الصلاة والسلام الرسول والقائد القدوة الحسنة لهم فراح يضرب المثل في تقصي الأخبار[٦]. إذ خرج ﷺ بنفسه مع صاحبه أبو بكر رضي الله عنه قبيل معركة بدر فاستوقفا أعرابياً، وسألاه عن أخبار محمد، وقريش، بصورة غير مباشرة، لكنه رفض الإجابة قبل أن يعرفاه بنفسيهما[٧].فقال له الرسول ﷺ، إذا أخبرتنا أخبرناك عندها حدد الأعرابي وقت خروج قريش والمكان الذي بلغته فقال له، عليه الصلاة والسلام ، نحن من

(١) الطبري، تاريخ ٤١١/٢ واليعقوبي ،تاريخ ص ٥٨.
(٢) ابن هشام، السيرة، ٢٥٢/٢ ، والواقدي ، المغازي ١٣/١-١٤ والديار بكري تاريخ الخميس ٣٦٥/١.
(٣) البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت٤٧٠هـ) المحاسن والمساوئ (بيروت ، ١٩٦٠) ج٨٣/٢ والسيوطي، الجامع ١٥٠/١.
(٤) النووي، رياض الصالحين، ص ٥٥١.
(٥) السيوطي، الجامع ٨٣/١.
(٦) مسلم، الصحيح، ٢٩٤، ابن حنبل ، المسند ١١٧/١.
(٧) الطبري: تاريخ ، ٤٣٦/٢ ، ابن كثير، البداية والنهاية ٣٦١/٣.

ماء[1]. لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾[2]. وكان صادقاً في قوله لكنه استخدم حنكتـه في إخفـاء شخصـيتهما لكـي لا يسـتفيد العـدو مـن هـذا الكشـف واستطاع عليه الصلاة والسلام الوقوف على أخبار العدو وتوظيف ذلك للمعركة القادمة.

ومرة أخرى يقـدم الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام درسـاً عمليـاً في معرفـة أخبـار وأسرار العدو من جواسيسهم ليس بالضرب وإنما بالفطنة واللباقة والذكاء. فحينما ألقت عيون المسلمين القبض على غلامين كانت قريش قد بعثتهما، بحجـة السـقي، للتجسـس على المسلمين أثناء استعدادها لمعركة بدر، فقـام الرسـول ﷺ المثـل الأعلـى للمسـلمين في استنطاقهما بعد فشل عيون المسلمين في ذلك [3].حيث اضطروا لضـربهما فنهـاهم ﷺ عـن ذلك بقوله: (إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما) [4].

فسألهما عليه الصلاة والسلام : كم ينحر القرشيون من الإبل يومياً لجيشهم؟

فقالا: يوماً تسـعاً ويومـاً عشـراً فاسـتنتج عليـه الصـلاة والسـلام أن عـدد الجـيش يتراوح بين السـتعمائة والألـف، كمـا عـرف منهمـا أن وجـوه قـريش كانـت علـى رأس جيشها[5].فأيقن من شدة المعركة المرتقبة لذلك كانـت اسـتعداداته ﷺ الأمنيـة علـى ذات الدرجة مـن الأهميـة، ولا سيما أن عـدد أفـراد جـيش المسـلمين لا يسـاوي ثلـث جـيش

(١) ابن هشام، السيرة ٢٦٧/٢-٢٦٨، الطبري ، تـاريخ ٤٣٥/٢، الـدينوري، الأخبـار ، ٣٦١/١ وابـن سـيد النـاس، عيون الأثر ص ٢٩٩، الكناني نظام الحكومة ٢٦١/١.

(٢) سورة الطارق ، الآيتان ، ٥،٦.

(٣) ابن هشام، السيرة ، ٢٦٨/٢ وينظر فرج، محمد (العقيد)، المدرسة ص ٢٩٩.

(٤) الطبري تاريخ ، ٤٣٦/٢ ، إبـراهيم محمـد أبـو الفضـل والبجـادي، علـي محمـد، أيـام العـرب في الإسـلام طبعـة (بيروت، ١٩٧٣م) ص ١٥.

(٥) الواقدي، المغازي، ٥٢/١-٥٣ الطبري ، تاريخ ، ٤٣٦/٢.

المشركين[1].

لذا يستوجب معرفة المزيد من أخبار المشركين وجيشهم فقد أرسل اثنين من العيون الثقات هما كل من بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء، رضي الله عنهما وهما من جهينة لكي يأتياه بخبر حشود قريش[2].

كما أرسل عليه الصلاة والسلام اثنين من رجال الإستطلاع قبل عشرة أيام من معركة بدر هما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لكي يستطلعا أمر مشركي قريش[3].

ثانياً : اتقاء خطر العيون ومكافحة التجسس :

تعرضنا بشكل سريع في (البند أولاً) إلى بعض الإجراءات الإحترازية والتدابير الأمنية التي اعتمدها الرسول ﷺ قبل الهجرة وبعدها وكيف أنه كان يختار عيونه ممن يتوسم بها الكفاءة والثقة والصدق وحسن التدبير بقصد التعرف على قوة العدو وتوجهاته ومخططاته أولاً وحماية وتحصين صفوف المجاهدين من عمليات الإختراق والإرباك والتخذيل ثانياً لذا فقد أرسى رسول الله ﷺ مبادئ وقواعد دقيقة ومحكمة في سياسة الحرب والسلم في الدولة الإسلامية ووضع نظاماً للعلاقات الخارجية مع الآخرين. ومن خلال هذا النظام وتلك القواعد يمكن البحث في تجنيد العيون لمراقبة تحركات الأعداء وكذلك معرفة الإجراءات الإحترازية ومكافحة عمليات التجسس التي تستهدف الدولة والأمة والجيش والفرد والمجتمع. لذا فإن الضرورة تقتضي البحث في موضوع

(١) ابن هشام، السيرة ، ٢٦٨/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٥/٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٢٦٦/٢، ٢٦٥ ، ابن سعد ، الطبقات ١٢/١.

(٣) الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب(ت٢٠٤هـ) جمهرة النسب (الكويت ، ١٩٨٣) ص ٢٥١ وينظر الزبيدي ، نسب قريش ٣٦٥/١ والواقدي ، المغازي ، ١٩/١.

مكافحة التجسس ودرء أخطارهم، وهذا الأمر يدعو إلى معرفة معنى التجسس في اللغة وما هي الأعمال التي تعد من التجسس، وحكم الجاسوس سواء كان مسلم أو كافراً.

١ـ المفهوم اللغوي للتجسس :

قال الجوهري رحمه الله جسّ، أي جسَّه بيده أي مسه وجسست الأخبار وتجسستها أي تفحصت عنها ومنه الجاسوس. وكذلك في مختار الصحاح والمصباح[١].وفي القاموس المحيط الجسُّ... تفحص الأخبار، كالتجسس ومنه الجاسوس وجسه بعينه: أحدَّ النظر إليه ليتثبت) [٢].

وفي النهاية لابن الأثير: التجسس ... التفتيش عن بواطن الأمور) [٣].

وفي أساس البلاغة: (جس الطبيب يده... ومن المجاز: جسوه بأعينهم وتجسسوا الأخبار، وهو من جواسيس العدو) [٤].

هذا فيما يتعلق بالمفهوم اللغوي للتجسس وكلها تدور في فلك هذه المعاني: التتبع للمعلومات والأخبار، وتفحصها من أجل التثبت منها والتفتيش عن الأسرار، أو بواطن الأمور.

٢ـ المفهوم الإصطلاحي للتجسس عندالمتقدمين :

أي التجسس على عورات المسلمين، ونقل المعلومات التي تعد من الأخبار السرية في الحرب ومحاولة الحصول على المعلومات المتعلقة بالوضع العسكري للجيش الإسلامي، أو للدولة الإسلامية.

(١) الجوهري، الصحاح، ١٩٩١/١، ينظر الرازي، مختار الصحاح ، ص ٨٦ والمصباح المنير ص ٢٩.

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، ٢١١/٢.

(٣) ابن الأثير، النهاية ٢٧٢/١.

(٤) الزمخشري، أساس البلاغه، ص ٥٩-٦٠.

جاء في المصباح المنير: إن المراد بعورات المسلمين هنا هو : (العورة في الثغر والحرب: خلل يخاف منه والجمع عورات) [1].

وجاء في بعض ما يقوم به الجاسوس في هذا الصدد لمصلحة الأعداء قول الشافعي رحمه الله .. (كأن يكتب لهم كتاباً، أو يرسل رسولاً بأن المحل الفلاني للمسلمين ، لا حارس فيه، مثلاً ليأتوا منه) [2].

أما عن نقل المعلومات التي تعتبر من الأخبار السرية في الحرب فمثلاً ما ذكره الشافعي رحمه الله عن بعض ما يقوم به الجاسوس – قال (يكتب إلى المشركين من أهل الحرب بأن المسلمين يريدون غزوهم) [3]. أو حين تريد الدولة الإسلامية إحاطة التحضيرات العسكرية، لهذا الغرض بالسرية والكتمان، ثم يكتشف أحدهم هذا الأمر فيحاول أن يقوم بإخبار العدو وبذلك.

أما محاولة الحصول على المعلومات المتعلقة بالوضع العسكري للجيش الإسلامي أو الدول الإسلامية – فهو كما في قصة (العين) أو (الجاسوس) الذي تغدى مع المسلمين، وهم يستعدون لحرب (هوازن) في حنين على جيش المسلمين، ففي صحيح البخاري : (أتى النبي ﷺ عين من المشركين. فجلس عند أصحابه يتحدث..) [4]. وفي صحيح مسلم في القصة نفسها: (ثم تقدم يتغدى مع القوم وجعل ينظر، وفينا ضعفة، ورقة[5]. في الظهر[6].، وبعضها مشاة إذ خرج يشتد[1]. ،...)[2].

---

(١) المصباح المنير، ص ١٦٦.

(٢) الدردير، الشرح الكبير، ٢٠٥/٢.

(٣) الشافعي، الأم، ٢٤٩/٤.

(٤) البخاري ، الصحيح رقم (٣٠٥١) فتح الباري ١٦٨/٦.

(٥) أي حالة ضعف وهزال: ينظر مسلم، الصحيح بشرح النووي، ، ٣٤٦/٧.

(٦) الظهر... الدواب التي كانوا يركبونها، ينظر، ابن الأثير، جامع الأصول ، ١٨٢/٨.

وفي مسند أحمد في القصة نفسها أيضاً: (فأتى بعيره فقعد عليه، فخرج يركضه[٣]. وهو طليعة[٤]. للكفار..) [٥].

وعلى هذا فالمراد بالتجسس. في هذا البحث ليس هو مجرد الحصول على أية معلومات تتصل بأحوال المسلمين، ونقلها إلى الدول غير الإسلامية... وإنما هو الحصول على تلك المعلومات التي من شأنها أن يستفيد منها العدو، لإلحاق الضرر بالمسلمين مما له صلة بعوراتهم أي. نقاط الضعف في الجبهة الإسلامية وما يراد كتمانه عن العدو وما يتعلق بالوضع العسكري للدولة الإسلامية وما شاكل ذلك. لأنها هي التي ينطبق عليها اسم التجسس بمفهومه اللغوي أي: البحث عنها والتفحص لها والتفتيش بغرض الإستيلاء عليها نظراً لما لها من الخطورة التي تجعل الدولة تحرص على إخفائها، وتحيطها بحجب من السرية والكتمان. وتعتبر كل من يحاول الكشف عنها شخصياً مريباً يعمل لمصلحة الأعداء... كما أن تلك الأخبار والمعلومات الخطيرة التي كانت مدار النصوص الشرعية التي تعرضت لموضوع التجسس في الحرب، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهي التي كانت –أيضاً– مدار توصيات الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين لمن تقلدهم أمر الحرب في القادة العسكريين، إذ كانت تشدد عليهم أن لا يمكنوا العدو من الإطلاع على شيء من تلك الأخبار أو المعلومات التي اشرنا إليها... ومن ذلك ما جاء في وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه حين

(١) (أي يعدو) مسلم الصحيح بشرح النووي، ٣٤٦/٧.

(٢) مسلم، الصحيح رقم (١٧٥٤) ١٣٧٤/٣.

(٣) (يقال : ركضت الفرس، إذا ضربته لتعدو...) المصباح المنير ص٩٠.

(٤) (الطليعة: أي من يبعث إلى العدو ليطلع على أحوالهم ، وهو اسم جنس يشمل الواحد فما فوقه) ينظر فتح الباري ٥٢/٦.

(٥) أحمد بن حنبل، المسند، ٥١/٤.

وجهه على رأس جيش لتحرير الشام قال: (وإذا قدم عليك رسُل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم، حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهدون به ولا تريثهم فيروا خللك، (اي نقاط الضعف في استعداداتك العسكرية) ويعلموا علمك وأنزلهم في ثروة[1]. عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك، فيختلط أمرك) [2].

٣ـ المفهوم الإصطلاحي للتجسس عند المحدثين :

لقد عرض الفكر الإسلامي الحديث لبيان المراد بالتجسس والجواسيس فيما نص بصدده: ومن ذلك ما جاء في تعريف بعض الكتاب والمفكرين المحدثين للتجسس ومنها:

أ ـ تعريف الشيخ النبهاني : حيث قال: التجسس هو تفحص الأخبار... ومنه الجاسوس .. سواء تفحص الأخبار الظاهرة أو المخفية أما إذا رأى أشياء طبيعية دون تفحص أو جمع أخبارها لنشرها... فإن كل ذلك لا يكن تجسساً ما دام لم يتفحص الأخبار... وعلى ذلك لا يقال لمن يتتبع الأخبار وبجمعها كمراسلي الجرائد، ووكالات الأنباء، جاسوساً إلا أن يكون عمله التجسس... واتخذ المراسلة وسيلة للتغطية كما هي الحال مع كثير من المراسلين ولا سيما الكفار الحربيين منهم) [3].

ب ـ وعرف الزحيلي الجاسوس بأنه : (الشخص الذي يعمل في الخفاء أو تحت ستار كاذب فيحصل أو يحاول الحصول على معلومات في منطقة الحركات العسكرية لأحد المحاربين بغية إبلاغها للخصم) [4].

---

(١) الثروة، كثرة العدد، الجوهري، الصحاح، ١٥٤/١، ومختار الصحاح ٦٨.

(٢) الطنطاوي، الشيخ علي، أبو بكر الصديق (نقلاً عن ابن الأثير) ص ٣٢٧.

(٣) النبهاني، تقي الدين، الشخصية الإسلامية، القسم الثالث، ص ١٧٦-١٧٧.

(٤) الزحيلي، وهبة (دكتور) ، العلاقات الدولية في الإسلام، ص ٦١.

ج ـ **ويقول الدكتور عبد الكريم زيدان** : (نقصد بالتجسس هنا، محاولة الإطلاع على عورات المسلمين، وأمورهم ، وأحوال الدولة الإسلامية وأخبار العدو بذلك ، ولا شك أن هذا الفعل جريمة كبيرة تهدد سلامة الدولة، لا سيما في أوقات الحروب) [1].

د ـ **كما جاء في تعريف الجاسوسية في الإصطلاح الحديث بأنها** : (العمل سراً وبادعاء كاذب ليستولي شخص، أو ليحاول الإستيلاء على معلومات حيوية لغرض توصيلها إلى الأعداء) [2].

هـ ـ **وكذلك** : (التفتيش السري على مجهودات الدول الاجنبية ،للتحقق من قوتها وتحركاتها، ثم إبلاغ مثل هذه المعلومات إلى السلطات المختصة) [3].

و ـ أو (**التخابر**) **مع أي طرفٍ ضدّ أي طَرَف آخر**) [4].

٤ـ أصناف الجواسيس :

هناك صنفين من الجواسيس ، أولهما الجاسوس المسلم وثانيهما الجاسوس الكافر، والصنف الثاني أما أن يكون جاسوساً ذمياً أو جاسوساً مستأمناً أو جاسوساً حربياً[5].

٥ـ عقوبة التجسس لمصلحة العدو ضد المسلمين :

أ ـ عقوبة المسلم إذا تجسس للعدو :

نهي الله ورسوله عن التجسس وتتبع عورات المسلمين لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ

(١) زيدان، عبد الكريم (دكتور) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، ص ٢٤٠.

(٢) عطية الله، أحمد، القاموس ، السياسي ص ٣٦٧.

(٣) نصر، صلاح، الحرب الخفية، فلسفة الجاسوسية ومقاومتها ، ص ١٢.

(٤) العربي، إبراهيم، سر الجاسوسية، ص ٣٤.

(٥) التكروري، أحكام التعامل السياسي مع اليهود ، ص ٧٣٣.

وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾(2).

وقوله ﷺ: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ولاتنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا..).

وفي رواية : (لاتقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عبادالله إخواناً).

وفي رواية أخرى: (ولا تحاسدوا ولاتباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً). رواه مسلم بكل هذه الروايات البخارى أكثرها (3).

وما جاء في صحيح الخباري ومسلم وغيرهما حول قصة الصحابي (حاطب بن أبي بلتعة) بصدد الكتاب الذي بعثه إلى قريش يخبرهم فيه بتهيؤ المسلمين لفتح (مكة) وذلك بعد نقض قريش لصلح الحديبية... والحديث كما في (البخاري) تحت عنوان (باب الجاسوس) هو ما نصه (عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:بعثني رسول اللهﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود وقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (4). فإن بها ظعينة (5). ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا نعادى خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا

---

(1) سورة الحجرات، من الآية/١٢.

(2) سورة الأحزاب، الآية /٥٨.

(3) مسلم الصحيح، ٢٥٦٣ والبخاري، الصحيح، ٤٠٤/١٠.

(4) بين مكة والمدينة، بقرب المدينة ، ينظر ، مسلم، الصحيح بشرح النووي ، ٤٠٢/٩ وينظر الحازمي الأماكن والبلدان ، ص ١٥١.

(5) الظعينة هنا:الجارية، واصلها الهودج وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه واسم هذه الظعينة سارة مولاة لعمران بن ابي صيفي القرشي، مسلم، الصحيح بشرح النووي ، ٤٠٢/٩.

بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها [1]. فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه:

(من حاطب بن أبي بلتعة، إلى أناس من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ ما هذا يا حاطب [2].؟قال يا رسول لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قريش. ولم أكن من أنفسها [3].وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحملون بها أهليهم، وأموالهم. فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحملون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالفكر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ قد صدقكم فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق [4]. قال: إنه قد شهد بدراً وما يدريك العل [5]. الله قد يكون أطلع على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) [6].

وفي حديث آخر ما جاء في سنن أبي داود بسند صحيح [7]. (عن فرات بن حيان ان رسول الله ﷺ أمر بقتله وكان عيناً لأبي سفيان وكان حليفاً لرجل من الأنصار، فمر بحلقة من الأنصار ،فقال: إني مسلم فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله إنه يقول: إني

---

(١) العقيصة للمرأة الشعر الذي يلوى، ينظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط ٣٢٠/٢.

(٢) فيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم... إذا كان فيه مصلحة... وإنما يندب الستر إن لم يكن فيه مفسدة ولا يفوت به مصلحة، مسلم، الصحيح بشرح النووري ٤٠٢/٩-٤٠٣.

(٣) في رواية، أخرى للبخاري(كنت امرأ من قريش ولم أكن في أنفسهم رقم (٤٨٩٠) قال في فتح الباري ٦٣٤/٨ ولا تنافض.

(٤) في رواية أخرى للبخاري، (فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه) رقم (٣٩٨٣) و (٦٣٣٩) وحسب هذه الرواية: يكون السبب في طلب قتله هو الخيانة المتمثلة في التجسس. وهو ما لم ينفه الرسول ﷺ.

(٥) (وهكذا في أكثر الروايات بصيغة الترجي وهو من الله واقع) فتح الباري: ٦٣٤/٨-٦٣٥.

(٦) البخاري، الصحيح(٣٠٠٧) فتح الباري ١٤٣/٦، مسلم الصحيح، رقم (٢٤٩٤) ١٩٤١/٤.

(٧) قال محقق (جامع الأصول) الشيخ عبد القادر الأرناؤوط(وإسناده صحيح) ٢١٢/١٠، ينظر نيل الأوطار/١٠/٨.

مسلم، فقال: رسول اللهﷺ: إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان) [1].

وحديث ثالث ما جاء في صحيح البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة) [2].

وبناء على ذلك فقد اختلفت آراء العلماء المتقدمين بشأن قتل الجاسوس المسلم الذي يعمل لصالح العدو وكذلك المحدثين اختلفوا في ذلك. وفي أدناه خلاصة الآراء في الحكم على المسلم المتورط بالتجسس لمصلحة العدو ضد المسلمين:

الرأي الأول : ومفاده يحرم قتل الجاسوس إذا كان مسلماً ويجوز أن يعاقب عقوبة تعزيرية على حسب ما تقتضيه. وهذا هو رأي الأحناف والشافعية وأحمد بن حنبل (رحمه الله).

وفي هذا يقول أبو يوسف(رحمه الله) من أصحاب المذهب الحنفي، يخاطب هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) (رحمه الله): (وسألت يا أمير المؤمنين عن الجواسيس؟... يقول أبو يوسف في الجواب: إن كانوا من أهل الإسلام معروفين، فأوجعهم عقوبة، وأطل حبسهم حتى يحدثوا توبة) [3].

وجاء في شرح الكبير في معرض الإستدلال على عدم قتل الجاسوس المسلم ما نصه:

(واستدل عليه بحديث حاطب بن أبي بلتعة... فلو اكان بهذا كافراً مستوجباً للقتل ما تركه رسول اللهﷺ بدرياً كان أو غير بدري وكذلك لو لزمه القتل بهذا حداً ما

(١) أبو داود، السنن، رقم ٢٦٥٢، ٦٦/٣.

(٢) البخاري، الصحيح رقم ٦٨٧٨ فتح الباري ٢٠١/١٢ ومسلم، الصحيح رقم ١٦٧٦، ١٣٠٣/٣-١٣٠٣.

(٣) أبو يوسف ، الخراج ص ٢٠٥-٢٠٦ وينظر الشيباني: السير الكبير ، ٢٠٤٠/٥-٢٠٤١.

ترك رسول اللهﷺ إقامته عليه [(١)].

ويقول الشافعي (رحمه الله): لا يحل دم من ثبتت له حرمة الإسلام إلا أن يقتل أو يزني بعد إحصان، أويكفر كفراً بيناً بعد إيمان ثم يثبت على الكفر، وليس الدلالة على عورة المسلم ولا تأييد كافر بأن يحذر أن المسلمين يريدون منه غرة ليحذرها أو يتقدم في نكاية المسلمين – بكفر بين... وعلى هذا فمن حاله أهون من حال (حاطب) لا يقتل (وأولى أن يقبل منه مثل ما قبل منه... إن عقوبة الجاسوس هي التعزيز على حسب ما يرى الإمام) [(١)].ويقول الإمام النووي(ومذهب الشافعي وطائفة أن الجاسوس المسلم يعزر ولا يجوز قتله) [(٢)].

ويختصر ابن القيم (رحمه الله) الرأي الأول بقوله: (قال الشافعي وأبو حنيفة لا يقتل وهو ظاهر مذهب احمد) [(٣)].

الرأي الثاني : ومفاده أن الجاسوس المسلم يقتل وقال بهذا الرأي المالكية وبعض الحنابلة إلا أن في المذهب المالكي عدة اتجاهات في إطار هذا الرآي:

الاتجاه الأول : وجوب قتل الجاسوس المسلم مطلقاً.

يقول ابن القيم (رحمه الله) (قال سحنون: إذا كاتب المسلم أهل الحرب قتل ولم يستتب وماله لورثته.. وقال ابن القاسم: يقتل ولا يعرف لهذا توبة وهو كالزنديق) [(٤)].

الاتجاه الثاني : وجوب قتل الجاسوس المسلم إذا أخذنا بالتجسس قبل إعلان توبته أو إذا كان التجسس عادة له.

---

(١) الشيباني، شرح السير الكبير، ٢٠٤٠٢/٥–٢٠٤١.

(١) الشافعي، الأم، ٢٤٩/٤–٢٥٠ وينظر الشيرازي، المهذب ٢٤٢/٢.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ٤٠٣/٩.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ٤٢٣/٣.

(٤) ابن القيم، م.ن، ٦٤/٥–٦٥.

جاء في فتح الجليل: (والمسلم العين كالزنديق. أي الذي أظهر الإسلام وأخفى الكفر في تعين قتله وإن أظهر التوبة بعد الاطلاع عليه، وقبول توبته إن أظهرها قبل الإطلاع عليه) [1].

وفي أحكام القرآن لابن العربي (وقال عبد الملك [2].: إذا كانت تلك عادته قتل لأنه جاسوس) وفي تفسير القرطبي: (ولعل ابن الماجشون إنما اتخذ التكرار في هذا لأن (حاطباً) أخذ في أول فعله، والله أعلم) [3].

الاتجاه الثالث : قتل الجاسوس المسلم يخضع لاجتهاد صاحب السلطة في ذلك فله أن يحكم عليه بالقتل أو يحكم عليه بعقوبة أخرى. وفي هذا يقول ابن العربي (رحمه الله) من المالكية: (من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم بأخبارهم إذا قلنا: أنه لا يكون به كافراً... فهل يقتل به حداً أو لا؟ فقال مالك، وابن القاسم وأشهب يجتهد فيه الإمام...) [4].

الخلاصة :

وخلاصة ما تقدم في هذه المسألة: إن الجمهور يرى عدم قتل الجاسوس المسلم والدليل على ذلك أن التجسس ليس من الأمور الثلاثة التي تبيح قتل المسلم وهي: الردة عن الإسلام وقتل النفس المعصومة، والزنا بعد الإحصان. ثم أن الرسول اللهﷺ امتنع عن قتل (حاطب) وقد وقع في زلة التجسس.

والراي المقابل لرأي الجمهور هو أن الجاسوس المسلم يقتل إما وجوباً أو جوازاً

---

(١) عليش، منح الجليل ، شرح مختصر سيدي خليل، ١٦٣/٣ وينظر الدردير، الشرح الكبير ٢٨١/٢.

(٢) هو ابن الماجشون: ينظر ابن العربي، أحكام القرآن ١٧٧/٤ والقرطبي تفسير، ٥٣/١٨.

(٣) القرطبي، تفسير ٣٥/١٨.

(٤) ابن العربي ، أحكام القرآن، ١٧٧١/٤ وينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥٣/١٨.

على التفصيل السابق، واستدلوا على ذلك بقصة (حاطب) أيضاً. يقول ابن حجر في توضيح استدلال أصحاب هذا لارأي بهذه القصة – ما نصه: (ووجه الدلالة أنهﷺ أقر (عمر) رضي الله عنه على إرادة القتل، لولا المانع وبين المانع هو كون حاطب شهد بدراً وهذه منتف في غير (حاطب) فلولا كان الإسلام مانعاً من قتله لما علل بأخص منه [(١)].

ويبدو من مقارنة الرأيين أن الراجع هو رأي الجمهور في عدم قتل الجاسوس المسلم وترك الخيار لصاحب السلطة في إخضاعه للعقوبة التعزيرية على حسب رأيه واجتهاده [(٢)].

ب ـ عقوبة الذمي إذا تجسس على المسلمين :

إختلف العلماء في الحكم على الذمي إذا تجسس المسلمين لصالح الأعداء فقد ذهب المالكية والحنابلة في الراجح عندهم وأبو يوسف من الحنفية وهو قول عند الشافعية إلى أن الذمي إذا تجسس على المسلمين ينتقض بذلك عهده ويكون الخيار فيه للإمام بين الرق والقتل أو الصلب [(٣)].

وقد أجاب الإمام أبو يوسف الخليفة الرشيد لما سأله عن حكم الجواسيس بقوله: وسألت أمير المؤمنين على الجواسيس يوجدون وهم من أهل الذمة ممن يؤدون الجزية من

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦٣٥/٨.

(٢) ذهب بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين إلى القول بجواز قتل الجاسوس المسلم، ينظر شلبي، أحمد، (الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي) ص ١١٥ ، وعامر، عبد العزيز في (التعزير في الشريعة الإسلامية ص ٣١٣، واكتفى الشيخ محمد الخضر حسين بالإشارة إلى رأي مالك في هذه المسألة يدل ترجيحه له فوق كونه هو نفسه مالكي المذهب: ينظر (الهداية الإسلامية) ص ٢٦ ومن جهة أخرى فقد أيد بعضهم رأي الجمهور في عدم قتل الجاسوس المسلم، ينظر النبهاني (الشخصية الإسلامية) ١٨١/٣).

(٣) الخراج لأبي يوسف ص ٢٠٦، وعون المعبود، ٢٢٥/٧، التاج والإكليل بهامش مواهب الجليل ٣٥٧/٣، وشرح الخرشي ١١٩/٣ والشرح الكبير على مختصر خليل ٢٥٠/٢ وأحكام أهل الذمة ٧١٤/٢ والأحكام السلطانية ،للفراء ص ١٥٩ والمغني ٣٤٧/٩ وزاد المعاد ٤٢٢/٣ ومغني المحتاج ٢٣٨/٢.

اليهود والنصارى والمجوس فاضرب أعناقهم) [1].

واجتمع أصحاب هذا القول بحديث فرات بن حبان. جاء في عون المعبود: (والحديث يدل على قتل الجاسوس الذمي) [1].

وجاء في أحكام أهل الذمة: (الجاسوس عين المشركين وأعداء المسلمين وقد شرط على أهل الذمة إلا يؤوه في كنائسهم ومنازلهم، فإن فعلوا انتقض عهدهم وحلت دماؤهم وأموالهم وهل يحتاج ثبوت إلى اشتراط الإمام قولان... والثاني لا يشترط ذلك بل يكفي شرط عمر رضي الله عنه وهو مستمر عليهم قرناً بعد قرن، وهذا هو الصحيح الذي عليه العمل وأقوال أئمة الإسلام...) [2].

وذهب الحنفية والشافعية في الراجح عندهم وهو قول عند الحنابلة إلى أن الذمي إذا تحبسس على المسلمين وكشف عوراتهم للمشركين لا ينقض عهده بذلك ولا يقتل وإنما يعاقب بأن يوجع ضرباً ويحبس) [3].

والراجح في مسألة تجسس الذمي: فإذا كان من أهل دار الإسلام ثم تجسس على المسلمين وكشف عوراتهم للأعداء نتيجة مؤثرات مادية أو غيرها فإنه لولي الأمر أن يعاقبه بما يراه مناسباً بحسب جريمته ولا مانع أن تصل عقوبته القتل والخيار فيه لولي الأمر.

أما إذا دخل بلاد المسلمين وعاهدهم ليكون ذلك غطاء لتجسسه فيقتل زجراً إلا أن تدعو إلى ترك قتله مصلحة غالبة يراها ولي الأمر.

جـ - عقوبة المستأمن إذا تجسس على المسلمين لصالح العدو :

(١) أبو يوسف الخراج، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(١) عود المعبود ٢٢٥/٧، الخرشي ١١٩/٣ وتفسير القرطبي، ٥٣/١٨ ومكملة المجموع، ٣٤٢/١٩.

(٢) أحكام أهل الذمة، ٧١٣/٢-٧١٤.

(٣) شرح السير الكبير ٢٠٤١/٥ وروضة الطالبين ٣٢٩/١٠.

أما المستأمن الذي يدخل دار الإسلام بأمان المسلمين فإنه إذا تجسس على المسلمين ونقل أخبارهم للأعداء: فإن كان شرط عليه في عقد الأمان عدم التجسس على المسلمين فإنه أمان ينقض اتفاقاً لأن الوفاء له بالأمان مرتبط بالتزامه بمقتضى الأمان وشروطه(١).

أما إذا لم يشترط عليه عند الأمان أن لا يكون عيناً على المسلمين فقد اختلف العلماء في عقوبته على النحو التالي:

فقد ذهب المالكية والحنابلة وأبو يوسف من الحنفية إلى أن المتسأمن إذا تجسس على المسلمين فإنه يقتل(٢).

ولكن نص المالكية على أنه يجوز لولي الأمر إذا رأى أن الأصلح للمسلمين استرقاقه أن يسترقه لمصلحة المسلمين(٣).

جاء في التاج والإكليل ، قال سحنون: إن أمن حربي فبان أنه عين فللإمام قتله أو استرقاقه إلا أن يسلم(٤).

لذلك عد المالكية والحنابلة: في قول لهم التجسس ناقضاً للعهد فيعود المستأمن بالتجسس حربياً يعامل الحربي فيخير فيه الإمام(٥).

وذهب الحنفية والشافعية إلى أن المستأمن إذا تجسس على المسلمين وكشف عوراتهم للأعداء فإنه لا يقتل ولكنه يعاقب عقوبة تعزيزية من جلد وحبس على وجه التنكيل به ولكن لا ينتقض عهده بذلك(٦). واحتجوا لذلك في حديث حاطب وقالوا إن

---

(١) الخطاب، مواهب الجليل، ٣٥٧/٣، أبو يوسف ، الخراج، ص٢٠٥.

(٢) ابن قدامة، المغني ٣٤٧/٩.

(٣) العبدري،التاج والإكليل بهامش الجليل ، ٣٥٧/٣،الدسوقي ، حاشية الدسوقي ١٨٢/٢.

(٤) العبدري، التاج والإكليل٣٥٧/٣.

(٥) العبدري، م.ن ٣٥٧/٣، الدسوقي م.ن،١٨٢/٢، ابن قدامة م.ن ٣٤٧/٩.

(٦) السرخسي، المبسوط ١٢/١٠ والشيباني، شرح الكبير ٢٠٤٢/٥، الشافعي الأم ٢٦٥/٤.

المسلم إذا تجسس لا ينتقض إيمانه فكذلك المستأمن إذا تجسس لا ينتقض أمانه[1].

والحكم الراجح في الجاسوس المستأمن أنه ينتقض أمانه بذلك والأمر فيه لولي الأمر يعاقبه عقوبة زاجرة له ورادعة لغيره ولو اقتضى ذلك قتله أو صلبه وعلى ولي الأمر أن يراعي خطر الأسرار التي أطلع عليها والعورات التي كشفها ولا يحيد عن قتله إلا لمفسدة أكبر تلحق المسلمين بذلك أو مصلحة ترجى بالعفو عن القتل وبناء على ذلك فإن المستأمن إذا تجسس على المسلمين لمصلحة الكفار والمشركين فقد صار حربياً لا أمان له فإن كانت المصلحة في قتله وإراحة المسلمين من شره فيقتل، والله أعلم.

د ـ عقوبة الحربي إذا تجسس على المسلمين :

اتفق العلماء على أن الحربي إذا تجسس على المسلمين ونقل أخبارهم للأعداء فإنه يقتل واستدلوا على ذلك بحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه [1].فعن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال أتى النبي ﷺ عين من المشركين وهو في سفر فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انفتل فقال النبي ﷺ اطلبوه واقتلوه فقتله فنفله سلبه) [2].

قال الإمام النووي في بيانه لما يؤخذ من الحديث: فيه قتل الجاسوس الكافر الحربي وهو كذلك بإجماع المسلمين [3].

وقال ابن العربي : (قال أصبغ: الجاسوس الحربي يقتل) [4].

فالجاسوس الحربي يجب قتله درءاً لعدوان وزجراً لغيره عن التفكير بمثل

---

(١) السرخسي، م.ن ١٢/١٠ والشيباني م.ن/٢٠٤١٥-٢٠٤٢.

(١) الشيباني، شرح السير الكبير ٢٠٤٣/٥، حاشية الدسوقي ٢٨٢/٢، القرطبي ، تفسير ٥٣/١٦ ابن العربي ، أحكام القرآن الكريم، ١٧٧٢/٤، ابن القيم، زاد المعاد ٤٢٢/٣.

(٢) البخاري، الصحيح مع فتح الباري ٢٨٠/٦-٢٨١ حديث رقم (٣٠٥١).

(٣) الشافعي الأم ٣٥٠/٤، والشيباني، شرح السير الكبير ٢٠٤٣/٥ والعبدري، التاج والإكليل ٣٥٧/٣،.

(٤) ابن العربي، أحكام القرآن ١٧٨٤/٤.

فعلته، لأن أهل الحرب يعطون على التجسس عطاء كبيراً فان علم أنه مقابل ذلك يعرض نفسه للقتل أن عرف أمره وكشف سره. أما إذا علم أن عقوبته غير القتل فانه يكون أكثر جرأة على التجسس. لذا فإنه إذا تثبت تجسسه يقتل.

۞ ۞ ۞

المبحث الثالث

الحرب النفسية والخديعة في الحرب

أولاً : الحرب خدعة .

ثانياً : التورية والتضليل في الحرب .

المبحث الثالث : الحرب النفسية والخديعة في الحرب

أولاً : الحرب خدعة :

١ـ المفهوم اللغوي والإصطلاحي للخدعة :

قال الجوهري رحمه الله: خدع: خدَعَهُ، يَخْدُعُهُ، خَدْعَاً وخِداعاً أيضاً أي ختله أوراد به المكروه من حيث لا يعلم والأسم (الخديعة) وخدعتُه فانخدع، وخادعته مخادعة وخداعاً وقوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي يخادعون أولياء الله.

ورجل مخدَّعٌ، أي خُدِّعَ مراراً في الحرب حتى صار مجرباً، ومنه قول ابي ذؤيب، وكلاهما بطل اللقاء مخدَّعُ، الفتح.

وأما والحرب خدعة وخُدعة والفتح أفصح وخُدَعة أيضاً . [1]خدْعَة اصطلاحاً فيقول أبو بكر بن طلحة (أراد ثعلب أن النبي ﷺ كان يستعمل هذه البنية كثيراً لو جاز لفظها، قال: ويعطي معناها أيضاً الأمر باستعمال الحيلة مهما أمكن ولو مرة.

وقال الخطابي: إذا خُدع مرة واحدة لم تقل عثرته، فإن الخداع إن كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة ، فلا ينبغي التهاون بهم[2].

٢ـ الخديعة في القرآن والسنة :

قال تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[3]. يخادعون: الخداع: المكر والإحتيال وإظهار خلاف الباطن، وأصله

(١) الجوهري ، الصحاح في العلوم واللغة، ١/٣٣٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦/٨٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية/٩.

الإخفاء قالف المفسرون: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي يعملون عمل المخادع بإظهار ما أظهروه من الإيمان مع إصرارهم على الكفر، يعتقدون – بجهلهم – أنهم يخدعون الله بذلك، وإن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه ما قد يروج على بعض المؤمنين، وما علموا أن الله لا يُخدع لأنه لا يخفى عليه خافية قال ابن كثير رحمه الله: النفاق هو إظهار الخير، وإسرار الشر وهو أنواع: إعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار وعملي وهو من أكبر الذنوب والأوزار، لأن المنافق يخالف قوله فعله، وسرُّه علانيته، وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدينة لأن مكة لم يكن بها نفاق بل كان خلافه [1]. ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أي ما يخدعون في الحقيقة إلا أنفسهم لأن وبال فعلهم راجع عليهم(وَمَا يَشۡعُرُونَ) أي ولا يحسون بذلك ولا يفطنون إليه، لتمادي غفلتهم وتكامل حماقتهم [2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [3]. الخطاب للرسول ﷺ أي وإن أرادوا بالصلح خداعك ليستعدوا لك ﴿ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ ﴾ أي فإن الله يكفيك وهو حسبك، ثم ذكره بنعمته عليه فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي قواك وأعانك بنصره وشد أزرك بالمؤمنين. قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني الأنصار ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ [4]. أي جمع بين قلوبهم على ما كان بينهم من العداوة، والبغضاء ، فأبدلهم

(١) ابن كثير، مختصر التفسير، ٣٣/١.
(٢) الصابوني، صفوة التفاسير، ٣٥/١.
(٣) سورة الأنفال ، الآية/٦٢.
(٤) سورة الأنفال ، الآية/٦٢.

بالعداوة حباً بالتباعد قرباً. قال القرطبي رحمه الله: وكان تـأليف القلـوب مـع العصـبية الشديدة في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاتـه لأن أحـدهم كـان يلطـم اللطمـة فيقاتـل عليها وكانوا أشد خلق الله حمية فألف الله بينهم بالإيمان، حتى قاتل الرجل أباه وأخـاه بسبب الدين [1].

أما في السنة النبوية فقد وردت في عدة أحاديث رواها البخاري بشـرح العسـقلاني ومنها:

١- الحديث الأول: حدثنا عبد الله بن محمد: حدثنا عبد الـرزاق: أخبرنـا معمـر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن الـنبي ﷺ قـال: (هلـك كسـرى ثـم لا يكـون بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصـر بعـده. ولتقسـمن كنوزهمـا في سـبيل الله وسمـى الحرب خدعة) [2].

٢- الحديث الثاني: حدثنا أبو بكر بن أصرم، اسمه جور المروزي: أخبرنـا عبـد الله أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال سمـى الـنبي ﷺ الحرب خدعه) [3].

٣- الحديث الثالث: حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة عـن عمـرو: سمـع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ (الحرب خَدْعةٌ) [4].

قال ابن حجر (رحمه الله) : (قوله باب الحرب خدعة) أورده من طريق همام بـن منبه عن أبي هريرة مطولاً ومختصراً، ومن حديث جابر مختصراً، وفي أول المطـول ذكـر

(١) القرطبي، جامع علوم القرآن ، ٥٣/٨ ينظر الصابوني، صفوة التفاسير، ٥١٣/١٠، وينظر ، عبد الله ، عبد القهـار داود، تفسير القرآن الكريم، ص ٢٠٣.

(٢) البخاري، الصحيح(فتح الباري، ٤٨٩/٦).

(٣) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ٤٨٩/٦).

(٤) البخاري ، الصحيح(١١٠،٦، ومسلم، الصحيح ١٧٣٩وأبو داود، السنن ٢٦٣٦والترمذي ، السنن، ١٦٧٥).

كسرى وقيصر وقوله خدعة بفتح المعجمة وبضمها مع سكون المهملة فيها، وبضم أوله وفتح ثانيه، قال النووي: أتفقوا على أن الأولى الأفصح حتى قال ثعلب بلغنا أنها لغة النبي ﷺ وبذلك جزم ابو ذر الهروي والقزار: والثانية ضبطت كذلك في رواية الأصيلي: قال أبو بكر بن طلحة. أراد ثعلب أن النبي ﷺ كان يستعمل هذه البنية كثيراً لو جاز لفظها لكونها تعطي البنيتين الأخيرتين، قال : ويعطي معناها أيضاً الأمر باستعمال الحلية مهما أمكن ولو مرة وإلا فقائل قال: فكانت مع اختصارها كثيرة المعنى.

٣ـ جواز الخدعة والمكيدة في الحرب :

ومعنى الخدعة بالإسكان أنها تخدع أهلها من وصف الفاعل باسم المصدر أو أنها مرة واحدة أي إذا خدع مرة لم تقل عثرته، وقيل الحكمة في الإتيان، بالتاء للدلالة على الوحدة فإن الخداع إن كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة فلا ينبغي التهاون بهم لما ينشأ عنهم المفسدة ولو قل، وفي اللغة الثالثة صيغة المبالغة كهمزة ولمزة. وحكى المنذري لغة رابعة بالفتح فيهما قال: وهو جمع خادع: أي أن أهلها بهذه الصفة وكأنه قال أهل الحرب خدعة [(١)].

وفي التحريض على أخذ الحذر في الحرب والندب إلى خداع الكفار، وإن لم يتيقظ لذلك لم يأمن أين ينعكس الأمر عليه قال النووي: واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز: قال ابن العربي: الخداع في الحرب يقع في التعريض وبالكمين ونحو ذلك وبالحديث الإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب بل الإحتجاج إليه آكد من الشجاعة ولهذا وقع الإقتصار على ما يشير إليه بهذا الحديث وهو كقوله (الحج عرفه. قال ابن المنير: معنى الحرب خدعة أي

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، ٤٩٩/٦.

الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها وإنما هي المخادعة لا المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر.

ذكر الواقدي أن أول ما قال النبي ﷺ : (الحرب الخدعة) في غزوة الخندق. وقد ساق ابن إسحاق وموسى بن عقبة أيضاً أخباراً وحكايات حول دور نعيم بن مسعود الغطفاني، وأنه كان مسلماً جديداً لا تعرف قريش ويهود والأعراب بإسلامه، فقام بزرع الشك بين الأطراف المتحالفة بأمر من رسول الله ﷺ فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعهم وتنصرف عن الحصار وقال لقريش بأن يهود إنما تطلب الرهائن لتسليمها المسلمين [1].

ثمناً لعودتها إلى صلحهم... وقد اشتهرت في كتب السيرة وهي لا تتنافى مع القواعد السياسة الشرعية فالحرب خدعة [2].

لقد أحاطت بالمسلمين ليلة الأحزاب شدائد كبيرة والرسول القائد عليه الصلاة والسلام يفكر ويدبر في غمرة هذه الظروف من ريح شديدة وقر وجوع وترقب، ويأتي تكليف رسول الله ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه وأمره بالقيام بمهمة شاقة وخطيرة لكنها ضرورية فقد قال له: قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم... وقال: اذهب فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ... قال حذيفة، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي (يدفء) ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول الرسول ﷺ ولا تذعرهم علي ولو رمتيه لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فاخبرته بخبر القوم وفرغت قررت [3].فألبسني

(١) ابن هشام، ٢٢٩/٢-٢٣٠، والواقدي، المغازي ٤٨١/٢-٤٨٢ وابن كثير البداية والنهاية ١١٣/٤.

(٢) البخاري، الصحيح، الجهاد ١٥٧ ومسلم الصحيح، الجهاد١٨.

(٣) أي عاد إليه البرد.

رسول اللهﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت: قال قم يا نومان) [1].

وفي رواية البزار لما رجع حذيفة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ قال (يا رسول تفرق الناس عن أبي سفيان، فلم يبقى إلا في عصبة يوقد النار وقد صب الله عليهم من البرد مثل الذي صب علينا ولكنا نرجوا من الله ما لا يرجون) [2].﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾ [3].

لقد أخذ الرسول القائد ﷺ بالأسباب واعتمد وسائل الدفاع بحفر الخندق وتشديد الحراسات وتكليف الدوريات ثم تكليف ابن اليمان بالإستطلاع وكشف مواقع وأخبار العدو مع الأخذ بالإحترازات الأمنية التي تدرء الأخطار عن جيش المسلمين وعن المدينة المنورة ثم بعد ذلك توجه عليه الصلاة والسلام إلى ربه بالدعاء (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب إهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم) [4]. واستجاب الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ وعبر عن الآثار الخطيرة التي ترتبت على فشل الأحزاب في غزوة المدينة رغم ما حشدوه من طاقاتهم – وهو أقصى ما يسطيعون – بقولهﷺ: (الآن نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير إليهم) [5].مما يدل على تغير سياسة الحرب لدى المسلمين من مرحلة الدفاع عن المدينة المنورة إلى مرحلة الهجوم وانتقال الأحداث من المدينة وما حولها إلى مكة والطائف ثم تبوك وتخوم الروم بعيداً عن عاصمة الدولة الإسلامية الوليدة(المدينة المنورة) [6].

---

(١) مسلم، الصحيح ١٤١٤/٣–١٤١٥ وقوله لا تذعرهم أي (تهجهم) و(أمشي في حمام) أي زال شعوره بالبرد و (قررت) اي (بردت).

(٢) البزار، كشف الستار، ٣٣٥/٢–٣٣٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية/٢٥.

(٤) مسلم، الصحيح، ١٣٦٣/٣.

(٥) البخاري، الصحيح، ٤٨/٥.

(٦) العمري، أكرم، السيرة النبوية الصحيحة، ٤٣٢/٢.

وسار الخلفاء الراشدون على سياسة رسول اللهﷺ في الحرب في إرسال الاستطلاع ونصب الكمائن والتعرف على أخبار العدو ومواقعهم وقوتهم وإذكاء العيون وغيرها من إجراءات تحصين المجاهدين وتأمين سلامتهم وضمان تحقيق النصر. فقد أوصى عمر رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بقوله: تعرف الأرض كلها معرفة أهلها) وبقوله أيضاً: (أذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم... وقوله : إني إثرت سلامه المسلمين على الأنفال) [(١)].

جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه[(٢)].

(ونحن قائلون — بعون الله وتوفيقه – في الحروب، ومدار أمرها وقود الجيوش ، وتدبيرها وما على المدبر من : (إعمال الخدعة، وانتهاز الفرصة، والتماس الغرة، وإذكاء العيون، وإنشاء الطلائع واجتناب المضايق والتحفظ من البَيَات ، هذا بعد معرفته أحكامها، وأحكام معرفتها، ، وطول تجربته لها، ولمقاساة الحروب ومعاناة الجيوش ، وعلمه أن لا درع كالصبر، ولا حسن كاليقين..).

أما الهرثمي (صاحب المأمون(١٩٨–٢١٨هـ) فيقول في الباب الرابع من كتاب (مختصر سياسة الحروب).

(وأول العمل في الحرب ، ورأس التدابير فيها إلا يظهر عدوك على عوراتك، ولا تستتر عنك عوراته ، ولن تحكم ذلك في نفسك إلا مع شدة الحذر وكتمان السر ولن تعرفه من عدوك إلا من التيقظ والتلطف وإذكاء العيون والجواسيس.. فإنه رأس أمر الحرب وتدبير مكايدة العدو) [(٣)].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٢٠١/٢ وينظر خطاب ، الفاروق القائد، ص ٣٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٩٣/١.

(٣) الكاتب، عبد الحميد، رسائل البلغاء ص ١٥٣.

وقال عبد الحميد الكاتب في رسائل البلغاء ناصحاً المعني بأمور الحرب: (ولِّ أمر شرطتك وأمر عسكرك، أوثق قوادك عندك وآمنهم نصيحة ، وأقدمهم بصيرة في طاعتك، وأقواهم شكيمة في أمرك وأمضاهم صريمة وأصدقهم عفافاً وأجرأهم جنانا وأكفأهم أمانة، وأصحاهم ضميراً وأرضاهم صبراً وأحمدهم خلقاً وأعطفهم على جماعته رأفة. وأحسنهم لهم نظراً وأشدهم في دين الله وحقه صلابة ثم فوض إليه، مقوياً له، وأبسط من أمله مظهراً عنه الرضا، حامداً منه الابتلاء وليكن عالماً بمراكز الجنود بصيراً بتقدم المنازل مجرباً ذا رأي وحزم في المكيدة [1].

ثم قال : (ثم تقدم في طلائعك، فإنها أول مكيدتك ، ورأس حربك، ودعامة أمرك... واعلم أن الطلائع عيون وحصون للمسلمين، فهم أول ميكدتك وعروة أمرك وزمام حربك فليكن اعتناؤك بهم بحيث هم من مهم عملك ومكيدة حربك ثم انتخب لهم رجلاً للولاية عليهم بعيد الصوت مشهور الفضل، نبيه الذكر، له في العدو وقعات معروفات وأيام طوال وصولات متقدمات ، قد عرفت نكايته، وحذرت شوكته، وهيب صوته... أمين السريرة، ناصح الغيب ، قد بلوت منه مايسكنك إلى ناحيته، من لين طباعة ، وخالص مودته ونكاية الصرامة وغلوب الشهامة، واستجماع القوة وحصافة التدبير[2].

وقال ابن النحاس الدمشقي تعقيباً على حديث الرسول ﷺ: (الحرب خدعة) ومعنى كون الحرب خدعة أنها تنتهي بخدعة واحدة ورد في المثل: رب حيلة أنفع من قبيلة . ومن كلام الحكماء: إذا طلبك عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه منك وإذا طلبته بالمكيدة فلا يعظمن أمره عندك ، وإن كان عظيماً ويروى أنه لما بارز عمرو بن عبد ود علي بن أبي طالب رضي الله عنه استعمل الخدعة فلما برز قال له علي ما برزت

(١) الكاتب، عبد الحميد، رسائل البلغاء ص ١٥٣.

(٢) الكاتب، عبد الحميد، رسائل البلغاء ص ١٥٤.

لأقاتل اثنين!! فالتفت عمرو بن عبد ود ليرى الشخص الثاني، فوثب عليه علي فضربه! فقال له عمرو: لقد خدعتني ! قال علي رضي الله عنه إن الحرب خدعة[(١)].

ثانياً : التورية والتضليل في الحرب :

١ـ مفهوم التوريه لغة واصطلاحاً :

التورية هي التستر على الشيء والسَتْرُ بالفتح مصدر سَتَرْتُ الشيء أستره إذا غطيته فاستتر هو وتستر أي تغطي ورجل مستور وستير أي عفيف، وحجاباً مستوراً أي حجاب على حجاب والأول مستور بالثاني يزاد بذلك كثافة الحجاب[(٢)]. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[(٣)].

وفي القسطلاني على البخاري: (التورية أن يذكر لفظاً.. يحتمل معنيين ، أحدهما أقرب من الآخر مثلاً، فيسأل عنه، وعن طريقه، فيفهم السامع بسبب ذلك أن يقصد المكان القريب، فالمتكلم صادق،لكن الخلل وقع من فهم السامع خاصة)[(٤)]. فلو قال: (يقصد المعنى القريب ..) لكان أنسب للتعريف العام... لأنه ذكر أولاً احتمال معنيين للفظ... ولكن يبدون أنه وهو يعرف التورية، لم يكن في ذهنه إلا موضوع المكان ومن ثم جاء قوله، فنسأل عنه (أي : عن المعنى القريب) وعن طريقه.. والأنسب أيضاً لو حذف (عن طريقه) ليكون التعريف عاماً في المعاني[(٥)].

---

(١) ابن النحاس، تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) الجوهري، الصحاح، ٥٦٦/١.

(٣) سورة الإسراء ، الآية /٤٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، ١١١/٥.

(٥) القزويني الخطيب، محمد عبد الرحمن، (ت٧٣٩هـ) التخليص في علوم البلاغة شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية ، ط٢(مصر، ١٩٣٢) ص ٣٥٩.

٢ـ جواز التورية والتضليل في الحرب :

جاء في صحيح البخاري ومسلم عن كعب بن مالك النص التالي: (كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا وري بغيرها) (١). وجاء في فتح الباري: (وري : ستر، وتستعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره... وقيل: هو في الحرب أخذ العدو على غرة) (٢). وفيه أيضاً: المراد أنه كان أمراً، فلا يظهره، كأن يريد أن يغزو وجهة الشرق فيسأل عن أمر في جهة الغرب، ويتجهز للسفر، فيظن من يراه ويسمعه أنه يريد جهة الغرب) (٣).

هذا ما جاء في التورية وهي من شأنها أن ينخدع بها العدو وتؤدي إلى تضليله بل جاء النص الشرعي بالترخيص.

في استعمال الخداع صراحة كما بينا في النبد (أولاً) من نفس المبحث استناداً إلى قول الرسول ﷺ(الحرب خدعة) (٤).

٣ـ جواز الكذب في الحرب :

إن الكذب وإن كان أصله محرماً، فيجوز في بعض الأحوال بشروط فالكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود وتحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب، جاز الكذب، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً كان الكذب مباحاً وأن كان واجباً كان الكذب واجباً. فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله وأخفى ماله، وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة، وأراد ظالم أخذها، وجب الكذب بأخفائها، والأحوط في هذا كله أن يوري، ومعنى

(١) البخاري، الصحيح: رقم (٢٩٤٨) فتح الباري ١١٣/٦ ومسلم، الصحيح رقم ٢٧٦٩ ج٢١٢٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري، ١١٣/٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني، م.ن ١٥٩/٦ وينظر الصنعاني، سبل السلام، ٤٨/٤.

(٤) البخاري، صحيح رقم(٣٠٣٠) فتح الباري: ١٥٨/٦ ومسلم الصحيح، رقم (١٧٤٠) ١٣٦٣/٣..

التورية أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الحال [1].

واستدل العلماء لجواز الكذب في هذا الحال وفي الحرب لحديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط... أنها سمعت رسول اللهﷺ وهو يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً، وينمي خيراً. قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس. كذب إلا في ثلاث: الحرب ، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة: زوجها) [2].

جاء في شرح النووي على صحيح مسلم: (قال الطبري إنما يجوز من الكذب في الحرب المعاريض، دون حقيقة الكذب فإنه لا يحل. هذا كلامه. والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل والله أعلم) [3].

---

(١) النووي، الإمام أبي زكريا يحيى بن شر(٦٧٦هـ) رياض الصالحين تحقيق عبد الغزيز رباح وغيره مكتبة المنار ط١٠(الزرقاء ١٩٨٩) ص ٤٥٩.

(٢) مسلم، الصحيح، رقم (٢٦٠٥) ٢٠١١/٤ ، وابن شهاب هنا، لم يصل الشطر الثاني من الحديث، لكنه على كل حال: صحيح، لأنه موصول في رواية أخرى.. وقال عند الألباني صحيح وذكره في (صحيح سنن أبي داود) رقم(٤١١٣) ٩٣٠/٣، والحديث في سنن أبي داود برقم (٤٩٢١) ٣٨٦/٤.

(٣) مسلم، الصحيح بشرح النووي ٣٢٠/٧ وجاء ج٣٨/١٠ قال القاضي: لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها، ما هو؟ فقالت طائفة: هو على إطلاقه، وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة ، وقالوا: الكذب المذموم ما فيه مضرة... ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختف وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو؟ وقال آخرون: منهم الطبري: لا يجوز الكذب في شيء اصلاً قالوا: وما جاء من الإباحة في هذا — المراد به التورية — واستعمال المعاريض، لا صريح الكذب، مثل ان يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها كذا وينوي إن قدر الله ذلك وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه. وكذلك في الإصلاح، وكذلك في الحرب بأن يقول لعدوه، مات إمامكم الأعظم وينوي إمامهم في الأزمان الماضية، أو غداً يأتينا مدد أي طعام ونحو هذا من المعارض المباحة. ينظر فتح الباري ٣٠٠/٥، والشوكاني، نيل الأوطار ٢٧٢/٧ والصنعاني ، سبل السلام ٢٠٢/٤ ومصنف ابن أبي شيبة ٤١٧/١٤.

هذا، وقد جاء الترخيص بالكذب، في الحرب – خاصة – في قصة قتل(كعب بن الأشرف) فعن جابر رضي الله عنه(قال رسول الله ﷺ من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله! فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم قال: ائذن لي فلأقل! قال: قل!)[1]. هذا والمراد أن الأمر قد يحتاج إلى الكذب في الحديث مع (كعب بن الأشرف) لكي يطمئن إلى (مسلمة) وصحبه – الفريق المنتدب لمهمة قتل (كعب) – فإذا ما حصل هذا الإطمئنان، كان التمكن من قتله ميسوراً، وكان صدر الأذن من النبي ﷺ لمسلمة بأن يقول ما يبدو له، مما فيه تسهيل لإنجاز تلك المهمة . يقول (ابن حجر) معلقاً على إذن الرسول ﷺ لمسلمة بأن يقول ما يقول: (يدخل فيه الإذن بالكذب تصريحاً، وتلويحاً.. وقال ابن العربي: الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقاً بالمسلمين لحاجتهم إليه، وليس لحاجتهم إليه، وليس للعقل فيه مجال ، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ، ما انقلب حلالاً)[2].

وخلاصة القول :

إن البحث يدور حول ما يقتضيه الصراع مع العدو من (الرأي)، والحرب ، والمكيدة)[3]. هذا ، ولن تضيق الشريعة الإسلامية على من بيدهم أمر الحرب في استخدام الأساليب التي تدخل في هذا الإطار – حتى ولو في اللجوء إلى الكذب الصريح – كما هو الراجح– فيما تدل عليه النصوص الشرعية،ما دام ذلك يدخل ضمن المصلحة المشروعة، وفي الحدود التي سبق بيانها خلال البحث، وساحة الفكر الإسلامي في هذا أرحب.

(١) البخاري، الصحيح رقم(٣٠٣٢) ١٦٠/٦ من فتح الباري، ومسلم، الصيحجي ، ١٤٢٥/٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، ١٥٩/٦.

(٣) البخاري، صحيح رقم(٣٠٣٠) فتح الباري: ١٥٨/٦ ومسلم الصحيح، رقم (١٧٤٠) ١٣٦٣/٣..

الاستنتاجات والدروس المستفادة من الباب الثاني

أولاً : أهمية وجود القائد في المعركة :

١- شجاعة الرسول القائدﷺ وأثره في حماسة الجند وإقدامهم على القتال ولنضرب مثلاً على شجاعتهﷺ فقد أقسم أن يذهب لمواجهة أبي سفيان وجيشه لوحده مما أثار حماسة وشجاعة المقاتلين. وكذلك كانت لرسول اللهﷺ وقفة تفوق شجاعة الشجعان في معركة حنين عندما انهزم جيش المسلمين لإعجابهم بكثرتهم ووقوعهم في كمين المشركين في وادي أوطاس ولولا شجاعتهﷺ ووقوفه بحزم لما انقلبت الهزيمة إلى نصر.

٢- إيمان القائد بالنصر : فإن الرسول القائدﷺ كان إذا تعقدت المواقف أمامه يلجأ إلى الله تعالى يسأله العون والنصر على الأعداء وهو على يقين من النصر.

٣- اهتمام القائد في حماية قواته من مفاجئة العدو لها ففي معركة ذات الرقاع خاف الرسول القائد عليه الصلاة والسلام أن يعود بنو غطفان إلى مهاجمة المسلمين فأمر بأعداد الحراسة وتشديدها ليل نهار.

٤- تعاون القائد مع جنده في الميدان فقد كان الرسول القائد ﷺ يشارك المجاهدين في حفر الخندق ويحمل التراب على ظهره الشريف حتى غمره الغبار وكان يشجعهم على تحمل مشاق العمل والجوع والصبر والمصابرة لأنه قدوتهم في كل قول وعمل ويشاركهم في منشطهم ومكرهم.

٥- إتباع القائد للوسائل السياسة في بعض ما يعترضه من حالات فالرسول القائد ﷺ في غزوة بني المصطلق أخذ الناس أسرى ورأى من باب السياسة أن يكسب بني

المصطلق إلى جانبه وأن يجعل منهم قوة تحارب معه فتزوج من جويرية بنت الحارث (زعيمهم) وأطلق جميع الأسرى مما أكسب المسلمين محبة القوم فأعلنوا إسلامهم وصاروا قوة للإسلام لا عليه.

ثانياً: التعبئة المعنوية قبل القتال وخلاله وتنمية الثقة في النفس والسلاح والقائد والعقيدة والأمة والتحصين المعنوي ضد شدائد الحرب، حتى إذا ما دخل المعركة لا تصدمه المفاجأة وقد أعد للأمر عدته وإعداد للحرب – ومن هنا جاءت أهمية حشد القوى فقد جمع الرسولﷺ أصحابه رضوان الله عنهم بمجرد أن بلغه كتاب عمه العباس رضي الله عنه استعداد قريش لمعركة أحد.

ثالثاً: تنقية الصفوف من المنافقين فقد رفض الرسول القائد ﷺ كتيبة رأس النفاق (عبد الله بن أبي بن سلول) فعادت إلى المدينة المنورة ولم تشترك في معركة أحد.

رابعاً: ومن عوامل النصر إتخاذ الرسول القائدﷺ زمام المبادرة في غزواته أي أنهﷺ يتخذ خطة الهجوم وأنه ما كان ينتظر حتى يهاجمه العدو ومما لا شك فيه أن فرص الإنتصار تكون موفورة للجانب المهاجم إذا أحسن التدبير والإعداد وتأمين خطوطه الخلفية وضمان وسائل الإمداد والإتصالات.

خامساً: اختيار الوقت المناسب للمعركة له أثر الكبير على العمليات الحربية والفوز في الحرب، فسوء اخيتار أبو سفيان لموسم الشتاء القاسي في معركة الأحزاب أدى إلى هزيمته.

سادساً: يعد التدريب على فنون القتال وأساليب الحرب من المظاهر العملية الأساسية لإعداد القوة المادية المتمثلة بالعناصر التالية:

١- التدرب على صنوف السلاح الخفيف والمتوسط والثقيل.

٢- التدرب على ركوب الخيل وعلى فنون الحرب بها.

٣- التدرب على عمليات النقل والتمويل والإمداد والإعاشة.

٤- التدرب على إسعاف الجرحى والمرضى ودفن الشهداء.

٥- التدريب على عمليات الاستطلاع وجمع المعلومات عن قوة العدو ومواقعه.

٦- التدريب على حفر المواضع وإعداد المواقع الدفاعية والمتاريس.

٧- التدريب على التدابير الأمنية والحراسة ومكافحة التجسس والرصد وحماية الثغور وكيفية العمل في الربط.

٨- التدرب على إعداد الكمائن وفي الإغارة على مواقع العدو.

٩- التدرب على وسائل الحرب في البحر والعمل في السفن الحربية.

١٠- التدرب على التقيد بالضوابط العسكرية والإنضباط العالي في الطاعة والإنقياد للأوامر الصادرة من القيادة وغرس الثقة في نفوس المجاهدين وتنمية الشعور بالمسؤلية لديهم.

سابعاً: أن القيادة الناجحة تقوم بالأدراة السليمة للصراع المسلح لتحقيق الأهداف بأعلى قدر من الكفاءة وإلى تحقيق النصر بأقل الخسائر في الأرواح والمعدات وفي أقل وقت معتمدة التخطيط والأخذ بالأسباب بتوظيف العقل في التأمل والنظر والتفكير والتنبؤ ولا يوجه الإسلام إلى التخطيط للمستقبل القريب فحسب بل للمستقبل البعيد أيضاً وعدم التواكل وترك الأمور للصدفة وأن هذا التخطيط يكون مقترناً بالتنظيم والتنسيق في كل الجوانب ذات العلاقةت وخير برهان على تطبيق المسلمون الأوائل لأصول الأدراة ما أثبتته الاحصائيات من أنهم حققوا أهدافهم في المعارك باقل الخسائر وبذلك لم يحققوا أهداف علم الإدارة فحسب بل هدف القيادة العسكرية الناجحة وهو الحصول على النصر بأقل الخسائر.

ثامناً: السلاح وحده لا يشكل عنصر القوة في الجهاد الإسلامي بل لا بد من قلب مؤمن وعزيمة وصبر ومصابرة وشجاعة وإقدام، فالجهاد بلاء واختبار وليس نزهة ومتعة.

تاسعاً: أهمية القوى المعنوية للمجاهدين وأن الاهتمام بهذه القوى لا يقل عن اهتمامهم بالقوى المادية فالقوى المعنوية والروحية هي العامل الأساس الأول الذي دفع المسلمين الأوائل إلى النصر برغم قلة عددهم وعدتهم وكثرة عدد وعدة عدوهم.

عاشراً: ليس أمام المجاهد في سبيل الله إلا إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة والمؤمن المجاهد لا يقهر فهو لا يكون (غالباً أو مغلوباً) بل يكون (غالباً أو شهيداً) فهو فائز في كلتا الحالتين فإذا لم يحصل على النصر في جولة فإن المعركة متسمرة حتى بلوغ النصر أو نيل الشهادة ولنا في قول الصحابي الجليل نعيم بن مالك رضي الله عنه للنبي ﷺ يوم أحد أبلغ الأثر وأقوى الدروس وأقصى العبر : (يا نبي الله لا تحرمني الجنة فوالذي نفسي بيده لأدخلنها ولا أفر من الزحف).

أحد عشر: إن أبواب الخير كثيرة والإنفاق فيها جزاؤه عند الله عظيم وفضل كبير، وأعظم الخير ثواباً عند الله هو الإنفاق على الجهاد في سبيل الله لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1). قال ابن كثير رحمه الله: هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وإن الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

(1) سورة البقرة ، الآية٢٦١.

اثنا عشر: أما جزاء الآخرة (الجنة) فقد روى أن أم حارثة بن سراقة وقد قتل (حارثة) يوم بدر جاءت الرسول ﷺ وسألته يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإذا كان في الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع: فقال لها الرسول ﷺ: (ويحك أهبلت؟! إنها جنان ثمان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى).

ثالث عشر: إن الجهاد مرتبط بالإيمان في صورة محكمة متماسكة بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الزحف أو النكوص عنه.

رابع عشر: والجهاد قائم في السلم والحرب بالإعداد والاستعداد واليقظة وبناء القوة والقتال لدفع العدوان.

خامس عشر :والجهاد عقيدة عسكرية وتربوية معاً إذ يشمل بالإضافة إلى جهاد العدو الظاهر، جهاد النفس وجهاد الشيطان والنصر عليهما من أهم عوامل النصر على العدو الظاهر وهم الكفار والمشركين وأهل الضلال.

سادس عشر: والجهاد يكفل بناء الكيان العسكري للأمة لأن التكليف به يقتضي من كل مسلم التأهب الدائم وأداء دوره في دفع العدوان عن أمته فلا فرق بين جيش وشعب بل الجميع مجاهدون كل منهم يقوم بدوره وحتى المرأة لها دور يناسبها عندما يتعين الجهاد أو يكون النفير عاماً.

سابع عشر: إن الثبات وعدم الفرار من أمام العدو أو الاستسلام له صفة المؤمنين المجاهدين وهي من الأسباب الرئيسية لنصر المسلمين في المعارك.

ثامن عشر: الحصار وسيلة فعالة في الحرب تؤدي إلى ضعف روح المقاومة لقلة الإمداد بالزاد والعتاد كما حدث في حصار بني النضير. من قبل الرسول القائد ﷺ وحصار عامورية من قبل الخليفة العباسي المعتصم رحمه الله وحصار الصليبيين في طبرية

من قبل الناصر صلاح الدين رحمه الله وحصار القسطنطينية من قبل الفاتح محمد الثاني رحمه الله. المدينة الأولى التي بشر بفتحها رسول اللهﷺ.

تاسع عشر: إن الله تعالى استنفر المؤمنين خفافاً وثقالاً وتوعد من ترك الجهاد ورضي بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة فوجب بمقتضى أمر الله تعالى النفير إلى الجهاد ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1]. ووبخ من يتثاقل ويتكاسل عن الجهاد لقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2].

العشرون: إن إقامة الصلوات لا يمكن الإغفال عنها مهما كانت شدة المعركة فهي جزء من عوامل النصر الذي ينشده المسلمين ، ولهذا جاز إقامتها مع القصر والجمع والحراسة لضمان استمرار أدائها لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا) [3].

(١) سورة التوبة، من الآية٤١.

(٢) سورة التوبة، من الآية٣٧.

(٣) سورة النساء، من الآية ١٠١-١٠٢.

الحادي والعشرين: الكتمان: حرص الرسول القائد على التكتم كلما عزم على القيام بغزوة وأخفى وجهته وكذلك على انباء تحركاته ولهذا يأمر بالمسير في الليل ويكمن في النهار بقصد المحافظة على سرية التحركات حذراً من ان يعلم بها العدو وكان عليه الصلاة والسلام يأمر باتباع الطرق غير المتبوعة حتى لا يعرف بمسيرهم أحد واقتدى به الراشدون رضي الله عنهم والتابعون ومن تبعهم بإحسان رحمهم الله جميعاً.

ثانية والعشرين: اتخذ الرسول القائد ﷺ التدابير الإحترازية لتحصين المجاهدين وحماية ظهورهم أثناء المعركة وكان وضع الرماة على شعب في الجبل يوم أحد مبدأ هام من مبادئ الحرب النفسية لضمان سلامة المجاهدين واطمئنانهم من أنهم لا يؤتون من ظهورهم.

وكان الإخلال بهذا المبدأ من قبل الرماة سبباً في هزيمة المسلمين في الجولة الثانية من المعركة.

الثالث والعشرين: الكشف والإستطلاع قبل المعركة ضرورة تقتضيها اهتمامات القائد في جمع المعلومات عن أرض المعركة وكمائن العدو وقوته الرئيسة وأهدافه وحيله فقد بعث رسول اللهﷺ ابن أنيس رضي الله عنه إلى خالد بن سفيان وما دار بينهما من حديث في هذا السياق. وكذلك تكليف حذيفة بن اليمان رضي الله عنه التسلل إلى جيش الأحزاب والوقوف على ما يدور بين قادته وأهدافهم وأحوالهم.

الرابع والعشرين: الحرب خدعة ولقد أدرك الرسول القائد ﷺ أهمية ذلك فقد كلف نعيم بن مسعود رضي الله عنه في مسعاً إلى كل من بني قريظة وقريش وغطفان في معركة الخندق وقال له: (إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة). وقد فعل وأدى مسعاه إلى اختلافهم وتفريق كلمتهم واقتنع أبو سفيان

بـأن بـني قريظـة قـد غـدروا بـالأحزاب، إذ قـال: (لا أرانـي أستنصـر بـأخوة القـردة والخنازير).

الخامس والعشرين: ومن أساليب الحرب النفسية الجهاد باللسان باعتباره واجباً على المسلمين وجوب الجهاد بـالنفس والمـال والـذي قـد يكـون أسـرع وأشـد تـأثيراً علـى الأعداء من القتال. إذ يستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبـه وتحطـيم روحـه المعنويـة وإرادته القتالية ويقوده نحو الهزيمة وقد تعددت صور هذه الحرب النفسـية في الإسـلام منها:

١- إن الرسول القائد ﷺ أول من أطلق نداء (الله أكبر ... ولله الحمد) إيذاناً ببـدء المعركة وظلت أصداؤه تسمع وتدوي على مر القرون والأزمان وسيبقى هذا النداء الحبيـب يعلو ويستمر ما دامت الدعوه والجهاد ماض إلى يوم القيامة.

٢- إسـتخدام الشـعارات والأراجيـز في الحـرب لإلقـاء الرعـب في قلـوب الأعـداء وقهرهم نفسياً: مثل (يا منصور أمت) و (أنا الذي سمتني أمي حيدرة.. الخ).

٣- بالدعاء على رؤوس وقواد العدو عند الزحف فإن الدعاء مستجاب في تلك الساعة.

السادس والعشرين: إن للقـرآن الكـريم أبلـغ الأثـر في رفـع معنويـات المجاهـدين وتجرئتهم على اقتحام ساحة المعركة هذا من جانب كما له التـأثير الكـبير علـى نفسـية العدو وإخافتهم وزلزلة قلوبهم وتخذيلهم من جانب آخر فقد كان بعض القـادة المسـلمين يقرأون سوراً وآيات مختارة من القرآن الكريم مثل سورة الأنفال وسورة الأحزاب وسورة التوبة وسورة محمد (السيف) وغيرها من السور التي تستنفر المسلمين وتحرضـهم علـى الجهاد وتبشرهم بإحدى الحسنيين وفي الجانب الآخر فإنها تفضح جبن المنـافقين وتهـز نفوس المشركين وتخلع قلوب اليهود ناقضي العهود وناكثي الوعود أهل الحقد والغدر.

فالقرآن الكريم نجده يدير المعركة على لسان قائد الجيش وأمـراء السـرايا فيكـون النصر والظفر.

السابع والعشرين: إن استعلاء الإيمان وإمضاء الحق يجعل المجاهدين يسـتهينون بكل قـوى الأرض الماديـة إذا اجتمعـت علـيهم أو وقفت في طريـق دعـوتهم أو أرادت أن تثنيهم عن نصرة دينهم وأمتهم ورفع كلمة الله في الأرض.

فكان بلال رضي الله عنه يستهين بـالموت علـى الرمضـاء، وكـان خبيـب يسـتهين بالموت في الغربة وهو أسير بيد الأعداء ويتحداهم باستعلاءمنشداً:

ولسـت أبـالي حـين أقتـل مسـلماً   علـى أي جنـب كـان في الله مصـرعي

وتتوالي العصور وتشمخ هامـات اخـوة خبيـب في كـل عصـر ويسـتعلون بإيمـانهم ويمضون في طريقهم لا يبالون بالتضحية من أجل دينهم وإرضاء لربهم وإعـلاء لكلمتـه في الأرض مستعصمين به ولسان حالهم يقول:

إذا كنـت بـالله مستعصـماً   فمـاذا يضـيرك كيـد العبيـد

الثامن والعشرين: إن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة كما أخبرنا المصطفى ﷺ لـذا لا يحق للأمة أن تغمد سيفها أو تغفل عن أعدائها، لا لأنهـا تحـب الحـرب وسـفك الـدماء وإنما لأن أهل الباطل أعداء الله والأمة لم يغمدوا سيوفهم وأن حـروبهم ضـدها مسـتمرة، فالحرب الصليبية التي شتنتها قوى الشر في أوربا قبل ألف عام لازالت أوارهـا مسـتعرة ولم تنتهي بالحملة التاسعة ولم يتوقف حقدهم ولم يشف غليلهم غزوهم الاستعماري في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ومطلع القـرن الحـادي والعشـرين وسـوف لـن ننسـى كلام (اللنبي) ولا كلام (غورو) وهو يقـف علـى قـبر القائـد صـلاح الـدين وفي كـل مـرة يوقدون فيها نار الحرب يرفعوا فيها شـعاراً وحجـة لتبريـر عـدوانهم. (ولكـن وعـدهم

سيخيب وإن وعد الله هو الذي سيتحقق بقوته وتدبيره ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1].

التاسع والعشرين: وجوب تحصين صفوف الدعاة والمجاهدين أولاً وتحصين الأمة ثانياً باعتماد الوسائل والإجراءات الكفيلة في الوقاية من أساليب الحرب النفسية التي يستخدمها الأعداء ومن وسائل الوقاية الناجحة في الإسلام:

١- إن قلعة المسلم هي روح الإيمان وقوة العقيدة فتغذية الروح الإيمانية وتقوية الجانب المعنوي وترسيخ العقيدة تجعل من هذه القلعة حصينة وعصية على أعداء الإسلام وعجز أساليبهم من اختراقها.

٢- الأخذ بالأسباب للكشف عن حيل العدو في الحرب النفسية والإعلامية وبيان أهدافه وإحاطة الدعاة والمجاهدين بها.

٣- الكشف عن أعمال العدو التجسسية وتحذير الدعاة والمجاهدين من التأثر بها وتحصينهم بالوعي والمعرفة بأساليبهم في الإستدراج والإستغفال وبث الإشاعة والأراجيف والتخذيل وغيرها.

الثلاثون: وفي المقابل أقر الإسلام استخدام وسائل تضليل العدو وخداعه وأباح الكذب في الحرب مع العدو والكيد به لقوله الرسولﷺ للحباب بن المنذر رضي الله عنه في معركة بدر (بل هي الحرب والرأي والمكيدة).

الحادي والثلاثين : كما رخص الإسلام استخدام التورية في الحرب أي أخذ العدو على غرة، فقد كان رسول اللهﷺ: (قلما يريد غزوة إلا ورى بغيرها).

الثاني والثلاثين : جوز الإسلام بث العيون والجواسيس من الثقات في معسكر

(١) الشعراء : من الآية: ٢٢٧.

العدو قبل القتال لمعرفة أخبارهم ومعرفة شجعانهم ورؤسائهم وبث المخاوف في قلوب العدو وتفريق شملهم وإحداث التنازع بيهم.

الثالث والثلاثين : إغراق العطاء والإنفاق على جمع المعلومات عن العدو وإن على أمير الجيش أن ينفق الكثير ولا يبخل بما يصرفه على هذا الباب لأن إنفاق الأموال أولى من إنفاق الأرواح في الحروب.

الرابع والثلاثين : ومن أساليب الحرب النفسية في الإسلام إعداد الكمائن: فللكمين أثره في قذف الرعب في قلوب الأعداء ، فعندما يظهر الكمين يفاجئ العدو وإذا ضرب الكمين العدو من الخلف أضعف معنويات جنوده.

الخامس والثلاثين : تنقية صفوف الجيش من المنافقين والمرجفين فقد كان أمير الجيش يمنع المخذل من الخروج مع جيش المسلمين فإن خرج رده وإن قاتل لم يستحق شيئاً وإن قتل كافراً فلا يستحق سلبه عقوبة له على تخذيله المسلمين.

السادس والثلاثين : أباح الإسلام المفاخرة في الحرب لرفع معنويات المجاهدين وإضعاف معنويات العدو. فقد فاخر الرسول القائدﷺ في بعض المعارك لتشجيع المجاهدين على الإقدام وتجرئه المسلمين على القتال خاصة في معركة حنين بقوله ﷺ: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب).

السابع والثلاثين : إن الله تعالى يحب الخيلاء في الحرب لا في غيرها فاختيال المجاهد بنفسه في القتال لقوله ﷺ: (.... والخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال) لما في ذلك في الترهيب لأعداء الله والتنشيط لأولياته، وفي هذا قال رسول اللهﷺ: (لأبي دجانة رضي الله عنه لما رآه يختال عند القتال وعلى رأسه عصابة حمراء: (إن هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن).

الثامن والثلاثين : تربية المجاهدين على حفظ الأسرار لأن حفظ السر أعلى مراحل الشجاعة وإن يستعينوا على قضاء حوائجهم بالصبر والكتمان بقولهﷺ: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان...) وقوله ﷺ: (رحم الله عبدا قال خيراً فغنم أو سكت فسلم)، وأن (سرك أسيرك فإذا بحت به صرت أسيره). (وسرك دمك فلا تجرينه إلا في أوداجك)...

التاسع والثلاثين : لقد تحققت مطالب الكفاءة النوعية والإستعداد القتالي في المعارك التي قادها الرسولﷺ وفي معارك التحرير والفتوحات في عصر الراشدين والعهد الأموي والعباسي ، ولقد أحسن علماء الأمة ومؤرخوها في عرض منهج الإسلام وتوجيهاته في هذا الشأن وبرزوا الجوانب المهمة فيها:

١- درجة الإستعداد العالية التي تستهدف حرمان العدو من مفاجأة المسلمين وهي مظهر عملي للتوجيه الإسلامي باتخاذ الحيطة والحذر والتأهب الدائم لدفع خطر العدوان باستعمال وسائل الإنذار المبكر والمرابطة في الثغور.

٢- الحرص أن يكون الجيش الإسلامي على درجة عالية من الكفاءة القتالية واعتماد نظام سريع ودقيق للتعبئة وقت الحرب وإعداد الأمة للنفير العام عند اقتضاء الأمر وتعيين الجهاد.

٣- الاحتفاظ دائماً بقوة من الجيش على درجة قصوى من القدرة على الحركة السريعة أثناء الطوارئ.



الخاتمة

من خلال خطة البحث لهذه الرسالة، وبعد أن بينا بعض الإستنتاجات والدروس المستفادة من كل باب منها على حدة نخلص إلى بعض الثوابت والحقائق التاريخية والواقعية وأهمها:

أولاً: خلو الجهاد الإسلامي من الأطماع والأحقاد وأن الواقع التاريخي يزخر ويفخر بما ينطوي عليه هذا الجهاد من تحرير البشرية وتخليصها من ظلم الطواغيت تطهيرها من رجس الشرك والوثنية والعقائد الضالة في حين نجد أن واقع الحروب والقتال عند غير المسلمين قبل الإسلام وبعده وإلى اليوم حمل ويحمل في طياته الأطماع والأحقاد والشرور والنكبات وقهر الأمم وإمتهان الشعوب وإغتصاب الأرض والعرض.

ثانياً: إن الهدف من نشر الدعوة الإسلامية وتبليغ رسالة الإسلام للإنسانية، وإزالة المعوقات المادية من طريقها باللجوء إلى الجهاد – إذا لزم الأمر – هو الوصول إلى السلام الحقيقي والسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: حملت صفحات التاريخ وأكدت الوقائع التاريخية مصداقية الجهاد الإسلامي في استخدام الوسائل وتحقيق المقاصد والغايات. وإن من يستقرئ سيرة الرسول القائدﷺ والجهاد في عصر النبوة وحركات التحرير والفتوحات الإسلامية من بعد في تبصر وتجرد وأمانة وموضوعية فإنه يجد تلك المصداقية ماثلة أمامه على صفحات التاريخ، ليس ما كتبه مؤرخونا المتقدمون الثقاة ومؤرخونا المحدثون فحسب وإنما حتى في كتب المنصفين من المؤرخين الأجانب حتى في الحالات الإستثنائية التي يقع فيها المجاهدون بخطأ الجنوح عن الطريق المشروع للوصول إلى تلك الغايات النبيلة، فإن

الأمراء والقيمين على أمور الجهـاد يتصـدون لتقـويم هـذا الخطـأ كالـذي حصـل في عهـد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) رضي الله عنه حين صدر حكـم القضـاء بحـق الجيش الإسلامي الذي كان يجاهد في سمر قند أن يخرج من بلاد فتحوها وإستقروا فيهـا لأن أهلها ادعوا أنهم أخذوا على حين غرة دون أن تعرض عليهم دعوة الخيارات الثلاث (الإسلام، أو الجزية ، أو الحرب). وبعد صدور الحكم لمصلحة أهل تلـك الـبلاد وتهيـأ الجيش الإسلامي للخروج استوقفت أهلها عدالـة الإسـلام هـذه وهـزت قلـوبهم وملكـت نفوسهم روعة خضوع القوة الظافرة للحق المهزوم، فأسرعوا بالتنازل عن حقهـم بعـد مـا مكنهم منه حكم الإسلام العادل ورضوا ببقاء المجاهـدين المسـلمين في بلادهـم والشـواهد على مثل هذا كثير لا يتسع لها المجال في هذه الخلاصة.

تم ختم هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه يوم الاثـنين في بغـداد (دار الإسـلام) في ٢٧ رمضان /١٤٣٢ هـ الموافق ٢٠٠٢/١٢/٢م.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



السيرة الذاتية للدكتور فؤاد الراوي

الاسم الثلاثي واللقب : فؤاد محسن حماش الراوي الحسيني.

تاريخ ومحل الولادة : ١٩٤٠/٧/١ – قضاء راوة – محافظة الأَنبار – العراق.

التحصيل الدراسي : بكالوريوس في العلوم التجارية والاقتصادية عام ١٩٦٣ – جامعة بغداد ماجستير في الفكر الإسلامي – معهد التاريخ العربي – اتحاد المؤرخين العرب.

دكتوراة في التراث العربي الإسلامي – معهد التاريخ العربي – اتحاد المؤرخين العرب .

الحالة الاجتماعية : متزوج وله من الأَولاد ستة.

المهنة الحالية : متقاعد.

الخبرات العلمية : المشاركة في العديد من الدورات التخصصية والتطويرية في الأمور المالية والإدارية والتخطيطية داخل العراق وخارجه.

الخبرات العملية : التدريس، والتدرج في مواقع المسؤولية في الإدارة الوسطى والإدارات العليا التنفيذية والرقابية والاستشارية ولمدة خمسين عاماً.

المؤتمرات والندوات : المشاركة في العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والعربية والدولية ومنها:

- مؤتمر وضع أُسس وإطار النظام المحاسبي الموحد – في المركز القومي للاستشارات – بغداد.
- مؤتمر النهوض بكفاءة الأَداء في المؤسسات وتقليل الهدر – في المركز القومي للاستشارات.
- مؤتمر إعادة صياغة النظام المحاسبي الموحد – في وزارة المالية – بغداد.
- ندوة في دار الحكمة تحت عنوان (الجهاد فكراً و ممارسة) – بغداد.
- ندوة في دار الحكمة حول دور الفكر الإسلامي في الثقافة العالمية – بغداد.
- مؤتمر تحت عنوان (الانتخابات في الإسلام) – عمان – الأردن.
- مؤتمر تحت عنوان (الشد الطائفي والمصالحة الوطنية) عمان – الأردن.
- مؤتمر الأَديان من أجل السلام في العراق – كيوتو – اليابان.
- مؤتمر الأديان من أجل المصالحة والسلام – أوسلو – النرويج.
- مؤتمر المصالحة والسلام في العراق – كوبنهاكن– الدنمارك.
- الملتقى الدولي في الجزائرمن أَجل المصالحة والسلم – بمناسبة الذكرى السنوية للشيخ محفوظ نحناح رحمه الله.
- مؤتمر السلام في العراق – كوبنهاكن – الدنمارك.

- الملتقى الدولي للعلاقات بين العالم الإسلامي وأمريكا – الدوحة – قطر .
- الندوة الخاصة بالجهد الإغاثي لمنظمة الأيادي المسلمة – عمان.

منظمات المجتمع المدني :

- عضو الهيئة الإدارية لنادي التربية الرياضي – بغداد – الرصافة.
- رئيس مجلس الإدارة لنادي المنصور الرياضي – بغداد – الكرخ.
- عضو جمعية الاقتصاديين العراقيين.
- عضو نقابة المحاسبين والمدققين العراقية.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب – الجامعة العربية.
- عضو الأمانة العامة للمجع العلمي للسادة الأشراف.
- عضو الأمانة العامة لنقابة السادة الأشراف الهاشميين في العراق والعالم الإسلامي.
- الانتساب للدار العالمية لنشر وتحقيق الأنساب للسادة الهاشميين.
- رئيس مجلس الأمناء لمنظمة الأيادي المسلمة اللإغاثة – العراق.
- عضو الهيئة العراقية لكتابة تاريخ الأنساب – بغداد.

المؤلفات والبحوث :

- الإسلام والتحديات الكبرى في القرن الحادي والعشرين.
- البابيه والبهائية حركة هدمية.
- التفسير الإسلامي للتاريخ
- الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي.
- المدارس الفكرية في اليمن.
- غذاء الروح في القرآن والسنة (في التربية الروحية).
- الحركة السبئية ودورها التخريبي في عقيدة الأمة.
- أمير الأمراء عامر بن الجراح – أمين الأمة – رضي الله عنه.
- بناء الإقتصاد في الإسلام.
- النظام المحاسبي الميسر.
- تحليل المستلزمات السلعية وجدول المقارنة بين النظام المحاسبي والنظام الآلي للسيطرة المخزنية.
- حقيقة المنظمات الماسونية.
- الفهم الوسطي للجهاد في الفكر الإسلامي (دراسة تاريخية).